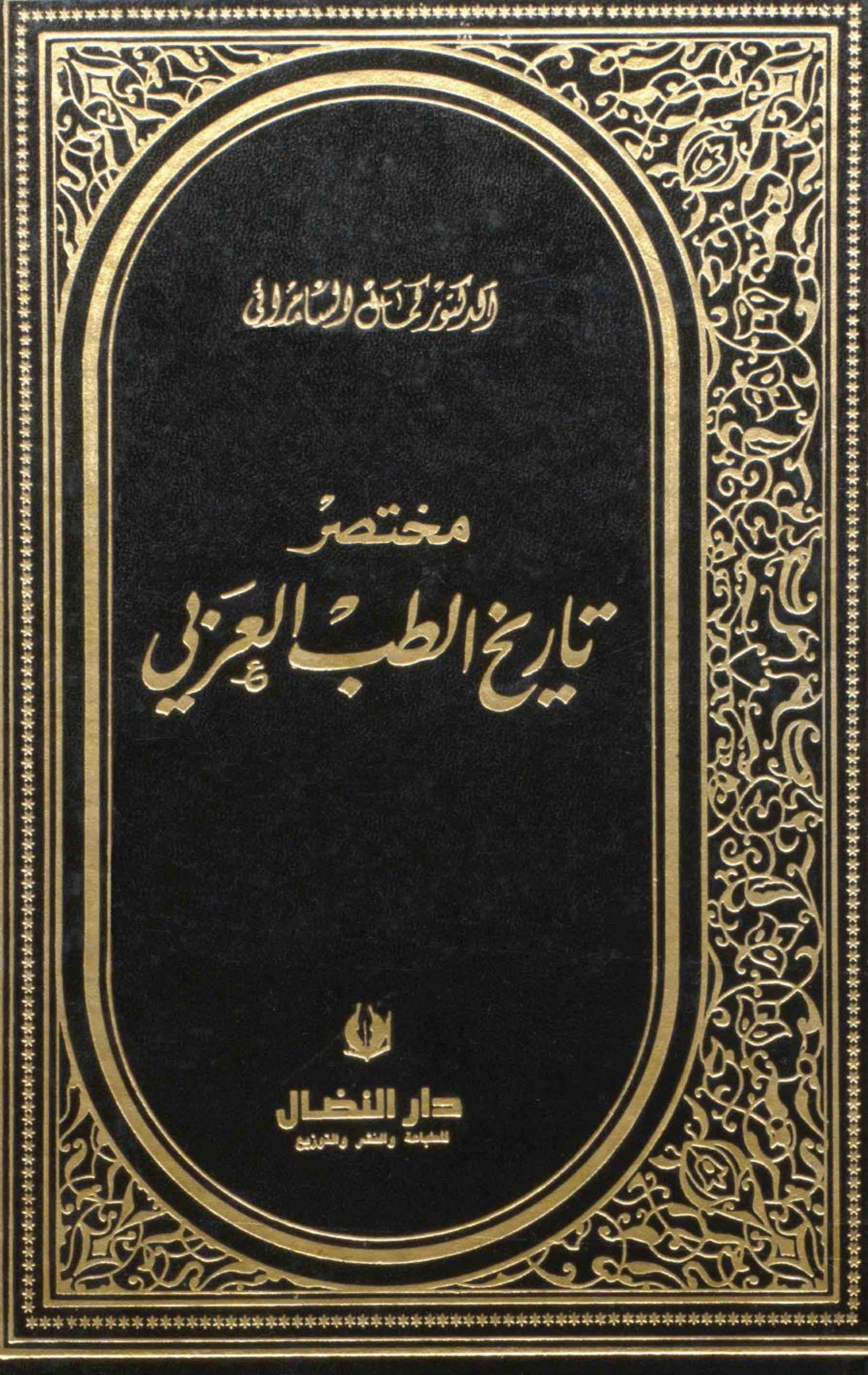


الدكتور كمال السامرائي
مختصر
تاريخ الطب العربي
دار النضال
للطباعة والنشر والتوزيع



المقـدّمَة

في هذا الكتاب ثمة أساليب انتهجناها عند وضع ابوابه ، وتحرير مضامينه ، وتفسير بعض الآراء التي تبنيناها فيه ، نرى أن نكشف عنها قبل أن نلج صلب الكتاب .

1 ـ اصل هذا الكتاب عدد من المحاضرات في تاريخ الطب العربي ألقيناها على طلاب الصف النهائي في كلية طب بغداد . وكان الهدف من تلك المحاضرات أن يعرف الطالب تاريخ الطب قبل أن يصل هذا العلم الى العرب في القرون الوسطى ، وبعد وصوله اليهم ، ومدى مشاركتهم بهذا الحقل في الحضارة الانسانية . واعتبرنا من النقص في ذوي المهن الطبية أن يعرف المؤرخون تاريخ الطب ، بينما لا يعرف الاطباء ما يكفي عن تاريخ صناعتهم . وقد أشار علي بعض الطلبة أن اطبع تلك المحاضرات ، ثم رأيت ان استطرد في بعض مواضيعها لاجعل منها ما يمكن أن يستفيد منه طلاب كلية الطب والمتخرجون فيها على السواء ، فكان من ذلك هذا الكتاب الذي اعتبره قد وضع للطلاب قبل غيرهم من القراء .

2 ـ نقصد بالطب العربي في هذا الكتاب ، الصناعة الطبية التي مارسها العرب قبل الاسلام وبعده وحتى ظهور الاكتشافات والاختراعات الحديثة في هذه الصناعة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي . ويحتل القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي مركز الدائرة التي برز فيها العرب في العلوم الطبية . وقد اعتنيت بشكل خاص بتاريخ الطب العربي قبل وصوله الى ذلك المركز بينما اكتفيت بتدارسه في هذا الكتاب إلى

القرن التاسع الهجري فقط ، بالرغم من أن هذه الحقبة الاخيرة وما تلاها جديرة بالدراسة ، إلا أنني اعتبر الفكر الطبي عند العرب قد توقف عند ذلك التاريخ ، وما بعد ذلك كان خليطاً من الطب الفارسي والتركي أكثر مما كان عربياً وباللغة العربية . وهنا لا بد من الاشارة إلى أننا اذا استثنينا القرآن الكريم وآداب اللغة العربية اللذين سيظلان تراثين خالدين إلى يوم الدين ، فإن أكثر العلوم والفنون التراثية ليس منها فوائد تطبيقية حالياً إلا بقدر يسير جداً . وفوائدها الكبرى في أنها للامة كالحسب والنسب للفرد ، وهي على هذا ، الرصيد المكين الذي يحفظ للشعوب مكانتها في سجل التاريخ ، وهي أخيراً جزء من التاريخ العام الذي لا تنكر ضرورة دراسته للاستفادة من مدلولاته وعبره القيمة .

3 ـ ربما كان الافضل ان نجعل اسم هذا الكتاب (الطب الاسلامي) ، إذ كان الاسلام حين نشأ الطب بين شعوبه هو الدين والدولة ، وتخضع لنظمه كل الأقوام الداخلة في دائرته الشاسعة ، كما كانت تتكلم بلغة كتابه المجيد . فكانت إيران الفارسية ، وإسبانيا اللاتينية ، وبخارى التركمانية ، وأذربيجان الارمنية من الأقطار الاسلامية مثلما كانت منها الجزيرة العربية . فلا عربي أو غير عربي يومئذ ، بل كانوا مسلمين وكفى . وإن كانت ثمة نعرة قومية كامنة أو ظاهرة في مختلف شعوب الدول الاسلامية فقد كان يقابلها اندفاع بحماس إلى إشهار الاسلام وخدمته ونشره من كل الاطراف التي تدين بهذه الشريعة . كما إن غالبية من الف في الطب منهم ، كانوا من المسلمين إلا قليلاً من الذميين وواحداً او اثنين من المجوس ، ومجموعهم الضئيل لا يذكر بالنسبة للعدد الكبير من المؤلفين المسلمين ، إلا أنني حاذرت من اسم (الطب الاسلامي) لئلا يكون فيه ما يفيد عن علاقته بدين المسلمين لا بحضارتهم العلمية . فآثرت أن اسميه (الطب العربي) لان هذا العلم قد كتب باللغة العربية التي كانت عندئذ لغة الدول الاسلامية في كل مكان وبين كل الشعوب العربية وغير العربية . بل كان المسلمون الاعاجم من أخيار كتاب اللغة ، كما كانوا أيضاً يحملون نفس الأفكار الروحية والإجتماعية التي يبشر بها العرب للإسلام . كما أن مصطلح الطب العربي أعم من مصطلح الطب الاسلامي لانه يشمل الطب قبل الاسلام أيضاً .

4 ـ لم اجعل هذا الكتاب (دراسة) في الطب العربي ، بطريقة البحث فيما بين سطور كتب التراث للكشف عن مضامينها الخفية وربط ما أتوصل اليه لتثبيت فكرة

مبتكرة بموضوع الكتاب ، بل جعلت الكتاب (مدرسياً) وكتبته بالاسلوب النمطي لاترك للقارىء الطالب ان يتدارس بنفسه هذا الموضوع . ويبحث عن المعلومات غير المكتوبة فيه . وهذه هي الطريقة التي ادعو إليها في التعليم الجامعي ، فلا تعليم في الجامعة ، بل فيها تدارس أو (تعلّم) يقوم به الطالب بمعاونة أو توجيه استاذة ، والتعليم بغير هذا الاسلوب ليس جامعياً ، ولا يحقق الهدف من التعليم الجامعي .

5 ـ إن كتابة تاريخ العلوم ومنها الطب ، من أصعب اعمال التأليف ، وذلك لان من يريد أن يلم بكل أطراف تاريخ هذه الصناعة ، يجب أن يكون ملماً بجميع اللغات القديمة كالآرامية والسريانية والسنسكريتية والفهلوية والعبرية واليونانية واللاتينية ، وهي اللغات التي كتبت بها العلوم القديمة ، وان يقرأ تاريخ الاقوام التي مارست تلك العلوم . أما من يريد أن يؤرخ الطب العربي فعليه بالاضافة الى معرفة ما تقدم ، أن يقرأ تفاصيل التاريخ الاسلامي ، وكتب السير ، والادب ، ودواوين الشعر ، والكتب التي تبحث في أيام العرب وفي أمثالهم ومنثورهم عامة . وهذا كما هو واضح ليس بالامر الهين ، وعلى هذا فلا خيار لمن يريد أن يكتب في تأريخ الطب العربي بمستوى هذا الكتاب المختصر ، إلا أن يعتمد على ما كتبه المؤرخون الاولون بهذا الموضوع ، ومن تبعهم من الكتاب المعاصرين الثقات .

6 ـ إعتمدت في بحوثي بمواضيع هذا الكتاب على المصادر العربية القديمة ، وابتعدت قدر ما استطعت عن المصادر الحديثة سوى التي تستند على التراثيات العربية بالإشارة الى أسم المؤلف الذي اخذ عنه ، واسم كتابه ، ورقم الصفحة التي نقل عنها ، واعتبرت هذا الاسلوب الذي اتبعته طريقة لتعليم الطالب على أصول التحقيق كتابة المقال ، كما اعتبرت الكتب التي لا تتبع هذا الاسلوب ، إعلامية أو دعائية ، تفيد من يريد أن تكون له فكرة عما كان في التاريخ ، ولا تفيد العالم الباحث ، أو الطالب الجامعي ، فابتعدت عنها لتشككي في صدقها ، والخوف من خطرها على التراث . أما ما ذكرته بخلاف ذلك فاثبته لاهميته العلميّة أو التأريخية والمصدر هو الذي يتحمل مسؤولية روايته .

ومن المؤسف إن المصادر العربية في تاريخ الطب العربي جد قليلة ، على عكس مصادر العلوم الاخرى في الأدب والحديث والفقه والتاريخ والشعر وما إلى ذلك . وبالاضافة الى أن كتب تراجم الاطباء لا تخلو من خلط في اسماء الاعلام وتواريخ

اخبارهم . أما الكتب في العلوم الطبية فلا نعرف عن أكثرها إلا باسمائها ، والذي وصل إلينا منها هو القليل القليل . وقد الحقت اسماء تلك الكتب في ختام تراجم مؤلفيها مع تعريف مختصر جداً بتلك المؤلفات ، وأسماء بعض المكتبات التي تمتلك مخطوطاتها . ولم أهتم بذكر أرقام تلك المخطوطات فيها لأن ذلك لا يفيد الطالب بقدر ما يفيد الباحث المتخصص بهذا الموضوع . وإذ أن كثيراً من المؤلفات الطبية تذكر بأسماء متباينة باختلاف المؤرخين في الطب العربي ، فإن ضياع تلك الكتب ، أو عدم اطلاعنا على مضامينها يجعل من غير الممكن معرفة فيما إذا كانت تلك الاسماء هي في الواقع كتاباً واحداً أم أنها كتب متعددة . لذلك اضطررت الى ذكر الكتب التي من هذا الصنف بالرغم من ظني في أنها كتاب واحد . وستبقى هذه المشكلة قائمة ما لم تنشر الكتب المذكورة .

وأشرت في بعض الكتب التي ألحقتها باسماء مؤلفيها إلى المصادر التراثية التي ذكرتها . واعتبرت اقدم وأصدق تلك المصادر هو كتاب الفهرست لابن النديم ، والطبقات لابن جلجل ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ، والعيون لابن ابي اصيبعة . وجعلت هذه مصادري للكتب التي ألحقتها بأسماء مؤلفيها وإن لم اشر إلى ذلك ازاء كل كتاب . أما إذا كانت مصادري من كتب أخرى غير الكتب الاربعة التي ذكرتها فقد أشرت الى عناوين تلك المصادر وأسماء مؤلفيها وإن لم اشر الى ذلك ازاء كل كتاب . أما إذا كانت مصادري من كتب اخرى غير الكتب الاربعة التي ذكرتها فقد اشرت الى عناوين تلك المصادر وأسماء مؤلفيها ومكان اسم الكاتب على صفحاتها . وكان من خطتي ان أهمل ذكر المصادر الحديثة اذا وفرت لي المصادر القديمة ذكر تلك المؤلفات . أما المؤلفات التي لا تذكرها التراثيات فاضطررت الى ذكر مصادرها الحديثة ، كما اعتبرت وجود مخطوطات تلك الكتب توثيقاً لا يرد لواقعيتها دون النظر الى كونها منحولة للمؤلف أو من وضعه وهي كتب ليس لنا خيار إلا الاخذ عنها بالرغم مما في بعضها من خلط واضطراب . وإنتحال الكتب لغير مؤلفيها كثير الحدوث في التراثيات العربية وغير العربية ، مما يجعل احتمال الشك في تبعيات كثير من الكتب قائماً دائماً وخصوصاً الملحقة منها بكبار الاطباء .

وسواء عرفنا مؤلف الكتاب أم لم نعرفه فإن ذلك لا يقلل من قيمة الكتاب ككتاب تراثي في زمانه .

والجدير بالذكر أن المؤلفات في الطب العربي لا تدل بشكل قاطع على مهارة مؤلفيها في الممارسة الطبية . وبعض المؤلفين في هذه الصناعة لم يكونوا اطباء اصلاً . وكانوا يدرسون علوم الطب ويؤلفون فيها لان ذلك من متطلبات الشخصية العلمية الكبيرة في العصور الاسلامية . وبعضهم كان يكتب في الطب ليقرأه عامة الناس على جهة البر والاحسان . ومع ذلك فقد ادرجت تلك الكتب في قائمة التراثيات مثلما ادرجت فيها مؤلفات أعاظم الاطباء .

واعتمدت في مصادري ايضاً على بعض المؤلفات الانكليزية التي لمؤلفيها مركز معروف في تحقيق التراث العربي والاسلامي ، وفي دقة التحري وصدق ما يحصلون عليه من نتائج . وقد افدت كثيراً من افكار هؤلاء الاستنتاجية ، وما اكتشفوه من مدلولات بعض الاخبار الخاطفة التي لا تضبطها ملاحظة الكاتب العربي الاعتيادي . أما الاغلاط الفكرية التي ترد في ابحاث بعض المستشرقين ، أو الهفوات البريئة وغير البريئة فيها ، فكانت تثيرني الى زيادة في التنقيب عن أصولها التراثية اكثر مما تثير غضبي على كتابها ، فاعلق عليها بطريقتي الخاصة الخالية من السخط . كما ترد في بعض ابحاث المستشرقين اخبار ذات قيمة كبيرة إلى جانب فضائل الاطباء العرب لا ضدهم ، إلا أنهم لا يسندونها إلى مصادر عربية ، وكنت أعجز عن معرفة أصولها في الكتب المتوفرة لدي ، فأعتبرها منقولة عن مصادر لاتينية أو يونانية أو عبرية لا تصل اليها يدي ، فأصبر على جهلي بها واعتمدها في الاخذ منها بلا تردد على اعتبار أنها شهادة من طرف محايد ، إن لم يكن مناوئاً للعرب .

وأخيراً يجب أن اذكر انني قد ادخلت في مصادر بعض التراجم بهذا الكتاب ، أو لاسناد بعض الحقائق العلمية ، مصادر وقفت عليها بالقراءة عنها ولم اطلع عليها ، على اعتبار أن ذلك قد يكون ذا فائدة لمن يستطع الحصول على نصوص تلك المصادر ، فيجد فيها مزيداً من المعلومات في الموضوع الذي يبحث فيه .

7 ـ اكثر كتاب الغرب لا يعيرون سير الاطباء العرب إهتماماً كبيراً ، ويمرون عليها باقتضاب ، ولا يذكرون منها إلا ما له علاقة مباشرة بالافكار الطبية . ولا نقد على هذا الاسلوب في كتابة التراجم ، بل هو من سمات الكتابة العلمية . والتفاصيل الدقيقة في التراجم والسير من اختصاص العلوم التاريخية والادبية . وقد اتبعت

الطريقة ذاتها عند الكلام عن الاطباء العرب . وتجاهلت القصص والاخبار والاحداث التي الصقها كتاب التراث بتراجمهم ، سوى ما كان منها ذا دلالة علمية أو طبية . والقصص التي حرمتها من إهتمامي هي التي جعلت لكتبنا التراثية تلك الضخامة في الحجم ، وإنها لم تكشف عما يزيد في مراتب أعيان الاطباء المترجم لهم ، ولا شخصت حجم ممارستهم وأساليب اعمالهم في الصنعة التي يهدف تسجيلها هذا الكتاب .

كما يثير استغرابي ان بعضاً من المستشرقين حين يتطرقون الى مؤلفات الاطباء العرب لا يذكرون من كتبهم إلا القسم الذي وصل إليهم منها ، أو ما هو موجود بصيغته اللاتينية أو العبرية ، ولا يلتفتون إلى الكتب المفقودة منها بالرغم من ورود اسمائها في التراثيات العربية . وإذ أن من يفهم اللاتينية أو العبرية هو وحده يستطيع أن يحكم على تبعية تلك الكتب الى مؤلفيها ، فقد اشرت الى حكم المستشرقين في تبعية تلك الكتب دون التعليق عليه بالنفي أو بالتوكيد .

٨ ـ كل الاطباء العرب الذين ترجمنا لهم في هذا الكتاب كانوا من سكان الحواضر والمدن ، حيث الثراء المالي والعلمي ، والحياة الاجتماعية الراقية ، والمنافسة على الكسب والمراتب والشهرة . وطبيعي أن لا تكون المدن الصغيرة البعيدة عن العواصم خالية تماماً من الاطباء ، إلا أن مراتبهم العلمية وبعدهم عن أضواء المدينة جعلهم من غير المشهورين علماً بأن الحواضر الكبيرة المزدحمة بالسكان تكون عادة أيسر لتفشي الامراض وبالتالي يكثر فيها الاطباء . ولان كتابة تراجم جميع الاطباء العرب مما لا يستوعبه مثل هذا الكتاب الصغير ، فقد حصرت الكلام المفصل على بعض الاطباء لا على كلهم ، أما الاطباء الآخرون ، وبالاخص الذين ليس لهم أعمال في التأليف فقد حاولت جهدي ان اجد لذكر اسمائهم مكاناً في حقل المصادر والتهميشات او في ملحق تسلسل الاحداث التاريخية ، وقد وفقت في أكثر ذلك لا في كله .

٩ ـ وجدت في بادىء الامر صعوبة في طريقة تبويب الكتاب ، وكنت اعتقد ان خير الطرق أن اكتبه بمواضيع رئيسة في العلوم الطبية ، وادخل فيها تراجم الاعلام التي شاركت بتلك المواضيع ، وتفاصيل اعمالهم فيها ، واتابع الكتابة بهذا الاسلوب منحدراً حولا بعد حول ، او قرناً بعد قرن ، إلا اني رأيت أن ذلك لا يجعل الكتاب مدرسياً ، وربما يكون أعلى مستوى من الاطباء غير الاختصاصيين بتاريخ العلوم ، كما

لا يساعد في اعطاء معلومات وافية عن شخصيات الاطباء وحياتهم الخاصة . ثم فكرت أن أكتب الكتاب بحسب الاقطار ، وعدلت عن هذه الطريقة ايضاً لان كثيراً من اعلام الطب عاشوا في اكثر من مكان واحد ، ومنهم من عاش في قطر وعاشت أفكاره في اقطار اخرى ، كما عدلت عن كتابته بحسب العصور لمثل السبب المذكور . ومن التكرار الممل أن نتكلم عن حياة طبيب أو افكاره مرتين . وأخيراً كتبت الكتاب بالطرق الثلاثة المذكورة معاً . فجعلت قسماً منه بحسب الاقطار وقسماً بحسب العصور وراعيت في هذه الطريقة تسلسل انتقال المعرفة الطبية ومسيرتها بين الاقطار العربية واعتبرت مصدرها بغداد ومنها خرجت الى الاقطار الاسلامية القريبة والبعيدة منها . ومهدت لاكثر هذه الاقسام بمقدمة تاريخية وجغرافية لمضمون القسم ، كما افتتحت كل موضوع علمي بنبذة وجيزة في تاريخ ذلك الموضوع . لان معرفة العلوم الطبية والتخصص بمزاولتها لا يتم إلا بمعرفة ماضيها وتسلسل ما طرأ عليها من تجديد وتغيير . وفي القسم الخاص بالعلوم الطبية عند العرب فضلنا تزويد المواضيع بأصل نصوصها التي وردت في الكتب التراثية لما فيها من سمات القدم وما يناسب الازمان التي طبقت فيها تلك النصوص ، فضلاً عما فيها من حسن التعبير والدقة الفنية .

ولتنوع مواضيع الكتاب ، بين تراجم الاعلام الاطباء وتفاصيل صنوف المعرفة الطبية ، والتحركات الفكرية بين مختلف الاقطار العربية وغير العربية ، فقد قسمت محتويات الكتاب إلى عشرة أقسام ، ضمنت كل قسم منها واحداً من تلك المواضيع . ولم أواجه صعوبة في توزيع مادة الكتاب بحسب عناوين تلك الاقسام إلا في بعضها القليل فأضطررت الى حشر بعض المواضيع الشاذة عن التقسيم في قسم قريب منها ، وصار القسم الاول المتعلق بنشأة الطب الاولى ، والمعتقدات الخرافية والعلمية عند الإنسان الاول مختصراً . وهو موضوع عام تكفي الاشارة إليه لتفسير رواسب تلك المعتقدات في الطب العربي المتأخر . وصار الفصل الخاص بتاريخ الطب اليوناني اضخم فصول القسم الثاني ، وكان لذلك مبررات ، أهمها العلاقة الوثيقة بين الطب العربي والطب اليوناني ، والمبادىء العلمية التي أخذها العرب عن الاطباء اليونانيين ، وسوف نرى أن الاطالة في كتابة التاريخ اليوناني هي في الواقع توضيح لا بد منه لقضية الطب العربي ، ولابراز مكانته في الحضارة الانسانية .

10 ـ المحت في القسم الاول من الكتاب إلى حقيقة علمية وحضارية جعلتها من

أهدافي بهذا الكتاب لصيانة الطب العربي ممن ينتقص ما فيه من إبتكار وأصالة . تلك الحقيقة هي أن العلوم عامة ليست من صنع أمة واحدة ، ولا هي وليدة عصر واحد . بل هي حصيلة أعمال أمم تعاقبت أو تعاصرت في البحث عن حقائق الامور ودراسة علومها ، جيلاً بعد جيل . وكل محاولة لوضع فواصل قاطعة بين الحضارات المتعاقبة لا بد أن تنتهي بالفشل . فالحضارة من هذه الوجهة من عمل الانسان دون النظر الى موقعه التاريخي أو الجغرافي أو تبعيته العرقية أو الدينية . ومدلول نسبة الحضارة إلى شعب بالذات هو على الاكثر لتعيين مرحلتها الزمنية أو المكانية بالاضافة الى تقدير المشاركة التي قدمها ذلك الشعب الكريم لسعادة الانسان ، والكاتب في صنف اختصاصه لا يستطيع بأي حال أن يعد كتابه معتمداً على تجربته الذاتية وحدها ما لم يأخذ في قواعد كتابه من علماء آخرين عاصروه أو سبقوه في الاختصاص . وليس في كتب العالم منذ عرف الانسان القراءة والكتابة ، كتاب واحد أو جزء من كتاب، كل مضامينه من بنات أفكار مؤلفه وحده . وأفضل كتب اليوم هي التي تكثر فيها المصادر التي أخذت منها مادة الكتاب . والعديد من المقالات القيمة لا تزيد على بضع صفحات بينما مفردات مصادرها التي تذيل المقال تملأ أضعاف ذلك العدد من الصفحات . وقيمة المقال بصورة مطلقة هي بوزن مصادره وعددها ، وعلى هذا فلا نقص على ابن ربن الطبري اذا ما قيل أن الكثير من كتابه (فردوس الحكمة) مأخوذ عن الطب اليوناني والهندي والفارسي . ولا على ابن سينا إذا ما قيل إنه اعتمد في كتابه (القانون) على ابقراط وجالينوس وديوسقريدس . او الزهراوي إذا قيل أن الكثير من كتابه (التصريف) مأخوذ من كتب بولس الاجيني واتيوس الامدي . فعموم هذه المصادر التي ذكرناها تزيد من قيمة الكتب العربية التي تضمنتها ، بالاضافة الى أن في هذه الكتب من أصول التأليف التي استحدثها الكاتب العربي ، ومن الأعمال المبتكرة في العلوم الطبية ما يجعلها لا تضعف من مركزها العلمي إذا ما ادخل إليها بعض مما اخذ من المصادر الاجنبية . وعلى هذا فلا إجحاف ولا ضير على الطب العربي إذا ما قيل ان مصادره غير عربية ، او انه عربي ـ اغريقي . وربما يغنينا أبو بكر الرازي عن الاطالة في هذا الموضوع اذا قرأنا ما كتبه في هذا الباب . قال مشيراً الى تعلم مهنة الطب : (هذه صناعة لا يمكن الانسان الواحد إذا لم يحتذ فيها على مثال من تقدمه ، ان يلحق فيها كثير شيء ، ولو افنى جميع عمره فيها . . لان مقدارها

اطول من مقدار عمر الانسان بكثير . . . وإنما ادرك من هذه الصناعة الى هذه الغاية في الوف من السنين ألوف من الرجال ، فإذا اقتدى المقتدي اثرهم صار كمن ادركهم في زمان قصير ، وصار كمن عمر تلك السنين) .* ونذكر بنفس الوقت ، إن المؤلفين في الطب العربي قد اعتمد بعضهم على بعض فأخذ كل من الزهراوي والمجوسي عن الرازي ، واخذ الرازي عن ابن ربن الطبري وابن ماسويه وحنين وما سرجويه وغيرهم . وهكذا أيضاً كان التلاحم بين مؤلفات الادباء والمؤرخين . وكذلك الامر على المستوى العالمي والتاريخي بين ذوي الفكر والابتكار . وإن مدنية أوروبا اليوم لم تصل إلى القمة إلاّ على قاعدة من العلوم الاساسية التي أخذتها عن الشعوب العربية والاسلامية . وهذه الشعوب بدورها لم تؤسس حضارتها إلا بعد ان تفتحت افكارها على الحضارة اليونانية ، ونعرف أن العلوم اليونانية لها جذور بابلية ومصرية . وهذه الشعوب بدورها لم تؤسس حضارتها إلا بعد أن تفتحت أفكارها على الحضارة اليونانية ، ونعرف أن العلوم اليونانية لها جذور بابلية ومصرية وربما فارسية وهندية أيضاً . كما نعرف أن البابليين والآشوريين اخذوا علومهم من السومريين وهكذا . وحين نقرأ لاكبر علماء القرن السابع عشر وهو اسحاق نيوتن قوله (استطعت أن ارى الى مدى ابعد لانني وقفت على اكتاف العمالقة) فتخاله يشير إلى العلماء العرب وعلومهم التي إعتمدها في تكوين أفكاره العظيمة .

وهناك ملاحظة اخرى تخص الاصالة في أعمال الاطباء عامةً ، كثيراً ما يغفل الكتاب تطبيقها في التأليف ، وهي أن المبتكرات لا تحدد باكتشاف أوليات الحقائق فقط ، بل تشمل أيضاً تفاصيل تلك الحقائق واطرافها القريبة والبعيدة ، وما يتعلق بها من التوابع . فقد وصف اليونانيون اريتس الكابودوشي ـ القرن الثاني م) حالة مرضية تتميز بكثرة التبول وسموها (الديابيطس) اي النافورة باليونانية . وحسبوا هذا المرض نوعاً من الاستسقاء ، فكانت معلومات اليونانيين عن الديابيطس محصورة في وجوده كمرض ، وفي كثرة التبول فيه ، وفي تسميته ولا أكثر من ذلك . فلما جاء العرب وصفوا هذا المرض وصفاً علمياً شاملاً مانعاً ، واكتشفوا حلاوة طعم البول فيه ،

(*) البير اسكندر ـ مجلة المشرق ، محنة الطبيب عند الرازي مجلد 54 (1960) ص 496-498 .

واختبـروا هذه الحـلاوة بالتـذوق . واعطى الاطبـاء الاسكندرانيـون (اهرن بن أعـين القس ـ القرن السابع الميلادي) لمحة باهتة عن مرض الجـدري فجاء الـرازي ووصف هذا المرض من وجوه كثيرة لم تكن معروفة عند اليونـانيين . وهنـاك أمثلة كثيرة شـارك فيها الاطباء العرب الامجاد العلمية التي بدأ بها اليونانيون في حقلي البحث والابتكار إن النقود والتطويرات التي ادخلها العرب على الطب الذي وصلهم من اليونانيين وغيرهم كانت اقصى ما تتحمله مفاهيم تلك العهود ، وبالرغم من القدسية التي تتمتـع بها اراء جالينوس مثلاً فإن الاطباء العرب تجاسروا بحق وقدرة أن ينقدوا هذا العالم الكبير وعلى كـل ما تقـدم فمن الصواب والتعقـل ان لا ندعي بـأصالـة الطب العـربي ، لان ذلك يخالف الواقع ، كما يخالف المنطق الذي ذكرنـاه . إلا أننا نقـول ونحن على حق ، ان في الـطب العربي أصـالة تكفي أن تجعله يبـرز شامخاً بين العلوم المماثلة في الحضـارة الانسانية . ولكي نثبت هذه الاصالة ، يجب أن ندرس أعمال الاطباء اليونانيين بدقـة ونقابلها بأعمال الاطبـاء العربُ لنعـرف الفائض في هـذه على أعمـال من سبق العرب بهذه الصنعة . وهذا سبب آخر دعانا الى التوسيع في دراسة الطب اليوناني وان أعمـال العرب الفكرية وامجادهم في خدمة الانسانية أضحت من الـوضوح الـذي لا يحتاج الى مزيد من ثبـوت ، وليس على حق من ينكـر أفضالهم إلا إذا أراد أن ينكـر أيضاً وجـود حضارات قديمة في التاريخ . وهذه الكلمة ليست لي بل لكثير من المستشرقين المنصفين في الحكم عـلى فضائـل الشعـوب . أمـا من ينقص من مشـاركـة العـرب في الحضـارة الانسانية متعمداً بدافع من احدى العصبيات فخير لنا أن نعتبره قليـل المعرفـة بتاريـخ العرب ، وإنه يحتـاج الى من يصلح أوهامـه من غير غضـاضة أو شتم . فـإن ما ينـافي مرتبة الطب العربي الرفيعة . وما فيه من أصالات علمية هي بعض من كتبنـا الحديثـة التي تفرط بالمديح والتباهي أو الشتم والانتقاص أكثر مما تهتم بالموضوعيات المشرقة التي تزخر بها التراثيات العربيـة . وإن ذكر الحقـائق مجردة من أقحـام العاطفـة في المناظـرة والتخـاصم اجدى لاظهـار الحق وكسب المواقف ، وإن ليـونتنـا في لغـة المحـاججـات ومنـطقها تضيف عـلى ما لعلماء العـرب الاوائل من خلق رفيـع في المـواقف العلميـة . وعسى أن يتبع الطلاب هذا الروح في قابل أيامهم بالتأليف .

11 ـ في القسم السابع من الكتاب الذي كـرسته للعلوم الـطبية وممـارستها عنـد

العرب ، يبدو فيه كثير من النظريات والتطبيقات التي لا يقتنع بصوابها العلم الحديث ، الا أنه لا يصح نقدها أو نقضها استناداً إلى المفاهيم الطبية الراهنة ، فلكل علم زمالة وخلق يفهم نظرياته ويرضخ لتطبيقها بإيمان ورضى . لقد اختفت منذ ذلك الزمن القديم أفكار ومبادىء كثيرة كانت يوماً ما قوام طبابة واسعة الانتشار في التشخيص والعلاج وقد يجيء يوم قادم تكون فيه طبابة هذا اليوم الراهن هدفاً للنقد والسخرية بالنسبة لما يجد من علوم الطب من اكتشافات واختراعات

12 ـ أدخلت في الهوامش تفسيرات لبعض التعابير الفنية ، واللغوية الواردة في بنود الكتاب ، وتراجم لبعض الاعلام من غير الاطباء ، وتعاريف لبعض الاحداث التاريخية والمواقع الجغرافية ، وعمومها من أوليات المعرفة بالنسبة لذوي الاختصاص بها ، إلا أني استهدفت من تفسيرها للطالب توسيع معلوماته العامة وخصوصاً ما يدخل منها في دائرة الطب العربي أو القريبة منه .

13 ـ وضعت تاريخ الحوادث بالتقويمين الهجري والميلادي ليسهل على القارىء الوقوف على مواقع الاحداث في الكتب التي تتبع احد التقويمين دون الآخر . أما في الحوادث البعيدة العلاقة بالمحيط الاسلامي ، فاكتفيت بذكر تواريخها الميلادية فقط .

14 ـ وخصصت قسماً من الكتاب لاشهر من كتب في الطب العربي ، والمعروف من مؤلفاتهم . وذكرت باختصار شديد ما نعرفه عن حياة اولئك الكتاب ، أو على الاقل تاريخ وفاتهم . وإذ أن الكثير من هذه التواريخ غير مثبتة في حالة الاطباء غير المشهورين ، فقد تحايلت على أن أتوصل الى قريب منها بالمقارنة بمن عاصرهم من الاطباء أو من تواريخ أيام الحكام الذين كانوا من مخدوميهم ، ولذلك صار كثير منها بحدود السنين لا تحديداً بسنة معينة . كما ذكرت في آخر ترجمة اولئك المؤلفين اسماء كتبهم ومواطنها في مكتبات العالم . وكتبت مصادر هذه المعلومات بحرف اصغر وبعيد قليلاً عن حافة متن الكتاب في المتن . كما خصصت قسماً آخر من الكتاب للتعريف ببعض المصادر في الطب العربي والمؤرخين فيه .

15 ـ وزودت الكتاب بأربعة ملاحق ، الاول منها لتسلسل تواريخ الاحداث الطبية وكل ما له علاقة بالطب العربي ليسهل على القارىء الكشف عن مواقع

الاشخاص والاحداث على رقعة التاريخ ، ويعرف مكان كل منها بالنسبة للآخر زمنياً وجغرافياً .

أما الملحق الثاني فجعلته فهرساً لاسماء الاعلام مرتبة على تسلسل الحرف الاول من الاسم مجرداً عن الكنية واللقب إلا إذا كان العالم مشهوراً باحدهما ، كما هي الحال في أكثرها بالكنية (ابن) .

وجعلت الملحق الثالث فهرساً للمؤلفات في الطب العربي ومواطنها على صفحات الكتاب . كما جعلت الملحق الرابع فهرساً للأماكن

16 ـ إن هذا الكتاب لا يتضمن كل تاريخ الطب العربي وما فيه من حقائق علمية ، وترجمة من عمل به من العلماء ، وتفاصيل خبراتهم فيه ، فهو في الحقيقة ليس سوى مدخل الى هذا العلم الذي ما يزال اكثره غامضاً أو مجهولاً . نسأل الله ان يعين من يعمل بهذا الاختصاص ، ويرشده إلى مواضع التراث فيه ويأخذ بيده إلى الصواب . ومن الله الرضى والتوفيق .

المؤلف
بغداد / الشماسية

رموز وايضاحات

(1) = بمعنى اقرأ أو انظر .

(2) هـ بمعنى هجرية ، أي بعد الهجرة النبوية .

(3) م بمعنى ميلادية ، أي بعد ميلاد المسيح .

(4) ت بمعنى توفى أو المتوفي .

(5) ح بمعنى حوالي أو بحدود (ويستعمل في الوفيات) .

(6) ب بمعنى بعد (ويستعمل في الوفيات) .

(7) ص بمعنى صفحة رقم . . .

(8) ك بمعنى كتاب .

(9) م بمعنى مقالة .

(10) ر بمعنى رسالة .

(11) IBID المصدر السابق ، وتستعمل في المراجع الانكليزية .

(12) في تراجم الاعلام ذكرنا المصدر باسم المؤلف وعنوان كتابه ، هكذا : كتاب الفصول للرازي ص 146 أو كتاب القانون لابن سينا 2-235 . والرقم الاول يشير الى الجزء الثاني من كتاب القانون ، والرقم الثاني الى رقم الصفحة من ذلك

الجزء . فاذا تكرر ذلك المصدر في الهوامش بنفس الموضوع فنذكر اسم المؤلف فقط دون اسم كتابه ، اي هكذا : الرازي ص 46 وابن سينا 2-235 . ويذكر اسم الكتاب في الهوامش إذا كان للمؤلف كتابان ، أو إذا ذكر المصدر لاول مرة .

(13) واشرنا الى مكان المخطوطات صراحة فقلنا مثلاً : ومخطوطة كتاب مسائل حنين بمكتبة أيا صوفيا والاسكوريال . ونكتفي أحياناً بوضع اسم المكتبة بين قوسين بعد اسم المخطوطة اختصاراً هكذا : كتاب مسائل حنين (ايا صوفيا والاسكوريال) .

القسم الاول

حقائق وفولكلوريات في الطب القديم



القسم الأول

اساطير وحقائق في الطب القديم[1]

الـدين والسحر والـطب من أوائل المعـارف التي مارسهـا الانسان الاول ، وقـد ترابطت فيها بينها فلا يخلو طرف منها من لمحات احد الطرفين الآخرين . ولا شك أن الطب قد ولد بشكل تدريجي وبدوافع غريزية بينها كان كل من الدين البدائي والسحر نوعاً من التحايل الارادي للسيطرة روحياً عـلى المجموعـات البشريـة . وتواريـخ ميلاد هـذه المعـارف الثـلاث متـداخلة بحيث يصعب وضعهـا في تسلسـل زمني واضــح .

والارجح ان الطب كان من أوائل المعارف التي مارسهـا الانسان الأول . فـاذا اعتبرنـا الاتقاء من الحر والبرد ، والاستراحـة بعد التعب ، أو اثنـاء الحمى ، أو عند الاصـابة بكسر في احـد عظام الجسم مـا هي إلا وسائـل طبية وقـائية أو عـلاجية ، لحكمنـا ان الانسـان قد مـارس الطب ، دون علم منـه ، منذ أوائـل مـراحـل تـأريخـه القـديم . والحيوانات بغريزتهـا اذا ما أصـابها جـرح أو كسر في قوائمهـا أنزوت في احـد الجحور لتريح جسمها من الحركة وتساعـد جراحهـا على الالتـآم . وأسلوب الانسان الأول في معـالجة هـذه الطوارىء ليس أكـثر ممـا تفعله الحيـوانـات البهيمـة اذا مـا وقعت بنفس المشكلة .

---

(1) اقرأ في هذا الموضوع في : العيون لابن أبي أصيبعة ص 11-27 . وفي :

Carison - Introd . Hist. Medc. P. 17 -52

Robinson-Story Of Medc. P.11-52.

Segerist. Hist. Of Medc. 1/105-191.

وفي التراثيات العربية وغير العربية اشارات الى ما لفت نظر الانسان الى معرفة سبب الامراض ووسائل مداواتها ، وقصص كثيرة في هذا الموضوع تغلب فيها المتعة القصصية على الفائدة العلمية ، عن صدق الاحلام في توجيه الانسان إلى معرفة الادوية الناجحة في التداوي . ولم ينفرد الاخباريون والمؤلفون الخياليون بذكر تلك القصص بل شاركهم في التحدث فيها علماء الطب الاوائل الكبار مثل جالينوس (131 - 201 م) ، واورياسيوس (325 - 403م) ، وابن رضوان المصري المتوفى سنة 461 هـ / 1068م . قال جالينوس : (إني أمرت في منامي مرتين بفصد العرق الضارب بين السبابة والابهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق ، فسكن عني بذلك)[2] . وذكر ابن رضوان في شرحه لكتاب الفرق لجالينوس قائلاً : (لقد كان عرض لي منذ سنين صداع مبرح بسبب امتلاء في عرق الرأس ، ففصدت فلم يسكن ، فرأيت جالينوس في النوم وأمرني ان احجم القمحدوة[3] من الرأس ، ثم استيقظت فحجمتها فبرأت من الصداع)[4] .

ولا حاجة أن نؤكد ان هذه القصص لا تخرج عن دائرة الخيال ، وإن قيمتها محصورة في الاشارة الى مستوى الافكار الطبية في تلك الحقب . وإن ما حصل لاولئك الرواة كان من فرط اهتمامهم بأمر أنفسهم فيهجعون مشغولي البال بذلك الامر ، فتظهر لهم الرؤيا بأشكال جديدة من العلاج كانت هي نفسها تدور في افكارهم قبل أن يغطوا في النوم . والاستفادة مما يظهر في احلام المريض أو من يعالجه هي نفسها الطريقة التي كان يتبعها سدنة معابد السقليبيون في بلاد اليونان كما سنرى فيما يأتي (ص 86) .

كذلك لعبت الصدفة والعفوية دوراً كبيراً في اكتشاف ادوية جديدة لامراض لم يكن يعرف لها علاج من قبل . مثال ذلك معالجة حالات الجذام بلحوم الافاعي . وقد يكون اندرو ماخوص Andromachos (حوالي القرن الثاني ق . م) أول من

---

(2) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 19 .

(3) القمحدوة ـ جمعها قماحد ، وهي القسم الخلفي العلوي من الرأس أو الحدبة القذالية . وليس لهذه الكلمة اصل في اللغة العربية ، فهي مصطلح علمي لا تعبير لغوي .

(4) ابن ابي أصيبعة ص 21 .

حظي بهذه الصدفة[5] ، ومن يومها اعتبرت اللحوم المذكورة مفيدة في معالجة الجذام ، فاستعملها الكثير من الاطباء العرب ، نذكر منهم ثابت بن قرة ، وابن سينا ، وابن المطران ، وأبا البركات ملكاً ، وابن البيطار وغير هؤلاء أيضاً . وهناك اكتشافات كثيرة في الطب ما تزال تقع بمحض الصدفة دون أن يكون لمكتشفها يد في البحث عنها بالطرق العلمية .

وحصل للانسان أيضاً أن حاكى ما تفعله الحيوانات البهيمة لمعالجة حالها اذا ما توعكت صحتها . فقد ذكر ان الانسان عرف ترياقاً من بقلة برية لسموم الافاعي بعد أن شاهد طيور الحبارى تغتذي بتلك البقلة عندما تقاتل الافعى[6] . كما استعمل الصعتر الجبلي في تضميد الجروح بعد أن شاهد اللقلق يضع هذه العشبة على الجروح التي تصيب ساقيه[7] . وروي أن جالينوس شاهد الطائر ابو المنجل يحقن شرجه بماء البحر بواسطة منقاره فتنطلق بطنه[8] . إن الغريزة هي التي دفعت هذه الحيوانات غير العاقلة الى اكتشاف وسيلة لمعالجة جسمها إذا ما إعتلت صحتها . فلا غرابة إذا ما اهتدى الانسان بالحدس أو بالتجربة ، أو بمحض الصدفة إلى اكتشاف طرق جديدة في العلاج حتى لو قلد ما يفعله الحيوان بنفسه في هذا النطاق .

وقريب جداً اخترع احد العلماء الانكليز آلة لالتقاط الجنين بواسطة الشفط بعد ما شاهد ما تفعله إناث عجول البحر بنفسها اثناء المخاض[9] . فاذا ظهرت قمة رؤوس فراخها دفعت بمقعدها على الصخور اللزجة لاعدام الفراغ بين الرأس والصخرة ، فيلتصق الرأس على الصخرة . ثم يبتعد العجل تدريجياً عن الصخرة فيبقى وليدها ملتصقاً برأسه عليها . فإذا تحركت رئته وانسحب الهواء الى داخلها ، انتفض وسقط منفصلاً على الارض . ورأى احد الاطباء المولدين أن يفعل بالمرأة الماخض ما تفعله عجول البحر بأنفسها عند المخاض . فاستعمل الشفط على رأس

---

(5) المصدر السابق ص 23 .

(6) المصدر السابق ص 26 .

(7) المصدر السابق والصفحة .

(8) المصدر السابق ص 25 .

(9) اتصال شخصي بالاستاذ روبرت كلر اثناء الاجتماع السريري بجامعة ادنبرة يوم 8 آب1954 .

الجنين ، وكان التوليد بهذه الطريقة مثيراً واساساً لاختراع الملقط الشافط الذي هو اليوم من أهم ادوات التوليد ومن أكثرها شيوعاً في الاستعمال .

وهناك عامل آخر مهم ساعد على نشوء الطب البدائي وهو الاعتقاد بالارواح . فكان هذا منافساً كبيراً للطرق الغريزية التي سبقته في المبادرة الى الدخول الى ميدان التطبيب . لقد كان الانسان منذ اقدم العصور التاريخية يعتقد ان الامراض كغيرها من الظواهر الطبيعية التي قاتلت الانسان الاول ، من صنع الارواح الشريرة ، فتحايل على إبطال فعلتها بالشعوذة ، وصار السحرة والدجالون يمارسون علاج المرضى على أساس تلك الاوهام . ولما ظهر الدين في عقيدة الانسان صار هذا يعتقد ان الامراض من غضب الآلهة ، وإن هذه إذا ما أسترضيت بالصلوات والقرابين فإنها تشفي المريض وتمن عليه بالعافية . فنصب سدنة المعابد أنفسهم وسطاء بين الآلهة والمرضاء ، وصاروا يمارسون طقوس التعبد كطريقة لعلاج الحالات المرضية وبقي الانسان يداوي بهذا الاسلوب قروناً عديدة قبل أن ينكشف له خطأ هذه الافكار الدخيلة على الطب الحقيقي . وقد وقع هذا التحول الفكري لاول مرة وبشكل جذري وسريع بفعل اليونانيين الذين وضعوا للطب قواعد وتفاسير جعلته علماً وفناً لا يخضع الا للمنطق والتجربة ، ويبتعد عن سيطرة الاساطير والتقاليد السقيمة . وربما كان هذا التحول اعظم ما حصل في تاريخ الفكر الطبي بحضارة الانسان .

وتحدث الكتّاب الاوائل عمن كان أول من كانت له معرفة إكتسابية لا إدراك بالغريزة فيما سمي بعد ذلك بالطب ، وجعل منه مهنة مارسها لشفاء المرضى ، فقالوا إنهم السومريون ، والمصريون (نهاية القرن الرابع عشر ق . م)[10] .

وورد في اخبار ما قبل الطوفان ان أدريس النبي كان أول من برع في الطب[11] ، وفي النظر بعلم النجوم ، وحساب السنين والايام . وكان ادريس من أهالي منف بمصر ، ويسمونه هناك (خنوع) ، ودعاه العبرانيون بهذا الاسم أيضاً . ثم صار له اسم جديد بين العرب هو (هرمس)[12] . ويقول ابن جلجل ان معنى

---

(10) ابن أبي أصيبعة ص 18 .

(11) ابن جلجل ـ الطبقات ص 6 القفطي ص 2 ، دائرة المعارف الاسلامية (شعب) 482/2 .

(12) المصدر الاخير ص 482 . وربما أخذ العرب اسم هرمس من ارميس باليونانية . وهو اسم آله من =

هـرمس لقب كـأن يقـال قيصر وكسـرى[13] ، أو ملك أو سلطان . وإذ كـان لادريس النبي مقام خاص باعتباره صدّيقاً نبياً (سورة مـريم/56) . ولانه ايضـاً أول من خط بالقلم ولبس الثياب ، وكانت له البادرة الاولى في دراسة علم العـدد والنجوم والـطب فقـد سماه المؤرخـون هرمس الهـرامسة . وهـذا ما يضـاهي لقب ملك الملوك أو أعلم العلماء ، كما سمي أيضاً مثلث النعمة .

ومن أخبـار مـا بعـد الـطوفـان إن هـرمسـاً (عـالمـاً ؟) آخـر كـان في بـابـل الكلدانية[14] ، وكان بارعاً في الطب والفلسفة والعدد ، وله فيهـا تلاميـذ يعلمهم هذه العلوم ، كان منهم فيثاغـورس[15] اليونـاني الذي صـار بعدئـذ من أشهر علماء اليـونان الاوائـل وفلاسفتهم . كـما ظهر بعـد الطوفـان هرمس ثـالث[16] عرف بـدراساتـه على الحيـوان ذات السموم القتـالة ، وفي الادويـة المؤذيـة ، وصنـاعـة الـزجـاج والخـرز ، والكيمياء ، والخزف الاخضر الذي يحمل لدفع اصابة العين ، بالاضافة الى أعماله في الطب والفلسفة . وكان من تلاميذه اسقيلبيوس[17] نبي الطب اليوناني .

إن التواريخ التي عاش فيها الهرامسة الثلاثة ، سواء كان ذلـك قبل الـطوفان أو بعده ، عريقة في القدم . ولذلك كان الخلط والاضطراب في تـراجم الهرامسـة الثلاثـة واضحاً وكثيراً ، لا بين الكتب المختلفة بل حتى في الكتاب الواحد . حتى أن كثيراً من

= آلهة اليونان الذي عرفه الرومان باسم Mercurius ، والعرب باسم عطارد ، وعند المصريين القدماء بـاسم تحوت وخنـوع . واقرأ أيضـاً عن هرمس الاول في الفهـرست لابن النديم ص 312-313 ، وتاريخ الحكـماء للقفطي ص 1-4 ، والعيـون لابن ابي أصيبعة ص 31-32 ، ومختصر الـدول لابن العبري ص 11-12 ، والبدء والتـاريخ لابي زيـد البلخي 147،97/2 . وفي كشف الظنـون لحاجي خليفة 250/1-26 ، والملل والنحل للشهرستاني 142/2 ، ودائـرة المعارف الاسـلامية 482/2-485 . ودائرة معارف فريد وجودي 503/10-505 ، ومختار الحكم لابن فاتك ص 7-10 .

(13) ابن جلجل ص 5 .

(14) اقرأ عن هرمس الثاني في طبقات ابن جلجل ص 8-9 ، والفهرست ص 352-353 وفي العيون ص 32 ومختصر تأريخ الدول لابن العبري ص 11-12 . وتاريخ الحكماء ص 346-347 .

(15) ابن جلجل ص 9 .

(16) اقرأ عنه في الفهرست ص 352-353 . وطبقات ابن جلجل ص 10 ، وفي العيون لابن ابي أصيبعة ص 31-32 وفي مختصر الدول ص 11-12 ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ص 347-350 .

(17) ابن جلجل ص 10 .

الباحثين صاروا يعتقدون إن ليس لاي من الهرامسة الثلاثة المذكورين وجود[18] . وربما تكون شخصياتهم وما حيك حولها من حواش ، اسطورة مثلها كانت شخصية اسقيلبيوس نبي الطب اليوناني احدى اساطير اليونان الكثيرة . وإذا تذكرنا أن اليونانيين هم أول من وضع اسم هرمس (ارميس) لهذه الشخصيات الثلاث فلا يستبعد أن تكون هذه الاسطورة من صنع اليونانيين أيضاً ، ثم ربط اليهود أو العرب بين هذه الشخصية الاسطورية وشخصية النبي ادريس فكان منها هرمس الاول الذي سمي هرمس الهرامسة بعد أن ظهر هرمسان آخران اقل شأناً منه في التاريخ . وقد يستقيم المغزى من أخبار الهرامسة إذا تمسكنا بما قاله ابن جلجل عن معنى كلمة هرمس التي ذكرناها قبل قليل . وهو تخلص مقبول وناجح في تحديد شخصية كل واحد من الهرامسة ، فيكون كل واحد بمثابة عالم ما ، أو مدرسة ما في ممفيس وفي بابل ، اللتين كانتا من أوائل من عمل بالبحث عن المعرفة ومنها الطب . وعلى أي حال فان حكاية الهرامسة باطارها ومضمونها التراثي ، تدل في أضيق مفاهيمها على أن شعوب ما بين النهرين ومصر كانت من أوائل العالمين الذين اكتشفوا أهمية الصحة لحياة الانسان ، وأضرار المرض ومارسوا الطب لمعالجته ولان صناعة الطب مثل أي صناعة أخرى لا تولد مكتملة ، بل إن المعرفة بها تزداد بمرور الزمان وبفعل مختلف الاقوام لتصعد الى درجاتها الاعلى في مراتب الكمال ، فلا يستبعد أن يكون الطب قد وصل الى السومريين والمصريين من أقوام أعرق منهم في التاريخ ، واسبق إلى معرفة هذه الصنعة . أما الطب في بلاد اليونان في القرون الستة التي سبقت الميلاد فقد وصل الى تلك البلاد بعد أن مر بمصر وما بين النهرين وتطورت علومه فيهما بعض التطوير . فهو لم يكن عند الشعوب اليونانية إلا في احد مراحله الجغرافية والتاريخية ، وكان إذ ذاك قد وصل الى درجة ملموسة من النضوج النظري والعملي . وإذ ان هذا المستوى كان ارقى بكثير مما كان عند البابليين والمصريين ، وبينهما طفرة واسعة لا توحي بأن امتداده بين الطرفين كان بطيئاً لذلك صار الحكم لليونانيين على افضالهم الكثيرة في تأسيس المعرفة الطبية على قواعد علمية اعتمدت على القياس والتجربة .

إن من اغرب سمات الحضارات أنها لا تشرق شمسها في مكان حتى تغرب في

---

(18) الحاشية على ص ٦ من كتاب الطبقات لابن جلجل .

مكان آخر . وقد انتبه صاحب العقد الفريد الى هذه الحقيقة فقال :

ألا انما الدنيا حضارة أيكة اذا اخضر فيها جانب جفّ جانب

وهكذا حين ظهرت الحضارة اليونانية كانت قد أفلت ما قبلها من الحضارات .

عملية ثقب الجمجمة

الغريب ، ان الانسان في العصر الحجري وهو في تلك المعيشة الحيوانية والبدائية ، كان يمارس عملية جراحية من العمليات الصعبة والدقيقة في الطب الحديث . تلك هي عملية ثقب الجمجمة Craniotomy[19] . واستعمل لاجرائها شظايا الصوان الحادة . وأكثر الاحتمال أنه اجرى العملية المذكورة لمعالجة بعض الأمراض العصبية والنفسية . وكان يومئذ يعزي هذين المرضين إلى دخول روح خبيثة في رأس المريض ، فيفتح الطبيب في قحفة نافذة دائرية أو مربعة ليخرج منها ذلك الروح . ولم يقف الآثاريون على أن البابليين أو المصريين قد مارسوا هذه العملية . أما ابقراط القوصي اليوناني (460 - 370 ق . م) فقد وصف عملية ثقب الجمجمة وصفاً دقيقاً يقرب كثيراً مما نقرأه عنها في كتب الطب الحديثة . ولهذا نحسب أن العملية قد استخدمت في العصر الابقراطي ، فلماذا انحدرت من الانسان الحجري الى اليونانيين دون أن تمر بشعوب بابل ومصر ؟ يحتمل أن يكون ذلك ، فيما يخص شعوب بابل ، بسبب الموقف الصارم لحكام هذه البلاد من الاطباء الجراحين . وسوف نشرح هذا التفسير عند الكلام عن شريعة حمورابي في فصل قادم .

---

(19) Singer and Underwood-Hist. Medc. P. 1-3.

القسم الثاني
الطب في حضارات قبل الاسلام



حضارات قبل الاسلام*

من الحضارات التي سبقت ظهور الاسلام خمس : هي حضارة وادي النيل القديمة[1](القرون الخمسة والثلاثون قبل الميلاد) وحضارة ما بين النهرين المعاصرة لها ، والحضارة الهندية ، والحضارة الفارسية ، وآخرها الحضارة اليونانية والرومانية (القرن السادس ق . م الى القرن السادس ب . م) ولان تسجيل التاريخ بالرسوم او بالكتابة لم يعرف قبل القرن الخامس والثلاثين قبل الميلاد[2] ، فلا يصح كما ذكرنا في مقدمة الكتاب أن ننفي وجود حضارات أخرى سبقت الحضارتين المصرية والبابلية . ونؤكد هنا على ما سبق وقلناه من أن اية حضارة من الحضارات لم تكن إلا حصيلة الفكر على مدى ما سبقها من الزمن ، وبالتالي فإن آخر الحضارات التي سبقت ظهور الاسلام وهي اليونانية لم تكن الا مجموعة ما كان في الحضارات التي تقدمتها مضافاً إليها ما وضعه اليونانيون من أفكار جديدة أو تطوير في الافكار القديمة التي إنحدرت إليهم من سالف الحضارات[3] . وإن تسميتها بالحضارة اليونانية لا تعني أكثر من الاشارة إلى مرحلتها الزمنية والجغرافية[4] . على إن هذا لا ينفي الفخر الكبير الذي يستحقه اليونانيون لتحويلهم الطب من مرحلته غير العلمية إلى مرحلته العلمية التي يسيطر فيها

(*) اقرأ هذا الموضوع في المصادر التالية :

(1) بول غليونجي ـ الطب في مصر القديمة .

(2) حسن كمال ـ الطب المصري القديم .

(3) جورج سارتون ـ تاريخ العلم 287-143/1 ,347-333 ,446-415 ,343-215/2 ,108-29/4 .

(4) Robinson-Hist. Of Medc. P. 2-11

المنطق والعقل لا الارتجال والحدس[5]. ولكي نفهم تاريخ الطب العربي وما أضافه العرب في هذه الصناعة إلى ما وصلهم منها فيجب أن نستعرض ما كان في الحضارات التي ذكرناها من معارف في هذه الصنعة[6]. كما أن بعض تلك الاقوام التي مارست الطب لها علاقة عرقيّة بالعرب تبرر دراسة حضارتهم وما عملوه في العلوم الطبية [7]

Carrison - Introd. Hist. Medc. P.6. (5)

Singer and Underwood-Hist. Medc. P. 6. (6)

Segerist-Hist. Medc. 1/217-492. (7)

الطب عند المصريين القدماء

دلت البرديات والرسوم التعبيرية ، والكتابات التي كشفت عنها الحفريات في مصر ، على ان الطب عند المصريين القدماء في القرون الخمسة والثلاثين التي سبقت الميلاد ، كان حرفة مثبتة ومحترمة اهتمت لها الرعية والحكام على السواء ، وعينوا لها إلهاً اسطورياً جعل له اليونانيون علاقة بهرمس الطبيب أو هو نفسه . وقد ذكرنا سابقاً علاقة هرمس بسقليبيوس إله الطب عند اليونانيين . كما عين المصريون إلهاً من ذات إنسانية هو وزيرهم وطبيب بلاطهم ومهندسهم امحوتب Imhotep[1] (ح 2800ق . م) وممارسين من الكهان وسدنة المعابد[2] ، وحصروا تعليمه على الطبقة الراقية من الناس كأولاد الفراعنة والامراء والقواد ونبلاء البلاد[3] . كما جعلوا مكانات تعليمه في معاهد ملحقة بدور العبادة تقديراً واحتراماً للمهنة[4] . وسوف نرى فيما يلي أن اليونانيين كان لهم نفس هذه التقاليد الطبية فيما يخص إلهي الطب الاسطوري والحقيقي ، وممارسة المهنة ، وطلابها ، ومكانات تعليمها .

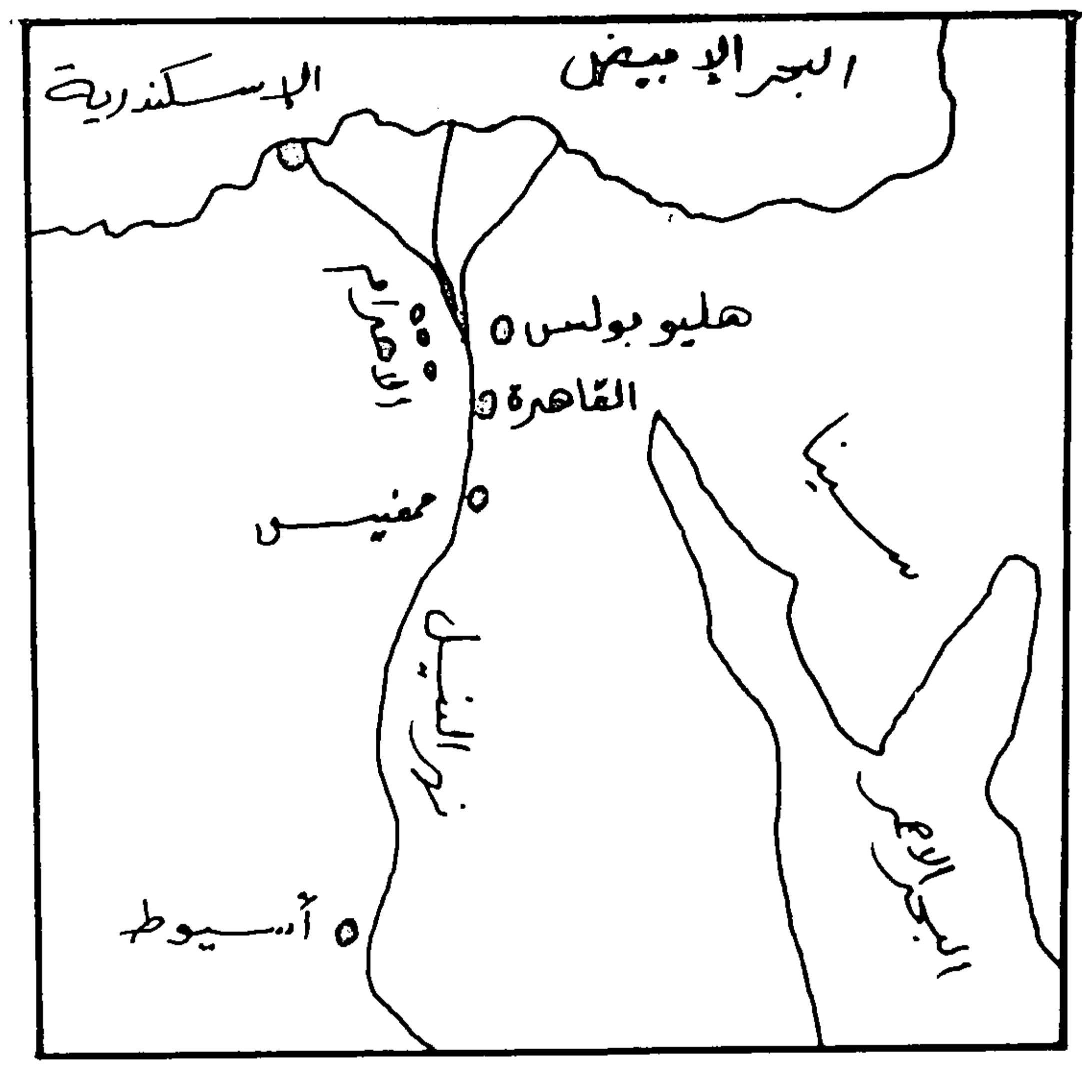
وكان المصريون متدينين ، ويعتقدون بخلود الروح ورجوعها إلى الجسد بعد الموت . فصاروا يدفنون أمواتهم تحت كثبان رمال الصحراء الجافة لكي لا يصلها

Singer and Underwood-Hist. Medc. P.6 (1)

Carrison -Introd. Hist. Medc. P.57. (2)

(3) المصدر السابق .

(4) المصدر السابق .



مصر الفرعونية

التفسخ قبل رجوع الروح اليها[5] . ثم بحثوا عن طريقة اضمن لمنع التفسخ ، وتوصلوا أخيراً إلى اختراع طريقة التحنيط . والطريقة عملية معقدة نسبياً تحتاج لاجرائها الى علم باعضاء الجسم وخصوصاً بالاحشاء البطنية والصدرية ، ومعرفة باستعمال العقاقير والاملاح ، وفن في تضميد الجسم بالحشايا والرفائد والاشرطة . والغريب ان عملية التحنيط لا تدخل عندهم في علوم الطب ، ويقوم بها تقنيون بهذه العملية لا يلتفتون باهتمام إلى تركيبات الجسم التشريحية[6] . وبالرغم من أن الطب المصري لم يبتعد كثيراً عن السحر والدين ، وإن كلاً من الساحر والكاهن يقوم بطقوسه التقليدية كجزء من معالجاته للمريض ، وان الختان كان شعاراً دينياً يقوم باجرائه رجال المعابد لا الاطباء[7] ، الا ان الذي وجد في البرديات المصرية يدل على أن المصريين قد عرفوا الكثير من أوليات الطب المهمة في التشخيص والعلاج . فقد مارسوا طرقاً فنية لمنع الحبل وتنظيم كم الاسرة ، ومداراة الحبالى ، وتدبير حالات الولادة وحماية الوليد[8] . كما عرفوا الذبحة الصدرية وبعض أمراض المعدة وديدان الامعاء والاسهال ، وإنحباس البول . ومارسوا الختان على الذكور والإناث باسم (الطهارة الفرعونية) وعالجوا العظام المكسورة بالجبائر ، وحشوا الاسنان المنخورة وربط المخلخلة منها باسلاك الذهب[9] ، وتوقيف النزف الدموي بالكي[10] . ومن الممارسات المألوفة عندهم تناول المسهلات لمدة ثلاثة أيام متوالية في كل شهر[11] . وهو مبدأ طبي نفهمه اليوم على أنه كثير الفوائد للجسم وإنه الوسيلة الطبية الوحيدة التي يمكن أن يستعملها الانسان في حالاته الاعتيادية ، بدون حذر ، للتخلص من التعفنات المعوية والسموم العامة في الجسم . وقد بقي أثر هذا المبدأ في الممارسة الطبية قروناً عديدة بعد تاريخ مصر الفرعونية ، ولما وصل إلى العرب طوروه وجعلوا تناول

---

(5) المصدر السابق .

(6) سارتون 119/1 و Segerist. 1/52, 62

(7) غلونجي ـ الطب في مصر القديمة ص 25 Ibid 1/243-244

(8) المصدران السابقان

(9) غليونجي ص 23 .

(10) المصدر السابق .

(11) المصدر السابق Carrison, P.57.

المسهل ليوم واحد في الشهر كما سنقرأ عن ذلك في فصل قادم .

وربما كان المصريون أول من ادخل نظام الاختصاص في ممارسة المهنة ، ودونوا علومهم على هذا الاساس كما سنرى من مضامين البرديات الطبية . كما كانت لهم اختصاصات فرعية في أمراض القلب وحدها ، أو امراض العين أو أمراض المعدة أو الشرج[12] . وتبنى اليونانيون نفس المبدأ فيما يخص الاختصاص بالطب الجراحي والطب الباطني . واعتبر تطبيقه في العصر الابقراطي أمراً مهماً لرفع مستوى المهنة وصيانتها من الابتذال . كما عرف عن المصريين أنهم حصروا تعلم الجراحة بأفراد العائلة يتناقلونها فيما بينهم وإلى ابنائهم أكثر مما فعلوا بالطب الباطني .

أما الادوية التي أستعملها المصريون فكان أكثرها من الاعشاب والاوراد والاثمار وجذور الاشجار . فاستعملوا الكزبرة والسنامكي والانسون لاضطرابات الجهاز الهضمي . والدجتاليا لامراض القلب . والسلاّ لدر البول . وهذه الادوية هي نفسها التي تستعمل في هذا العصر للامراض المذكورة ازاءها . كما إستعملوا إفرازات الحيوانات كالعسل والشمع والابوال . أما معرفتهم في الكيمياء فيمكن تخمين تقدمهم بهذا الموضوع إذا ذكرنا عملية تحنيط موتاهم التي ما تزال صناعتها اعجوبة الدهر وسرا من اسراره الخالدة .

وبحكم موقع مصر الجغرافي من بلاد الشرق والغرب وثرواتها الطبيعية المغرية ، فقد كان إتصال اقوام تلك البلاد بها محتوماً من أجل التعايش أو لطلب العلم كما فعل فيثاغورس واسقليبيوس وكثيرون غير هؤلاء من علماء اليونان ، أو كان اتصالهم بسبب الحروب كما حصل لهم مع دول سوريا وما بين النهرين وفارس . كما يذكر ما حصل بين حكام ما بين النهرين وفراعنة مصر من علاقة مصاهرة[13] التي لا شك أنها زادت من التلاحم فيما بين شعوب الطرفين لتبادل العلوم والحرف اليدوية .

وبقيت مصر بحضارتها الراقية حتى دخلها الفرس في منتصف القرن السادس ق . م ، وبقي هؤلاء المحتلون فيها حتى غزاها الاسكندر المقدوني في حوالي سنة ٣٢٠

---

(12) سارتون 113/1 . حسن دمال ـ الطب في مصر القديمة 88/1 .

(13) نوار ـ مصر والعراق ص 16 .

ق . م وطرد الفرس منها وأسس مدينة الاسكندرية التي آوت علماء ممفيس[14] المصريين إلى جانب علماء أثينا وقوص اليونانيين[15] ، فكان منها خليط من العقول الناشطة وصلت أعمالها الفكرية إلى أرفع المستويات العلمية والحضارية . وسوف نتكلم فيما يلي عن الطب في الاسكندرية في الفصل الخاص بالحضارة اليونانية .

اوراق البردى :

اوراق البردى لفائف ورقية الشكل والقوام صنعها المصريون من لباب نبات البردى الذي يكثر في منخفضات دلتا النيل ، ليكتبوا عليها المراسيم الفرعونية ووصايا الارباب ، والادعية للاموات . ثم استعملت بعد ذلك لتسجيل الاحداث التاريخية والعلوم ومنها الطب . وبديهي أن يعتبر اختراع الكتابة والحبر ولفائف البردى تحولات جذرية في سير الحضارة الانسانية وإنتشار معارفها بين أجناس البشر . وللمصريين الفضل الكبير في أنهم أول من استعمل صفائح الكتب (البرديات) المعمولة من غير الطين والصخور الصعبة في الكتابة عليها ، ونقلها وخزنها . وانتشر استعمال لفائف البردى في الاقطار المجاورة لمصر فاستعملها اليونانيون لتدوين اخبارهم وأفكارهم وعلومهم . وبقيت البرديات في الاستعمال حتى اكتشاف صناعة الرقوق من جلود الماعز في برغامون بآسيا الصغرى التي صارت تنافس البرديات المصرية وتفضلها في الاستعمال .

وأضمن المعلومات وأوسعها عن العلوم الطبية في مصر القديمة هي المنقوشة والمكتوبة على البرديات التي وجدت بين آثار تلك الديار . وعدد هذه البرديات تسع أهمها بالنسبة لموضوع الطب ثلاث : هي بردية كون Kohn التي تكاد تكون خاصة بالامراض النسائية ، وبردية سمث Edwin Smith التي تختص بالامراض الجراحية ، وبردية ايبرس Ebers التي أكثر مواضيعها في الطب الباطني ، والعقاقير الطبية . ويلاحظ أن مضامين هذه البرديات الثلاث قد وضعت حسب الاختصاصات الطبية

---

(14) ممفيس ـ أو منف ، مدينة فرعونية على شواطىء النيل قرب القاهرة . كانت احدى عواصم الفراعنة ومن مراكز الثقافة المهمة عندهم . وهي الآن انقاض معابد .

(15) قوص ـ اقرأ عن هذه الجزيرة في ص 89 .

وهـذا يعني أن المصريـين القدمـاء قد اعتبـروا العلوم السريـرية الـرئيسة ثـلاثـة هي الباطنية والجراحية والنسائية . وهذا الاعتبار نفسه هو المعمول به في الوقت الحاضر .

بردية كون[16]

هي اقدم البرديـات عمومـاً . كتبت سنة 1950 ق . م واكتشفهـا العالم الآثـاري كون فسميت باسمه . وجد فيها سبع عشرة وصفة لامراض النساء وتـدبير الحـوامل ، ومحـاولة لمعـرفـة جنس الجنـين قبـل الـولادة . كـما في البـرديـة معلومـات في الحسـاب والبيطرة[17] .

بردية ايبرس[18]

وهي اكبر البرديـات وأكملها . كتبت في حـوالي سنة 1550 ق . م . ومكتشفهـا هو العالم الآثـاري ايبرس . وتضم معلومـات تشريحيـة وفسلجية بـالاضافـة إلى العلوم السـريريـة واستعمال الادويـة لاضطرابـات الجهاز الهضمي ، ومعلومـات في أمـراض العيـون والجلد والعظام والحـروق . وفيها أيضـاً معلومات عن حـركة القلب وعـلاقته بالنبض[19] تعتبر ذات أسبقية علمية وخطوة لاكتشاف الدورة الدمـوية لم تعـرفها أقـوام اخرى غير المصريين حتى ذلك الزمان . كما في البـردية طـريقة لتشخيص الانيـورزم ، وذكـر للحميات التي تسبب الـطفح الجلدي . ومعلومـات عن أمراض الكبـد والـرئـة والانف والحنجرة وانسداد الامعاء . وتحتوي بـردية إيبـرس ايضاً عـلى اسماء سبعمـاية عقاراً منها ما هو في الاستعمال إلى الوقت الحاضر ، كبصل الفار Squille لدر البـول ، والقنب الهنـدي (الحشيشة) ، والافيـون وست الحسن (الهياسيـامس) ، والسنامكي Senna .

---

(16) اقرأ عن بردية كون في Clendening-Sourse, Medical History P.1

(17) Robinson-History Of Medc. P.18.

واقرأ أيضاً البحث الموسع والممتع لحسن كمال في : الطب المصري القديم 2/201-400 .

(18) Singer and Underwood P. 298

(19) Clendening 5-7

بردية ادون سمث[20]

هي أقدم البرديات عموماً . كتبت مواضيعها في العلوم الجراحية في حوالي سنة 1700 ق . م . وينسبها بعض الآثاريين إلى إله الطب امحوتب[21] فيها معلومات عن خلع المفاصل وطريقة ردها إلى وضعها الطبيعي ، ومعالجة كسور العظام ، ووصفة لاصابات المخ والنخاع الشوكي ، وعلامات كسر العمود الفقري والشلل الذي يصيب الساقين والمثانة بسببه .

---

(20) المصدر السابق . و Carrison P. 55 . واقرأ ايضاً البحث الموسع لحسن كمال في : الطب المصري القديم 2/401-556 .

Carrison P.55. (21)

الطب في ما بين النهرين[1]

إن حضـارتي وادي النيل ومـا بين النهرين تتنافسـان في القـدم (حـوالي القـرن الثـلاثين ق . م ومـا بعـده) ، وإنهما لا شـك أمّـا الحضـارات الانسـانيـة التي تلتهـما عموماً . ولتعاصر الحضارتين وتقارب اقـطارهما الجغرافية فقد كـان الاحتكاك فيـما بين شعوب وادي النيل وشعوب وادي الرافـدين متواصـلاً بدوافـع الصداقـة أو العداوة ، وإن معرفة العلوم الفكرية والحرف قد تبودلت فيما بين تلك الشعوب ، ومـا كان لـدى احدهما كان لدى الآخر بدرجة من الدرجات أو بشكل من الاشكال . ولاننا لا نعرف معرفة شاملة غير العرب ممن استوطن مـا بين النهـرين في الخمسة والعشـرين قرنـاً التي سبقت الميلاد ، لذلك سنتكلم عن ثقافة تلك الاقوام في العلوم الـطبية عـلى إعتبار أن هذه العلوم جزء من الطب العربي عـامة بـالاضافـة الى اسبقيتها التـاريخية في الحضـارة الانسانية .

---

(1) اقرأ عن هذا الموضوع في :

طه باقر ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص 56-85 . وفي مجلة المجمع العلمي العراقي (1980) 31/2 ص 102-121

سارتون ـ تاريخ العلم 1/143-227

Carrison-Introd. Hist. Mewc. P.61-79.

Segerist-Hist. Medc. 1/377-477.

Singer and Underwood. Hist. Medc. P. 9-16.

لمحة تاريخية وجغرافية

عاشت في ما بين النهرين شعوب عديدة ربما كان السومريون اقدمها عموماً ، وهؤلاء اقوام لسنا متأكدين من أصلهم البعيد ، نزحوا من جنوبي شرق دجلة الى حوض ما بين النهرين الاسفل في حوالي منتصف القرن الاربعين ق . م وصارت لهم مدن كثيرة منها كيش[2] ، واريدو[3] ، والوركاء[4] ، ونفر[5] ، ولارسا[6] ، واور ، وماري وغير هذه (انظر الخريطة) . أما لغتهم فكان فيها مفردات سامية إلا أنها بمجموعها لغة غير سامية . واستطاع السومريون إنشاء حضارة في كثير من العلوم والفنون بقيت من مميزات حضارة ما بين النهرين حتى انقراضها في أواخر القرن الخامس ق . م .

وفي حوالي منتصف الالف الثلاثين ق . م ظهر الاكديون ، وهم أقوام عربية هاجرت من الجزيرة العربية واستوطنت منطقة اكد الواقعة شمال الاراضي السومرية ، وتغلب ملكها سرجون الاكدي (2637 - 2582 ق . م) على السومريين وضم بلادهم الى مملكته وصار منهما اتحاد كانت فيه الحضارة السومرية هي الطاغية . وفي حوالي العام 1955 ق . م ظهر حمورابي على مسرح تاريخ ما بين النهرين هو عربي من العموريين

---

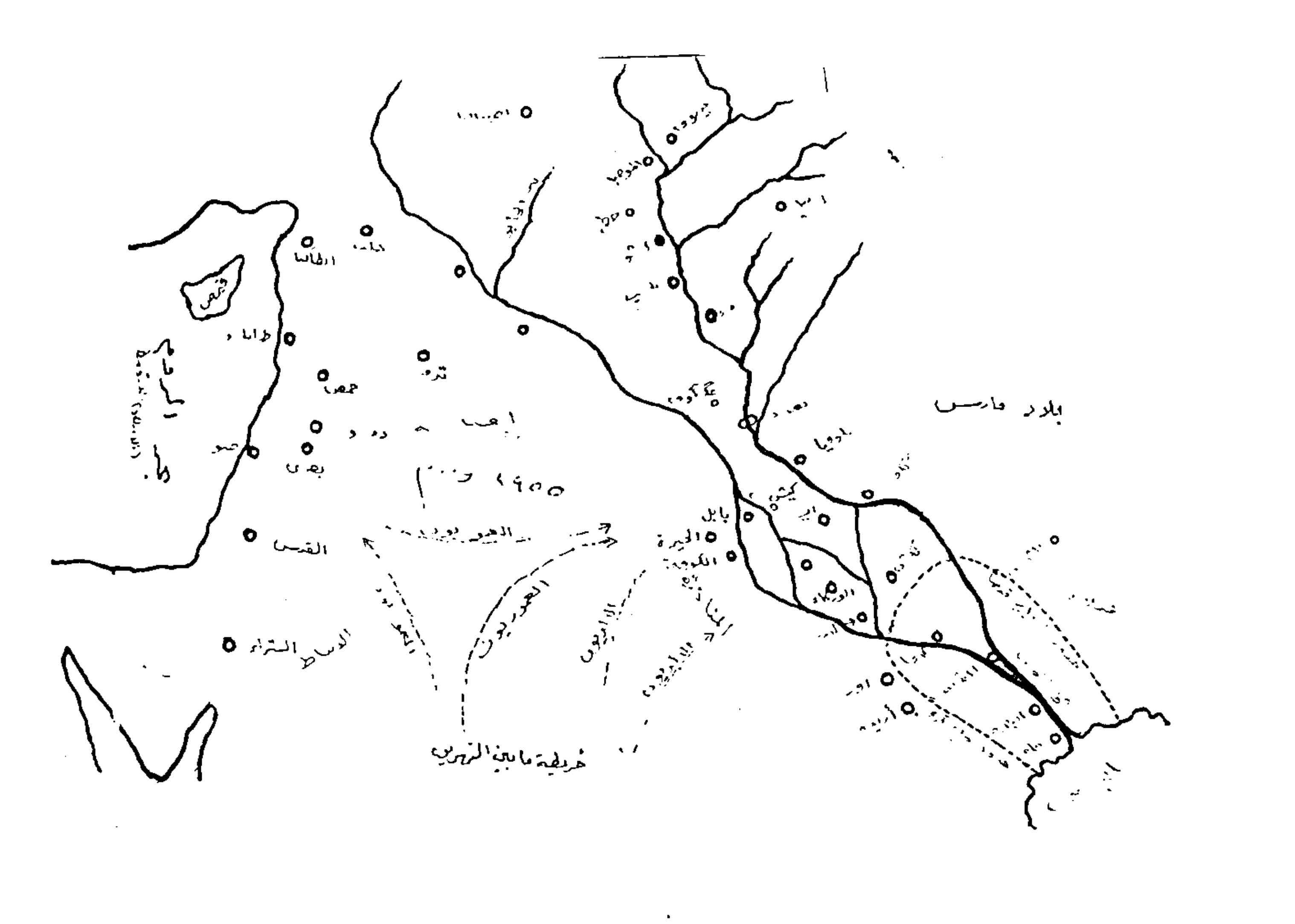
(2) كيش ـ آثارها اليوم على بعد اثني عشر كيلومتراً شرق بابل وتعرف عند الاعراب هناك باسم (تل الاحيمر) لحمرة في تربتها . وقد يكون هذا المثل بقايا هيكل اله الحرب (ايلبابا) وزوجته عشتار (مكاي ـ مدن / ترجمة مسكوني ص 34) .

(3) اريدو ـ موقع خرائبها على بعد ستة عشر كيلومتراً جنوبي شرقي مدينة الناصرية . وكانت هذه المدينة من اقدس المدن السومرية القديمة بعد نفر (نيبور) . ويعتقد أنها كانت موجودة قبل الطوفان . (مكاي 89) .

(4) الوركاء او أرك ـ تقع خرائبها على الضفة الغربية من مجرى الفرات القديم بين الناصرية والديوانية وقريبة من لارسا . ذكرت في التوراة باسم (ايريخ) وكان لها شأن عظيم في سهل شنعار . ويحمل تاريخها اسم كلكامش البطل السومري الشهير . كما كانت مقر عبادة اله السماء . (مكاي 65) .

(5) نفر ـ نيبور ـ تقع خرائبها على بعد 35 كيلومتراً من عفج ، شرقي نهر الفرات . كانت سيدة سهل شنعار بأسره من الوجهة الدينية . فيها هيكل آله الارض وزوجته . (مكاي 57) .

(6) لارسا . وتعرف ايضاً باسم (سنقرة) خرائبها على بعد عشرين كيلومتراً جنوب شرقي الديوانية وكان فيها معبد لاله الشمس وابن إله القمر .



بلاد فارس
بابل
الحيرة
قبرص
القدس
خريطة مابين النهرين

الذين هاجروا من الجزيرة العربية واستوطنوا ديار الشام ثم نزحوا الى ديار بابل[7]. وجعل حمورابي عاصمته في بابل التي سرعان ما ازدهرت فيها الحياة الاجتماعية وانتعشت التجارة والاعمال الزراعية ، وارتفع شأنها العسكري حتى غطت على اسمي سومر وأكد . ويعتبر عصر حمورابي ازهى عصور بابل ، وأقواها ، وأرقاها حضارة وأخلدها في التاريخ .

ويحسب حمورابي أول مشرّع في التاريخ ، ومسلته في متحف اللوفر بباريس تسجل مفاخرة الكثيرة في ميدان السياسة والعدل الاجتماعي . وينسب الى حمورابي النص الازلي (العين بالعين والسن بالسن . . .)[8] الذي قبلته كل الاقوام المعاصرة لدولة بابل والتالية لها أيضاً . كما ورد النص نفسه في كثير من العقائد والاديان السماوية ، وكان من أوائلها شريعة موسى .

وفي حوالي القرن التاسع ق . م انحدرت من شمال ما بين النهرين أقوام فتية قوية من أصل عرب الجزيرة العربية أيضاً وسحقوا قوات بابل ، وضموا المدينة وديارها الى مملكتهم (آشور) في الشمال . وتوسعت المملكة الآشورية في حكم ناصر بال (884 - 859 ق . م) حتى شملت ديار الفنيقيين . ومن ملوك الاشوريين امرأة من سلالة ملكية اشورية هي شامورامات (سمير اميس) التي صار اليونانيون فيما بعد ينظرون إليها بتقديس ويعتبرونها من الآلهات[9] ، ولا بد أن تكون هناك أسباب دفعت اليونانيين ان لا يقطعوا تفكيرهم بدول ما بين النهرين الذين سبقوهم في الزمن بقرون عديدة ، وان يحترموا حكامهم إلى حد التقديس .

وفي سنة 689 ق . م دمر الملك الاشوري سنحريب مدينة بابل لتنفرد نينوي في الشمال بمركز السلطة على المملكة شمالاً وجنوباً .

---

(7) بابل ـ وهي بابيلو المذكورة في التوراة . وخرائبها على بعد بضعة كيلومترات من أطراف مدينة الحلة . وتعتبر المدينة حديثة بالنسبة الى المدن الاخرى الكثيرة المجاورة لها في سهل شنعار . وقد مزت المدينة بثلاثة عهود متميزة وهي : عهد حمورابي وسلالته . ثم عهد حكم نبوخذ نصر الاول (1101-1169 ق . م) وأخيراً عهد نبوخذ نصر الثاني الذي استولى على نينوي سنة 606ق . م .

(8) Segerist 1/428.

(9) سارتون ـ تاريخ العلم 235/1 .

وأشهر حكام الاشوريين هو آشور بانيبال (668 - 625 ق . م) الذي استولى على ديار سوريا وما يجاورها سوى مصر . وكان هذا الملك بالرغم من نزعته الاستبدادية القاسية ، محباً لنشر العلوم والفنون واقتناء الكتب (الرقم والالواح الطينية)[10] التي زودتنا بمعلومات جد هامة ، ولولاها لما عرفنا هذا القدر الكبير عن الطب الاشوري .

وفي حوالي سنة 625 ق . م ظهرت في بابل أسرة الحكام الكلدانيين الذين هدموا مدينة نينوي الاشورية سنة 612 ق . م ، كما استولى ملكهم الثاني نبوخذ نصر (- 561 605 ق . م) على اقليم يهوذا وهدم بيت المقدس وساق اليهود سنة 586ق . م اسرى الى بابل . إلا أن حكم الكلدانيين لم يدم إلى أبعد من سنة 538 ق . م ، إذ داهمهم قورش الثاني الأَخَميني[11] الفارسي واستولى على بابل ، وبقي الفرس يحكمونها حتى سنة 332 ق . م ، ثم خلفهم على حكمها الاسكندر المقدوني . ولما توفي هذا الحاكم اليوناني سنة 323 ق . م في بابل حكمها من بعده السلوقيون حتى سنة 171ب . م ثم آلت بعد ذلك الى الرومان .

وسوف نحصر الكلام عن الطب في وادي الرافدين فيما بين ظهور السومريين وإنقراض حكم الكلدانيين على يد الفرس الاخمينيين سنة 538 ق . م . أما بعد هذا التاريخ فقد كانت البلاد مسرحاً للحروب المدمرة بين الفرس وأصحاب البلاد ، وبين الفرس والرومان فقاست منها بابل وآشور ودياراتها من التخريب ما لا يمكن أن تنتعش فيها حضارة ذات معالم واضحة . وهكذا كانت ديار ما بين النهرين تحت

---

(10) اكتشف الأثاري الانكليزي هنري لبارد في سنة 1849 مكتبة آشور بانيبال بخرائب نينوى وعثر فيها على ما يقارب الثلاثين ألف رقم طيني نقلها إلى المتحف البريطاني . كان منها(660) رقماً في الطب وتطبيقاته ، وفيها معلومات وفيرة في الأمراض وتشخيصها وعلاجها والتوقعات المرضية التي تتحكم فيها الأجواء والنجوم (Carrison, p. 62) .

(11) الاخمينيون ـ سلالة فارسية اسسها الملك قورش الثاني في حوالي سنة 550 ق . م . وكانت دولتهم قوية وذات معارف في الحرف والعلوم . وكان الميديون (سكان ميديا التي عرفت فيما بعد باسم اذربيجان) يحكمون فارس فطردهم كورش وضم بلادهم الى دولته ، كما استولى الاخمينيون على آسيا الصغرى وعلى ديار عيلام في جنوب ما بين النهرين . وبقيت دولتهم الواسعة في الحكم حتى دخول الاسكندر المقدوني فارس سنة 332 قبل الميلاد .

الاحتلال الفارسي والبرثي واليوناني والسلوقي والروماني حتى ظهور الاسلام ودخول قواته إلى تلك الديار في عهد الخلفاء الراشدين سنة 14 هـ / 635م كما سيأتي ذكر ذلك .

المعتقدات الصحية والطبية في ما بين النهرين

لعبت الاوهام بضروبها المختلفة دوراً كبيراً في الطب عند شعوب ما بين النهرين ، بينما كانت ترتكز العلوم الاخرى ، وبصفة خاصة علوم الحساب والهندسة ، على قواعد متينة من المنطق والحقيقة . بل كانت متقدمة على زمانها بدرجة تجلب النظر وتحير العقل . على أن تلك الشعوب قد ادركت منذ القرن الثلاثين ق . م ، وربما قبل ذلك ، أهمية الصحة لحياة الانسان وصارت تبدأ أحاديثها ومكاتباتها بالدعاء الى الآلهة لتمنحهم العافية وتقيهم من شرور الامراض قبل أن يلجوا الى بحث الموضوع الذي هم بصدده[12] .

وكانوا يعتقدون أن المرض من غضب الآلهة على المذنبين من البشر ، أو من صنع الارواح الشريرة[13] ؛ وإن هذه الارواح تدفع الانسان إلى الخطيئة فتنزل الآلهة عقابها على المذنب بشكل أعراض وعلامات مرضية ، وهي التوبة التي يجب أن يقدمها المريض عما جنت يداه . والذنوب التي تسبب المرض في نظرهم كثيرة ومتنوعة منها السرقة ، والقتل ، والبصق في ماء النهر الذي يرتوي منه الناس ، وتناول الطعام من ماعون وسخ ، والكذب ، وعدم احترام دور العبادة وسدنتها ونحو ذلك[14] . ويبدو واضحاً ان القصد الضمني من اعتبار تلك الافعال ذنوباً تستحق العقاب هو الوقاية الصحية العامة ، إضافة إلى كون تلك الافعال لا تتفق مع تصرفات الإنسان السوي . والفكرة بحد ذاتها خطوة حضارية .

وكان في نظر البابليين أيضاً إن العقاب بالمرض على الجرائم التي ذكرناها ، قد لا يظهر في الشخص المذنب نفسه ، بل في واحد أو أكثر من أفراد العائلة التي ينسلها

---

(12) Segerist 1/425

(13) المصدر السابق ص 412 وسارتون ـ تاريخ العلم ج 200/1 .

(14) Segerist 1/426

المذنب . وهذا الاعتقاد يفسر إنتقال الامراض بالوراثة الى الاطفال الابرياء[15] .

كما كانوا يعتقدون بفعل العين الشريرة ، ويعتبرونها واحدة من أسباب العدوى لا تقل تأثيراً من الاتصال المباشر بالمرضى انفسهم[16] . وإذ أن البابليين ربطوا الامراض باختصاصات الآلهة في تأديب الانسان المنحرف وعقابه ، لذا كانوا ينحرون الضحايا استرضاء للآلهة وفدية عن أنفسهم . كما كانوا يلجأون الى السحرة ليبطلوا عمل الارواح الشريرة ويبعدوها عن إفساد الناس ودفعهم إلى الخطيئة وبذلك يقونهم من غوائل الامراض . وكانت ممارسة السحر مشروعة وتعتبر تعاوناً من هذه الاطراف لحماية عافية المواطنين[17] . كما كان البابليون يحملون التعاويذ لنفس الغرض . وفائدة التعويذة في تأثيرها النفسي لا يمكن نفيها بأي حال ، إلا أنه ليس إلا من قبيل الاحتمال البعيد أن يكون المعالجون قد أدركوا يومئذ قيمة العلاجات النفسية بقدر ما كانوا يؤمنون في قدرة التعويذة على شفاء المريض سواء آمن المريض بمفعولها النفسي أم لم يؤمن .

وإلى جانب المعتقدات غير العلمية في الصحة والمرض عند سكان ما بين النهرين ، فقد عرف اطباؤهم ، أو بتعبير اصح خبراؤهم في أمور الصحة ، أهمية النظافة لعافية البدن ، والعدوى في نقل الامراض ، فاستعمل السومريون في كيش واور مجاري للمياه القذرة ومخازن لتجميعها[18] . وعرفوا اخطار القمل والذباب[19] ، وعملها في نقل الامراض وتفشي الاوبئة ، وعرفوا العدوى بالجذام ، فقد ورد في شريعة حمورابي (المادة 278) إن عقد بيع العبد يصبح باطلاً اذا ما ظهر عليه الجذام في خلال شهر بعد شرائه . وجعل الاشوريون هذه المدة مائة يوم ، مما يدل على أنهم قد عرفوا إن مدة حضانة هذا المرض قد تطول الى أكثر من شهر واحد[20] .

---

(15) المصدر السابق .

(16) المصدر السابق ، ص 442-446 .

(17) المصدر السابق ص 412 .

(18) Carrison p. 64 .

(19) المصدر السابق .

(20) Segerist 1/287.

ولان ديار ما بين النهرين ملتقى الطرق فيها بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب في تلك المنطقة ، فقد وصل إليها كثير من الاوبئة ، كما ان منخفضات اراضيها الغارقة بالمياه الراكدة والدافئة جعلتها مستوطناً لكثير من الامراض كالبلهارزيا والانكلستوما والملاريا . ولا شك إن البابليين عرفوا أعراض هذه الامراض ولو أنهم لم يطلقوا عليها الاسماء التي تعرف بها اليوم . كما عرف البابليون اليرقان ، وذات الجنب ، وذات الرئة ، والصرع ، ومرض السيلان . وكانوا يشخصون هذا المرض بالنظر إلى بول المريض فإذا كان مثل بول الحمار أوخميرة الشعير[21] ، قالوا إن المريض مصاب بالمرض المذكور .

وفي الادوية عرف البابليون منافع الاعشاب ، وإفراز بعض الحيوانات ولحومها في الطب . وكان من أدويتهم 250 عقاراً من مصادر نباتية ، و180من مصادر حيوانية ، و120 عقاراً حجرياً ومعدنياً[22] . وعرفوا فوائد المعالجة بالتبخير ، واللطوخات ، والذرور ، والحمامات الساخنة ، والرياضة والتمسيد .

وكان للكلدانيين مثلما لاكثر الشعوب التي عاصرتهم ، وحتى التي سبقتهم - تاريخياً ، معلومات عن نجوم السماء وتحركاتها ، وافترضوا ثمة ما يربط امورهم المعاشية والصحية بتلك النجوم ، فكانوا يراقبونها ويستفتونها في مستقبل أيامهم وتوقيت مواليدهم . وكانوا يفعلون ذلك أكثر مما يهتمون بطبيعتها الفلكية[23] . وهذه اول بوادر ممارسة التنجيم في تاريخ الانسان القديم . وهكذا استخدم (الاطباء الكهنة) النجوم لتعمل لهم ما يساعد على معرفة سير المرض أو شفاء المريض منه . وسوف نرى إن هذه النزعة الفكرية بقيت تلازم معتقدات الاطباء في أسباب الامراض ، وتوقيت معالجتها بالمسهلات والفصد والحجامة وغيرها على مدى تاريخ الطب منذ نشأة ذلك المعتقد في العصور البابلية ، ومروراً بالعهد اليوناني والبيزنطي وإلى أواخر الحضارة العربية في القرن الرابع عشر الميلادي .

---

(21) المصدج السابق .

(22) Segerist, 1. 484.

(23) Carrison, P.62.

التشريح والفسلجة عند البابليين

يلعب الاستنتاج والحدس دوراً كبيراً في البحث بهذا الموضوع . ومن المحتمل أن يبتعد الباحث عن الحقيقة أكثر مما يجب عند تقييم هذه المعارف الطبية عند البابليين . والرجوع الى الاثاريات المرسومة والمكتوبة كمصدر اصدق ، لا بد منه .

لم تعمل شعوب ما بين النهرين بتشريح جسم الانسان كهدف لتثبيت اجزائه وما فيه من أجهزة وأعضاء ، إن هذه المعلومات قد انكشفت لهم بصورة عفوية ، فعرفوا أعضاء الجسم الباطنة من تقطيع القرابين والاضحية ، ومقارنة تلك الاعضاء بما يقابلها عند الانسان مما عرفوه من مشاهداتهم للجروح البليغة في المعارك الحربية وطوارىء البناء ونحو ذلك . فعرفوا بهذه الطريقة شكل قلب الانسان ، ومعدته ، وكبده ، وطحاله ، ومثانته وكليتيه والحالبين . وعرفوا أجواف القلب وإنحرافه ليقع القلب (التجويف) الايسر أمام القلب (التجويف) الايمن[24] . وعرفوا أهمية كل عضو من أعضاء الجسم لحياة الإنسان ، ودرجة تلك الاهمية . فإذا كانت الضربة التي أصابت عضواً ما قاتلة اعتبروا ذلك العضو ضرورياً للحياة . ومما يجلب النظر بصفة خاصة هو إهتمامهم الشديد بالكبد الذي نعتبره اليوم من أهم أعضاء الجسم .. وساعدهم على دراسة هذا العضو كبر حجمه وبساطة ووضوح أقسامه الظاهرة ، واستقراره بلا حركة وعلى شكل لا يتغير . فاعتبروه مصدراً للدم ، والدم أساس الحياة ، وفيه كل اسرارها[25] . وصاروا يفحصون أكباد القرابين ويستقرأونها عن حالة المريض صاحب القربان وما تضمر له الايام من شفاء أو هلاك . وهذا الاستقراء ضرب من العرافة التي كان لها يومئذ اختصاصيون في تطبيقها وإعطاء الرأي والحكمة والنصيحة في شأنها .

ومن ملحقات الكبد التي وصفها البابليون ، قناة الصفراء والاوردة الكبيرة المتصلة بالكبد . وقد عرفوا ذلك على قدر علاقتها (بالعرافة) لاعلى أساس قيمتها التشريحية والفسلجية . وفي وظائف اعضاء الجسم اعتبروا القلب مصدر الذكاء ،

---

(24) سارتون 1/201-204 .

(25) المصدر السابق ص 202 .

والكبـد مصدر العـاطفة ، والمعـدة مصدر المكـر والبـراعـة ، وجعلوا وظيفـة العينين والاذنين لليقظة والانتباه ، والرحم للحنان[26] .

الاطباء والممارسة الطبية في ما بين النهرين

معلومـاتنا عن الممـارسة الـطبية عنـد البابليـين استنتاجيـة لا تدعمهـا مستندات واضحـة باستثنـاء لوحـة أو لوحتـين كتب احداهمـا طبيب من مدينـة لكش اسمه أورد كاليدينا ، وفيها ذكر أسماء بعض الآلات الجراحية والادوية الطبية ، بينما زودتنـا ألواح مكتبة آشور بـانيبال بـوفرة من المعلومـات عن ممارسـة الاطباء الآشـوريين ، وصنـوف الادوية التي استعملوها ، وطريقة كتابة الوصفات الطبية . فكانوا يكتبـون عدة ادويـة في الوصفة الواحدة ليستعملها المريض بالتسلسل إلى أن يقف على الدواء الذي ينفعه . كما كانوا يكتبون في الوصفة طـريقة صنعهـا وخلط مفردات الادويـة فيها[27] . وعـرف عنهم أيضاً انهم لا يمارسون المهنة في اليوم السابـع من كل شهـر ، ولا في اليوم الـرابع عشر ، ولا التاسع عشر ، والواحد والعشرين ، ولا في اليوم التـاسع والعشـرين[28] . أي في أيام الشهر المرقمة تسلسلياً (7) و (2 × 7)و (3 × 7) . ولا نعرف مـركز الـرقم (7) في أيام الشهر عندهم ، ليتجنبوا الممارسة فيه . وقد يكـون ذلك تقـديساً لـه ، أو اعتبـروه مبعث نحسٍ لهم . وسوف نـرى فيـما يـأتي ان للرقم (7) مفهـومـاً آخـر أكـثر وضوحاً عند اليونانيين خاص بجنسيات المرأة وحبلها وولادة طفلها .

ومارس البابليون معالجة الرضوض بالتضميـد ، وخلع المفاصـل وكسور العـظام بـالجبائـر ، وعرفـوا تكون الحصى في المثـانة[29] . والـراجح انهم تـوصلوا الى ذلك ممـا شاهدوه في جيف الجثث البشرية التي تشاهد عـارية عـلى أرض المعارك ، أو في القبـور المكشوفة .

ولم يكتشف في آثار بابـل ما فيـه دلالة قـاطعة عـلى أن تلك الاقوام قـد مارست

---

(26) Segerist, 1/481

(27) Ibid, P.487.

(28) Ibid 2/287

(29) Ibid

الختان[30] . كما أن المؤرخين والاثاريين سكتوا عن ذكر هذه العملية بالنفي أو التثبيت . فاعتبر هذا الموقف منهم بمعنى عدم ممارسة تلك الاقوام للعملية . إلا أن اتصال شعوب ما بين النهرين بالمصريين وباليهود المعروفين يقينا أنهم مارسوا هذه العملية لا يسند هذا الاستنتاج .

ويفهم من شريعة حمورابي ان البابليين مارسوا بعض العمليات الجراحية ومنها عمليات أمراض العين التي حتى لو كانت تجري على جفنها لا في محجرها ، فإنها عملية سابقة لاوانها في التأريخ ، وخطوة جراحية جريئة باعتبار الدقة في مركبات العين التشريحية .

وبخصوص مردود التطبيب من المرضى ، فكان من المألوف ان يتفق الطبيب مع مريضه مقدماً على أجور أتعابه ، آخذاً بنظر الاعتبار حالة المريض المالية ، ونجاح العملية وفشلها ، كما كان مألوفاً أن لا يتورط الطبيب في معالجة مريض يبدو شفاؤه ميؤساً منه[31] ، فيتركه ليلقى حتفه بنفسه لا على يديه . اي ان الطبيب لم يكن يمارس مهنته بالطريقة الارضائية Placebo . وبأي حال فإن معالجة الطبيب كانت تهدف إلى إزالة اعراض المرض دون الاهتمام بمعرفة سببه أو طبيعته ، وبحسب ذلك يخمن الطبيب تطور حالة المريض الى الاحسن او الى الاسوأ في دورة المرض .

ويروي هيرودوت[32] ان أهل بابل كانوا يمارسون الطب في الطرقات والساحات ، وعلى مداخل البيوت[33] . فيضطجع المريض ليعرض حالته على السابلة ، فإذا كان أحد من هؤلاء قد أصابه مرض يماثل أعراض المرض الذي يشكو

---

(30) اتصال شخصي بالاستاذ طه باقر في يوم الاحد 12 آذار 1977في مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد .

(31) Segerist 1/309-310

(32) هيرودوت Herodots رحالة ومؤرخ يوناني عاش فيما بين سنة 484و520ق . م زار العراق وسوريا ومصر . وله كتاب في التأريخ يعتبر من أهم المصادر عن الامم القديمة وأساطيرها .

(33) Carrison, P.62 اما الاستاذ طه باقر فيعلق على رواية هيرودوت المذكورة (على أنها اما انها تصور الادوار المتأخرة في حضارة وادي الرافدين التي تضاءلت فيها المعارف الطبية القديمة ، أو أن يدخل في باب الطب الشعبي بين الجماهير في كل زمان ومكان) : مجلة المجمع العلمي العراقي /31 ، ص 120 .

منها ذلك المريض ، وصف له الدواء الذي تناوله وشفي بسببه ، أو نصحه ان لا يتناول الدواء الذي وجده لا فائدة منه . وقد بقي هذا الاسلوب من الممارسة مألوفاً قروناً عديدة بعد العصر البابلي ، إلى زمن قريب نسبياً في بعض مدن العراق .

وبالرغم من أن الاطباء كانوا تحت رقابة الدولة ، ويجزون ويعاقبون بموجب مواد قانون حمورابي ، فإن ممارسة الطب كانت مباحة لعامة من يستطيع تطبيقها دون الحاق الضرر بصحة الناس . فكان للمنجمين وذوي التجربة الشخصية مكانة فسيحة في ممارسة هذه الصنعة . كما أن العلاج بالسحر شرعياً لا يتصدى له الحكام ، ويعتبرونه تعاوناً من هذا الطرف لحماية المواطنين من الامراض[34] .

ومن المحتمل أن تكون صورة الافعى رمزاً للممارسة الطبية عند البابليين . وقد اعتقدت تلك الاقوام ان الحية التي تنتزع جلدتها الخارجية في كل حول ، يعود اليها بهذه العملية شبابها المعافى من الامراض ، ويطول عمرها . فاتخذوها رمزاً لطول البقاء وتجديد العافية التي يهدف الى تحقيقها الطب . وقد عثر في لكش على لوحة تمثل حيتين تلتفان حول دورق وعلى خلفية هذه الصورة دعاء الى الشفاء . وسوف نرى فيما يلي ان الافعى كانت رمزاً للشفاء عند كل من الهنود ، واليمنوسيين في كريت ، واليونانيين . وهي أيضاً رمز الطب في الوقت الحاضر .

شريعة حمورابي[35]

شريعة حمورابي او قانون حمورابي ، أول تشريع عرف بتفصيل في تاريخ الانسان وضعه الملك حمورابي لضبط تصرفات المواطنين أو أصحاب الحرف في حدود اللياقة والصدق والامانة . في هذا التشريع 282 مادة ، من بينها احدى عشرة مادة تتعلق بأعمال الاطباء والبياطرة ، وضعها حمورابي في حوالي سنة 1950 ق . م ليحمي مصالح شعبه من اخطاء ذوي المهن الطبية وإهمالهم في معالجة المرضى ، ومن اطماعهم فيما يحتالون منهم . وفي بنود هذا التشريع أيضاً معلومات جمة عن الحالة الاجتماعية في

---

(34) Segerist, 1/412

(35) اقرأ عن شريعة حمورابي في تأريخ العلم لسارتون 169,192/1 وفي كتاب - The Code Of Hammurabi By Rosamound E. Mack.

بابل ومستوى الطبابة فيها . وفيما يلي بعض المواد المتعلقة بالطب والاطباء :

المادة ـ 218 ـ إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لسيد بآلة برونزية وسبب وفاته . او اذا فتح محجر عين سيد وسبب فقد بصره ، فإن عقاب ذلك الطبيب قطع يده .

المادة ـ 219 ـ إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لمملوك بآلة برونزية وسبب وفاته ، فعليه دفع تعويض مملوك بمملوك .

المادة ـ 221 ـ اذا جبر طبيب عظماً مكسوراً لسيد أو شفاه من مرض مؤلم فعلى المريض أن يدفع للطبيب خمس شياقل من الفضة .

المادة ـ 222 ـ إذا كان المريض مملوكاً وعالجه طبيب وشفي من مرضه ، فعلى صاحب المملوك أن يدفع للطبيب شيقلين من الفضة .

إن قيمة المبادىء الحضارية الواردة في قانون حمورابي لا تنحصر في إهتمام المشرع بمصالح الناس في العصر الذي وضع فيه التشريع ، بل امتدت تلك القيمة إلى العصور التالية على أعمال ذوي المهن الطبية وآداب ممارسيها التي هي أحد مقومات الصنعة منذ ذلك الزمان إلى هذا اليوم . أما قيمتها التاريخية فإنها قد اعلمتنا أن البابليين قد مارسوا بعض العمليات الجراحية على ادق ما في الجسم من الاعضاء وهي العين . وكانت لديهم أدوات جراحية معمولة من البرونز لا بد أنها كانت على بدائيتها مصممة على شكل يلائم المناطق الجسمية والاعضاء التي تجري عليها العملية . إلا أن ما يحير العقل في تشريع حمورابي هو مراقبة الجراحين والتشدد في معاقبتهم دون الاطباء الباطنيين ، بينما السحرة وعامة الناس ينتحلون المهنة ويمارسون المعالجات الخاطئة على علم من الحكومة وبرضاها أيضاً . ولا نجد تفسيراً لهذا الموقف الحكومي إلا أن يكون البابليون يعتبرون الطب عملاً روحانياً ، أو أشبه ما يكون بإعجاز بشري يستطيع به (الطبيب) الحاذق ان يشفي كل أنواع الامراض حتى الورمية منها والكسور أيضاً ، بلمسة يد أو بجرعة دواء ، أو بدعاء طهوري من كاهن متبتل ، وإن الطبيب الذي يستعمل الطرق الجراحية في العلاج يعتبر خارجاً عن عقيدة القوم ومتحدياً لافكارهم ونحلهم العقائدية . فإذا فشل في علاجه الغريب فلا سبيل الى رده عن غيه وتمرده على العرف إلا بذلك العقاب القاسي .

ولما حكم الاشوريون البلاد كانت انظمتهم الانضباطية على الاطباء أكثر صرامة مما ورد في شريعة حمورابي ، ولا بد أن انظمتهم كانت ذيلا لتلك الشريعة لا بديلة لها .

ومما يلفت النظر في أنظمة الاشوريين إهتمامهم الخاص بالاعضاء التناسلية ، وبحمل المرأة . فإذا سببت امرأة ضرراً بخصية رجل فتعاقب بقطع اصبع من أصابعها . وبقطع اصبعين إذا سببت تلفاً في الخصيتين[36] . كما كان الآشوريون يعاقبون من يسقط حمل المرأة بغرامة نقدية من المعادن الثمينة وبخمسين جلدة على قفاه . أما إذا كان فاعل الاسقاط هو المرأة الحامل نفسها فإنها تقتل بخازوق ينفذ في جسمها وتترك في العراء لتنهش لحمها الوحوش والطيوربجارحة[37] . ونفهم من هذا النظام أن عملية الاسقاط كانت محظورة على الناس وعلى الاطباء أيضاً سواء كان ذلك برضى الحامل أو بدون رضاها ، ومع ذلك فقد كانوا يمارسونها بالخفاء بطريقة من الطرق . من جهة ثانية هناك ما يدل على ان منع الحبل بطريقة ما ، ربما بعملية الأخطاء ، كانت تمارس على الزوجة الكاهنة Naditum[38] . وربما كان ذلك من شؤون الدين الذي لا تناله الانظمة والاعراف الاجتماعية .

التيارات الفكرية بين شعوب ما بين النهرين واليونانيين

لتوضيح العلاقة الفكرية بين شعوب ما بين النهرين والشعوب اليونانية ، نحدد في تاريخ ما بين النهرين ثلاث حقب : الاولى هي التي كانت قبل القرن التاسع قبل الميلاد اي الفترة التي حكم فيها السومريون والاكديون والبابليون بالتعاقب حوض وادي الرافدين الاسفل ، وعاصروا حضارة وادي النيل ، وتبادلوا معها المعارف . وهذه الحقبة سابقة بزمان طويل لشروق الحضارة اليونانية في مطلع القرن السابع ق.م.

والحقبة الثانية هي التي حكم فيها الاشوريون (القرن الثامن والسابع ق . م)

---

(36) Segerist, P.429

(37) Ibid

(38) الهاشمي - العائلة في بابل ص 59 .

حوض ما بين النهرين الاعلى المجاور لآسيا الصغرى الحثية واليونانية وشمال ديار فينيقيا . وهي حقبة شهدت أواخرها شروق الحضارة اليونانية .

والحقبة الثالثة في تاريخ ما بين النهرين هي التي حكم فيها الكلدانيون (- 538 625 ق . م) ديار بابل ، وهي فترة عاصرت مطلع العصر اليوناني الذهبي ومازجته حتى نهاية القرن الرابع ق . م .

ونفهم من العرض التاريخي المتقدم ان الاشوريين والكلدانيين كانت لهم علاقة بشكل من الأشكال ، سلمية أو عسكرية مع اليونانيين في الفترة ما بين القرن السابع وأواخر القرن السادس ق . م ، وتوثقت هذه العلاقة وزادت بعد دخول الاسكندر المقدوني إلى بابل في سنة 332 ق . م .

ونعرف إن الطابع الحضاري السومري بقي ينحدر إلى الشعوب التي تسلسلت على حكم ما بين النهرين ، وتتجمع عليه المعارف الجديدة حقبة بعد حقبة حتى انقراض دولة الكلدانيين بدخول قوات الفرس إلى بابل سنة 538 ق . م ثم دخول الاسكندر المقدوني سنة 332 ق . م كما ذكرنا . فما كان في العصر الاشوري من معارف فإنه يحتوي بنفس الوقت على معارف سومرية وأكدية وبابلية كما يحتوي على معارف حثية[39] (فارسية ـ هندية) حصل الاشوريون عليها أثناء تحالفهم مع الحثيين . فتسربت هذه المعارف الى اليونانيين عن طريق الاحتلال العسكري كما كان يحمل بنفس الوقت إلى بابل ونينوي بعض المعارف اليونانية التي تعتبر جديدة بالنسبة إلى المعارف البابلية . وسوف نذكر عند الكلام عن الحضارة اليونانية في فصل قادم مفردات المعارف البابلية الاصل التي وصلت إلى اليونان .

---

(39) الحثيون ـ اقوام من آسيا الصغرى ، حكموا على طول الجبهة الشمالية لسوريا في القرن الثالث عشر ق . م . وكانت عاصمتهم حتورة ، ويعبدون القوى الطبيعية ، وتاريخهم متصل بتأريخ الشعوب التي قطنت ما بين النهرين في تلك الحقب .



الطب في الحضارة الهندية[1]

كانت الهند القديمة تشمل كلاً من الهند وباكستان وبنغلاديش وجزيرة سيلان في خرائط اليوم . وأصل سكانها من جنوب شرقي آسيا والملايو . وقد نهضت في تلك الديار حضارات يرجع تاريخ أولها الى الالف الثالث ق . م ، كان منها حضارة وادي السند التي عاصرت في أواخرها فجر الحضارة اليونانية وتبادلت معها الخبرات والعلوم والفنون في أثناء دخول الاسكندر الكبير أطرافها الشمالية في حوالي سنة ٣٢٧ ق . م .

وكان الطب في المعالم البارزة في حضارة الهند القديمة . وقد اكتشف من بقاياه مستشفى في سيلان يعود تاريخه إلى القرن الخامس ق . م ، ومستشفى آخر يعود الى القرن الثالث ق . م[2] . كما وجدت من آثارها كتب بقيت تزود العالم بالمعارف الطبية حتى نهاية القرن الوسيط . من تلك الكتب واحد من تأليف طبيبهم الكبير شاراك الذي عاش في حدود القرن الثاني الميلادي . وقد نقل هذا الكتاب في أيام حكم الساسانيين الى اللغة الفهلوية ثم ترجم من هذه اللغة إلى العربية (القرن الثاني

---

(1) اقرأ عن الطب في الهند القديمة في : فردوس الحكمة لابن ربن الطبري ص 557-600 والعيون لابن أبي أصيبعة ص 473-477 ، وتاريخ الهند لابي الليل .

Segerist Hist. Medc. P. 121-168

Carrison Introd. Hist. Medc. P.70-71.

Sezgin 3/187-202.

(2) Carrison, p. 70.

الهجري / الثامن الميلادي) بواسطة عبدالله بن علي[3] ، وصار احد مصادر كل من ابن ربن الطبري في كتابه فردوس الحكمة ، وأبي بكر الرازي في كتاب الحاوي باسم شرك الهندي[4] .

والكتاب الهندي الثاني الذي ترجم الى العربية هو كتاب سوسروتا . وسوسروتا اسم المؤلف الذي وضع هذا الكتاب في حوالي سنة 300 م . وهو اضخم كتاب هندي وصل الى العرب كاملاً . وقد ترجمه الى الفهلوية طبيب هارون الرشيد الفيلسوف الهندي منكه ، ثم نقل منها إلى العربية . كما ترجم منكه كتاب السموم لشاناق وهو كتاب هندي آخر له شهرة واسعة في هذا الاختصاص ، إذ أثار اهتمام الحكام ومن يعمل في خدمتهم بأمر السموم وفي كتاب سوسروتا معلومات كثيرة عن الطب الهندي ، وما يستعمل من الادوية والادوات الجراحية في العلاج ، والسموم ومضاداتها

---

(3) ابن ابي أصيبعة ص 473 .

(4) شاراك ويسميه العرب شرك . من أكابر اطباء الهند في القرن الثاني الميلادي . اي أنه كان معاصراً لجالينوس . له كتاب باسمه وضعه على محاضرات طبيب الهند الاقدم اتريا الذي سبقه بأربعة قرون . وكتاب شرك موسوعة في المعارف الطبية ، خاصة بأمراض المعدة (الحاوي 156،255/5) والقلب (ح 36،4/7) وحالات الاستسقاء (ح206/7) وخصى الاحليل والمثانة (ح 131 - 103/10) . ولطرافة ما كتبه بهذا الموضوع الأخير ننقل إلى ما يلي النص الذي كتبه الرازي عن كتاب شرك قال :

(يجب أن يكون مع من تروم له بط حصاة حالبة وتكمد مثانته ، ثم ادخل الاصبع والمس به الحصاة ، وأدفع حتى تزول عن الدرز ، وليكن الى يسرة الدرز . وانظر إلا أن يكون عند دفع الحصاة للمثانة تقصير ، فان البط يكون عند ذلك واسعاً في المثانة جداً أوسع مما خارجاً ولا يبرأ . فان دفعت الحصاة الى خارج فبط الى ان يظهر انكسار العين وتدلي العنق ولا يتكلم ولا يتحرك ، فإن ظهرت هذه فلا تبط فانه يموت) ثم يقول :

« واعلم ان الدرز مقتل . وانظر ان لا يبقى منها (يقصد الحصى) شيء فإن تكسر فانه ولو قل ما بقي منها فلا بد له ان يعظم » (الحاوي 131/10) ونفهم من هذا النص ان الهنود قد عرفوا عملية رفع الحصى من المثانة ، قبل أن يعرفها اليونانيون ويحتمل على هذا أن يكون روفس الأفسي وبولس الاجنبي قد استقيا معلوماتها عن هذه العملية عن كتاب شرك الذي نتكلم عنه .

وفي كتاب شرك أيضاً معلومات عن تدبير الحمى البلغمية بالقي (ح 63/16) ومداراة الناقهين (ح 84/17) وقواعد في استعمال الادوية والاطعمة في العلاجات الطبية (272، 205/20 329، 231/21،) .

وكيفية صنع كل واحدة منها ، والتداوي بالوسائل الطبيعية والحقن الشرجية ، واستعمال المقيئات والترعيف والفصد . وفيه أيضاً فصل قيم في رعاية الحامل ، ومداراة الماخض ، وتدبير اعتلانات الجنين الثمانية غير الطبيعية ، وعمليات الولادة العسرة ، وفصل في تغذية الطفل وتربيته . والكتاب من مصادر ابن ربن الطبري في كتاب فردوس الحكمة وأبي بكر الرازي في كتاب الحاوي .

وكانت معلومات الهنود في التشريح افتراضية لا تستند على حقائق مثبتة . فقالوا إن الهيكل العظمي مركب من 360 عظماً ، و 500عضلة و 300وريد ، و 80رباطاً . . . الخ . ولا حاجة أن نقول ان هذه الارقام وهمية ولا تفيد إلا لتثبيت حقيقة أن الهنود لم يمارسوا التشريح ليعرفوا شيئاً عن مركبات الجسم . أما في الفسلجة فكانت لهم نظرية تشبه نظرية الاخلاط اليونانية ، إلا أن تلك النظرية كانت تستند على ثلاثة عوامل (اخلاط) هي الصفراء والبلغم والارياح (الهواء ؟) ، وافترضوا أنها في حالة توازن ، فاذا زاد احدهما أو قل عن مقداره الطبيعي في الجسم حصل المرض ، وإذا تعادلت فيما بينها حصلت العافية . وافترضوا أيضاً إن العناصر الجسمانية التي تنتهي اليها الاخلاط ستة هي الدم واللحم والعضل والنخاع والبلغم والمني[5] .

وقد عرف الهنود كثيراً من الامراض ، وبعضاً من خصائصها وأدوارها السريرية ، منها حمى الملاريا وعلاقتها بالبعوض[6] ، والطاعون وعلاقته بالجرذان[7] ، ومرض الديابيطس الذي سموه بول عسل النحل[8] . وكان اطباؤهم يفحصون بول المرضى ليتعرفوا من كميته ولونه وقوامه والرسوب الذي فيه ورائحته ، وطعمه ؟ على تشخيص امراضهم . وهناك إشارات تفيد انهم استعملوا التلقيح ضد الجدري .

وفي الادوية استعمل الاطباء الهنود اوراق الاشجار وازهارها وأثمارها وجذورها في العلاجات الطبية ، واستعملوا القنب الهندي (الحشيشة) والهياسيامس وست الحسن (البلادونا) في التخدير .

---

(5) Carrison, P. 71.

(6) المصدر السابق .

(7) المصدر السابق

(8) المصدر السابق .

ومارس الهنود عمليات التجميل وترقيع الجلد ، والتوليد عن طريق البطن (العملية القيصرية ؟)[9] ورتق الفتوق ، واستخراج الحصى من الاحليل والمثانة ، وقدح العين[10] . واستعملوا لتوقيف نزف الدم في هذه العمليات الضغط والدهون الحارة ، كما استعملوا الكي لنفس الغاية[11] . وكان لديهم من الادوات الجراحية ما يزيد على المائة آلة . ومع ذلك ـ للغرابة ـ لم يعرفوا خيوط الجراحة Ligature فكيف إذن كانوا يقربون بين حافات الجروح ؟ يجيء على البال أنهم كانوا يستخدمون الرفائد والاشرطة لمعالجة الحالات المذكورة . ومع كل ما تقدم من معارف الهنود في الطب فلم تكن ممارساتهم بأي حال خالية دائماً من لمسات خيالية وشعوذة باستعمال التعاويذ والادعية[12] .

ولا بد ان الافكار الهندية في الطب قد دخلت فارس بحكم المجاورة ، أو اثناء وجود قوات الاسكندر الكبير في تلك الديار (أواخر القرن الرابع ق . م) فوصلت تلك الافكار عن هذا الطريق إلى اليونان . كما دخل فارس عدد من الاطباء الهنود في عهد كسرى انوشروان (531 - 579 م) يحملون معهم تراثيات بلادهم الطبية وغير الطبية . وإنضم بعض من هؤلاء الى بيمارستان جند يسابور وبقوا يعملون فيها حتى بعد خضوع المدينة للحكم الاسلامي سنة 17 هـ / 638م كما استخدم الخلفاء العباسيون عدداً من الاطباء الهنود ، واعتمد هارون الرشيد على بعض من هؤلاء وصاروا من اقرب الاطباء اليه .

---

(9) Green armytage-Tropic. Gynaec. P. 25.

(10) Carrison, P. 71

(11) Ibid. P. 72.

(12) الرازي ـ الحاوي 255/5, 282 ومصادر اخرى في كتابي الحاوي وفردوس الحكمة .

الطب في الحضارة الفارسية

بلاد فارس في التأريخ الاسلامي جزء من ديار واسعة بهذا الاسم تضم خراسان في وسطها وفي أعلى هذه طبرستان ، ونيسابور في شمال الشرقي ، وفي أعلى منها جرجان . وسجستان في جنوبها الشرقي ، وخوزستان في الجنوب الغربي ،وكانت لغاته عديدة ، أكثرها شيوعاً هي الفهلوية (الفارسية القديمة) وكذلك كانت اديانها وأعمها الزرادشتية .

لم تنشأ في بلاد فارس ثقافة طبية (علمية) إلا بعد دخول الاسكندر المقدوني اليها في حوالي سنة 334 ق . م وكان الطب عند الفرس قبل ذلك تقليدياً يعتمد على التجارب الشخصية لا على قواعد ثابتة ، ولكنه على العموم لم يكن خالياً تماماً من بعض اللمسات الفنية ، ويروي ابن فاتك أن الاسكندر عند دخوله بلاد فارس احرق كتب المجوس إلا كتب الطب والحكمة والنجوم ، فقد نقلها إلى اللسان اليوناني وبعث بها إلى بلاده[1] . ومدلول هذه الرواية هو ان بالرغم من أن اليونانيين كانوا يومئذ قادة الفكر في العلوم الطبية إلا أنهم اخذوا عن الفرس ما لم يدركوه في بحوثهم ، أو ما كان من العلوم التطبيقية الجديدة عليهم[2]. أي أن الفرس كانوا يومئذ على قدر ما من المعرفة

---

(1) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 18 .

(2) Robinson - Hist. Of Medc. P. 39

Elgood-Medicine in Persia P.4

Brown-ArabMedc. P. 22.

الطبية العملية ولا يستبعد كما ذكرنا سابقاً أن تكون بعض المعارف التي نقلت من فارس إلى اليونان ذات أصول هندية سبق أن وصلت الى فارس بحكم جوارها مع الهند أو حروبها معها . كما دخل فارس من الاطباء اليونانيين أسرى بقوات الملوك الاخمينيين[3] . كان منهم ديموسيدس Democedes الذي عالج دارا الثاني حين أصيب بخلع في كاحله وهو يترجل عن حصانه ، كما عالج أخته حتى أبلّت من علتها . كذلك استقدم الأخمينيون الطبيب القوصي الشهير ستسياس[4] Ctesias (405-359 ق.م) ليكون أحد أطباء بلاطهم . ويمكن إعتبار هذا الطبيب أول من ادخل الأفكار اليونانية في الطب إلى بلاد فارس . ويحتمل أن حملة الاسكندر المقدوني 333 ق . م قد ادخلت الى هذه الديار من علوم اليونان وفنونها بقدر ما أخذت من فارس الى اليونان . كما وصل فارس اطباء من مصر الفرعونية .

وكان الزرادشتيون[5] من الطبقات الفارسية التي اهتمت بدراسة الطب وبرزت فيه ، وصار من بينهم ثلاث طبقات من المعالجين ، احداها تعالج بالادعية والصلوات والاخرى بالاغذية والعقاقير ، وطبقة ثالثة باستعمال الادوات أي بالعمليات الجراحية[6] . وقد ورد في شاهنامة الفردوسي[7] ان رانا (رؤذانة) أم القائد الفارسي رستم دستان[8] الذي عاش في القرن الثالث ق . م قد وضعت وليدها رستم بعملية فتح البطن (القيصرية) أجراها كاهن زرادشتي من الطبقة التي تمارس الطب

---

(3) الاخمينيون ـ اقرأ عنهم في هامش رقم (11) ص 51 .

(4) ستسياس ـ مؤرخ وطبيب يوناني . وردت في كتاباته عن بابل ان القار والنفط من المواد الموجودة بكثرة في تلك الديار ، وإنها كانت تستعمل للوقود بدل الحطب . وورد في مدوناته أيضاً التي اخذ عنها اورباسيوس ان الخرنق الاسود Hellibore من الحشائش السامة التي يجب استعمالها بحذر في معالجة الحالات العصبية والنفسية والا سببت الموت سارتون ـ تاريخ العلم 2/202-203, 214) . وحسن كمال الموسوعة الطبية ص 329) .

(5) الزرادشتيون ـ هم أتباع زرادشت نبي الفرس منذ القرن السابع ق . م حتى الفتح الاسلامي . وينسب الى زرادشت كتاب الافستا .

(6) Brown, P. 23

(7) كتاب الشاهنامة ـ هو ملحمة الشاعر الفردوسي الفارسي المتوفي سنة 1020 م التي ضمنها أخبار وتراجم ملوك فارس وأساطير الفرس منذ اوائل تاريخهم حتى الفتح الاسلامي لبلادهم .

(8) رستم دستان ـ بطل فارسي اسطوري ، قيل أنه عاش في حدود سنة 330 ق . م .

الجراحي[9] . والارجح ان هذا الخبر اسطوري أكثر مما هو واقعي . ولو كانت هذه العملية معروفة عند الفرس آنذاك لكان الاطباء اليونانيون ، أو أطباء جند يسابور على الاقل ، عرفوها وذكروها في مؤلفاتهم . والمعروف أيضاً أن رستم دستان وأعماله البطولية هي الاخرى اسطورية أيضاً .

ويبدو ان الاطباء الفرس كانوا يتهيبون من اجراء الجراحات قروناً عديدة بعد حكم الاخمينيين ، وفي الحقبة التي انتشرت فيها الديانة المزدكية[10] (النصف الاول من القرن السادس الميلادي) ، فكان لا يسمح لطبيب بالعلاج الجراحي على اتباع ديانتهم إلا بعد أن ينجح في ثلاث عمليات على مرضى من غير المؤمنين بالديانة المزدكية[11] .

ومن الثابت ان الطب في بلاد فارس لم يتبلور بشكله العلمي إلا إبان حكم الساسانيين ، أي في القرن الثالث الميلادي . وأبرز ما كان في حضارة ذلك الحكم هو القسم المتعلق بمدرسة جند يسابور . وبالرغم من أن هذه المدينة تعد حديثة بالنسبة لتاريخ فارس الموغل في القدم ، إلا أنها سرعان ما اخذت بزمام القيادة الثقافية في البلاد بسبب مدرستها وما فيها من علماء ذوي أفكار جديدة بالنسبة إلى علوم الفرس القديمة التي لم يبق منها في التطبيق إلا ما يتحكم فيه العرف والتقليد .

ووجود مدينة جنديْسابور والمدرسة التي فيها اجتذب انظار المؤرخين لما فعلته من عظيم التأثير على نشر العلوم اليونانية والهندية بين الفرس والعرب . والاطلاع على دوافع تأسيس المدينة والمعاهد العلمية فيها ، فيه متعة وعبرة . نذكره فيما يلي :

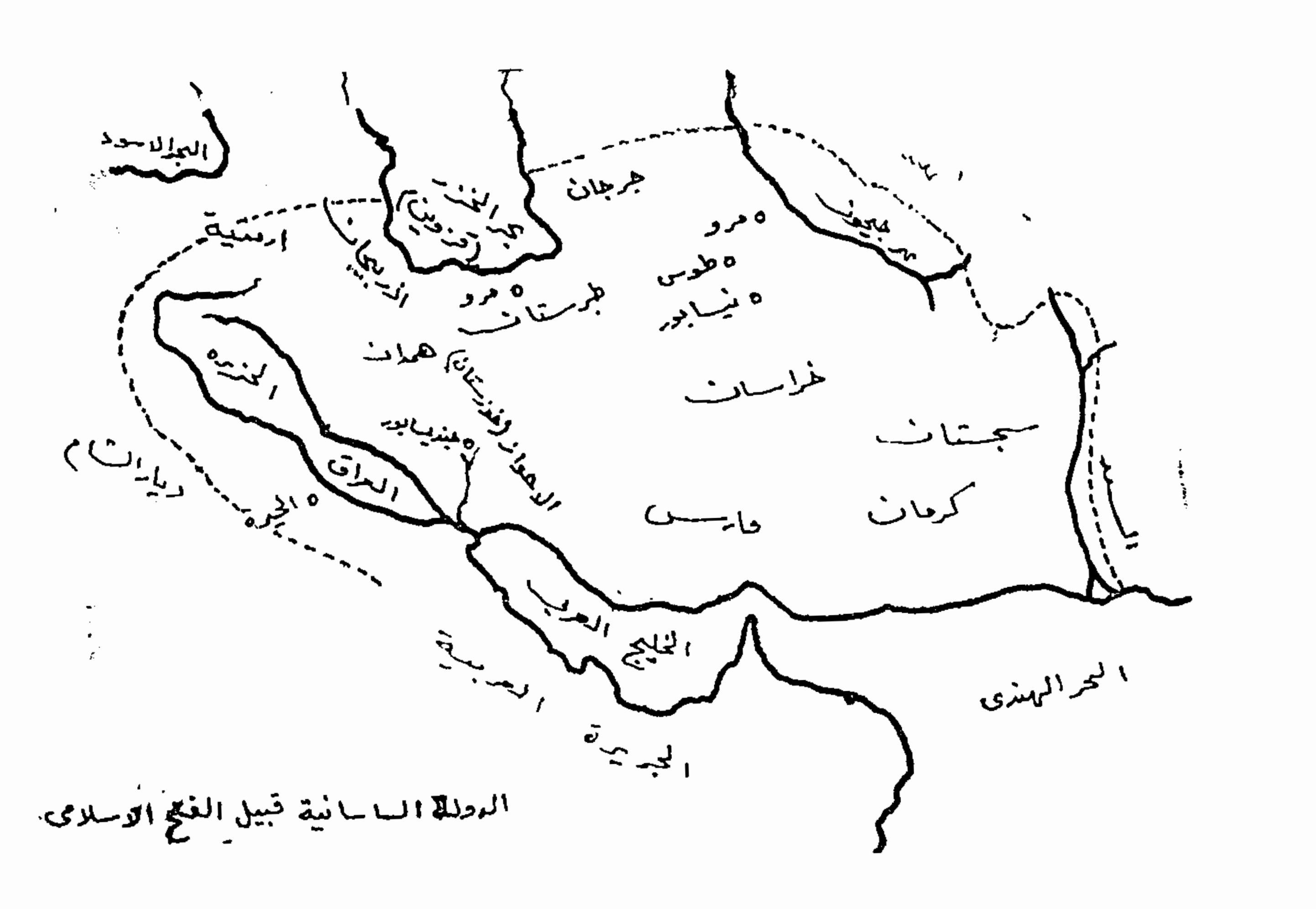
أسس سابور الاول الساساني (241 - 272 م) عاهل فارس مدينة في منطقة

---

(9) شاهنامة الفردوسي 1/ص 75 .

(10) المزدكية ـ ديانة دعا اليها مزدك الفارسي . وتعتمد على فروض الديانة المنوية بشكل موسع ومتحرر من الاخلاقية ، حللت الاشتراكية في كل شيء حتى النساء وسبق ان طارد سابور دعاة هذا المذهب وقتل ماني المبتدع الاول لهذا المذهب وسلخ جلده عن جسمه وحشاه بالتبن وعلقه . على مدخل مدينة جنديسابور عبرة للخارجين على الديانة الزرادشتية ، دين الدولة الرسمي .

(11) Brown, P.23. واقرأ ايضاً عن الطب في أيام الزرادشتيين الاوائل في كتاب ايران في عهد الساسانيين لارثر كرستنس وترجمة يحيى الخشاب . وعبد الوهاب عزام ص 403-404 .



الدولة الساسانية قبيل الفتح الاسلامى.

الاحواز[12] (انظر الخريطة) ليوطن فيها الاسرى من السومريين واليونانيين والنساطرة الذين اقتادهم أسرى بعد معركته التي كسبها مع الامبراطور البيزنطي فالريان سنة 360 م ، وأطلق على المدينة اسم جنديْسابور أي معسكر سابور . وكان من بين الاسرى في جنديسابور من هم أصحاب معرفة بالعلوم اليونانية النظرية والتطبيقية مما كانت بلاد فارس تفتقر إلى امثالهم وتحتاج إليهم أشد الحاجة . وتوسعت المدينة وازدهرت بها الحركات الفكرية واليدوية حتى اصبحت المدينة الاولى في البلاد ، وقاعدة الحكم في عهد سابور الثاني المدعو بذي الاكتاف (310 - 379 م) . وكان هذا الملك معجباً بكفاءة اليونانيين في العلوم الطبية ، فلما اعتلت صحته استقدم لمعالجته الطبيب اليوناني ثيودوسيوس[13] فكان دخول هذا العالم إلى جنديسابور فاتحة تقاطر العلماء والاطباء اليونانيين والسريان إلى بلاد فارس وإلى هذه المدينة بالذات . فعضدهم الملك بالتكريم والعطايا السخية وابتنى لهم كنيسة يمارسون فيها طقوسهم الدينية[14] ، وبيمارستانا على نمط مستشفياتهم في انطاكيا والاسكندرية . كما منحهم حرية اللغة والقول والعمل . وقد عرف من أطباء هذه الحقبة طبيب يوناني باسم باديغوراس[15] وقد يكون هذا الاسم تحريفاً لاسم Pythagoras وأكثر الاحتمال أنه كان يعمل في مارستان جنديسابور بالاضافة الى خدمته في بلاط الساسانيين . وقد ترك آثاراً طبية مكتوبة وصلت إلى بغداد في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ونقلت إلى اللغة العربية[16] ، كما وصل إلى العرب كتاب ثان من فارس لمؤلف يوناني آخر اسمه اكسينوكريتز Xnenocrates[17] عاش في القرن الاول الميلادي ، ضمن كتاباً له استعمال الكثير من إفرازات الحيوانات والانسان ، كما استعمل الخداع والشعوذة في الوصفات الطبية . وقد سبق أن اطلع

---

(12) الاحواز ـ اقليم في الغرب الجنوبي من فارس المتصل بالخليج العربي ، ويسمى اليوم عربستان . وكان فيه قديماً كنائس للنصارى . ولما استحدثت فيه جنديسابور صارت هذه المدينة عاصمته وأهم مدنه . فتحه العرب سنة 19 هـ / 640م .

(13) Brown, P.23.

(14) Ibid'

(15) Ulmann - Islamic Medec. p. 18.

(16) Ibid.

(17) Ibid.

جالينوس على هذا الكتاب ، وكان مكتوباً باليونانية ، ولم يعلق عليه بأكثر من قوله : (إنه كتاب في الصيدلة القذرة)[18] . ووصل إلى العرب في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي كتاب في الادوية المفردة لمؤلف فارسي اسمه قهلمان[19] (قلهمان ؟) ورد اسمه ضمن الاطباء الذين حسبهم ابن أبي اصيبعة معاصرين للاطباء الاسكندرانيين المتأخرين[19] . كما اخذ منه الرازي في كتاب الحاوي[20] .

ولما حل القرن الخامس اصبحت جنديسابور موطناً للعديد من العلماء النساطرة الهاربين من اضطهاد كنيسة بيزنطيا[20] وامبراطورها زينون [21]وهم يحملون معهم كتب ابقراط وجالينوس بالترجمات السريانية التي عملها سرجيوس الراس عيني . ووصلت جنديسابور ذروة مجدها العلمي في حكم كسرى انو شروان (531 - 579 م) الذي احتل انطاكيا ولاذق واخذ منهما مزيداً من العلماء والاطباء ليضمهم الى اضرابهم في جنديسابور ، كان اشهرهم طبيب اسمه جبرائيل درستاباذ الذي يحتمل أن يكون الجد الاعلى لاسرة البختيشوعيين .

وكان انو شروان شغوفاً بالعلم ومشجعاً على التعليم ، فأوفد طبيبه الى حكام الهند ليأتي له بالعلماء والكتب ، فحصل على ما اراده كما جلب برزويه معه كتاب كليلة ودمنة ولعبة الشطرنج[22] وهكذا تجمع في جنديسابور عدد من الاطباء الهنود واليونانيين

---

(18) Ullmann. P. 18.

(19) ابن ابي أصيبعة ص 159

(19) قلهمان ـ ويسميه الرازي قهلمان ايضاً ـ وكتابه في الادوية بأنواعها . وذكره الرازي في معالجة الغثى (الحاوي 214,85/5) واسهال السوداء (ح 32/6) وامراض القلب (ح 145, 26/9) والباه (ح 306, 192/10) والمفاصل (ح 307, 194/11) والاورام الصلبة (ح 228/13) وغير ذلك من الحالات المرضية التي تعالج بالادوية .

(20) بيزنطيا ـ هي الامبراطورية الرومانية التي كانت تمتد من مضيق البسفور حتى شواطىء الفرات وعاصمتها القسطنطينية ، ثم ضمت اليها الامبراطورية الرومانية الغربية سنة 476م . ولم تصمد هذه الامبراطورية الضخمة أمام الامويين ، فانتزعوا منها سوريا ومصر وشمال افريقيا وأقساماً من آسيا الصغرى حتى صاروا على أسوار القسطنطينية . وأخيراً فتح هذه المدينة محمد الفاتح العثماني سنة 1493 م فأصبحت بلداً إسلامياً منذ ذلك الحين .

(21) زينون ـ امبراطور بيزنطيا بين سنة 474 و 491م ، اشتهر بمطاردته للنساطرة وأفكارهم المتجددة .

(22) الشطرنج ـ من العاب المهارة العقلية . عرف لاول مرة في بلاد الهند القديمة وينسب ابتكاره الى

والسوريين النساطرة بالاضافة الى الأطباء الفرس المحليين .

كانت لغة الكلام والكتب في بيمارستان جنديسابور هي السريانية واليونانية وشيئاً من الفارسية . وكلمة بيمارستان فارسية مركبة من (بيمار) أي مريض و(ستان) أي دار . ثم دخلت اللغة الفارسية في كثير من اسماء الادوية وأسماء المعالجات الطبية . أما الممارسة الطبية فيعتمد أكثرها على الاسلوب اليوناني الذي تبرز فيه نظريات الاخلاط والامزجة والامتلاء ، والمعالجة بالمقيئات والمسهلات والادوية المدرة للبول والفصد والحجامة . كما كانت للعلاجات الطبيعية بالتسميد والحمامات والرياضة والتغذية الخاصة مجال وسيع في الممارسة . وتستعمل الادوية المستخلصة من الاوراد والاعشاب ، والسكنجبين بكثرة في معالجة اضطرابات الجهاز الهضمي . أما في الطب الجراحي فلم يتوسع اطباء جنديسابور في تطبيق فنونه ، وكانت عملياتهم تنحصر في الجراحات البسيطة كبتر الاعضاء وشق المثانة ، وقلع الضرس وما في هذه المستويات من العمليات .

وبقيت مدرسة جنديسابور وبيمارستانها تجتذبان المتطلعين إلى تعلم صناعة الطب من داخل فارس وخارجها حتى بعد الفتح الاسلامي سنة 17 هـ / 638م . وسوف نكمل سرد تاريخ هذه المدينة في فصل قادم .

الخلاصة :

ترجع مكانة الطب الفارسي في الحضارة الانسانية الى زمن لم يسبق بداية اتصال الفرس بالعلماء اليونانيين في منتصف القرن الرابع ق . م ، أو على أبعد الازمان اثناء اتصالهم القديم بالهنود . وتحمل مدرسة جنديسابور وبيمارستانها فخر تلك المكانة الحضارية بالرغم من أن جل علمائها من النساطرة والهنود واليونانيين لا من الفرس

احد حكمائها ، وكلمة شطرنج (بكسر الشين) فارسية من اصل سنسكريتي . ووصلت اللعبة الى العرب عن طريق الفرس وانتشرت بين الناس والملوك ويقال ان هارون الرشيد أول من لعبها من الخلفاء ، وأنه بعث بقطع اللعبة هدية الى صديقه الملك شارلمان . وتحتفظ المكتبة الاهلية بباريس بواحدة من دمى الشطرنج مصنوعة من العاج هي كل ما تبقى من مجموعة الدمى التي اهداها هارون الرشيد الى شارلمان . وانتشرت اللعبة في أوربا عن طريق الاندلس .

الـوطنيين . كـما لجنديسـابور الفضـل الكبير بـإيصـال العلوم الـطبيـة إلى بغـداد حيث ازدهرت فيها وتوطدت نظرياتهـا بالعمـل والتطبيق لتقـدم للانسـانية مبتكـرات صارت بعدئذ اساساً لكثير من المبادىء الطبية الحديثة .

الطب اليوناني

نبذة تاريخية وجغرافية

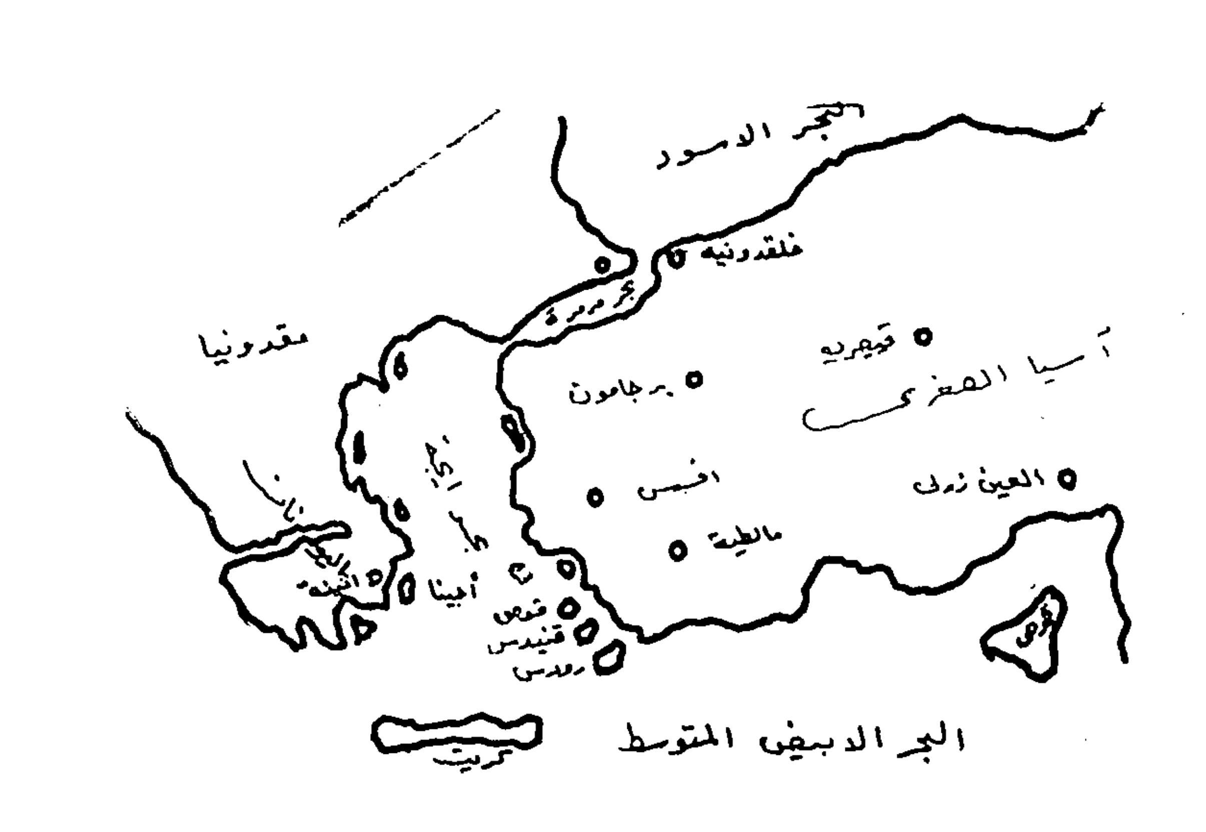
تشمل اليونان القديمة مجموعة جزر بحر ايجة وشبه الجزيرة التي تقع في شمـالها ، ومعـظم غرب ايـونيا (آسيـا الصغرى) ، والجـزر الثلاث ، قـوص وقنيدس ورودس القريبات من شواطىء آسيا الصغرى من طرفها الغربي الجنوبي (انظر الخريطة) .

أما جزيـرة كريت المستـطيلة الشكل التي تفصـل بين جـزر ارخبيل ايجـة والبحر الابيض المتوسط ، فقد استوطنتها أقـوام مينوسيـة (3400 - 2000 ق . م) كانت عـلى اتصــال دائم بسكـان مصر ، ومنهم تعلمــوا الكثـير من الفنــون والعلوم وأسبــاب المدنية[1] . وليس لدينا معلومات موثقـة عن أصل الاقـوام الاولى التي استوطنت بـلاد اليونان ، إلا أن تلك الاقوام (القرن الـرابع عشر ق . م) قـد تركت آثـاراً معماريـة وفنيـة تدل عـلى انهم كانـوا على شيء من الحضـارة . ولم تلبث تلك الاقوام إلا بضعـة قرون حتى غزتها اقوام (اغـريقية) هبـطت عليها من شمـال البلاد وأقـوام اخرى من شرقها واختلطت معها لتنشأ حضارة جديـدة عرفت فيـها بعد بـالحضارة الاغـريقية اي اليونانية[2] ، التي ينتسب إليها اعظم ثلاثة اطباء في الحضارة الإنسانيـة ، هم ابقراط ، وارسـطو ، وجاليـنـوس . ولارتباط الـطب العربي ، بـأفكار هؤلاء النـوابغ الثـلاثـة ،

---

(1) Singer and Underwood-Hist. Medc. P. 8.

(2) المصدر السابق .



اليونان القديمة الى القرن الرابع ق.م

يقتضينا الامر أن نتكلم عن تاريخ الطب اليوناني وأطبائه بقدر من التفصيل .

أوائل الفكر اليوناني

ليس من السهل تحديد زمان ومكان بزوغ الفكر اليوناني الاول ، والارجح ان ذلك لم يكن في اثينة بل في أطراف بعيدة عنها ، كشواطىء آسيا الصغرى وصقلية وسواحل ايطاليا الجنوبية التابعة لليونان . والمعروف ان القسم الشرقي من بلاد اليونان قد اقتبس الكثير من المعرفة من جيرانه سكان ما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من اليونان وجزيرة كريت باعتبار خاص ، فكانت جذور معارفها الاولى مصرية[3] . وقد وقعت الاتصالات فيما بين اليونانيين وجيرانهم المتحضرين في أزمنة سابقة للقرن السادس ق . م ، ثم تدفق الفكر من تلك الامكنة الى اثينة حيث بلغ النضوج فيما بين القرن الخامس والرابع ق . م .

وقبل أن نسترسل في الكلام بهذا الخط ، يجب أن نذكر أن لليونانيين عندئذ اساطير يعتقدون بواقعيتها ، أهمها ما يخص الآلهة وتعددها . وكان أكبر آلهة الطب عندهم هو اوبولو Apollo الذي تخيلوه يعاشر صبية جميلة اسمها كورونس كانت تتردد على الأماكن النضرة والمروج الخضراء وشواطىء الانهار . وكانت هذه الصبية عذراء ، فلما حملت منه خجلت من هذه الفعلة وتركت وليدها لعنزة ترضعه ، وكلب يحرسهما وهربت[4] .

وفي رواية اخرى ان اوبولو تزوج من كورونس ، إلا أنها خانته مع شاب وسيم ، ورآهما الغراب متلبسين بالخطيئة فنقل خبرها الى اوبولو ، فثار هذا وقتل كورونس ، ثم بقر بطنها واستخرج منها ابنه اسقليبيوس [5]، وعلى هذه الاسطورة يعتبر اسقليبيوس أول من ولد عن طريق البطن بالعملية التي تسمى اليوم Post-Mortem Caesarean Section . وترعرع الطفل اسقليبوس بن الاله اوبولو ، وتعلم الفلسفة بإلهام سماوي ، وتعلم الطب بالتجربة ، وصار بعدئذٍ رئيساً لسلالة كبيرة ، من الحكماء والاطباء ، هي التي قومت الحضارة اليونانية في الطب والفلسفة .

---

(3) سارتون ـ تاريخ العلم ج 4/ص 58 و Singer and Underwood, P. 12.

(4) المصدر السابق ، و Singer and Underwood, P.9.

(5) Lund - Greek Medc. p.10.

اسقليبيوس ASCLAPIUS

من مواليد جزيرة قوص . وقيل ان اسمه مشتق من البهاء والنور ، فكان على اسمه ذكي الطبع صافي الذهن صائباً في تقديراته الحكمية والطبية . قال جالينوس ان (طب اسقليبيوس كان طباً إلهياً) وكان يخاطبه في معبده قائلاً : (إني الى ان اسميك ملكاً اقرب منك إلى أن اسميك إنساناً) وقال ابقراط : (إن الله تعالى رفعه إليه في الهواء في عمود من نور)[6] .

ويقول الاخباريون ان اسقليبيوس كان يحمل في تجواله عصا من شجرة الخطمي معوجة ، وذات شعب . ويقول جالينوس ان هذه العصا توحي بشعب المعرفة وتنوع العلوم . وإن شجرة الخطمي معتدلة الطبع في الحر والبرد وكثيرة الفوائد في الطب[7] . كما أدخل الاخباريون في هذه اللوحة الوصفية صورة افعى تلتف حول العصا إشارة الى اليقظة ، وطول السهر ، وحدة البصر عند هذا الحيوان ، وما يجب عليه أن يكون الطبيب الحريص على مرضاه . ثم طورت الصورة بمرور الزمان وحولت شجرة الخطمي الى صولجان مستقيم ليمثل الفن الرصين الذي يتكىء عليه الطبيب الحاذق . وأبقى على الافعى في الصورة تيمناً بطول عمرها وترياق سمها وإشارة الى علم الطب الذي لا يبيد ولا يندثر[8] . وقد ذكرنا فيما سبق ان صورة الافعى كانت عند البابليين والمينوسيين في كريت (قبلَ القرن العاشر ق . م) والهنود ايضاً ، رمزاً للصحة والشفاء[9] .

ولم تصل الينا أعمال مكتوبة تنسب الى اسقليبيوس ، والذي وصل إلينا منه ليس أكثر من أقوال حكمية ونصائح أخلاقية ليس فيها ما له علاقة بصنعة الطب لا من قريب ولا من بعيد مع ان اسقليبيوس كان كبير أطباء قومه وراشدهم وإمامهم دون منازع .

---

(6) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 29 .
(7) المصدر السابق ص 33 .
(8) ابن جلجل ـ طبقات الاطباء ص 12 .
(9) سارتون 216/2 .

وشاع عن اسقليبيوس انه اوصى انجالـه[10] ان لا ينشروا صنـاعتهم الطبيـة بين عامة الناس ممن لا يرقون إلى مستوى نسب الاسقليبيـين خشية أن يسفـوا في استخدام الصنعة ، ويستغلوها لمصالحهم الخاصة دون نفع الناس بها . وربما تفسر وصيته هـذه عدم تأليفه في علم الطب حتى لا يقع هذا العلم بأيدي سائر الناس .

ولما توفي اسقليبيوس أقام له أتباعه معابد رمزية في كثير من مدن اليونان ، يزيـد عددها على بضع مئـات بأسم اسقليبيون Asklepeon [11] ليستشفي بها المـرضى ليلة أو ليلتين ، وينقلوا إلى كاهن المعبد ما يرونه في احلامهم التي ترد فيهـا ـ كما يـزعم كاهن المعبد ـ مؤشرات الى سبب مرضهم وطريقـة علاجـه[12] . وكان المصـريون يستعملون مثـل هـذه المشـافي[13] ، ولا يستبعـد أن يكـون اليـونـانيـون قـد اخـذوا الفكـرة عن المصريين . أو إنها جـاءت تلقائيـة بدافـع الايمان بـروح اسقليبيوس القـادر على شفـاء المرضى ، او بدافع التشبث بالحصول على الراحة والـدواء وتبريكـات الكهان . وكـان من الحكمة والتعقل ان سدنة معابد الاسقليبيين لم يزيـدوا على صلواتهم للمـرضى أكثر من إعطائهم بعض الادوية البسيطة غير الضـارة ، وإنهم لم يكونـوا يلجأون بـأي حال إلى العلاج الجراحي[14] . وفكرة هذه المعـابد عـلى العموم لا تخلو من فـوائد للمـرضى وخصوصاً في حالة الامراض النفسية .

يعتبـر اسقليبيوس في تـاريخ اليـونان من الأثـريات الـرمزيـة . إذ إن بين أيـامه وأقرب علماء اليونانيين الاولين إليه كفيثاغورس مثلاً ما يزيد على الاربعين قرناً ![15] ،

---

(10) ابن ابي أصيبعة ص 31 .

(11) Singer and Underwood, P. 12.

(12) اقرأ عن معابد الاسقليبيين Osklepieon في تأريخ العلم لسـارتون 2/212-219و Lund, P. 10-15 .

(13) سارتون 2/213

(14) المصدر السـابق 2/224-225

(15) اسحق بن حنـين ـ تاريخ الاطباء المنشـور في مجلة Oriens, Vol. 7/1947, P. 55-80 وفيه يـذكـر التسلسل التاريخي بين اسقلبيوس الاول وجالينوس كالاتي :

(1) منذ وفاة اسقليبيوس الاول الى ظهور غوروس 850 سنة .

(2) منذ وفاة غوروس الى ظهور مينس 560 سنة .

(3) منذ وفاة مينس الى ظهور برماتيذس 715 سنة .

وهو تاريخ من الصعب جداً تثبيت حوادثه ، ولـذلك تعتبـر ترجمـة اسقليبيوس بمقـام الاسطوريات الآلهية الاخرى ، وإنه هو ومآثره الكلامية ، وطبابة مقابره الـرمزيـة ، لم تكن إلا بقـدرها من الـظلال والخيال . إلا أنها كـانت في معتقدات اليـونانيـين حقيقة واقعية محصنة لا يمكن أو لا يجوز مناقشتها وتفنيدها . ونذكر هذا التعليق العـابر لنشـير إلى أي مدى خضعت أفكار اليونانيين لتلك العقائد وأمثالهـا في المئات من السنـين التي أعقبت حياة اسقليبيوس .

الاطباء الاسقليبيون وفرقهم في ممارسة الصنعة

كان الوقوف بالصدفة على المعرفة الطبية من حسن حظ الانسـان الاول . فعـالج أمراضه دون أن يفكر باسبابها وخـطورة ما يستعمـل من الادوية لهـا . ويذكـر أن نبي الطب اليونـاني اسقليبيوس كـان أول من تعلم الطب بـالتجربـة الذاتيـة فعلّمه لاولاده ومن يقرب من أسرته ، وأوصى أن يحفظ سر هذه الصناعة إلا لمن ينتسب إليهم ، دون الآخرين من الناس . ومشى ابناؤه وتلامذته في ممارسة الطب على خـطى اسقليبيوس ، فكـان منهم أول مدرسـة طبية أو كـما سماهـا جالينـوس (فرقـة) ، تعمل بـالتجـربـة وحدها .

وكـان من كبار ذريـة اسقليبيوس سبعـة أطباء ، لكـل منهم رأي خـاص بـه في ممارسة الصنعة ، نذكرهم فيما يلي بالتسلسل الزمني .

1 ـ غورس

وهو أول الاطباء الكبار بعد اسقليبيوس . وقد خلف اسقليبيـوس بعد ثمـانمائـة وخمسين سنة ، وعمل هو وتـلامذتـه على طـريق التجربـة ، فكانت مـدرستهم امتداداً لمدرسة اسقليبيوس في ممارسة الصنعة . كما تبع الطريقة نفسها كل من افـلاطون الاول وابقراط الاول .

---

(4) منذ وفاة برمانيدس الى ظهور افلاطون 735 سنة .

(5) منذ وفاة افلاطون الى ظهور اسنقليبوس الثاني 140 سنة .

(6) منذ وفاة اسقليبوس الثاني الى ظهور ابقراط القوصي حوالي 100 سنة .

(7) ومنذ وفاة بقراط الى ظهور جالينوس 665 سنة .

2 ـ مينس

وهو ثاني الاطباء الاسقليبيين الكبار . وقد خلف غـورس بعد خمسمـاية وستـين سنة . وكان رأيه العمل بالقياس ، ونبـذ الدعـوة الى التجربـة لاحتمال الخـطأ والخطر فيها إذا لم يدعمها القياس . فعمل تلامذة مينس بالتجربة والقياس معاً .

3 ـ برمانيدس

وهو ثالث الاطبـاء الاسقليبيين الكبـار . وقد جـاء بعد مينس بسبعمـاية وخمس عشرة سنة . ورأى إن التجـربة وحـدها او مـع القياس خـطر على المـرضى ، فانتحـل القياس وحده . وكان من أشهر تلاميذه ثاسلس وافرن وديوفيلس . ولم يمش من هؤلاء على فكر استاذهم في ممارسـة الصنعة الا ديـوفيلس . ودعا افـرن إلى العمل بـالتجربـة وحدها . أما ثاسلس فقد استحدث مـدرسة خـاصة بـاسمه تعمـل بالحيـل . وقال أن الطب حيلة لشفاء المرضى ، فكان من اتباعه (فرقة الحيل) .

4 ـ افلاطون الاول

وهو الرابع من الاطباء المشهورين السبعة الذين خلفوا اسقليبيوس . وكان بينـه وبين سلفه برمانيدس سبعماية وخمس وثلاثون سنة . وقـد هاجم فـرقة الحيـل وأحرق كتبهم ، وإنتحل القياس والتجربة معاً ، واستحدث تلاميذه الاختصـاصات الـطبية . فاختص منهم ميرونس بالطب ، وثافروس بالجراحة ، وفوراس بعمل الفصد والكلى ، وسـرجيس بأمـراض العين ، وفـانيس لجبر العـظام ورد خلوع المفاصـل ، وفُـورونس بتدبير الابدان .

5 ـ اسقليبيوس الثاني

وهـو خامس الاطبـاء الاسقليبيين الكبـار . خلف افلاطـون بعد مـائة وأربعـين سنة . وأنتحل التجربة والقياس كما فعل افلاطون . ومن أقربائه وتـلامذتـه أبقراط بن ايراقلس .

6 ـ ابقراط

وهو الذي يعرف بإمام الاطباء . ولد ونشأ بجزيرة قـوص واليها ينسب . عمـل

بالتجربة والقياس معاً وثبت قواعدها على أسس علمية . وعمل بهما الاطباء على مدى العصور اليونانية والبيزنطية التالية .

7 ـ جالينوس

هو السابع من الاطباء الاسقليبيين الكبار . خلف ابقراط بعد ستماية وخمس وستين سنة . وسبق الهجرة النبوية بخمسمائة وخمسين سنة تقريباً وبين اسقليبيوس الاول وبينه خمسة آلاف وخمسماية وسنتان .

وقد بحث جالينوس في كتابه (في فرق الطب للمتعلمين) هذا الموضوع وتدارس بتفصيل ما يدعيه كل من الفرق الثلاث . وقال في كتابه بينكس (أي فهرست كتبه) إن كتابه في فرق الطب أول كتاب يحسن أن يبدأ به المقبل على دراسة الطب .

ـ فيثاغورس ومريدوه

اغرم اليونانيون منذ باكورة تحضرهم في البحث عن الحقيقة ، في كل شيء ، وخصوصاً في الحوادث الطبيعية ، كما اغرموا بدراسة الاعداد ومدلولاتها ، واعتبروا فئاتها الرقمية ذات علاقة بنظام الكون وظواهره . وقد برز في أزمان متقاربة ثلاثة مفكرين على هذا النحو ، صارت أعمالهم أساساً لكثير من النظريات والعلوم الطبية التي بحث فيها اطباء اليونان في السنين التالية ، أولئك المفكرون الثلاثة هم :

فيثاغورس الكروتوني Pythegoras (580 - 489ق . م) .

القيمايون Alcamaeon (ح 500ق . م) .

امبا دوقليس Empedocles (493 - 433ق . م) .

ويروى أن فيثاغورس هرب من مسقط رأسه في ساموس (بجنوب ايطاليا) إلى مصر بسبب طغيان الفرس على بلاده . والارجح أنه فعل ذلك وراء العلم . وفي سنة 525 قبل الميلاد هجر مصر الى بابل ، أو ان الفرس اخذوه مع الاسرى اليها حيث بقي مدة تكفي لتعلم علم الحساب ومبادىء الطب . كما تعلم فيها الموسيقى أيضاً . ثم

رجع الى بلاده واستقر في كروتون وأسس فيها مدرسته المشهورة باسمه[16] .

أما ابن فاتك فيقول ان فيثاغورس من أهل صور ، وأنه كان عالماً محباً للاسفار . ساح في ديار بابل والشام واتصل باتباع سليمان بن داود ، وأخذ عنهم بعض الحكم والافكار الفلسفية . كما دخل مصر وخالط علماء عين شمس[17] ، وتبادل معهم الآراء والمعارف . وفي مصر نضجت لديه فكرة مكنة الحواس ، وتوازن الكائنات ، وعلاقة ذلك بالاعداد التي افترضها تتحكم بعلل الاقدار والحوادث[18] . ولم يصل إلينا شيء من أعمال فيثاغورس المكتوبة (إن كانت له مؤلفات) ، إلا أن افكاره الفلسفية والعلمية قد تناقلها اتباعه ومريدوه وأثرت في كثير من أفكار علماء اليونان الخلف امثال ابقراط وارسطو[19] ، كما سنرى .

وكان من اقوى دعاة فلسفة فيثاغورس تلاميذ امبادوقلس الذين اعتقدوا أن لكل رقم عددي مجالاً للعمل في أفلاك الدنيا ومقدرات الانسان . واحترموا بعض تلك الارقام ، كالرقم (4) الذي كان في نظرهم وحدة عددية خلاقة ، فكانت منه الخصائص الطبيعية الاربع : الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ، والعناصر الطبيعية الاربعة : الماء والهواء والتراب والنار[20] ، التي يتكون منها الكون وما فيه من حيوان ونبات وجماد . والامزجة الاربعة ، والاخلاط الاربعة وغيرها . كما قالوا ان الانسجام بين عناصر الجسم الاربعة هو الذي يقوّم الصحة ، وان الاختلاف فيما بينها يؤدي الى

---

(16) سارتون 417-415/1 وCarrison, P. 88.

(17) عين شمس ـ اسمها باليوناني هليوبولس . كانت احدى مدن الفراعنة المهمة في القرن الرابع ق . م وهي جزء من القاهرة اليوم .

(18) Carrison, P. 88.

(19) Ibid

(20) العناصر الطبيعية الاربعة او الاسطقسات هي الهواء والماء والتراب والنار كانت معروفة قبل الحضارة اليونانية ، ادعى بمعرفتها الهنود القدماء ، والمصريون ، والصينيون . كما ادعى المكسيكيون القدماء بتبعيتها لافكارهم وكان يرمز الى الهواء باللون الابيض ، والى الماء باللون الأزرق ، وإلى التراب باللون الارجواني ، وإلى النار باللون القرمزي . ولا يعرف على وجه التحقيق أول من فكر بوضع مفهوم العناصر الطبيعية الاربعة وألوانها الرمزية Campbell -Arab. Medc. 1/114)

حصول المرض ، وهذا التأويل هو أول بوادر نظرية الاخلاط التي نسبت فيها بعد الى ابقراط (460 - 370 ق . م) ، وطورها جالينوس (القرن الثاني ب . م) وتبناها من بعد ذلك أعلام الطب العربي . كما أشار القيمايون إلى تأثير البيئة والمناخ والغذاء في عناصر الجسم واخلاطه وبالتالي في سبب امراضه . كذلك كان القيمايون أول من قال ان الدماغ مركز التفكير والاحساس[21] ، وربما كان أول من مارس التشريح على الحيوان ، واكتشف العصب البصري .

ـ سقراط . افلاطون . ابقراط . ارسطو .

وأعقب العلماء الثلاثة الذين ذكرناهم ، فيلسوفان وطبيبان من سلالة اسقليبيوس هم : سقراط الذي أعدمه حكام أثينا في حوالي سنة 399 ق . م بتهمة إفساد عقول الشباب الاثيني ، وتلميذه وكاتب حياته افلاطون Platon المتوفى سنة 347 ق . م . وربما يهمنا أن نعرف ان ام سقراط كانت تمتهن القبالة ، وكانت لها منزلة محترمة بين عوائل اثينة الراقية[22] .

أما الطبيبان الاسقليبيان فهما ابقراط القوصي (460 - 375 ق . م) وهو أعظم اطباء ذلك العصر ، ومؤسس النهج العلمي في الطب ، وواضع القسم المعروف باسمه الذي ما زال يتعالى من أفواه الالوف من خريجي كليات الطب في كل عام . أما العالم الثاني في العلوم الطبية فهو ارسطوطاليس أو ارسطو اختصاراً ، الذي جمع بين الفلسفة والعلوم الطبيعية وحظيت فلسفته بإهتمام العرب بقدر ما حظي ابقراط بطبه منهم .

ولم يكن من حسن حظ الانسان أن يولد هؤلاء العباقرة الاربعة في قطر واحد ، ويعيشوا في أزمان متقاربة ، إلا أنهم مع ذلك تركوا للانسانية ذخيرة علمية لم تنضب مادتها ولا بطلت مفاهيمها إلى هذا اليوم .

لقد عاش العلماء الاربعة الذين ذكرناهم أكثر اعمارهم في اثينة وفيها وضعوا جل أعمالهم الفكرية ، لذا يكون من المفيد أن نقول كلمة عن هذه المدينة العتيدة

---

(21) Singer- anatomy of Greek, P. 9, Lund. P. 27.

(22) Segerist-Hist. of Medc. 2/232.

لنعرف البيئة التي نشأ فيها أولئك العلماء الافذاذ وتأثيرها فيهم . وربما تكون من زيادة الفائدة وحسن التسلسل أن نقول قبل ذلك كلمة عن جزيرتي قوص وقنيدس حيث ولد ونشأ في الاولى ابقراط ابو الطب اليوناني ، وولد ونشأ في الجزيرة الثانية أكابر الاطباء ، والمهندسين والفنانين الذين شاركوا في بناء الحضارة في بلاد اليونان ، وزينوها بلمسات أصابعهم السحرية في التصوير والنحت .

- قوصCos وقنيدس Cnedus

جزيرتان صغيرتان لا تبعدان كثيراً عن شواطىء آسيا الصغرى من أطرافها الغربية الجنوبية ، وتقعان على ممر السفن التي تبحر من بلاد اليونان أو ترجع اليها من جزيرة قبرص وفينيقيا ومصر وقرطاجة في تونس . واشتهرت الجزيرتان في تاريخ الحضارة اليونانية لوجود اقدم مدارس الطب اليونانية فيها ، ولوجود معابد السقليبيون الاستشفائية والكثير من الأعمال الفنية الرائعة في الرسم والنحت وأصبحت الجزيرتان قبلة الفنانين والشعراء والاطباء .

ولا يعرف على وجه التحقيق متى انشئت مدرستا الطب في الجزيرتين المذكورتين وقد يكون ذلك في القرن التاسع ق . م كما لا يعرف كيف كانت نهايتهما . ويحتمل أن يكون ذلك بعد افتتاح مدرسة الاسكندرية من قبل البطالسة سنة 320 ق . م . والشائع ان مدرسة قنيدس أنشئت قبل مدرسة قوص ، وإنها اشتهرت في الطب بتدريس العلامات والاعراض المرضية بشكل عام وهو الموضوع الذي تخصص له باثولوجية البدن عامة ، بينما اشتهرت قوص بتدريس العلامات والاعراض التي تخص كل واحد من الامراض ، على اعتبار إن هذا الفرع من علم الامراض هو المدخل والانفع لتشخيص الحالات المرضيّة[23] ، وصارت بسبب هذا الاختلاف في مناهج التدريس منافسة علمية قوية بين المدرستين لا شك ساعدت على ازدهارهما في مجالي البحث والتطبيق في العلوم الطبية . كما عرفت مدرسة قنيدس باشتغالها بموضوع الامراض النسائية[24] . وكان من أطبائها المشهورين إثنان هما : اوريفون Euryphon

(23) سارتون 222/2 .

(24) المصدر السابق 22/2-223 .

وستسياس Cte. ias ويعتبر اوريفون أول من قال ان الشرايين مملوءة بالدم كما هي الحال في الاوردة . وهو رأي يخالف المعتقد الشائع يومئذ بأنها مملوءة بالهواء . واريفون طبيب مولد وجراح نسائي أكثر مما هو ممارس عام ، وتنسب إليه طريقة استخلاص المشيمة (المحتبسة) في الرحم بربط المريضة على سلم وتحريكها بالهز ، ومعالجة سقوط الرحم بنفس الطريقة ولكن بقلب السلم بعد ربط المريضة عليه ليكون رأسها إلى اسفل وقدماها إلى اعلى[25] . كما ينسب اليه تشخيص وجود الحبل بتبخير المهبل ، فإذا صعدت رائحة البخور الى أنف المريضة دل ذلك على ان المريضة حامل ، وقد ورد ذكر هذه الطريقة في كتاب : امراض النساء لابقراط . والارجح ان هذا المؤلف قد اخذ الفكرة عن اوريفون . وقيل أيضاً ان اوريفون كان يداوي حالات الاستسقاء بالضرب على المريض بمثانة حيوان منفوخة بالهواء[26] .

أما ستسياس فقد ذكرناه عند الكلام عن الطب الفارسي وكان قد عاش في فارس بخدمة ملوكها نحواً من سبع عشرة سنة . وله كتابان في طبابة العظام .

ومما يزيد في الجمال الطبيعي بجزيرة قنيدس تمثال افروديت ، حيث يلتقي عند قاعدته كبار الشعراء والمغنين . أما جزيرة قوص فتزينها صورة افروديت وهي خارجة مبتلة من ماء البحر ، نقشتها ريشة الرسام المبدع ابلس Apples (ـ 306ق . م) . ويكفي جزيرة قوص مجداً انها ستبقى تذكر بعد اسم ابقراط ما بقي هذا الطبيب العظيم يذكر في التاريخ ، وهو من الخالدين .

مدينة اثينة

ستتكلم عن اثينة في القرن الرابع ق . م وهو القرن الذي ازدهرت فيه العلوم الطبية ولمعت اسماء من الاطباء الافذاذ امثال ابقراط وارسطو ، اللذين امتدت اشعاعاتها الفكرية إلى أبعد اطراف الدنيا يومذاك ، حتى سمي ذلك العصر بحق العصر الذهبي في الطب اليوناني . كما كان ذلك العصر بداية تحول الفلاسفة من دراسة الطبيعة إلى دراسة الإنسان . وهو إنتقال فكري مبتكر أثار زوبعة من المناقشات

---

(25) Lund, P. 35. Doctors, Devils and Drugs.

(26) المصدر السابق . ص 36 .

والتحاجج قبل أن تستقر الآراء على الاهتمام بمعرفة طبائع الانسان وأمراضه . وهكذا كانت اثينة في القرن الرابع تعج بالعلماء ومدارس التعليم وكثرة الافكار العلمية وطلاب المعرفة . من جهة ثانية كانت اثينة بنفس الوقت مدينة عسكرية تضطرها الدول القوية المجاورة لها كمقدونيا[27] واسبرتا[28] ، وفارس من الشرق ، أن تكون على أهبة الاستعداد لتحارب من يعتدي عليها من هذه الدول . ولذا لم يكن المواطن الاثيني ، ولا حكومته ، يقيمان إعتباراً لمن لا يكون من مواطنيها كفؤاً لان يدافع عن اثينة ، ولا يترددان من التخلص من الطفل المقعد ، أو من لا يتوسم فيه القوة واللياقة البدنية في الكبر[29] . وربما كان الاطباء هم الذين يقومون بابادة هذه النوعية من الاطفال بطلب من ذويهم أو بتوجيه من الدولة . وأشار كل من ارسطو وافلاطون إلى فكرة تنظيم الاسرة وتحديد كمها من العيال حتى لو كان ذلك بواسطة التطريح[30] ، لكي يحصر الابوان عنايتها على عدد صغير من الاطفال يمكن أن يصيروا بزيادة الاهتمام ، صالحين للحياة العسكرية أو الحياة البطولية بشكل من أشكالها الكثيرة . كما رأى افلاطون ان على المرأة إذا ما عاشرت الرجل بعد الاربعين من عمرها أن تتجنب وقائع الولادة[31] . ويفهم من هذا الرأي أن افلاطون كان يوصي إذا ما وقع الحبل بإسقاط الجنين قبل أن تكتمل حياته الرحمية . وكان من رأي أرسطو أن تتم عملية التطريح قبل أن تدب الحياة في الجنين ويتكون فيه الحس[32] .

ومما يذكر عن الحياة الاجتماعية في إثينة ايضاً ان الانتحار بالسم لم يكن نادر

---

(27) مقدونيا ـ اقليم في شمال شبه جزيرة اليونان . خضعت لحكم الفرس ما يقارب الخمسمائة سنة . فلما حكمها فيليب الثاني المقدوني 359-336 ق . م) استولى على بلاد اليونان عموماً ، واورث الملوكية الى ابنه الاسكندر المقدوني المعروف بالاسكندر الكبير الذي طرد الفرس من اليونان نهائياً ، ولاحقهم حتى أعماق بلادهم .

(28) اسبارطة ـ مدينة في شمال اليونان ، اسسها الدوريون ، وحاربت اثينة وانتصرت عليها (431-404 ق . م) . ثم تدهورت بعد ان استولى عليها فيليب الثاني المقدوني .

(29) Segerist 2/230 .

(30) المصدر السابق 231/2 .

(31) المصدر السابق .

(32) المصدر السابق 230/2-232

الحدوث وأنه كان يتم بعلم الحكومة[33] . ويجيء الى البال ان الاطباء هم أقدر الناس في تحضير السموم القاتلة . ومن اختصاصهم أن يحضروا عملية تجرع السم ووفاة المنتحر . وربما كان إنتشار عمليتي التطريح والانتحار باستعمال السموم في اثينة هو الذي دفع عقلاء القوم أمثال الفيثاغورسيين وابقراط وتلاميذه وبنيه ، ان يناشدوا الاطباء الكف عن إجراء العمليتين المذكورتين . ثم ادخل مضمون هذه الدعوة في القسم الطبي المعروف بعهد ابقراط .

(33) المصدر السابق 231/2 .

الاطباء اليونانيون

نقصد بهذا العنوان الاطباء الذين عاشوا في الاقطار اليونانية فيما بين القرن الرابع ق . م ، واستيلاء الرومان على تلك الاقطار سنة 30 ق . م . وكان أبرز الاطباء الذين عاشوا في بداية الحقبة المذكورة هما ابقراط وأرسطو . وسوف نتكلم عنهما بتفصيل لوفرة معلوماتنا عن أعمالهم في الطب ، وكثرة ما وصل منها إلى العرب فتأثروا به ، وتبنوه في ممارسة الصنعة ، والتأليف فيها .

لما تمزقت امبراطورية الاسكندر بعد وفاته ، هاجر بعض علماء اثينة الى انطاكيا التي صارت من حصة القائد سلوقس ، وهاجرت الاكثرية إلى الاسكندرية التي آلت إلى بطليموس . أما الاقلية من علماء اثينة فقد مكثوا في المدينة التي صارت من حصة انتيجينوس . وتعتبر هذه المدن ودولها الثلاث بلون واحد من الثقافة اليونانية مع فوارق في درجاتها .

وكان ابرز اطباء القرنين اللذين سبقا غروب الدول اليونانية الثلاث هما هيروفلس وايراستراتوس في الاسكندرية . وسوف نتكلم عنهما في موضوع الطب بتلك المدينة . أما الاطباء اليونانيون الذين عاشوا في كنف الدولة الرومانية كروفس وسورانس وديوسقريدس وجالينوس فستتكلم عنهم تحت عناوين دولتهم في فصول قادمة .

ابقراط[1]

HIPPOCRATES

ابقراط ، اشهر شخصية في تاريخ الطب منـذ بدايـة الخليقة التي عـرفناهـا حتى هذا اليوم . ولد قبل الاسلام بما يزيد على العشرة قرون ، ومع ذلك فإن اسمه ومركزه العظيم في الطب ، وآراءه العلمية فيه قد التصقت بالطب العربي منذ نشأته حتى افولـه في القرن الثالث عشر الميلادي .

ولد ابقراط بجـزيرة قـوص من أسرة يصعـد نسبها الى اسقليبيـوس نبي الاطباء

---

(1) اقرأ عن ابقراط في الفهرست لابن النديم ص 287 . وصوان الحكمة (المنتخب) للسجستاني ص 78-74 . وطبقات الاطباء لابن جلجـل ص 16 . ومختصر الدول لابن العبـري ص 85-86 وعيون الانبـاء لابن ابي أصيبعة ص 43-56 . ونـزهة الارواح للشهـرزوري 1/ص 217-2.7 مختار الحكم للمبشر بن فاتك ص 44-49 . وتاريخ الحكـماء للقفطي ص 90-94 ويـذكره بـاسم بقراط وتقـراط ايضـاً . وتـاريـخ العلم لسـارتـون ج 2/ص 225-320 . دائـرة المعـارف الاسـلاميـة (شعب) 7/450-452 .

Lund-Greek Medicine, P. 20-26.

Segerist-History Of Medicine 2/260-291.

Lloyed- Hippocratic Writing.

Ullmann-Mediz. Islam, p.25 - 34.

Robinson-Story of Medicine, P. 45-60.

Sezgin-Gas, 3/23-28.

Singer and Underwood-Hist. Midicine, P. 27-41.

Chadwick and Mann - The Medical Work of Hippocrates p. 1 -7.

اليـونانيـين ، وهو الحفيـد الثامن عشر في تسلسـل ذريته ، والاول مـرتبة من اطبـائهـا العظام . وكان أبوه ايراقليدس طبيباً ، وجـده ابقراط طبيبـاً أيضاً . فتعلم الـطب على أبيـه وعلى طبيب آخـر اسمه هيـروديقس Herodecus ، كما درس في المـدرسة الـطبيـة بقوص على طبيب اسمه ديموقريطس ، ثم ارتحل الى داخل اليـونان وسـاح طويـلاً فيها حتى استقر في اثينة . وهناك في عمر الاربعين أكمل كتابة أكثر مؤلفاته العلمية المنسوبة إليه . وكان لـه ولدان همـا : تاسلس Thessalos ودراقن Dracon تعلما عليـه الطب ، وأعقب كل منهما ولداً سمياه أبقراط أيضاً . وله أيضاً ابنة اسمها مالانارسـا ، قيل أنها أجادت ممارسة الطب كأخويها أو أكثر .

وأبقـراط أول من نادى بعـزل الطب عن السحـر والدين ، ووضـع لـه قـواعـد وأسساً تعتمد على الملموس والمعقول لا الحدس والخيال . وأول من اتخذ مكـاناً خـاصاً يدخل إليه المرضى للمعالجة ، وكـان المكان في بستـانه المجـاور لبيته ، فكـان هذا أول مستشفى نمطي عرف في تاريخ الطب . وسمي المكان باليونانية اخسندوكين أي مكـان المرضى[2] أو مأوى الغرباء .

وكـان الاسقليبيون يعملون بـوصية اسقليبيـوس فلا يعلمـون الطب إلا لمن يمت اليهم بنسب . وبقي الطب بحسب هذه الـوصية حصـراً على هـذه الاسرة تتنـاقله فيما بينها بالتعليم الشفاهي ، فلا يكتبـونه حتى لا يـطلع عليه أحـد من غير الاسـرة . قال عنهم ابن رضوان المصري[3] : (وما يحتاجون الى تدوينه في الكتب دونوه بلغـز حتى لا يفهمه أحد سواهم . فيفسر ذلك الاب لـلابن . فلما رأى أبقراط اختـلاف أهل هـذا البيت خشي أن يؤدي ذلك إلى تدهور صناعة الطب فعلمه الى واحد من تلاميذه[4] من غـير الاسقليبيـين بـالاضـافـة الى ابنيـه تـاسلس Thessalos ودراقن Dracon وصهـره بوليبوس Polypos القوصي لينشروا علوم هذه الصنعة بين الناس وينتفعوا بها . وبذلك

---

(2) ابن ابي اصيبعة ص 47 .

(3) ابن رضوان المصري : طبيب من مواليد الجيزة بالقاهرة مارس التنجيم والطب وكتب في المحكمة وخدم الخليفة الحاكم بأمر الله . توفي سنة 461 هـ / 1068م .

(4) ابن ابي أصيبعة ص 32 عن كتاب النافع في تعلم صناعة الطب لابن رضوان (مخطوط) .

يكون أبقراط أول من كسر الطوق عن العلوم الطبية ، وكشف للناس عن أسرارها التي كان لا يعرفها غير الاسقليبيين . فأباح تعلمها للناس عموماً . وهذا تصرف العالم الحق ، فقد عرف عن أبقراط شغفه باقتناء المعرفة كما عرف عنه ميله الى إعطائها إلى الناس[5] .

شخصية ابقراط

تصف الكتب ابقراط على (أنه كبير الرأس ، ربعة القوام ، أشهل العينين ، غليظ العظام ، منحني الظهر ، بطيء الحركة ، كثير الاطراق وكثير الصوم وقليل الاكل)[6] ويقول ابن أبي اصيبعة : (لم يكن لابقراط في مدة حياته وطول بقائه إلا النظر في صناعة الطب وإيجاد قوانينها ، ومداواة المرضى وإيصال الراحة إليهم ، وإنقاذهم من عللهم وأمراضهم)[7] . ويقول جالينوس : (لم يكن لابقراط رغبة في خدمة أحد من الملوك لطلب الغنى ، ولا في زيادة مال يفضل عن احتياجه الضروري)[8] . ويروي ابن أبي اصيبعة (العيون ص 46 - 47) ان اردشير ملك العجم (465 - 425 ق . م) طلب من ملك اليونان أن يوفد ابقراط لمكافحة وباء اجتاح بلاده مقابل مهادنة عن الحرب لمدة سبع سنوات ، ومائة قنطار من الذهب هدية إلى أبقراط . إلا أن ابقراط رفض الخروج من بلاده قائلاً : (لست أبدل الفضيلة بمال) . وإياً كانت حقيقة الارقام في هذا الخبر ، فإن ما فيه يكفي أن يشير الى زهد ابقراط بالمال وترفعه عن الخضوع للملوك والاغراءات المادية . هذا وإلى جانب علمه الغزير بالطب وفلسفته الحكيمة في الحياة كان متواضعاً لا يحب الادعاء ، قال عن ذاته : (ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنني لست بعالم)[9] أما فلسفته في

---

(5) المصدر السابق ص 32 .

(6) المصدر السابق ص 33 .

(7) المصدر السابق والصفحة .

(8) المصدر السابق .

(9) هذه الفقرة وكل ما يرد بين قوسين في هذا الفصل منقول عن ابن ابي اصيبعة ـ العيون ص 49-50 .

Temkin - ahciemt Medicine, Baltimore, 1967, p. 228.

التطبيق فتعتمد على معاونة الطبيعة على قهر المرض ، وكان يحذر من الانقياد إلى الشهوات ، إذ هي مصدر الامراض ، فقال : (أمهات لذات الدنيا أربع : لذة الطعام ، لذة الشراب ، ولذة الجماع ، ولذة السماع . فاللذات الثلاث لا يتوصل إليها ولا إلى شيء منها الا بتعب ومشقة ، ولها مضار اذا استكثر منها ، ولذة السماع قلت أو كثرت صافية من التعب ، خالصة من النصب) . وفي الجماع سئل في كم للانسان ان يجامع ؟ قال في كل سنة مرة . قيل له وإن لم يقدر ؟ قال : في كل شهر مرة . وقيل له فان لم يقدر ؟ قال : في كل أسبوع مرة . قيل له فإن لم يقدر ؟ قال : هي روحه اي وقت شاء يخرجها ! وقال أيضاً : ان المجامع يقتدح من ماء الحياة .

وقال ابقراط في الطعام : (الإقلال من الغذاء الضار خير من الإكثار من النافع) وكان يعتقد (ان الامراض والادوية والمرضى من طبيعة واحدة ، هي المكان الذي تقع فيه هذه الفئات الثلاث . فأوصى ان يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه) ، إذ أنها منبع العلل ودواؤها .

ومبدأ ابقراط في العلاج معرفة سبب المرض أولاً ، وجعل ذلك مفتاح السر لتحقيق شفاء المريض وقال : (كل مرض معروف السبب موجود له الشفاء) . واعتمد في تشخيص الامراض ومعالجتها على (القياس والتجربة) فيصيب النجاح ويخطىء تبعاً لمعرفته طبيعة المرض والمريض أو عدم معرفته بهما . فقال (التخلص من الامراض الصعبة صناعة كبيرة) ، وجعل للمريض دوراً مهماً في شفائه يقابل دور الطبيب في المعالجة . دخل عليه عليل فقال له : (أنا والعلة وأنت ثلاثة . فان اعنتني عليها بالقبول مني لما تسمع صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها ، والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه) .

لقد كان ابقراط طبيباً مثالياً في هيئته وتصرفاته مع المرضى ومع الناس ، وفي ولعه بتعلم ونشر المعرفة ، وثاقب رأيه في الطب . وقد اعتبر بحق رمز الطب اليوناني بأجمعه ، وواضع اسسه العلمية . وهو وحده يكفي ان يوسم عصره والقرون الثلاثة التي اعقبته بعصر النهضة الطبية الزاهر .

توفي ابقراط في حوالي سنة 375 ق . م متأثراً بالفالج ، ودفن في لارسا . وكان

عمره يناهز الخامسة والثمانين وهو عمر يكفي للإلمام بالمعرفة الواسعة والتجارب الكثيرة ، وقد حصل عليها فعلاً .

قسم ابقراط

لما أباح ابقراط تعلم الطب لعامة الناس حرص بنفس الوقت على أن لا يسيء أحد من المتعلمين لهذه الصنعة ، ويستغل إمكاناتها لابتزاز اموال المرضى والاساءة اليهم بشكل من الأشكال ، فوضع على من يريد تعلمها عهداً يأخذه عليهم أن يفوا بالاخلاص الى الصنعة ، ويحترموا أهدافها . وفيما يلي بعض من أجزاء ذلك العهد[10] .

(اقسم بالإله ابولو ، وأمام كل الآلهة والآلهات كشهود على ما أقول : على انني سأفي ببنود هذا القسم ، وسأنظر الى من علمني هذه الصنعة وكأنه احد والدي ، وسأشاركه فيما أملك وأسد حاجياته ، وأرعى أولاده كما ارعى أولادي ، واعلمهم صناعتي إن رغبوا فيها دون عوض . وسوف لا اعمل شيئاً يضر المرضى ، ولا اعطيهم دواء قتالاً ، ولا اعطي المرأة دواء مجهضاً ، ولا اشق عمن في مثانته حجر ، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل . . . وادخل البيوت لمنفعة المرضى . واحفظ سر كل ما اسمعه وأراه فيها) .

وقد وردت في بعض التراثيات اليونانية والعربية أقسام من صيغ مختلفة للقسم ، إلا أنها جميعاً تهدف الى ضرورة تمسك الطبيب بالاخلاق السامية ، والاخلاص للمهنة وللمرضى التي تتطلبها صناعة الطب الشريفة .

---

(10) وردت نصوص متعددة ومختلفة من قسم ابقراط ، فرضت تنوعها ظروف خاصة في زمان ومكان اداء القسم ، إلا أنها عموماً واحدة من حيث المبادىء المسلكية والاخلاقية في مزاولة الطب . اقرأ عنها في العيون لابن ابي أصيبعة ص 45 . وفي كتاب السلوك المهني للاطباء للدكتور راجي التكريتي ص 103-111 .

Clendening-Sourse of Medical History P. 67-68.

Eldelson- antient Medicine, P. 3-65.

Robinson-Story of Medicine, P. 54-55.

Lloyod Hippocratic Writing.

ويعتقد بعض الباحثين ان جزءاً من قسم ابقراط بصيغته التي وصلت إلينا قد أضيف الى نصه الاول[11] بعد موت ابقراط ، وان جزءاً آخر منه أو على الاقل مآل هذا الجزء هو من أفكار مدرسة فيثاغورس ، أو من أفكار فيثاغورس نفسه المتوفى قبل ولادة ابقراط بما يقرب من المائة عام[12] . وليس في الزيادة المزعومة بأية حال ، تشكيك في تبعية جوهر القسم وهدفه الى ابقراط . وأهم من ذلك أن نذكر أن ابقراط وضع قسمه على طالبي العلم الاحداث في بداية انتمائهم الى مدارس الطب لا بعد تخرجهم فيها كما يقام القسم بالوقت الحاضر . ولا بد ان ابقراط قد ارتأى ان المتخرج في هذه الصنعة اذا تمرد على تقاليدها بعد اداء القسم فلا خلاص له من الاثم على جحوده والكفر بآلهته .

والسر الاعظم في قسم ابقراط هو ان مضامينه الشكلية والجوهرية قد قبلت من عموم مدارس الطب منذ وضع القسم قبل ما يزيد على اثنين وعشرين قرناً وإلى هذا اليوم . ويبدو أنه سيبقى من خوالد الامور في حياة الانسان المتحضر . وسوف نرى حين نوغل في الكلام عن الطب العربي الى أي مدى بعيد تمسك الاطباء العرب بتعاليم ابقراط في ممارسة المهنة ، فلا يخلو كتاب من مؤلفاتهم الضخمة من الاشارة الى قسم ابقراط ، وروحية المبادىء النبيلة الواردة فيه ، وحث الممارسين على اتباعها والعمل بموجبها .

صفات الطبيب بنظر ابقراط

من فرط شغف ابقراط بمهنة الطب وتقديسه لها ، وشدة مناه في ان يكون الطبيب ذا خبر ومخبر متميزين عن سوية الناس ، صار يتخيله على قدر كبير من الشخصية و(حراً في جنسه وجيداً في طبعه ، حديث السن ، معتدل القامة ، جيد الفهم متناسب الاعضاء ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محب للفضة ، ومالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون بليداً . ويكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه ، محتملاً الشتيمة منه . وأن يكون حلق رأسه معتدلاً

---

(11) Carrison-Introd. Hist. Medc. P. 96.

(12) المصدر السابق .

مستوياً ، ولا يستقصي قصر اظافر يديه ، ولا يتركها تعلو على اطراف اصابعه . وأن تكون ثيابه بيضاء نقية . ولا يكون في مشيته مستعجلاً ، ولا متباطئاً)[13] . وأبقراط نفسه وهو في ذروة مركزه الطبي لم يكن إلا شيخاً طاعناً في السن وقد بطئت حركته وانحنى ظهره . أما في حقيقة أمره فكان طبيباً مثالياً حقاً : (هادئاً ، ومؤثراً ، وقوي الملاحظة ، وجدياً ، وحذراً ، وشغوفاً بالحصول على المعرفة وشغوفاً باعطائها)[14] .

العصر الابقراطي ومؤلفات ابقراط

ليس من السهل تحديد الميدان الزمني للطب اليوناني ، وعلى عكسه نعرف ان ميدانه الجغرافي قد امتد إلى ديار ما بين النهرين وفارس وآسيا الصغرى وسوريا ومصر وشمال أفريقيا . بالاضافة الى قبرص وسواحل إيطاليا وجزيرة صقلية . فتعلمت شعوب تلك البلاد اللغة اليونانية كما تعلمت علوم اليونان وفنونها ومنها صناعة الطب . وبقيت الثقافة اليونانية هي الثقافة السائدة في الفكر حتى بعد أن انتقلت ملكية تلك البلاد إلى الرومان عام 30 ق . م إلا أن الحقبة فيما بين ظهور ابقراط وعلى مدى القرنين التي أعقبت وفاته كانت ذات طابع طبي خاص قريب جداً من طابع طب ابقراط . ولذا اصطلح عليه مؤرخو الطب اليوناني اسم العصر الابقراطي .

وسوف نستعمل هذا المصطلح بالمعنى المذكور حين نتكلم فيما يلي عن مؤلفات ابقراط . كما إن المصطلح يحل لنا مشكلة الكتب المنسوبة إلى ابقراط على غير يقين ، فهي كتب ابقراطية العصر إلا أنها ليست لابقراط بالتأكيد .

ويعتقد أكثر مؤرخي ابقراط أن كتبه الصحيحة التابعة له لا المنحولة عليه ، لا تزيد على الثلاثين كتاباً من مجموع ما ينسب اليه الذي يتجاوز ضعف هذا العدد . كما يقال ان ليس هناك دليل قاطع على ان أياً من كتبه ، هو من صنعه بالتأكيد[15] . وقسم منها ككتاب القلب مثلاً فإنه واضح كل الوضوح من مضامينه العلمية قد كتب في أيام

---

(13) ابن أبي أصيبعة ص 46-47 .

(14) المصدر السابق ص 49-50 و Carrison. P. 99

(15) Chadwick and Mann - Medic. Work of Hippocrates. p.9

ايراستراتوس بالاسكندرية ، أو بعدها بقليل ، اي أنه كتب بعد ابقراط بما لا يقل عن القـرن . على أن الكثـير من الكتب المنسوبـة إليه تنـاظره أمـا في اسلوب كتابتهـا أو في جوهر محتواها مع اسلوبه او مع آرائه في الطب . والمظنون أن تلك الكتب المشكوك في تبعيتها إليه قد كتبها واحد من ولديه ، أو واحد من حفيـديه ، أو كتبهـا جده ، وكـل من هؤلاء يحمـل اسم ابقـراط . فـأي منهـا هـو ابقـراط المقصـود الـذي وضـع هـذه المؤلفـات ؟ وهذا هـو نفس التساؤل الـذي حاجـج به ثـابت بن قرة في مـوضوع كتب ابقراط (القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 100) قائـلاً : هناك اربعـة اطباء بـاسم ابقراط فأي منهم صاحب الكتاب الذي يحمـل هذا الاسم ؟ واغلب الـظن ان ابن قرة قصـد بـالاطباء الاربعـة ، ابقراط الجـد الاكبر ، وابقـراط محور هـذا الكلام ، وابقـراط بن تـاسلس بن ابقراط ، وابقـراط بن دراقن بن ابقراط . وأكـثر الاحتمـال أن أكـثر تلك الكتب قـد وضعت في العصر الابقراطي ، فهي ابقـراطية العصر لا من عمـل ابقراط بالضرورة . ولجالينوس كتاب بعنوان (كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة) حاول فيه أن يميز بين الكتب التي هي من عمله ، والمنحولة عليه ، إلا أنـه لم يوفق إلى ذلـك كل التوفيق .

وهناك إشاعة ، نذكرها لغرابتها لا لاحتمال الصدق فيها . فقد قيـل ان ابقراط احرق مكتبة قنيـدس لانه إنتحـل لنفسه الكثـير من كتبها التي وضعهـا علماء سبقوه في التأليف لكي لا يعرف أحـد ان كتبه ليست من صنعـه أو من مبتكراتـه . ولا شك ان هذه كذبة كبيرة ، لا يصـدق فيها الا احتمـال أن يكون ابقـراط قد أخـذ عن الافكار الطبية التي قـرأها في تلك الكتب ، وليس أكـثر من ذلك . فهـو أمر علمي من صلب الحركات الحضارية التي لا يعاب عليها المتعلم . وفيما يلي اشهـر الكتب المعروفـة باسم أبقراط[16] .

---

(16) قـائمة كتب ابقـراط في الفهرست ص 288 ، وابن أصيبعـة ص 53-57 ، سـارتـون 284/2 وابن القفطي ص 94 والموجود من كتبه في المكتبات العالمية هي بالترجمة العربية لا بصيغتهـا اليونـانية :

SEZGIN,3/28 - 29

Ullmann - Mediz. Islam. 27 - 34.

1 ـ كتاب الفصول Aphorisms

وهـذا الكتـاب اشهـر مؤلفـات ابقـراط ، وأغنـاهـا بـالمعلومـات البـاثـولـوجيـة والسريريـة ، اخذ عنـه سورانس وروفس وجـالينوس واوربـاسيوس وايتـوس الآمدي وبولس الاجيني . وكان الكتاب الاول ان لم يكن الوحيـد في اسبانيـا وفي تونس عنـد دخول المسلمين إليهما . كما إهتم به الاطباء العرب وترجموه الى العربية وأخذوا عنـه في مؤلفاتهم الكثيرة .

وفصـول ابقراط مجمـوعة من التعليمـات الطبيـة في التشخيص والعلاج ، تفيـد الاطباء كما تفيد غير الاطباء على السواء . ولسعة الكتاب ، وتنوع أبـوابه ، واختـلاف الاساليب في كتابته ، يظن بعض المحققـين أن قسماً منـه قد أضيـف الى أصـوله الاولى بعد وفاة ابقراط . وفيما يلي بعض من مأثورات الكتاب القيمة :

* الشيوخ يتحملون الجوع بيسر ، ويليهم البالغون ، أما الصغار وخصـوصاً الكثيـري الحركة فلا يتحملونه مثلهم .

* يجب الحذر من استعمال المسهلات في الحالات المرضية الحادة .

* تكـون الحمى من أعراض الخـراج قبل نضـوجه اعـلى ممـا هي من أعـراضـه بعـد تكونه .

* يتوقف الالم في العضو العليل بالاستراحة ، اذا كان ذلك الالم ناشئاً من الحركة .

* إذا كان النفث الدموي مصحوباً برغوة فإن مصدره الرئة .

* الفواق (الشهقة) في حالة الاستسقاء البطني علامة سيئة .

* في حالة اليرقان ، إذا وجد الكبد جاسياً فإن ذلك علامة رديئة .

* الحياة قصيرة والعلم واسع ، والفرص خاطفة ، والتجربة معرضة للخطأ ، والحكم على الامور صعب . فعلى الطبيب أن يكون مستعداً دائماً لاداء الواجب .

* ليس على الطبيب وحده أن يؤدي واجبه بـل على المـريض وأتباعـه ان يساعـدوه في أداء هذا الواجب .

* افضل أن تملأ المعدة بالماء من أن تملأها بالطعام .

* من المستحيل شفاء حالات الجلط الدماغية ، وليس من السهل شفاء الحالات الخفيفة منها .

* الموت الفجائي اكثر حدوثاً في الملحمين من المعروقين .

* العامل الاهم في شفاء الصرع في الاطفال هو العمر .

* إذا جربت جميع طرق العلاج ولم تحصل على تحسن في صحة المريض ، فلا تبدل العلاج قبل التأكد من تشخيص المرض .

* يسمح باعطاء الدواء إلى الحامل ما بين الشهر الرابع والسابع من الحبل . وفيما بعد ذلك فيجب تقليل جرعته .

* في الصيف تستعمل الادوية التي تؤثر على المجاري الهضمية العليا ، أما في الشتاء فتستعمل الادوية التي تعمل على المجاري السفلى .

* إذا بدأ الاسهال بفراز ملون بالمرة السوداء فإن تلك الحالة المرضية مميتة .

* إذا در ثدي الحامل كثيراً من اللبن فذلك علامة على ضعف الجنين . وإذا هدد الحبل بالاسقاط ارتخى الثديان .

إن هذه الحكم الطبية واضحة المعاني وسهلة التطبيق ، ويمكن أن يستفيد منها القارىء غير الطبيب . أما ما فيها من دقة في التعبير وعمق وصواب في معانيها الطبية فلا يقدرها إلا من له تجربة واسعة في الممارسة الطبية .

ترجم كتاب الفصول الى العربية حنين بن اسحاق . ومخطوطة الترجمة بمكتبة غوتة ، وبرلين ، ولايدن ، وباريس ، والمتحف البريطاني ، والفاتيكان وغيرها .

وقد عارض كتاب الفصول يوحنا بن ماسويه بكتاب سماه (نوادر الطب) ، والرازي بكتاب سماه الفصول او المرشد ، وموسى بن ميمون بكتاب عرف باسم فصول ابن ميمون . كما شرح كتاب الفصول كل من أبي الحسن طاهر بن ابراهيم السجزي ، وابن ابي صادق النيسابوري ، وعبد اللطيف البغدادي ، وابن النفيس ،

وابن القف . والكتاب أيضاً مرجع مهم لكتاب فردوس الحكمة لابن ربن الطبري وكتاب الحاوي للرازي وغيرهما من أمهات الكتب العربية الاولى .

2 ـ كتاب تقدمة المعرفة Prognostics

ويسمى ايضاً كتاب التكهنات وهو بمقالتين . يذكر المؤلف فيه الاعراض والعلامات السريرية التي يستدل منها على احتمال تردي صحة المريض أو تحسنها في مستقبل الايام . ويعتبر الالمام بهذا الموضوع ضرورياً في الممارسة ولسمعة الطبيب المعالج معاً . وفي هذا الكتاب وصف دقيق لما نسميه اليوم (سحنة أبقراط) Hippocratic Face التي يتقمصها المريض قبل الوفاة. يقول فيها: (الأنف مدبب، والعينان غائرتان والاذنان باردتان والصدغان منخفضان ، والوجه مخضر ورصاصي اللون ، وجلدة الجبهة ناشفة ومنبسطة) . وقد أشار ابن ربن الطبري الى هذا الوصف في الفحص السريري (فردوس الحكمة ص 313) ، وكذلك الرازي (الحاوي - 13 14) . وقد قال احد المعلقين الظرفاء على الوصف المذكور ، ان اي رسام كاريكاتوري يستطيع أن ينقش على ضوء ذلك الوصف صورة لا بد ان تجيء مطابقة تمام المطابقة لسحنة ابقراط نفسه لا سحنة المريض ساعة الاحتضار .

وفي تقدمة المعرفة مواضيع اخرى في أمراض الحلق واللهاة (فردوس الحكمة ص 200-201) وامراض الرئة (فردوس الحكمة ص 229) و(الحاوي 4-203,136) وفي علامات الامراض البولية وعلاجها (فردوس الحكمة 263 ، الحاوي 19-22,21) وفي علاج الحميات الحادة (الذخيرة لثابت بن قرة 153-154) .

ترجم حنين بن اسحاق كتاب تقدمة المعرفة إلى السريانية ، ومنها ترجمه حبيش إلى العربية . ثم ترجمت هذه الصيغة الى اللاتينية في القرن الرابع عشر وبقي أحد كتب الدراسة بأوربا حتى القرن السادس عشر . وقد طبع الصيغة العربية المحامي صادق مكونة في بغداد سنة 1938 .

3 ـ كتاب جراحات الرأس

في هذا الكتاب وصف دقيق لعملية ثقب الجمجمة . يقول فيه المؤلف (لا تثقب العظم الى الاغشية (ديورا) لكي لا تتعرض هذه الانسجة للتخريب . واغمس

المثقب بين وقت وآخر بماء بارد ، وإلا احترق العظم من شدة الاحتكاك) . واذ يجوز أن يسبب دوران المثقب احتراق العظم بهذه العملية فيمكن تقدير سرعة دوران المثقب لنستدل منها على توفر التقنية في هذه العملية . وقد فسر جالينوس هذا الكتاب بمقالة واحدة . واختصره حنين بن اسحاق بالعربية على طريقة السؤال والجواب .

4 ـ كتاب الجراحة

ويسمى ايضاً كتاب القروح ، وهو أشبه بما نسميه اليوم بـ Lecture Notes ويتضمن مؤشرات ومختصرات في الفن الجراحي ، التي تخص المريض والجراح ومساعديه ، وأدوات العملية ، ووقت تنفيذها ومكانه . ويظن بعض المحققين ان هذا الكتاب من صنع ثاسلس بن ابقراط[17] ، وليس لابقراط . ومن طرائف هذا الكتاب اهتمام المؤلف بالشكليات العلمية بقدر اهتمامه بموضوعياتها . يقول في ذلك :

(على الجراح واقفاً كان أو جالساً ، أن يتخير وضعاً مريحاً بالنسبة إلى ذلك الجزء من الجسم الذي تجري فيه العملية ، وبالنسبة إلى النور . . . والنور على نوعين طبيعي واصطناعي . ويستطيع الجراح أن يحصل على أي منهما عمودياً أو منحرفاً ثم . . . ينبغي أن يوجه النور نحو البقعة التي تجري فيها العملية . .) .

وفي الكتاب أيضاً :

(أن لا يترك الجراح أظافره تمتد أبعد من أطراف الانامل ولا أن تقصر عنها ، وأن يتمرن على استخدام الانامل ولا سيما السبابة ، وأن تكون اليدان متقابلتين ومتجهتين إلى أدنى ، وأن تكون الفرجات بين الاصابع واسعة) .

وعن الجراح يقول المؤلف :

(ان يمارس جميع العمليات بكل يد على حدة ، وباليدين معاً ، وأن يكون غرضه إحراز القدرة واللياقة والسرعة والرشاقة وعدم الايلام ثم الاستعداد الدائم للعمل)[18] .

---

(17) سارتون ـ تاريخ العلم 284/2

(18) المصدر السابق ص 283-284 .

5 ـ كتاب الجنين The Seeds and the Nature of the Child

وهو بثلاث مقالات ، الاولى في تكون المني ، والثانية في تكون الجنين ، والثالثة في خلق اعضاء الجنين . قال حنين بن اسحاق : (انه لم يجد لهذا الكتاب تفسيراً من عمل جالينوس الا انه (اي جالينوس) قال في كتاب (علم ابقراط في التشريح) ان الجزء الاول والثالث من كتاب الجنين منحول على ابقراط ، والصحيح منه هو الجزء الثاني . وقد فسر هذا الجزء جاسيوس الاسكندراني كما نقل سرجيوس الراس عيني الاجزاء الثلاثة الى السريانية على اعتبارها جميعاً من تفاسير جالينوس . والارجح انها بتفسير سورانس . وقد ترجم حنين أكثر هذا الكتاب إلى العربية في أيام الخليفة المعتز بالله العباسي . كما ترجم حبيش أقسامه الاخرى . ومن مواضيع الكتاب بحث في اختناق الرحم (الرازي ـ الحاوي 9-68) ، وفي الحبل (الحاوي 9-129) وأنواع الولادة (الحاوي 9-160) وفي مصدر المني وما يتعلق بالتلقيح والاخصاب (عريب ـ خلق الجنين 33,31,29,12,10) .

6 ـ كتاب الامراض الوافدة Epidoriorum

يضم هذا الكتاب سبع مقالات بجزءين ، في الاولى منها وصف لمرض النكاف والتهاب الخصية كأحد مضاعفاته . وتعتبر تدوين المشاهدات السريرية في هذا الكتاب أروع ما وصل إلينا من الطبابة الابقراطية . وفيما يلي مثل واحد من تلك المدونات عن حالة مريض أصيب بالنكاف :

(قليلون من المرضى شكوا من حميات حادة ، لان حرارتهم كانت خفيفة جداً . وكثيرون منهم أصيبوا بتورم بجانب الاذن أو الاذنين . ولم يصاحب ذلك في الغالب ارتفاع في الحرارة لذا لم تكن بهم حاجة الى ملازمة الفراش ، واقترنت بعض الحالات بشيء من الحرارةَ الخفيفة وزوال الورم فيها جميعها دون أن يسبب ضرراً ما ، ولم تصاحب هذه الاورام مادة من القيح) .

وكان المصابون احداثاً وشباناً ورجالاً في مقتبل العمر . ولم يصب بذلك من النساء إلا عدد قليل ، ثم قال :

(وأصيبَ كثير من المرضى بسعال جاف لا بلغم فيه ، وإنما يخبو الصوت .

ويترتب على ذلك أحياناً التهاب في خصية واحدة او الاثنتين مصحوبة بحرارة في بعض الاحوال ، وقد يؤدي في حالات اخرى الى اوجاع شديدة) .

كما سجل المؤلف في هذه المقالة تعاقب الاعراض المرضية يوماً بيوم مما لا نجد له مثيلاً مدى عشرة قرون تالية حتى ظهور الرازي (245 هـ / 860م) فأحيا الطريقة وحسنها .

قال ابقراط في حالة مريضة مصابة بحمى النفاس :

(كانت تشكو من حمى وقشعريرة ، وتتحرك في سريرها دون ما هدف ، وتنتف شعرها ولا تهدأ ، وامعاؤها لا تتحرك . والبول قليل الكمية ، وخفيف القوام . أما حرارة جسمها باللمس فغير عالية ، وأطرافها باردة) .

اليوم التاسع ـ تتكلم بهدوء . ونطقها متفكك ثم تغطس في النوم .

ـ اليوم الرابع عشر ـ التنفس غير عميق وبطيء إلا في بعضه فهو سريع .

اليوم السابع عشر ـ تحركت أمعاء المريضة بتكرار وكثرة ، ولم يبق في داخلها شيء حتى الماء . وجلدها جاف ومتوتر .

اليوم العشرون ـ خبا صوتها ، وصار تنفسها سريعاً .

اليوم الواحد والعشرون ـ توفيت المريضة[19] .

ويلاحظ في تدوين التطورات المرضية توخي الموضوعية ، والدقة في الوصف ، والاختصار غير المخل . ولذلك يميل الباحثون الى أن هذا القسم من الكتاب هو من أعمال أبقراط بالتأكيد . وهناك أقسام من الكتاب ادنى مرتبة من حيث الاسلوب والموضوعية مما عرضناه وإنها بكثير من الاحتمال الحقت بالكتاب وليست من أعمال أبقراط ، منها ما يخص الشد في الجراحات (الرازي ـ الحاوي 12-218) والرعاف (الحاوي 18-49) والبحران (الحاوي 18-219,98,97) والبول (الحاوي 19-134,37) .

---

(19) المصدر السابق ص 273-274 و Lloyd, P. 102-112.

وقد ترجم عيسى بن يحيى إلى العربية كتاب الامراض الوافدة .

7 ـ كتاب الاخلاط On Humours

هـذا الكتاب بثـلاث مقالات تبحث في اعـراض الاخلاط المختلفـة عن نوعهـا الـطبيعي ، وفي استفراغ الخلط من الصـدر (الرازي ـ الحـاوي 4-26) كـما تبحث في مصادر الدم الذي ينفث من الحلق (الحاوي 4-63) ، وفي علاقة ذات الجنب باخلاط البدن (الحاوي 4-135،132) . ولان الكتاب لا يبحث في موضوع الإخلاط بالذات ، كما أن ابحاثه غير منسقة ولا متسلسلة علمياً ، فيعتقد أنه ليس من أعمال ابقراط ، بل صنع في عصره من قبل واحد من مريديه فالحقه بمؤلفات ابقـراط . ترجم الكتـاب إلى العـربية من قبـل حنين بن اسحـاق ، وترجم إلى الانكليـزيـة وطبـع في كمبـرج سنـة 1971 .

8 ـ كتاب الاهوية والامواه والاماكن Airs, Waters, Places

هذا من روائع المؤلفات الابقراطية . عالـج فيه المؤلف عـلاقة المـريض والمرض بالبيئة وما فيها من أنـواع الاهويـة والمياه ومـواقع السكن عـلى الارض ، وعلاقـة هذه العوامل بصحة الفرد . وتـأثيرهـا على الـرئة (الـرازي ـ الحاوي 4-92) وعـلى الطمث (الحـاوي 9-166) وعلى طبيعـة الولادة (الحـاوي 9-151) وطبيعـة التبـول (الحـاوي 10-97) وعـلاقة الكي بـالجو المفـرط بالحـرارة أو بالبـرودة (الحـاوي 13-127) . وفي الكتـاب عدا ذلـك فصل في التغييـرات التي تطرأ عـلى الجسم بعد عمليـة الاخصاء . ترجم حنين بـن اسحاق وحبيش الاعسم هذا الكتاب إلى العربية ، وصار مصدراً مهماً لثابت بن قرة في كتاب الذخيرة في الطب ، والرازي في كتاب الحـاوي ، وابن العباس المجوسي في كتاب الملكي . وقـد نشر الكتاب شبـلي شميل بـالقاهـرة سنـة 1885 م . وللكتاب بالانكليزية أكثر من طبعة واحدة ربما تكـون من أفضلها الصيغـة التي نشرهـا بكبمبرج جادوك ومان مشتركين سنة 1950 .

9 ـ كتاب الغذاء On Nutriment

في هذا الكتاب محاولة لتفسير عملية الاستحالة والهضم تعتمد على التخمينات . وفيه لمحة إلى تحول الطعام الى سائل ليسهل امتصـاصه ووصـوله الى انسجـة الجسم ،

وإلى أن النبض وحركة التنفس تابعان للسن ، واتساقهما وعدم اتساقهما تابع للصحة والمرض ، وإن حركات العروق والتنفس هي الاخرى غذاء[20] . (ايا صوفيا)

ترجم هذا الكتاب إلى العربية حنين بن اسحاق وعيسى بن يحيى (ايا صوفيا) . وأخذ عنه كل من الرازي في كتاب الحاوي وعريب بن سعيد في كتاب خلق الجنين . وترجم الى الانكليزية وطبع حديثاً في كمبرج من قبل معتوق سنة 1969 .

10 ـ كتاب حفظ الصحة A Repimen For Health

يعتقد إن هذا الكتاب ابقراطي العصر لا من أعمال ابقراط بالذات . ويحتوي على كثير من أفكار فيثاغورس وهيروقليطس واناكساغوراس وآخرين في الطرق الوقائية من الامراض والمحافظة على الصحة تبعاً للظروف المناخية وفصول السنة ، وتعليمات في ممارسة الرياضة ، والاستحمام لتهزيل البدن (الرازي ـ الحاوي 6-288,268) وفي استعمال الحقن والمسهلات والمقيئات وغير ذلك . فالكتاب على هذا صورة لاساليب الممارسة الطبية ومستواها في العصر الابقراطي . ترجم الكتاب إلى العربية وصار من المصادر المهمة في المؤلفات العربية كالحاوي للرازي والملكي (2-34) لابن المجوسي . كما شرحه ابن الطيب البغدادي .

11 ـ كتاب قاطيطريون

ومعنى قاطيطريون حانوت الطب . وهو بثلاث مقالات تتضمن ما يجب على الطبيب الممارس أن يمتلك في حانوته من آلات وأدوات التداوي ، كوسائل الربط والشد والخياطة ورد الخلع والتنطيل والتكميد وما إلى ذلك مما يحتاجه العلاج باليد . كما يتضمن اشارات إلى سبب الهزال في العضو المعصوب والضمور في بعض أطراف الجسم (الرازي ـ الحاوي 6-27) وعلاجات جراحات العصب (الحاوي 12-190,152 , 213) والتحام الأصابع أو الأجفان بسبب اندمال القرح التي فيها (الحاوي 13-56,24) وعلامات خلع العضد (الحاوي 13-229) . وقد فسر جالينوس هذا الكتاب واعتبره من مؤلفات ابقراط المهمة التي يجب أن يبدأ بقراءتها من يريد أن يتعلم الصنعة .

---

(20) سارتون 2/294-295 .

12 ـ كتاب الامراض الحادة Regimen In Acute Diseases

في هـذا الكتاب ثـلاث مقالات في تـدبير حـالات المرضى المصـابين بـالامراض الحادة : بطريقة الغذاء ، والتكميد ، والاستفراغ والفصد ، والاستحمام وتناول الخمر والسكنجبـين (السكر والخـل) والماء البـارد ، ومـاء العسـل . كـما يبحث في الادويـة المستعملة في التداوي وطرق تـركيبها : أخـذ عن هذا الكتـاب ثابت بن قـرة في كتابـه الذخيرة في الطب والرازي في كتاب الحاوي .

13 ـ كتاب أوجاع النساء (اوجاع العذارى)

وموضوع هذا الكتاب في الامراض التي تصيب المرأة بحسب طبيعتها الانثوية ، وأسبابها وعلاماتها ، وفي انحباس الطمث ، وغزارته . وأعراض ذلك وشكاوى البكور منها (الحاوي 9-69,67) ومخطوطته بمكتبة ماغنيسيا .

14 ـ كتاب الكسور Fractures

وهـو بثلاث مقـالات تبحث في أعراض كسر العـظام بـاختـلاف مـواضعهـا في الجسم ، وطـرق معـالجتهـا بـالسحب والشـد والـرفـائـد ، وتقـويم الكسر (الحـاوي 13-240,226) وعلاج الكسور المضاعفة بالجروح (الحاوي 13-235) . فسر جالينـوس الكتاب ، ونقل حنين بن اسحاق التفسير إلى العربية باسم كتاب الكسر والجبر .

15 ـ كتاب الصرع The Sacred Disease

إعتقد اليونانيون ان الصرع من صنع الآلهـة ، وسموه المـرض المقدس او الآلهي وخالف ابقراط معاصريـه في سبب هذا المـرض وقال : إن كـان هذا المـرض من صنع الآلهـة فالامـراض جميعاً من صنعهـا أيضاً . وقـال إن هذا المـرض وراثي ، وأكـثر من يتعرض للاصابة به هم البلغميون . فاذا زاد خلط البلغم على حاجة البدن اليه صعـد الفـائض منـه إلى القلب والـرئـة وسبب الخفقـان ، وضيق النفس ، والاختنـاق ، والاختلاج وزوغان العين الى آخر أعراض الصرع . وتطول نوبة الصرع أو تقصر تبعاً لمقدار خلط البلغم غير الطبيعي . وقال أيضاً في هذا المرض : إنه مميت للاطفال وليس كذلك للبالغين . وهو أيضاً خـطر للمسنين وخصـوصاً في فصـل الشتاء . كـما قال ان

المصابين بهذا المرض يحسون مقدماً بأن النوبة على وشك الحدوث فينسحبون إلى بيوتهم حتى لا يسقطوا على الارض على مرأى من الناس .

16 ـ كتاب حبل على حبل Superfetation

إن القيمة العلمية في هذا الكتاب هي الفكرة في احتمال وقوع الحبل في رحم مع وجود حبل سابق فيه . ويربط المؤلف بين هذه الحالة وانحباس الطمث (الحاوي 9-171,160) كما في الكتاب معلومات في تشخيص الحبل عامة (عريب ـ خلق الجنين 28,19) . وتشخيص جنس الجنين وما يدخل في هذا الباب (عريب 51,49,44,40) وقد ترجم حديثاً كتاب حبل على حبل إلى الانكليزية بقلم معتوق وطبع في كمبرج (بلا تاريخ) . ومخطوطته بمكتبة ايا صوفيا .

17 ـ كتاب طبيعة الانسان

في هذا الكتاب شرح لنظرية الاخلاط ، وما يسببه زيادة خلط البلغم في الشتاء ، وخلط الدم في الربيع ، وخلط المرة السوداء في الصيف والخريف . وفيه ذكر لانتقال المرض من شخص الى آخر بطريق الهواء ، ومعلومات عن قروح الامعاء (الرازي ـ الحاوي 8-12) ونفث الدم (ح 17-568) ، وعلاج الكسر المختلط بجرح (الحاوي 13-158) وخلع المفاصل (ح 13-159) . وينسب البعض هذا الكتاب إلى بوليبس صهر ابقراط (حوالي 390 ق . م) . وقد طبع الكتاب حديثاً مع ترجمته الانكليزية بكمبرج سنة 1968 .

ولابقراط كتب أخرى يحتمل أيضاً أن تكون منحولة عليه ، وقد فسرها جالينوس ونقل التفسير حنين أو احد مساعديه إلى العربية ، منها :

18 ـ كتاب الطب القديم Tradition In Medicine

ويبحث في مواضيع مختلفة ، منها في علاج السمنة (الحاوي ـ 6-253) ومنع الحبل (الحاوي 9-147) وتكرار التبول (الحاوي 10-198) وعلاج البواسير (الحاوي 11-64) وعلاج عضة الكلب (الحاوي 19-440) وما يفيد الباه والم الخاصرة (الحاوي 20-45) وغير ذلك .

19 ـ كتاب المفاصل

فيه ما يتعلق بالمفاصل من مواضيع الخلوع والاورام ، وعلاقة خرز العمود الظهري بالفالج ـ (ـ الحاوي 11-92) ، وخلع رأس الفخذ (الحاوي 13-136 - 137) وما إلى ذلك .

20 ـ كتاب تشريح الاجنة الذين يموتون في الرحم

ويتضمن طرق استخراج الجنين الميت من الرحم بطريقة تشريح جسمه اي تقطيعه (الحاوي 9-147،29) .

21 ـ كتاب المولودين لثمانية اشهر

لخصه جالينوس ، وترجمه حنين بن اسحاق الى العربية ، وشرحه ابو الفرح بن الطيب ، واخذ عنه عريب بن سعيد القرطبي (خلق الجنين 58) والرازي في كتاب الحاوي (ج 9) وقد حقق الكتاب ونشره الدكتور يوسف حبي سنة 1980 .

22 ـ كتاب في المولدين لسبعة اشهر .

23 ـ كتاب في البول .

(24) ك . في الفصد والحجامة (25)ك . رد الخلع (26)ك في النفخ (27)ك علامات البحران (28) ك . في القلب (29)ك . في نبات الاسنان (30)ك العين (31) ك سيلان الدم (32) ك . الغدد (33)ك . منافع الرطوبات . (33)ك الوصية المعروف بترتيب الطب . وفي هذا الكتاب يذكر مؤلفه ما يجب أن يكون عليه الطبيب من القيافة وما إلى ذلك . ومخطوطة الكتاب في المتحف العراقي والمتحف البريطاني .

العلوم الاساسية في العصر الابقراطي

أبرز ما في الطب اليوناني هو نظرية الاخلاط التي اذا ما ذكرت طفر الى جانبها في البال اسم ابقراط على اعتباره واضع هذه النظرية . بينما الحقيقة هي ان علاقة ابقراط بنظرية الاخلاط ليست أكثر من تبنيه لهذه النظرية ، أو على أكثر الاحتمال تطويره اياها بما يلائم التطبيق . وقد مر بنا ان القيمايون وكثيراً ممن حمل أفكار

فيثاغورس (580 - 489 ق . م) كانوا أول من قال ان العافية البدنية هي حالة من التوازن بين سوائل الجسم وعناصره الأولى الاربعة[21] . وكان من أكثر المتحمسين لهذه النظرية هو امبادوقليس (493 - 433 ق . م) . أما أبقراط فلم يذكر هذه النظرية بذلك الاندفاع ، كما لم يرد شرح للنظرية بكتاب (الاخلاط) المنسوب إليه بالرغم من العنوان الذي يحمله هذا الكتاب . والكتاب الذي يبحث في اخلاط الجسم هو الموضوع باسم طبيعة الانسان ، وقد ذكرناه مع كتب ابقراط ولو أنه ينسب أيضاً إلى صهره بوليبوس . ولما ظهرت نظرية الامزجة في زمن ارسطو (384 - 322 ق . م) اكتملت المعادلة التي اعتبرت تفسيراً لاسباب الامراض وأعراضها النفسية والجسمانية . ومن الافضل ، دفعاً للتكرار ان نرجىء الكلام عن فسلجتي النظريتين وباثولوجيتهما لنعرضهما عند الكلام عن ترجمة ارسطو ، وهو ثاني الاطباء المشهورين في العصر الابقراطي .

أما معارف اليونانيين في التشريح في العصر الابقراطي فقليلة جداً . فقد عرف عن اليونانيين في تلك الحقبة انهم تقليداً وديانة لا يبيحون تشريح جسم الانسان ، ويعتبر ما عرفه ابقراط في هذا الموضوع هو كل ما كان يعرفه عامة الاطباء اليونانيين فيه . ذكر ابقراط جرم القلب والشغاف الذي يغلفه ، والاجواف (البطينات) التي بداخله ، ووصف الصمامات التي بينها[22] ، والاوعية المرتبطة بها . ويبدو أنه لم يعرف الدورة الدموية التي بين القلب والجسم .

وعرف ابقراط أهمية الكبد للجسم ، والاوردة التي تتصل به . والكبد منذ أقدم العصور البابلية ملتقى الباحثين في طبيعة جسم الانسان ، وربما سار ابقراط على هذا الخط بهدى من إشارات البابليين إلى علاقة هذا العضو بالصحة والمرض .

وكان معروفاً في العصر الابقراطي ان الرئتين تغتذيان بالدم من تجويف القلب الايمن ، وإنهما بالمقابل تزودان الدم الذي يصل إليهما بالهواء قبل أن يرجع إلى القلب[23] ، وإن الهواء اساس الغذاء ، والمقوم لفعاليات الجسم ، أما الدماغ فقد

---

(21) المصدر السابق ص 228 .

(22) Carrison. P. 97.

(23) Segerist. 2/276.

اعتبره ابقراط غدة ضخمة وظيفتها تبريد القلب وليس أكثر من ذلك .

العلوم السريرية في العصر الابقراطي

ورد في التراثيات الابقراطية وصف لحمى الملاريا ، وفي رواية ان امبادوقليس (405 - 443 ق . م) عالج مشكلة هذا المرض بردم المستنقعات ، كما ورد في كتب ابقراط وصف لذات الجنب ، وحمى النفاس ، والصرع النفاسي ، والنكاف واختلاطاته ، والرمد ، والصرع ، والجمرة Anthrax التي سماها جالينوس بعد ذلك Erysipelas وسماها ابن سينا : (النار المجوسية) . كذلك ورد في التراثيات الابقراطية معلومات عن المالينخوليا وحصى المثانة . كما وصف ابقراط الشلل الذي يظهر في عكس موضع الاصابة في الدماغ[24] . وذكر العلاقة بين السل الرئوي والحدبة في الظهر . ولم يرد في تلك التراثيات ذكر للسفلس . ونعرف ان هذا المرض لم يظهر في شرق المحيط الاطلسي إلا بعد اكتشاف أمريكا في القرن الخامس عشر . كما لم يرد فيها ذكر لمرض الجدري والحصبة والحمى القرمزية . يتساءل الباحثون فيما إذا كانت هذه الامراض لم تستوطن بلاد اليونان في ذلك الزمان ، أم ان ابقراط ومن كتب في عصره اهملوا ذكرها مثلما أهملوا ذكر وباء الطاعون الذي فتك باثينة في السنين الخمس بين سنة 435 و430ق . م .

الممارسة الطبية في العصر الابقراطي

كان من البديهي أن يهتم ابقراط واطباء عصره في ذلك الزمن البعيد بمعالجة أعراض المرض أكثر مما إهتموا بتشخيص نوعه ومعرفة طبيعته . كما كان من مبادىء الممارسة عندهم مراقبة تطور الاعراض المرضية الى الاحسن لمعرفة عدم تدهور صحة المريض ، وهو غاية ما يهدف إليه الطبيب المعالج . وابقراط نفسه عالم بالمشاهدة لا بتحليل مغزى التطورات المرضية . فعرف بأسلوبه الخاص الامراض الحادة ، وفرقها عن الامراض المزمنة ، وادخل في لغة الطب تعبير الامراض المتوطنة والوبائية ، والتكهنات المرضية ، وغير هذه المسميات التي لا تزال في الاستعمال إلى هذا اليوم .

Lund, P. 94-95. (24)

واعتمد الممارسون في تشخيص المرض على النبض ، والتنفس ، وحركة الجسم وحرارته[25] . وكانوا يقدرون حرارة الجسم باللمس ، ويراقبون استمرارها وتناوبها . فعرفوا حمى الثلث والربع والسبع والتسع . كما كانوا يراقبون التعرّق وينظرون إلى جلد المريض اثناء الفحص ويتلمسون ليونته ، وينظرون إلى اللسان وإلى العينين والبلغم والبراز[26] .

وكانت جل المعالجات تعتمد على الراحة ، والرياضة ، والتغذية ، والهواء الطلق ، والتمسيد ، والمسهلات والمقيئات ، والفصد والحجامة . وقليلاً ما تستعمل الادوية التي كانت غالبيتها مصنوعة من أوراق الاعشاب وازهارها وجذورها .

وكانوا يعتقدون أن كل عشب من تلك الاعشاب الطبية تحت رعاية أو حكم نجم من نجوم السماء . وتكون طبيعتها من طبيعة ذلك النجم . وقد تكون العشبة تحت سيطرة نجمين متضاربين في الطبيعة او متفقين . فالسنامكي مثلاً تحت رعاية عطارد ، وعشبة الفلفل تحت سيطرة المريخ وهكذا . وكان يقوم باقتلاع جذور تلك الاعشاب اختصاصيون بهذه الصناعة ، ويعملون ذلك بمراسيم وظروف خاصة ، تحت غطاء من السكون الشامل وظلمة الليل أو في ضوء القمر أو على انغام الموسيقى والترانيم الدينية[27] . كما كان الممارسون يعتقدون أن كل إنسان ، منذ بداية خلقه في الارحام وحتى ساعة اجله ، يعيش في فلك احدى النجوم ويعمل بمشيئتها وعلى مثل طبيعتها . فقالوا ان الجنين يطلب الحركة في الشهر السابع ، لانه (اي الجنين) يكون في هذا الشهر بتدبير القمر وهو نجم سريع الحركة . فإن ولد الجنين في هذا الشهر عاش ، وإن لم يولد تحول في الشهر الثامن الى تدبير (زحل) وهو نجم بارد يابس لا حركة فيه . فإن ولد الجنين في هذا الشهر لم يعش . وسوف نتكلم بهذا الموضوع مرة اخرى عند الكلام في الطب الولادي عند العرب .

أما في العلوم الجراحية بالعصر الابقراطي ، فلم تكن عملياتها من العلاجات

---

(25) Carrison, P. 94.

(26) المصدر السابق .

(27) سارتون 218/2 .

الشائعة وتبعاً لذلك كان يقل عدد الجراحين بالمقارنة الى عدد الاطباء الباطنيين . والجدير بالذكر في هذا الباب ان ابقراط قد وصف عملية ثقب الجمجمة بدقة متناهية مما يجعلنا نعتقد أنه هو او احد معاصريه قد مارس هذه العملية الدقيقة ، بينما لا نجد للعملية ذكراً في آثار بابل أو الرقم الآشورية ، مع ان الانسان قد مارسها في اقدم عصوره السابقة للعهد البابلي أما العمليات المألوفة في العصر الابقراطي فهي الحجامة والفصد ، وعملية قطع الاطراف والاخصاء والختان ، وقلع الاسنان وربط المخلخلة منها بخيوط الذهب أو الفضة ، وشق المثانة لاستخراج الحصى منها ، وعملية التربنة في القحف ، وعمليات النواسير والبواسير والفتوق ، وبعض العمليات المهبلية ، وتوسيع عنق الرحم وكيه وجرف فجوته . كما مارسوا عمليات التطريح عن طريق المهبل ، وتدبير الولادة العسرة ، وعملية ثقب وتفتيت رأس الجنين[28] .

وكانت الادوات الجراحية التي استعملت في العمليات التي ذكرناها مصنوعة من البرونز وقسم قليل منها من الحديد أو النحاس . . وصنعوا الادوات التي يجب أن تكون لدنة وقابلة للانطواء كمسبار الرحم ، من القصدير ، واستعملوا الفضة وقرون الحيوانات للمحاجم ، والعاج والعظام لابر الخياطة[29] . ومن المفيد أن ننقل هنا مقاطع مما كتبه ابقراط عن الجروح كمثل لاسلوبه العلمي في ممارسة الجراحة ، قال :

(يجب أن لا تبلل الجروح بأي شيء ، إلا بالنبيذ ، يستثنى من ذلك الجروح التي في المفاصل . ذلك لأن الجفاف من علامات العافية ، والرطوبة من شأن المرض . . . والافضل أن يترك مكشوفاً دون تضميد . وأن لا يوضع على بعض الجروح كمادات وجوباً ، والجروح الطرية بصفة خاصة تضرها الكمادات أكثر مما تضر الجروح القديمة والتي في المفاصل . والاقلال من الطعام والشراب مفيد للمصاب بالجروح ، خاصة بالاصابات الحديثة ، أو المتعفنة ، أو إذا كان الجرح في البطن . كما يجب على المريض أن يلزم الراحة في الفراش . والوقوف كذلك يضر الجروح . . . ويجب أن لا يكون هناك ما يعيق اندلاق القيح من الجروح المتعفنة . والحس بالبرد

---

(28) Milve-Greek Surgical. Instrument P. 60-157.

(29) المصدر السابق .

والنخس في الجرح علامة على حصول التقيح . وعند ظهورهما يجب أن لا توضع الكمادة على مخرج القيح . وفي حالة الجروح القاطعة يجب إيقاف النزف منها ومنع تعفنها ، وأن يحرض الجرح على النضح لان ذلك لا يساعد على تعفنه . ويجب عدم وضع الزيوت والمراهم على الجروح ، إلا إذا كانت قد دخلت دور الالتئام لان هذه المواد تعيق تنظيف الجروح والتئامها . . ان الجو الدافىء ، بصورة عامة أكثر ملاءمة للجروح من الجو البارد إلا في جروح الرأس والبطن)[30] .

وكان المألوف في العصر الابقراطي أن يزور المريض طبيبه في بيته ، وقد يحدث العكس ، كما كان الطبيب كثير الاسفار بين المدن ليمارس صناعته على مرضائها . وربما وضع كتاب المدن والاهواء ليكون دليلاً طبياً وجغرافياً لمن يمارس المهنة بين مختلف المدن ، على اعتبار أن العوامل المذكورة في عنوان الكتاب تختلف من بلد إلى بلد ، وتبعاً لذلك تختلف فيها الامراض وأوان ظهورها .

وكانت العادة ان يأخذ الطبيب أجره من المريض مقدماً . ويختلف الاجر بحسب مكان المريض ، ونوع المرض ، ومدة العلاج ، ومستوى المريض المالي . وقيل أن المرضى كانوا يومئذ طبقات فيما يحصلون عليه من الخدمات الطبية ، فوجوه البلد وحكامه من اختصاص المتقدمين في الطبابة ، أما ما يلي هذه الطبقة فيعالجها معاون الطبيب أو تلميذه أو احد عبيده[31] . أما المرضاء الفقراء فلا يحظون باهتمام الاطباء الكبار وعليهم أن يلجأوا الى معابد الأسقلبيين ليستشفوا بها بالمجان .

تعليم الطب في العصر الابقراطي

اعتبر اليونانيون الطب من العلوم الرفيعة التي يجب أن يتعملها من يريد أن ينخرط في زمرة المثقفين ، وافترضوا دراسته لمعرفة المبادىء الفلسفية التي لها علاقة بتكوين الانسان وحياته وأفكاره . كما اعتبروا تعلم الفلسفة بالمقابل ضرورياً للممارسة الطبية . وقد بقيت هذه المفاهيم معمولاً بها حتى العصور الاخيرة من تاريخ الثقافة

Lund, P. 32-33 (30)

Segerist, 3/309 (31)

اليونانية . ولجالينوس كتاب بهذا المعنى عنوانه : الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً . وسوف نرى أن ملامح هذه المفاهيم كانت تظهر في سير الكثير من الاطباء المسلمين .

لم تكن عند اليونانيين معاهد تعليمية في الطب على شكل مدرسة بصفوف ومنهاج تدريسية مقررة . كان يلتحق من يرغب بدراسة الطب بأحد الاطباء البارزين ليتعلم عليه الصنعة . ولان التدريس عندهم كان بأجر لا بالمجان ، فكان من المتوقع أن تقع بين المعلمين منافسة على اجتذاب اكبر عدد من طلاب هذه الصناعة . وقد لا يلجأ الاطباء الكبار الى هذه المنافسة إلا أن الثابت ان ابقراط لم يكن يعلم الصنعة بالمجان[32] . كما كان قبله الطبيب ديموسيدس[33] (522ق . م) لا يعلمها إلا بأجر ايضاً . وينسب لديموسيدس أول معهد لتعليم الطب ، ومن يومها صار تعليم هذه الصنعة أكثر اسلوبية وتنظيماً .

وكانت طريقة التعليم تطبيقية تعتمد على الدراسة المباشرة للحالة المرضية أكثر مما تعتمد على قراءة الكتب والامالي . وهي نفس الطريقة التي تعلم بها ابقراط الطب في قوص . ويكون التعليم في كل مكان يتلاقى فيه الطبيب والتلميذ والمريض ، سواء كان ذلك في بيت الطبيب أو في بيت المريض ، او على قارعة الطريق ، أو في بيوت العبادة . ولا يبدأ الطبيب المعلم بتدريس تلميذه قبل أن يستلم منه الاجر المتفق عليه ، ويسمع منه تلاوة عهد ابقراط الطبي على نفسه . ويلازم التلميذ معلمه بعد ذلك في حله وترحاله ، ويكون من واجبه استحضار المريض لمعلمه ، وتحضير أدوات آلات التداوي والادوية . كما يرافق التلميذ استاذه لزيارة المرضى ، ويسافر معه اليهم إذا كانوا في مدينة اخرى . ولم يفكر معلمو الطب ان يخصصوا مدة محددة للدراسة ،

---

(32) Lloyd, P. 17. . ويؤيد النص في قسم ابقراط على تعليم اولاد الاطباء بالمجان ، وهذا يدل على كون التعليم لعامة الناس كان بأجر .

(33) ديموسيدس ـ طبيب من أهل كروتون بجنوب ايطاليا ، واحد تلاميذ القيمايون . مارس الطب في اجينة واثينة وساموس ثم ارتحل الى فارس ليعالج ملكها دارا الاول (531-486 ق . م) الذي كان يشكو من الم في كاحله . وصار بعد ذلك طبيبه الخاص . ويقال ان شهرة كروتون في الطب اساسها ديموسيدس (Segerist 2/99)

وكان لهم ان يجيزوا تلامذتهم متى شاءوا بعد بضع سنوات في التعليم . كما لم يكن على التلاميذ ان يجتازوا امتحاناً لنيل شهادة التخرج وإجازة الممارسة . وللمتخرج ان يمارس صنعته كطبيب (أهلي) او يلتحق بأحد المراكز الصحية كموظف دولة[34] .

والجدير بالذكر في هذا الباب ان ثمة من كان يلقي على عامة الناس ومثقفيهم محاضرات في مواضيع صحية وطبية[35] ، وهذا يقابل ما تفعله بعض المؤسسات العلمية في هذا اليوم . قال ارسطو أن المتكلم في تلك المحاضرات واحد من فئات ثلاث : الاولى فئة الاطباء الممارسين ، والثانية هم الفئة العالمة والمتفقهة في الطب ، والثالثة هي الفئة التي درست الطب ولم تمارسه[36] . وسوف نتطرق إلى الفقرة الاخيرة عندما نمر فيها يأتي على بعض العلماء العرب الذين الفوا في العلوم الطبية ولم يمارسوا الصنعة كمهنة أو هواية .

---

(34) Lloyd, P. 19.

(35) المصدر السابق ص 38 .

(36) المصدر السابق والصفحة .

ارسطو(1)

ARISTOTE

هو ارسطو طاليس كما يسميه العرب . من مواليد مدينة اسطاغير بمقدونيا سنة 384 ق . م . وكان أبوه الطبيب نيقوماخوس الفيثاغورسي الافكار يعمل في حاشية جد الاسكندر المقدوني .

تتلمذ ارسطو على افلاطون الفيلسوف (427 - 347 ق . م) ولما اشتهر بعلمه وحكمته الحقه ملك مقدونيا فيليب الثاني[2] بحاشيته ليكون معلم ابنه وولي عهده الاسكندر . ثم صار مستشار الاسكندر بعد أن تولى الحكم اثر وفاة ابيه فيليب الثاني . ولما غادر الاسكندر اليونان سنة 334 ق . م لغزو بلاد فارس ، رجع ارسطو

---

(1) اقرأ عن ارسطو في الفهرست لابن النديم ص 246-252 . وطبقات ابن جلجل ص 25 وتاريخ الحكماء للقفطي ص 37-53 . وعيون الانباء لابن ابي أصيبعة ص 86-107 ومنتخب صوان الحكمة للسجستاني ص 39-48 . ونزهة الارواح للشهرزوري ص 188-260 والملل والنحل للشهرستاني ج 3/ص 4 . ودائرة المعارف الاسلامية (شعب) 581-593 ومختار الحكم للمبشر بن فاتك ص 178-184 ابن نباتة ـ سرح العيون تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة 1964 ص 211 .

Robinson-Story of Medicine, P. 55-69.

Clendening-Sourse, Hist. of Medicine, P. 33-38.

والاعجاز والايجاز منصور الثعالبي ، هامش ص 125 .

(2) فيليب الثاني ـ هو ملك مقدونيا (359-336 ق . م) حارب الينة سنة 338وانتصر عليها واصبح سيد بلاد اليونان عامة وخطط لمحاربة الفرس إلا أنه توفي سنة 336 ق . م قبل أن يشرع بالحرب فحقق ابنه الاسكندر آمال ابيه .

الى اثينة وفيها انهى حياته باحثاً ومعلما ، وتوفي بها سنة 322 ق . م وذلك بعد بضعة أشهر من وفاة تلميذه الاسكندر الكبير في بابل .

قال ابن جلجل عن ارسطو : (انه فيلسوف الروم وعالمها وجهبذها ، ونحريرها ، وخطيبها وطبيبها) . ثم قال (وتكلم في الطب وغلب عليه علم الفلسفة)[3] .

وقد أولع ارسطو بدراسة طبيعة الاحياء قبل ان تجتذبه الفلسفة إلى دراسة علومها[4] ، وربما كان وقوفه على التكييف الذي يمر به شكل أعضاء الحيوانات وتركيبها التشريحي بحسب وظائفها ، هو الذي أثار فيه حب البحث عن سر هذا التكييف والحقائق الكامنة وراءه . وهذه أولى خطوات التفكير الفلسفي الذي مارسه ارسطو وتنطس به فيما بقي من عمره .

وكانت نماذج النبات والحيوانات الغريبة التي كان يبعثها الاسكندر من الشرق هدية الى استاذه أرسطو ، بعد أن عرف عظيم إهتمامه بدراستها ، قد صارت له مختبراً ومجالاً واسعاً لدراسة تأثير الاجواء والبيئات المختلفة على نشوء خلقة الاحياء . وبهذه الوسائل توصل ارسطو ببحوثه المستفيضة الدقيقة الى معلومات هامة في التشريح ووظائف الاعضاء التي ما يزال بعضها جذور معارفنا الحديثة بهذا الموضوع . فهو أول مصنف لمراتب الاحياء دون منازع[5] . وربما كان أول من زين الكتب بالمخططات والرسوم ليطمئن الى وضوح فكرة البحث فيها . ولم يكن هذا الاسلوب مألوفاً في التأليف يومئذ ، فوصف الرحم والمعدة ورسمها بدقة متناهية ، ودرس نمو صوص[6] الدجاج في البيضة ، ووصف معدة المجترات والجهاز الهضمي في الرخويات ، واتصال جنين كلب البحر برحم أمه . واكتشف معلومات قيمة عن الاوعية الدموية الرئيسة ، والاوردة تحت الجلد . إلا أنه لم يعرف الفروق بين الاوردة والشرايين . واعتبر القلب

---

(3) ابن جلجل ـ طبقات الاطباء ص 25 .

(4) ارسطو ـ اجزاء الحيوان ـ يوحنا بن البطريق ـ بدوي ص 10

(5) Singer and Underwood-Hist. Medc. P. 214.

(6) الصوص هو فريخ الدجاج في البيضة ، وفي اللغة الفصحى (قوب) على وزن دور .

مصدر الذكاء ، أما الدماغ فحسبه عضواً لتبريد القلب ، واخطاء الكبار دائماً كبيرة .
كما عزز ارسطو الفكرة السائدة عندئذٍ عن النوعيات الطبيعية الاربعة ، اليبوسة والرطوبة والبرودة والحرارة ، حتى تلاقت بتناغم وتناسق مع فكرة ابقراط بسوائل الجسم (اخلاطه) الاربعة وهي الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء ، فكان منهما معاً نظريتا الاخلاط والامزجة بمفهومهما الواسع التطبيقي . وربما كان تلاميذ أرسطو أكثر من أرسطو نفسه حماسة في الربط بين العناصر الأولى الأربعة (النار والهواء والتراب والماء) والطبائع الاربعة (الرطوبة واليبوسة والحرارة والبرودة) وأخلاط الجسم الاربعة التي ذكرها أبقراط[7] . وعلى هذا فإن نظرية الاخلاط Humours بشكلها النهائي الذي تبرز فيه فكرة التوازن بين سوائل الجسم كشرط اساس لتقويم الصحة ، لم تكن من أفكار ابقراط ، بل كان أول من تكلم فيها فيثاغورس (القرن الخامس ق . م) أو تلاميذ مدرسة كروتون وصقلية امثال القيمايون (ح سنة500 ق . م) ومعاصره امبادوقليس[8] . فقالوا إن مركبات الجسم السليم حيواناً كان أو إنساناً ، يجب أن تكون في حالة توازن كماً وكيفاً ، وإلا فقد الجسم العافية وأصابه المرض . وتبنى ابقراط الفكرة لانها تتفق ورأيه في سوائل الجسم الاربعة . كما تبنى بوليبس Polypos (ح 390ق . م) صهر ابقراط ، النظرية وتحمس لها أكثر مما فعل ابقراط . ويحتمل لهذا أن يكون كتاب طبيعة الانسان المنسوب الى ابقراط هو من عمل بوليبس[9] ، وقد ضمنه رأيه في اخلاط الجسم . كما تبنى النظرية طبيب كبير آخر هو ديوقلس Diocles الذي يعتبر صنواً لابقراط حتى لقب بابقراط الثاني[10] . وهذا الطبيب أول من قال : إن الجنين يتخلق من الابوين . وهو رأي خالف به قول أرسطو من أن جسم الجنين من الام أما روحه فمن الاب ، وهو تعبير فني جميل ولكنه لا يتفق مع الحقيقة . وأرسطو هو الذي اظهر نظرية الاخلاط بمعناها التطبيقي ، ودعا إليها بتحمس . وتعتبر نظرته إلى هذا الموضوع من أبرز أعماله الفكرية .

قال أرسطو إن النوعيات (الطبائع أو الكيفيات) الاربعة اذا ما تلاقت حصل

Bass-Outline of Medical History, P. 889. (7)

Lund-Greek Medicine, P. 40. (8)

Singer -anatomy and phyiologyof Greek, P.14. (9)

Ullmann-Islamic Medicine, P. 11. (10)

منها العناصر الطبيعية الاربعة . فاليبوسة والبرودة تكون التراب . والبرودة والرطوبة تكون الماء ، والرطوبة والحرارة تولد الهواء . والحرارة واليبوسة تولد النار . وهذه العناصر الاربعة تدخل في تركيب الكائنات الحية وغير الحية ، ومنها الانسان . والذي يحفظ التعادل بين كيفيات الجسم هي الاخلاط . وهي السوائل الناتجة من انهضام الطعام في المعدة والامعاء. وتصل هذه السوائل بواسطة الوريد البابي إلى الكبد فيتولد فيه خلط الدم ، وهو حار ورطب الطبع . كما تتولد فيه (الروح الطبيعية) المسؤولة عن فعاليات الجسم لحفظ حياته بالنمو والتوالد وما إلى ذلك . ويصل الدم بواسطة الوريد الاجوف إلى القلب ومنه يصل إلى الرئة بواسطة الوريد الرئوي ليأخذ منها الهواء ثم يعود الدم المخلوط بالهواء الى القلب ليلطف الدم الذي فيه ويبرده لتتكون منه (الروح الحياتية) ويصل الدم الذي يحمل هذه الروح الى الدماغ بواسطة الشرايين وهناك تتولد منه الروح الحيوانية أو النفسية كما يصل الى باقي الجسم ليزوده بالغذاء[11] . أما خلط البلغم وهو بارد ورطب فيكثر في فصل الشتاء ، فبعضه يتولد في الدماغ ، ويهطل منه الى الجهاز التنفسي فيسبب نزلات البرد والتهابات الرئة[12] .

ويكثر خلط المرة السوداء وهي باردة وجافة ، في فصل الخريف ، فإذا تركز هذا الخلط في الدماغ سبب مرض المالينخوليا وإذا توضع في الاعضاء الاخرى من الجسم سبب السرطان[13] .

وفي فصل الربيع ، يزيد خلط الدم في الجسم فنصحوا بالاستفراغ والفصد في هذا الفصل حتى للمتعافين[14] .

وربط اتباع ارسطو فيما بين الاخلاط الاربعة والعناصر الاربعة ، وقالوا إذا سيطر خلط المرة السوداء على سواه من الاخلاط صار مزاج المريض سوداوياً وطبعه ترابياً . وإذا كانت السيطرة للمرة الصفراء صار المزاج صفراوياً وطبعه نارياً . وهكذا

---

(11) Lund, P. 27-28.

(12) Ibid, 28

(13) المصدر السابق .

(14) المصدر السابق .

ـــفي المزاج البلغمي والدموي[15] . وسوف نذكر التطورات التي أدخلت على النظرية من
- قبل جالينوس عند الكلام عن أعمال هذا الطبيب .

عرف العرب ارسطو فيلسوفاً أكثر مما عرفوه طبيباً ، وهو عندهم أعظم فلاسفة اليونان طراً . وقد شغلتهم آراؤه وكتبه وحكمه فترجموا أكثرها الى العربية ، وهي لا تزال موضع دراسة وتقدير الى الوقت الراهن .

من أقواله الحكيمة :

* شرف الانسان على جميع الحيوان بالنطق والذهن ، فإن سكت ولم يفهم عاد بهيماً .
* خير الاشياء اجدّها الا المودات فإن خيرها أقدمها .
* العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً .
* الحكمة شرف من لا قديم له .
* اللؤم يهدم الشرف ويعرض النفس للتلف .
* المنكر لما لا يعلم اعلم من المقر بما يعلم .

ومؤلفات ارسطو في الفلسفة كثيرة . وكذلك في الاجتماع والطبيعيات ، فقد كتب في النفس واللذة والكون والفساد ، وفي الملل ، والعدل ، وفي الزمان والاعداد وأسرار النجوم ونحو ذلك . أما مؤلفاته في الطب فنجد قليلة ، وكلها في الفسلجة والتشريح المقارن . وله كتاب في النبات وكتاب في طباع الحيوان وأعضائه وتناسله . وأقرب كتبه الى المواضيع الطبية الصرفة هو كتاب في تدبير الغذاء ، وكتاب في الصحة ، وكتاب في العقم ، وكتاب في نفث الدم ، وكتاب الباه ، وكتاب النبض . والكتاب الاخير هو أول ما وضع بهذا العنوان في تاريخ الطب . أما أكثر كتبه ترديداً في التراثيات الطبية فهما كتاب طباع الحيوان وكتاب أجزاء الحيوان . فلنقل بايجاز ما نعرفه عن هذين الكتابين .

Singer, P. 27-28. (15)

كتاب طباع الحيوان[16]

في هذا الكتاب تسع مقالات :

الاولى ـ في أصناف الحيوان ، وطرائق معيشته ، وتوالده ، وإختلاف طبائعه .

الثانية ـ في أقسام الحيوان وأسنانه ، ووصف للقلب والمعدة والكبد .

الثالثة ـ في أعضاء التناسل في الحيوان .

الرابعة ـ في الحشرات والسمك .

الخامسة ـ في الولادة عند الحيوان .

السادسة ـ في ولادة الطير والسمك والكلاب والبقر والخيل .

السابعة ـ في غذاء الحيوان وأمراضه .

الثامنة : في طباع الحيوان عامة ، الدابة والزاحفة والسابحة .

التاسعة ـ في حياة الانسان وبلوغه ، والطمث عند المرأة ، والحمل وعلاماته وصفاته . والحبل التؤام والحبل السرّي والخلاص .

العاشرة ـ في أسباب العقم وطبيعة الرحم وأورامه والمول (الرحا) .

كتاب اجزاء الحيوان[17]

ومضمون هذا الكتاب ليس في الكلام عن أعضاء الحيوان وما يدخل في شكله ووظيفته وتشريحه ، بل في الاسباب التي جعلت العضو بهيئة خاصة ليؤدي أعمالاً خاصة . فقد كان أرسطو يعتقد أن الوظيفة هي التي تحدد تركيب العضو وقوامه لا العكس . ومضمون الكتاب بصورة إجمالية يدور حول الغائية (الهدف والغاية) ، والآلية أي الضرورة من خلق العضو . ولاسباب توضيحية يتطرق المؤلف في الكتاب إلى كثير من العوامل الطبيعية وتأثيرها على الجسم كالغذاء والحرارة والبرودة واليبوسة

---

(16) ترجم الكتاب يوحنا بن البطريق ونشره عبد الرحمن بدوي سنة 1977 .

(17) التعليق السابق .

والـرطوبـة . كما يتـطرق إلى وصف الاعضاء ووظـائفها (كـالدم وآلـة السمـع والبصر والشم والتـذوق) . كذلـك يتكلم لنفس السبب عن القلب والرئـة والمثانـة والكليتين والمعدة والطحال والكبد والامعاء والرأس والاعضاء التناسلية وما إلى ذلك .

وقد نقل العـرب الكتابـين الى اللغة العـربية في القـرن الثاني الهجـري / الثامن الميـلادي . والمؤكد ان يـوحنا بن البـطريق المتوفى سنـة 200 هـ / 815م هو الـذي تولى التـرجمة . ويـروي ابن النديم (الفهـرست ، ص 251) إن ابـا عـلي عيسى بن زرعـة المتوفى سنة 398 هـ / 1008م هو الذي بدأ بها . كما يروي القفطي ان ابن زرعة صنـع ترجمة سريانية للكتابين بالاضافة الى العربية[18] .

وقـد ذكر العـرب الكتابـين باسم واحـد هو كتـاب الحيوان لارسـطو طـاليس ، وإهتموا بمضامينه ، فأثار فيهم فعالية فكرية واسعة فتحت لهم آفاقاً جديدة في التشريح والفسلجة ، وتعليل الامراض وأعراضها وعلاماتها . فلخصه ثابت بن قرة المتوفى سنـة 211 هـ / 1288م بعنوان جوامع الحيوان لارسطو طاليس . ويحتمـل كثيراً ان الجـاحظ المتـوفى سنة 254 هـ / 868م والمعـاصر لمترجم الكتـابين يحيى بن البـطريق ، قد اطلع على الترجمة وتأثر بها عندما وضع كتابه القيم (الحيوان) .

كما التفت الفارابي المتـوفى سنة 339 هـ / 950م الى التـرجمة العـربيـة وعـارضهـا بكتابه الموسم (رسالـة في اعضاء الحيـوان وأفعالهـا وقواهـا) . وصنفت جماعـة اخوان الصفا (أواخر القرن الرابع) كتاباً باسم (نعت الحيوان غير الناطق وما فيه من المنافـع والمضار)[19] أخذوه عن كتـاب (نعت الحيوان) المنسـوب وهما الى ارسـطو . ولم يقاوم ابن سينا المتوفى سنـة 428 هـ / 1037م إغراء مـا في كتاب الحيـوان من مضامـين علمية فادخل بعضها في كتابه (الشفاء) كما لخص الكتاب ابو علي بن الهيثم المتوفى سنة 430 هـ /1038 م[20] . ثم جاء ابو الفـرج عبدالله بن الـطيب المتوفى سنـة 435هـ / 1043م واختصر المقالات العشر الاولى من الكتاب . وقد وجدت ترجمة لاتينيـة لاعمالـه لابن رشد المتوفى سنة 565 هـ / 1198م وفيها بحث في ولادة الحيوان لارسطو .

---

(18) القفطي ص 41 .

(19) حاجي خليفة ـ كشف الظنون 696/1 .

(20) بدوي ـ اجزاء الحيوان ص 32 .

وآخر من قرّض كتاب الحيوان من القدماء هو عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة 629 هـ / 1231م وكان كتابه باسم اختصار كتاب الحيوان لارسطو طاليس .

الطب اليوناني في الاسكندرية

(330 - 30 ق . م)

تعتبر مدرسة الاسكندرية المنتدى الثاني للاطباء اليونانيين بعد مدرسة اثينة ، والمعهد الذي تبلورت فيه علومهم الطبية ، وأهم وأقوى جسر عبرت عليه تلك العلوم لتصل إلى مطافها الاخير عند العرب . وتاريخ مدرسة الاسكندرية جزء لا يصح فصله عن تاريخ الطب اليوناني ، نذكر منه باختصار ما له علاقة بالعرب والطب العربي :

نبذة جغرافية وتاريخية

أسس الاسكندر عام 332 ق . م مدينة على القرية الفرعونية (الراقودة الرابضة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، وسماها الاسكندرية نسبة الى اسمه الذي اطلقه ايضاً على أكثر من سبع عشرة مدينة بناها في شتى البلاد التي استولى عليها[1] . وتوفى الاسكندر شاباً بعمر الثالثة والثلاثين في بابل سنة 323 ق . م ، وقسمت ممتلكاته بين قواده الثلاثة ، فصار من نصيب انتيجينوس المتوفى سنة 301 ق . م بلاد اليونان ومقدونيا وآسيا الصغرى وايطاليا وقبرص وصقلية . وحصة نيكاتور سلوقس المتوفى سنة 280 ق . م غرب آسيا الصغرى وديار سوريا وبابل وبلاد فارس . وحصة قائده الاعظم وأخيه من أبيه ، بطليموس المقدوني المتوفى سنة 283 ق . م بلاد مصر وأفريقيا (انظر الخريطة) . والاسم الاول لبطليموس هو سورتر ولقب (بطليموس الاول) كمؤسس لدولة البطالسة التي دام حكمها في مصر ثلاثة قرون (323 - 30 ق . م) وعرف ملوكها بحبهم للعلم وتعضيد العلماء .

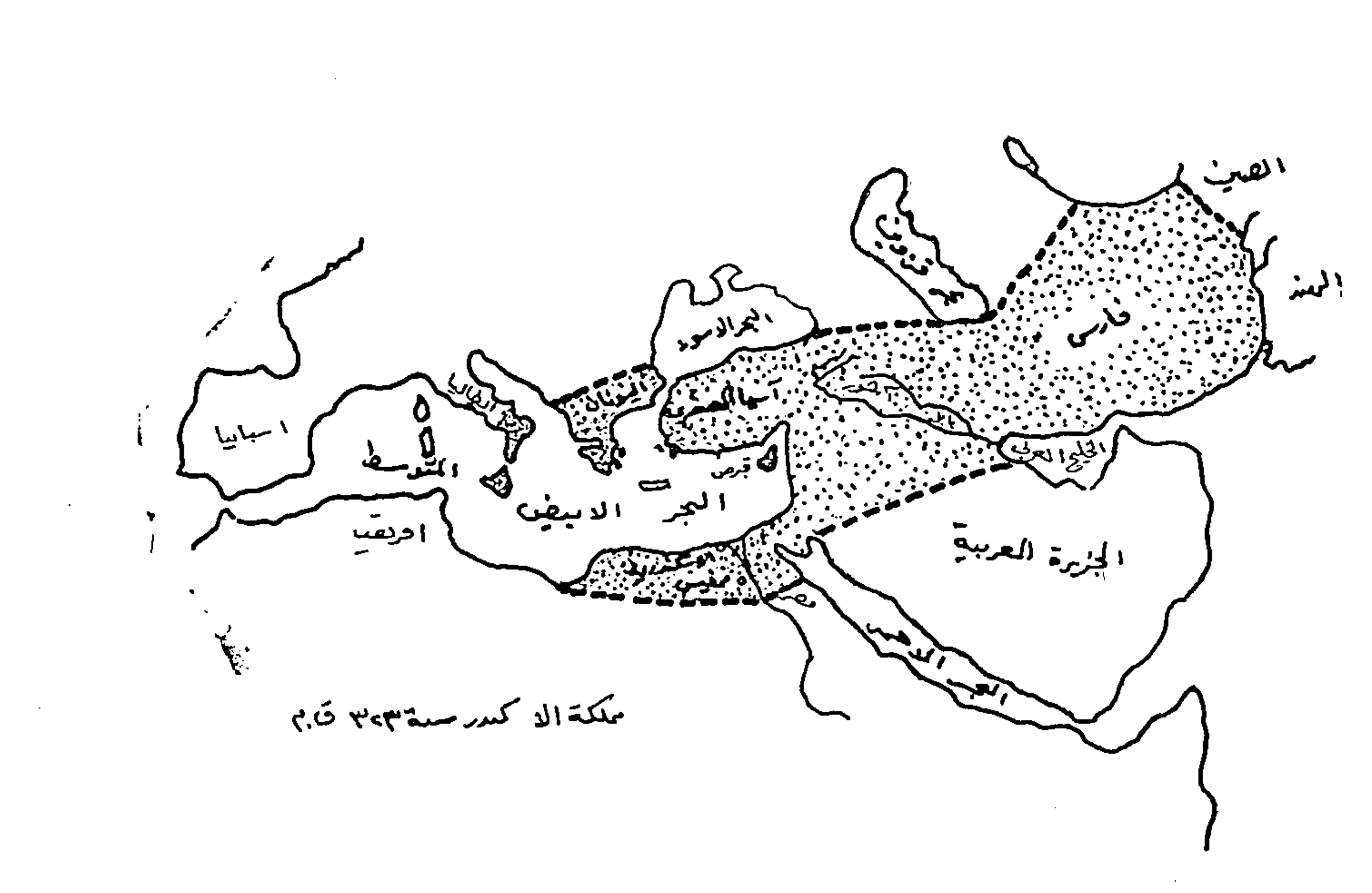
---

(1) سارتون ـ تاريخ العلم 51/4 .

وكانت مصر منذ القرن السادس للميلاد ، أي قبل دخول الاسكندر اليها بثلاثة قرون مألوفة لـدى اليونـانيين ، يـأتونها من أجـل التجارة ، أو الحصـول على معـارفها وحكمها الفرعونية كـما فعل فيثـاغورس . فكـانت العلاقـة بين الـطرفين عـلى مستوى الضيف والمضيف ، أو العـالم والمتعلم أو البـائـع والمشتـري . فلما حكم البـطالسـة في الاسكندرية توسعت مصالح اليونانيين في مصر التي كـانت تؤوي يومئـذ خليطاً ، ولـو قليلاً ، من عرب الجزيرة والفرس واليهود الـذين دخلوها عنـد خضوعهـا لحكم قمبيز الفـارسي (529 - 522 ق . م) . ثم دخلها اليهـود بكثرة في أيـام بـطليمـوس الثـالث (247 - 222 ق . م) . كـما اجتذبت مـدرسة الاسكنـدرية في عهـد البطالسـة الزاهـر الكثير من طلاب العلم . واصطبغت اكثر تلك الاقوام الوافدة إليها بالصبغة اليـونانيـة التي شملت أسـاليب المعيشة والتقـاليـد الاجتمـاعيـة وأسـماء الاعـلام أيضـاً . وكـان المصـريـون قـد احبـوا الاسكنـدر المقـدوني وألهوه على عـاداتهم فيـما يفعلونـه لملوكهم الفراعنة . فلما نقل بطليموس الاول رفات الاسكندر من بابل الى الاسكندرية ، عظم مركزه عند المصريين . كما عمل ـ اي بطليموس ـ من جانبه على كل ما يرفع من مـركز المدينة العمراني والعسكري والعلمي . فأسس مركزين علميين خلدا اسم الاسكندرية في الحضـارة الانسانيـة . المركـز الاول هو معهـد (الموسيـون) لتنشيط حركـة البحث والمتـابعـة العلميـة . والمـركـز العلمي الثـاني هـو المكتبـة المشهـورة بـاسم (مكتبـة الاسكنـدرية) التي استحـدثها لتكـون مرجعـاً لتقصي تاريـخ علوم السلف ومكتباً لمن يعمـل في معهد المـوسيون . وقـد نقلت الى هذه المكتبـة نفـائس الملفـات البـرديـة من مدرستي قوص وقنيدس ، ومدرستي اثينة وبرجامون[2] وغيرها ، حتى صار عدد ملفات بردياتها يزيد على بضع مئات من الآلاف .

ومما كان يساعد عـلى ازدهار العلم في الاسكنـدرية وجـود معامـل صناعـة ورق البردى التي انتعشت في زمن البطالسة ، حتى صارت المصدر المفضل إن لم يكن الوحيد

(2) برجامون ـ مدينة يونانية في شمال غرب آسيا الصغرى . كانت في القرنين الثالث والثـاني ق . م دويلة ذات شأن تجاري وحضاري وعسكري . اشتهرت بأعمال النحت وبمكتبتها التي لم تفضلهـا يومئذ إلاّ مكتبة الاسكندرية واثينة . كما نافست الاسكندرية في صناعة الرقوق الجـدية لتستعمـل للكتابة عليها عوض لفائف البردى .



مملكة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق.م

لهذه المادة الضرورية للعلم قبل أن يخترع البرجاميون تصنيع جلود الماعز للكتابة عليها .

ووصلت دولة البطالسة أوج مركزها الدولي وقواها العسكرية في حكم بطليموس الثالث المتوفي سنة 222 ق . م ، وهذا الملك هو الذي غزا فلسطين ودخل بابل واسترجع منها ما نهبه قمبيز الثاني الفارسي من تحفيات معابد وقصور الفراعنة .

وكانت آخر ملوك البطالسة كليوبترا الخامسة (51 - 30 ق . م) وفي عهدها (48 ق . م) وقع حادث له أهمية كبيرة في تاريخ الاسكندرية . فقد اختلفت هذه الملكة مع زوجها (اخيها) فتدخل يوليوس قيصر[3] حاكم روما ، الذي كان اسطوله حينذاك راسياً في ميناء الاسكندرية ، لحل ذلك الخلاف . فثار الشعب المصري إلى جانب ملكه ، زوج الملكة كليوبترا ، التي استنجدت بيوليوس قيصر ، فتقدم هذا وضرب المدينة بالنار وأحرقها . وكان بعض أقسام المكتبة احد ما أصاب المدينة من حريق وتدمير .

وقصة كليوبترا الذكية الجميلة مع يوليوس قيصر ، وانطونيوس ، واكتافيوس من القصص التي لا تنسى في تاريخ مصر . واكتافيوس هو الذي أنهى حكم البطالسة اليونانيين في مصر سنة 30 ق . م لينقل الحكم فيها إلى القياصرة الرومان . وينسب إلى كليوبترا كتابات في الطب النسوي تخص تجميل المرأة وتحصين انوثتها[4] .

مكتبة الاسكندرية[5] ومعهد الموسيون

لا يصح عزل مكتبة الاسكندرية عن معهد الموسيون عند الكلام عن احد هذين

---

(3) يوليوس قيصر ـ واسمه الاول كيوس (120-44 ق . م) سياسي وقائد عسكري روماني صار بذكائه قنصل (حاكم) روما في سنة 59 ق . م ثم انتزع الحكم من قيصرها سنة 49ق . م ، وحارب بومبي قائد اثينة فهزمه الى مصر حيث قتل فيها . وتوجه يوليوس قيصر الى مصر وأنحازت الى جانبه الملكة كليوبترا ضد زوجها الملك ، فضرب الاسكندرية بالنار وربما كان ذلك أول تخريب وحريق أصاب مكتبتها الشهيرة . ثم غزا يوليوس افريقيا ودخل اسبانيا ومن يومها انتشرت اللغة اللاتينية في تلك البلاد واخيراً اغتيل يوليوس من قبل نبلاء روما سنة 44م .

(4) Bayon- Trotula and the Ladies of Salerno, proceeding the Royal Society of Medicine Vol. 33. P. 217.

(5) اقرأ عن مكتبة الاسكندرية في مقدمة سارتون ـ 257-282 ، الحضارة العربية لريسلر ص 100-101 ،

المعهـدين ، فقـد كـانـا كـوجهي العملة في مـركـزهـا العلمي بحضـارة البـطالسـة في الاسكندرية . على أن اسم المكتبة أكثر تردداً بأقلام المؤرخين من الموسيون بالـرغم من أن أعمال هذا المعهد وابتكاراته في العلوم فاقت بكثير ما فعلته المكتبة ، في مجال المعرفة وخصوصاً في الطب .

كان اليونانيون والمقدونيون يقطنون حياً يعلو مرفأ الاسكندرية حيث ترسو السفن القادمة إلى مصر . وكان من عمائر ذلك الحي مكتبة الاسكندرية ، ومعهد الموسيون . وكانت المكتبة قد انشئت لحفظ البرديات المخطوطة لتكون مرجعاً لـطلاب العلم الذين يـدرسون التـاريـخ والعلوم الاخـرى . وكـان المـوسيـون مختبـراً لعلماء الـطب والفلك والطبيعيات . وقد درج نمو المكتبة بإطـراد وسرعـة فائقـة وكثرت مخـطوطاتهـا وتوسعت فعالياتهـا في النسخ والبحث والتـأليف مما تـطلب الامر إلى عمـارة اخرى لتضم الكتب الجديدة . فأضيف اليها ملحق (السرابيوم) ليستوعب المخطوطات التي استوردت من مكتبة اثينة ، والتي أخـذ ممن يمتلكها من الاجـانب الذين يفـدون إلى البلاد . وكـانت أوراق البردى يومئذ سلعة غاليـة الثمن ، فكانت بعض الكتب الاثرية النادرة ذات اقيام ليس من السهل الحصول عليها . فاستغل بطليمـوس الثالث مـركزه الملكي واستملك نفائس المخطوطات من المكتبات الخاصة وضمها إلى المكتبة حتى صار فيها ما يربـو على مائتي الف لفافة بردية ، وقيل ضعف هذا العدد .

بقيت اسكندرية البطالسة تـزهو بمكتبتهـا العتيدة مـا يقرب من الثـلاثة قـرون . وكانت ما تزال في أعالي مجدها العلمي حين ضرب اسطول يوليوس قيصر الاسكندريـة بـالنار (40 ق . م) فكـانت هذه أول نكبـة أصابت مكتبـة الاسكندريـة . ثم توالت عليها النكبات بدرجات مختلفة مدى الستة القرون التالية . وفي الفصـل الآتي سنتكلم عن الاسكندرية تحت حكم الرومان الذي بدأ بوفاة كليوبترا سنة 30 ق . م .

اطباء الاسكندرية في أيام البطالسة

تضـاءل شأن مـدينة اثينـة بعد أن ازدهـرت الاسكندريـة في أيـام البـطالسـة . وصارت هذه المدينة أبرز مدن ذلـك الزمن في عـالمي السياسـة والعلوم والفنون . فقـد

مسالك الثقافة الاغريقية ـ أوليري ص 26-28 .

اجتذبت اليها باغراء من كرم حكامها البطالسة وإهتمامهم بالمعارف ، كبار العلماء والاطباء من كل البلاد ، أمثال اقليدس المهندس[6] وبطليموس الفلكي [7]وارخميدس الفيزياوي[8] والطبيبين العبقريين هيروفلس وايراسستراتوس. ويهمنا من تلك المجموعة الاثنان الاخيران اللذان كانا أبرز الاطباء عموماً في تلك الحقبة ، وخصوصاً في علمي التشريح ووظائف الاعضاء . ومن المؤسف أن مؤلفات هذين العالمين وابحاثهما قد ضاعت او احترقت مع ما أصاب مكتبة الاسكندرية من تدمير فيها بعد سنة 48 ق . م حين ضرب اسطول يوليوس قيصر مدينة الاسكندرية ، ونكبات العلماء الطبيعيين بعد ظهور النصرانية ، بعد منتصف القرن الخامس الميلادي . وما وصل إلينا من أفكار كان عن طريق مصادر مؤلفات جالينوس وما اخذه عن أعمالهم في التشريح والفسيولوجيا . وكان جالينوس كثير الكلام عن ايراسستراتوس، ومعارضاً لافكاره ، وهذا ما افادنا في معرفة الكثير من أعمال هذا العالم الكبير التي ضاعت أصولها الاولى . ولان هيروفلس وايراستراتوس قد تزاملا في العمل بمختبرات مدرسة الاسكندرية ، واشتركا معاً في كثير من البحوث العلمية فقد صار من الصعب في بعضها التأكد من تبعيتها لاحدهما دون الآخر . وأعمالهما دون شك ، صارت الاساس الثاني إلى جانب افكار أبقراط الذي بني عليهما جالينوس مجده العريض في التشريح والفسلجة .

---

(6) اقليدس Euclides ـ من مواليد صور سنة 323 ق . م وهو في الاصل يوناني . من أعماله كتابه الشهير (كتاب الاصول) أو المدخل الى الهندسة توفي سنة 300 ق . م في الاسكندرية ؟ (الفهرست ، ص 265-226 واليعقوبي ، ص 96 . والعبري ، ص 63 . وابن جلجل 39 والقفطي ، ص 62) .

(7) بطليموس Ptolmoes اشهر الفلكيين اليونان . ولد بمصر وعاش في الاسكندرية في حوالي السنين 90-168 م واشهر كتبه عند العرب هو المجسطي وهو كتاب في الفلك . كما له تأليف في الجغرافية ، وفي أحكام النجوم .

(8) ارخميدس ، من مواليد سرقوسة بصقلية في حوالي سنة 287 ق . م وتوفي بها في حوالي سنة 212 . من مشاهير علماء الفيزياء اليونانيين . ومكتشف نسبة قطر الدائرة الى محيطها (22:7) وقانون الجسم المغمور بالماء المعروف باسمه .

هيروفلس Hirophylus[9] (حوالي 280ق . م)

أصله من خلقدونية[10] اليونانية ، وإليها ينسب اسمه . درس الطب على تلاميذ مدرسة قنيدس ، واستقدمه بطليموس الاول (ت 283 ق . م) ليعمل في مختبرات الموسيون ، وبقي فيها ما بقي من حياته . وكان أكثر اشتغاله في المواضيع التشريحية ففرق بين المخ والمخيخ ، وبين الاعصاب واوتار العضلات ، وبين أعصاب الحس وأعصاب الحركة ، وبين الاوردة والشرايين . وعرف طبقات العين وسماها القرنية والشبكية والبيت الزجاجي وغير ذلك . ووصف البانكرياس ، والاثني عشر ، والبروستات ، وأعطى لها هذه الاسماء . كما وصف الاوعية اللمفاوية ، والمبيضين وانبوبي الرحم والغدد اللعابية[11] . وربما كان هيروفلس أول من التفت إلى تركيب الاعضاء الانثوية ، وأول من شرح جسم الانسان . ولاعماله الجسيمة في هذا الحقل لقب بأبي التشريح .

كما كان لهيروفلس قدم في الطب التجريبي والتطبيقي . فقد التفت باهتمام ال النبض وصفاته وصنوفه في تشخيص الامراض . فحسب عدد ضربات النبض على (ساعة) مائية[12] . واعتبر قوته من قوة القلب . ولم يسبق لاحد في العصر الابقراطي ان درس النبض بهذه السعة . أما في موضوع التداوي فقد اعتمد هيروفلس على التغذية والرياضة والوسائل الطبيعية الاخرى دون الالتفاف الى الطرق العملية كذلك يعزى الى هيروفلس أول استعمالات القسطرة لتفريغ المثانة ، كما قيل أنه اشتغل بطبابة التوليد واستعمل في الحالات العسرة آلة خاصة لتقطيع الجنين وتفتيته[13] .

---

(9) اقرأ عن هيروفلس في Robinson, P. 71-72
وقصة الحضارة 158-155/8 Carrison, P. 103-104.
(10) خلقدونية ـ مدينة صغيرة على البسفور مقابل بيزنطية .
(11) Robinson, P. 69
Lund, P. 51.
(12) المصدر السابق ص 52 .
(13) المصدر السابق ص 53 .

ايراسستراتس Erasistratus[1]

يوناني من مواليد جزيرة قوص . وكان أبوه طبيباً ، كما قيل أنه احد احفاد ارسطو من أحد بناته ، وإنه عمل في بلاط نيكاتور سلوقس[15] قبل أن يلتحق بمدرسة الاسكندرية ويزامل هيروفلس فيها . وكانت أكثر ابحاثه في وظائف الاعضاء ، وكان من أبرزها ما خص به علاقة الهواء بالدم وضروروته للحياة . فهو مبتدع نظرية Pneuma . وهو أيضاً أول من أشار الى تلاقي نهايات الشرايين بنهايات الاوردة بواسطة ما نسميه اليوم (الاوعية الشعرية) ليحصل فيها بينها ما يزود الانسجة بالدم الذي يحتوي على الهواء[16] . وكانت نظرية الـ Pneuma تشغل بال ايراسستراتس وهو الذي استحدث اسم القصبة الهوائية[17] Trachea . وقال ان الدم يتولد في الكبد وإن الطحال لا فائدة من وجوده (Robinson P.75). كما وصف ابراسستراتوس ما يحدث في العضلات اثناء الحركة الى امتلائها بالروح الحيوانية التي تصل إليها بطريق الاعصاب . واختلف ايراسستراتس مع ابقراط في ان اضطراب الاخلاط يسبب الامراض ، وادعى ان سببها هو فيض الدم على البدن أو ما يسمى بالامتلاء Plithora[18] وآمن تلامذته بهذا الرأي وادخلوا الفصد في علاج هذه الحالة المرضية . ألا ان ايراسستراتس عارض تداويها بالطرق العنيفة كالفصد ، واستعاض عنها بالرياضة وحمام البخار والتغذية الملائمة .

---

(14) المصدر السابق والصفحة P. 72-75

(15) قيل ان ايراستراتوس عالج ابن سلوقس المريض وشفاه . كما قيل أن مرض ابن سلوقس كان سبب عشقه لزوجة ابيه فوهن حتى عجز عن مغادرة فراشه . وقد اكتشف ايراستراتوس أمره حينها تسارع نبضه عندما دخلت زوجة ابيه حجرته ، فعالجه على هذا الاساس .
واقرأ ايضاً عن ايراستراتوس في قصة الحضارة (ديوارنت 8/155-158

(16) Robinson, P. 69

(17) Lund, P. 54.

(18) المصدر السابق ص 55 و Robinson, P. 71.

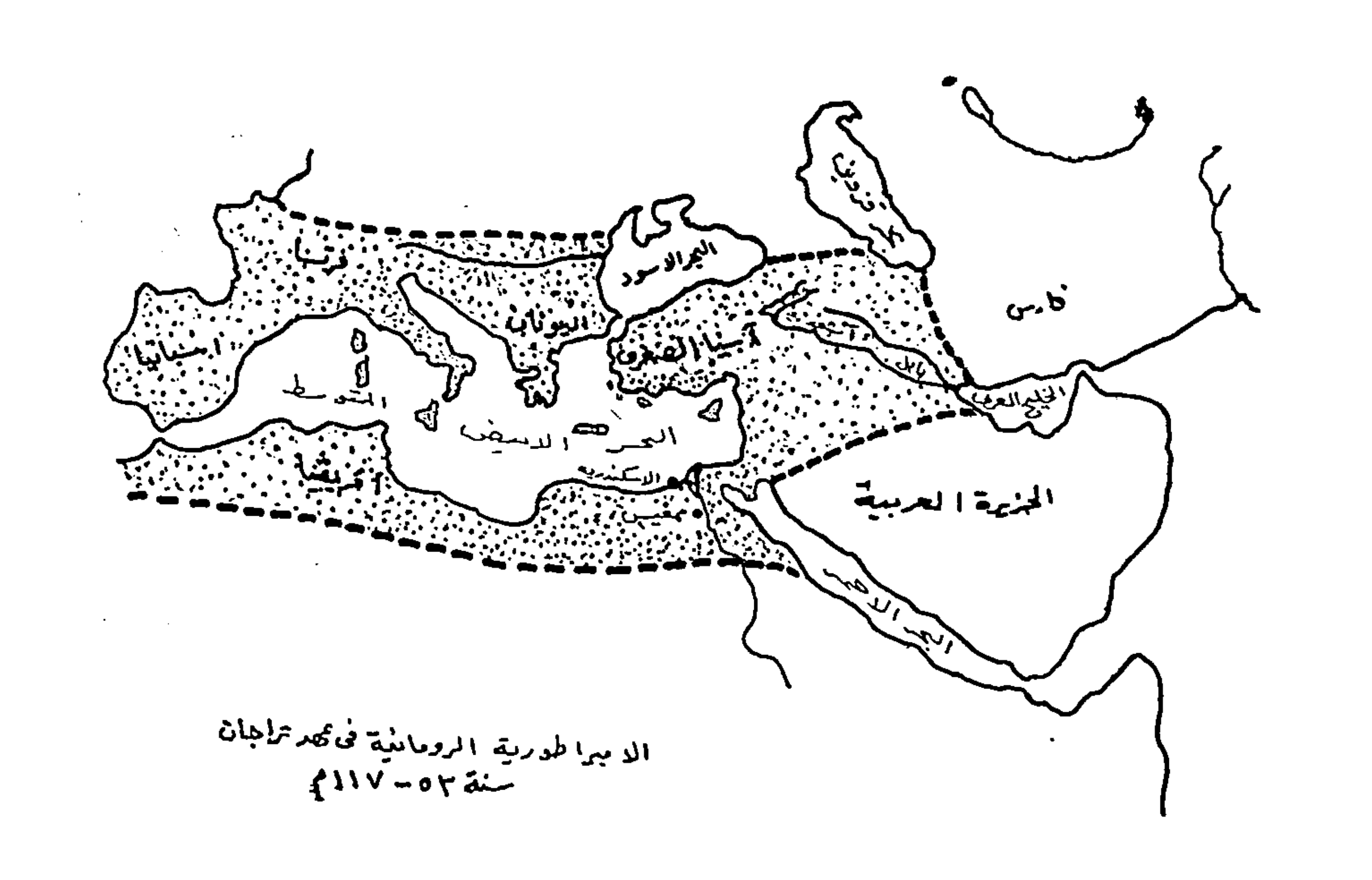
الطب عند الرومان[1]

100 ق . م - 395م

صارت روما صاحبة الولاية على الاسكندرية بعد أن ازاحت عنها الحكام البطالسة سنة 30 ق . م كما أسفلنا ذكر ذلك ، كما استولت على شمال أفريقيا وبعض إسبانيا ، وكل مدن سوريا وما بين النهرين واحدة بعد الاخرى (انظر الخريطة) . على ان اللغة العلمية في تلك الاقطار الشاسعة بقيت باليونانية ، لا اللغة اللاتينية التي هي لغة روما والرومان . كذلك احتفظ الاطباء اليونانيون بالسيطرة والرئاسة على الطب والاطباء عموماً . وبالاختصار ، لقد ورث الرومان ممتلكات الحكومة اليونانية إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينتزعوا من اليونانيين الزعامة العلمية والطبية . وقد بقيت روما وتوابعها طيلة الستة القرون الاولى بعد حكم اليونانيين من غير طبيب يعمل بالقواعد العلمية في هذه الصناعة . فكانوا يعتمدون على التعاويذ والنصائح التقليدية التي تصل إليهم على لسان الاطباء الوافدين إلى البلاد . ومن أبرز علامات التخلف في هذا الحقل إن كان من الرومان من يفضل الاحتفاظ بالافاعي في بيوتهم تيمناً بما كان يفعله سدنة معابد السقِلْبيُّون في العصور اليونانية القديمة على استقدام الاطباء لفحص مرضاهم في البيوت . ولم يكن الطبيب في نظر الكثير منهم إلا مبدأ للأرواح ، كما كان بعض السادة الرومان يعتبرون الطبيب مواطناً من الدرجة الثانية . ومنهم من كان يأمر عبيده أن يتعلموا الطب ليخدموه في هذه الصنعة مثلما يؤدي أي مملوك الأعمال

(1) اقرأ عن هذا الموضوع :

Carrison-Introd. History of Medicine, P. 105.



الامبراطورية الرومانية فى عهد تراجان
سنة ٥٣-١١٧م

الأخرى في بيت سيده . لـذا كان الأطبـاء الرومـان من المستويـات الدنيـا ، والجيدون منهم كانوا من اليونانيين الوافدين إلى البلاد لا من المواطنين الرومان .

ومما يدعو الى الاستغراب ، أن بالرغم من تفـاهة الـطب ونزرة الاطبـاء في روما وتوابعها من المدن ، وعدم إهتمام حكامها بالشؤون الطبية ، فقد كانت روما وكبريات المدن في ديارها ، تتمتع بدرجة من وسائل الوقاية الصحية والطب الاجتماعي . فكان فيها تدفئة مركزية منذ مائة سنة قبل الميلاد . وفيها أفضل طـرق ذلك الـزمان لتـوصيل المياه النـظيفـة الى بيـوت السكن والامكنـة العـامـة . وفيهـا مجـاري للميـاه القـذرة والاوساخ . كما استحدث فيها اخيراً محلات لحجـز نساء الـدعارة لمكـافحة الامـراض المعدية . وتغير مركب الطب والاطباء إلى الافضل في حكم يوليـوس قيصر (100 - 40 ق . م) وربما كان ذلك إثر مـا شاهـده هذا الحكم في الاسكنـدرية حـين كان يعـاشر كليوبترا ، من مدارس ومكتبات ومعاهد . فـأدرك ضرورة التسلح بـالعلم إضافـة إلى القوة العسكرية التي كان يعدها للسيـطرة على البحـر الابيض المتوسط . كـما رأى هذا القائد حاجة جيـوشه الى الاطبـاء الجراحـين فدعم مـركز هـذه الفئة ، ومنـح الرعـاية الخاصة لكـل طبيب اجنبي يعمل في بـلاده ، وأسس مراكـز للمعالجـة المجانيـة . وقد درج اخـلاف يوليـوس على هـذه السياسـة ، فضموا الى رعـايـاهم كثيـراً من الاطبـاء اليـونانيـين المشهورين بـالحذق والممـارسة ، وخصـوصاً من كـانت له خبـرة في الـطب الجـراحي . وبرز بمـرور الزمـان أطباء جـدد صار لهم مكـان فسيح في تـاريـخ الـطب عـامة ، ونسبت إليهم أعمـال في الطب الجـراحي تعتبـر أولى طـلائـع الابتكـارات في العمليات الجراحية . نذكر منها بالتخصيص عملية الكاتاراكت ، وذات الـدم ، وشق القصبة الهوائية ، والعملية القيصرية[2] ؟

ومن المهم أن نذكر هنا ما حل بمدرسـة الاسكندريـة ومكتبتها في هـذه الحقبة ، عـلى اعتبارهـا القطب الـذي تدور حـوله احـداث الطب والعلوم الاخـرى منذ أفـول

---

(2) Carrison, P. 108 ولم اعثر في اي مصدر تراثي على أن الرومانيين أو اليونانيين قد مارسوا العملية القيصرية . أمـا ولادة اسقليبيوس بهـذه العملية فهي اسـطورة لا حقيقة . فمن اين حصـل هذا المؤلف على معلوماته عن العمليات الجراحية التي ذكرها ؟

مدارس اثينة حتى وصول الطب اليوناني إلى العرب عن طريق تلك المدرسة العتيدة .

تمتعت مدرسة الاسكندرية ومكتبتها بشهرة علمية لم تحظ بمثلها مدرسة أخرى منذ أسسها بطليموس الاول (360 - 283 ق . م) وحتى انقراض حكم البطالسة بوفاة امبراطورتهم كليوبترا في عام 30 ق . م . وفي الفترة ما بين هذا التاريخ وظهور جالينوس كانت الاسكندرية تحت حكم الرومان . وهؤلاء شعوب حديثو المعرفة بالعلوم ، خاصة في الطب ، فلم يلتفتوا بإهتمام الى مدرسة الاسكندرية ومكتبتها والمعاهد الاخرى في المدينة ، ولم يعضدوا من يعمل فيها . وربما فعلوا ذلك لتبرز مدينة روما كعاصمة تليق بدولتهم المعظمة . وهذا ما دعا الى تأخر الحركات العلمية في الاسكندرية ، وقل فيها أعمال الاطباء . كما طمست اخبارها بسبب الاعمال الحربية الجسام التي كان يقودها اباطرة روما في كل مكان . ثم برزت أخبار الاسكندرية على الصعيد العلمي بظهور جالينوس البرغامي (131 - 201 م) ولان جالينوس قد قصد الاسكندرية وراء التعلم ، وأنه أكمل دراسة علوم التشريح في مدرسة الاسكندرية ، فيتحتم على هذا ان هذه المدرسة يومئذ كانت على مستوى عالي في العلوم الطبية . وان إهمال الحكام الرومان لهذه المدرسة لم يؤثر على فعاليات علمائها في تطوير هذه الصناعة . وكانت لغة العلم في معاهد الاسكندرية باللغة اليونانية أما لغة العامة فكانت بالقبطية ، وهذه اللغة هيرغلافية مصوّرة بزيادة قليل من الالفاظ الصوتية ، والاقباط مصريون وقد دخلتهم المسيحية في سنتها الثانية بعد ظهورها في بيت لحم وفي صدر القرن الثالث الميلادي أي بعد وفاة جالينوس بالتحديد (201 م) ، أصاب المدرسة خمول في التدريس والبحث والتأليف ، جراء النزاع العقائدي بين النصارى الغلاة بدينهم الجديد ، والعلماء اليونانيين الوثنيين العريقين بعلوم الطبيعة والطب . فساد حكم الاساقفة روحياً ومدنياً على الناس . ولم يسمع عن معاهد الاسكندرية إلا عندما نهبت الاسكندرية سنة 366 م . وتلا هذا الحادث تخريب معهد الموسيون سنة 392 م . وبعيد هذا التاريخ آل الحكم في الاسكندرية الى الاباطرة البيزنطيين . وسوف تكون لنا عودة للكلام عن مدرسة الاسكندرية في هذا العهد الجديد الذي يمتد حتى دخول العرب فاتحين الى مصر سنة 22 هـ / 642م . أما في الفصل التالي فسنذكر ما نعرفه عن اشهر الاطباء في العصور الرومانية الذين كانت لاعمالهم علاقة بالطب العربي ، علماً بأنهم لم يكونوا من اصل روماني ، بل كان اكثرهم من آسيا الصغرى

اليونانية . إلا أنهم عاشوا في مواطن وعصور رومانية . وإننا في الحقيقة لسنا واثقين كل الثقة من تواريخ حياتهم ، كما ان اكثرهم عاشوا في ازمان متقاربة أو متداخلة فيما بينها . ولا نعرف أيضاً مسارح أعمالهم في الصنعة ، أو تسلسل انتقالاتهم بين الامصار ، إذ لم يكن العلماء يومئذ يهتمون بتسجيل مفصل سيرهم بقدر ما كانوا يهتمون بتسجيل ما يبتدعونه من الافكار والاعمال التي تضيف معارف جديدة إلى الطب ، فكانت النتيجة ان صارت معلوماتنا عن خصوصياتهم جد قليلة ، بينما اتحفونا بوافر من المؤلفات والافكار حرص العرب على الاستفادة منها على أوسع نطاق .

ويعتبر كل من الطب الروماني والبيزنطي الذي سندخل في موضوعه في الفصل الآتي ، من نواحي كثيرة سيجيء ذكرها ، امتداداً للطب اليوناني ، أو هو تتمة للعلوم التي بدأ باستنباطها فيثاغورس ، وأبقراط ، وهيروفلس ، وايراسستراتس وأترابهم من أطباء عصور ما قبل الرومان ، وهو من حيث الاساس طب يوناني ، ومكتوب باللغة اليونانية . من جهة أخرى فان طب العصور الرومانية والبيزنطية كان أكثر تنويعاً من حيث تفاصيل الاختصاصات الدقيقة في الطب من الذي مارسه اسلافهم اليونانيون . كما لم يصل الينا من أطباء هؤلاء الا كتب قليلة كانت جميعها من أعمال ابقراط دون غيره من الاطباء ، بينما وصل الينا من كتب جالينوس (وهو روماني بالتبعية) وحده ما يزيد على المائة واربعين كتاباً ، نقلت جميعها إلى اللغة العربية ، وصارت كإحدى الكتب العربية الكثيرة الاخرى التي شاركت في نشر المعارف الطبية الى كل أطراف الاقطار الإسلامية . ومن هذا ينبعث اهتمامنا بالعلوم اليونانية وكتبها التي عرفها العرب مترجمة الى لغتهم ، وصارت إحدى الكتب العربية الاخرى المتداولة بينهم[3] . ونذكر فيما يلي أشهر أطباء العصور الرومانية الذين عرفهم الاطباء العرب وقرأوا كتبهم وأخذوا عنها .

1 ـ اريتس الكبودي Aretus The Cappdocian[4]

طبيب يوناني الاصل عاش في القرن الثاني/الثالث الميلادي . ويحسبه البعض

---

(3) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 159 . واقرأ البحث القيم عن (مدرسة الاسكندرية ومناهج التعليم الطبي) لالبير زكي اسكندر في مجلة معهد المخطوطات ج 1977/32/1 .

(4) اقرأ عن اريتس الكبودي في :

ثاني طبيب سريري بعد ابقراط . له تآليف في الطب تعد من المفقودات الثمينة في التراثيات اليونانية . وكل ما وصل إلينا منها فقرات وجدت في بعض كتب العصر البيزنطي المتأخر . ومن هذه الكتب عرف ان أريتس أول من فرق بين الشلل بإصابة دماغية والشلل بإصابة في العمود الفقري ، وإن له معلومات قيمة عن الامراض العقلية والفروق بين أنواعها . وله وصف دقيق لمرض الكزاز ، وذات الرئة ، وذات الجنب المضاعفة بالخراج[5] ، وداء الفيل[6] ، والديابيطس . وقد اعتبر ارتيس هذا المرض الاخير من صنف الاستسقاء البطني (الحبن) ، إلا أن الماء الذي يتجمع في الجسم في حالة الديابيطس يفرز مع البول ، وفي حالة الاستسقاء يبقى في البدن . وينسب الى اريتس كتاب في العلل المهلكة[7] .

2 ـ اسقليبيادس Asclepiades[8]

طبيب يوناني بالاصل ، روماني بالمواطنة . ولد ونشأ في بتيته بآسيا الصغرى بحدود سنة 124 م ، اي قبل وصول الرومان إلى حكم مصر والشرق بقرن تقريباً . ويعتبر هذا الطبيب أول من جمع بين علامات الالتهابات الاربع : الالم ، التورم ، الحرارة ، والاحمرار . وأول من عالج الامراض العقلية بالرياضة والموسيقى

Carrison. P. 27, 101, 110, 123

Clendeuing-Sourse. History. Medc. P. 52-56

Robinson-Story of Medicine, P. 114-119.

Lund-Greek Medc. P. 87-89.

Sezgin-Gas., 3/51.

(5) Clendening, P. 52.

(6) لم تذكر المصادر المتوفرة لدينا فيما اذا كان اريتس قد وصف علامات داء الفيل ، أنه هو الذي سماه داء الفيل أيضاً ، اذ ان العرب قد عرفوا هذا الداء وسموه بهذا الاسم ، فهل ان هذا الاسم من وضع العرب أم أنهم اخذوه عن اليونانيين ؟ ونعرف ان هذا الداء كان معروفاً عند المصريين القدماء أيضاً .

(7) Carrison, P. 56, Clendening, P. 54.

(8) اقرأ عن اسقليبيادس في : سارتون ـ تاريخ العلم 254/4 .

Carrison, P. 106-107. Robinson, P. 91-93.

Sezgin, 3/55, Lund, P. 67.

والمهـدئـات ، وأول من شق القصبـة الهـوائيـة من الـرقبـة لتسهيـل التنفـس في حـالـة الاختناق . كما استعمـل الحمامـات Hydrotherapy لاغراض طبيـة . وهذه الاعمـال الطبية ليست مبتكرة فقط ، بل هي أيضاً من عيون المواضيع في الطب التطبيقي قـديماً وفي هذا اليوم أيضاً .

3 ـ ديوسقريدس Dioscorides[9]

ديوسقريدس من أعاظم الاطباء الذين اشتغلوا في روما في المائة سنة التي أعقبت الميلاد . وهو سابق لمولد جالينوس بثلث قرن على الاقل ، وأشهر طبيب عند العرب في علم الحشـائش والمفـردات الـطبيـة . ولـد في عـين زربى[10] من أب يـونـاني ، وإليهـا ينسب . وأطلق عليـه أيضاً لقب صـاحب النفس الـزكيـة ، والحكيم الحشـائشي[11] . واسم ديوسقريدس مركب من مقطعين ، ديسقوري ومعناه باليونـانية أشجـار ، ودوس بمعنى الله ، اي أن ملهمه لمعرفة الحشائش والاشجار هو الله . كما كان قـومه يـدعونـه أزدش نيـاديش . وكان الـطبيب الخـاص لنيـرون[12] (54 - 86م) عمـل جـراحـاً في جيشه .

تولع ديوسقرديس بجمع شتلات الاعشاب ودراسة طبيعتها ، واكتشاف منـافعها في الـطب . ووضع بعـد دراسة هـذا الموضـوع اربعين سنـة ، مؤلفه الشهـير : كتاب الحشائش او كتاب هيولي (مادة) الطب . وقد ضمنه ما يزيد على التسعمايـة وخمسين

---

(9) اقرأ عن ديوسقريدس في الفهرست لابن النديم ص 292 ، وتـاريخ الحكـماء للقفطي ص 183 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 58 ، ومختصر الدول لابن العبري ص 104 وطبقات ابن جلجل ص 31

MEDECINE ARABE, 1/ 236 - 239 LUND, P. 107

Lund, P. 81. Leclerc-Medec.

ARab 1/236-239. Ullmann-Mediz. Islam P. 260-264. Sezgin, 3/59.

(10) عين زربي ـ بلدة يونـانية ثم رومـانية ثم اسـلامية في جنـوب آسيا الصغـرى قريبـاً من المصيصة ازدهرت في أيام سيف الدولة الحمداني المتوفي سنة 357 هـ 967م .

(11) ابن القفطي ص 182 ، ويقول ص 182 ، ويقول النص (ان معنى اسمه بـاليونـانية شجّـار الله (دياسقور) معناها شجار و(يدوس) معناها الله اي ان اسمه ملهم (من الله بدراسة الاشجار) .

(12) نيرون ـ امبراطور روماني (54-86 م) اشتهر بفضائحه وقسوته واضطهاده للمسيحيين . قتل امه وزوجته ، واتهم بحرق روما ، وتوفي منتحراً .

عقاراً . وصف فيه مصادرها وخواصها الطبيعية والدوائية . وهو أول من اكتشف فعل الافيون في قطع الالم ، وتسكين السعال ، وفعل السرخس في قتل الديدان الشريطية في الامعاء ، وفوائد الصبر في الاستعمالات الطبية . . فديوسقريدس ليس عشاباً فقط بل عقاقيرياً وبحاثة في علم الدواء ، قال عنه جالينوس : (تصفحت أربعة عشر كتاباً في الادوية المفردة لاقوام شتى ، فما رأيت فيها أتم من كتاب ديوسقريدس)[14] . وقال يحيى النحوي عن ديوسقريدس (هو صاحب النفس الزكية ، النافع للناس المنفعة الجليلة ، المتعوب ، المنصوب ، السائح في البلاد ، المقتبس لعلوم الادوية المفردة من البراري والجزائر والبحار ، والمصور لها المعدد لمنفعتها)[15] .

ولديوسقريدس بالاضافة إلى كتاب الحشائش ، كتاب السموم ، وكتاب في الحيوان ذوات السموم . ولاهمية الكتاب الاول سنتكلم عنه فيما يلي بقدر من التفصيل .

كتاب الحشائش لديوسقريدس[16]

ويسمى أيضاً هيولى علاج الطب . وضعه ديوسقريدس في أنواع النباتات ، وما ينتفع من أوراقها وازهارها وأثمارها وجذورها في التداوي . كما ادخل فيه أنواع الادوية من مصادرها المعدنية والحيوانية ، وعزز الكلام عنها بالصور والمخططات ، وصنف هذه المعلومات في خمس مقالات ، وضم إليها مقالتين تبحثان في الدويبات وسموم الحيوانات . وقد تكون هاتان المقالتان قد لصقتا بآخر الكتاب بعد وفاة ديوسقريدس ، وكانتا من تأليفه أو منحولة عليه . وفيما يلي أبواب الكتاب ومضامينها :

المقالة الاولى ـ وتتضمن الادوية العطرة ، والادهان والصموغ وبعض الاشجار الكبيرة .

---

(14) ابن ابي أصيبعة ص 59 ، القفطي ص 182 .

(15) اسحاق بن حنين ـ تاريخ الاطباء ص 68 .

(16) ابن أبي أصيبعة ص 59 ، يوسف حبي ـ كتب الحشائش العربية ، مجلة معهد المخطوطات العربية م 28/ج 2 (1984) ص 521-546 .

المقالة الثانية ـ في الحبوب والقطاني ، والبقول المأكولة والحريفة ، والادوية المستخلصة منها .

المقالة الثالثة ـ وتبحث في أول النبت والصموغ والحشائش المزهرة .

المقالة الرابعة ـ وهي في الادوية المستخلصة من الحشائش الباردة ، والحشائش الحارة ، وما كان مقيئاً او مسهلاً أو مضاداً للسموم .

المقالة الخامسة ـ وهي في أنواع الكروم ، والاشربة والادوية المعدنية .

وقد ترجم اصطيفن بن باسيل هذا الكتاب من لغته اليونانية الى العربية في أيام الخليفة المتوكل (232 - 247 هـ / 847 - 861م) . وكان ديوسقريدس يرطن باللغة اليونانية ، إلا أنه مع ذلك أجاد في العبارة التي استعملها في كتابه (Robinson, P.101) أما المترجم اصطيفن فلم يحسن على ما يبدو نقلها إلى العربية ، لانه لم يكن يحسن اليونانية التي وضع بها الكتاب . وعرضت الترجمة على حنين فأصلح منها ما يمكن اصلاحه وأجازها للنشر[17] . فوصلت الى الاندلس وصار الاطباء يرجعون إليها حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300 - 350 هـ / 912 - 961م) . وفي حوالي سنة 337 هـ / 949م وصل الى قرطبة نفس كتاب ديوسقريدس بصيغته اليونانية ، هدية من ارمانوس امبراطور بيزنطيا الى الخليفة الناصر ، فنقلت الى العربية بواسطة الراهب نقولا مبعوث الامبراطور البيزنطي في قرطبة ، ومشاركة كل من حسداي بن شبروط طبيب الخليفة ، وأبي عبدالله الصقلي الذي كان يعرف اللغة اليونانية ، وعبد الرحمن

---

(17) قال ابن جلجل : (ان كتاب ديوسقريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في أيام جعفر المتوكل . وكان المترجم له اصطفن بن باسيل الترجمان من اللسان اليوناني الى اللسان العربي . وتصفح ذلك حنين بن اسحاق المترجم ، فصحح الترجمة وأجازها ، فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي ، فسره بالعربية ، وما لم يعلم له في اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني ، اتكالاً منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي . وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفن ، منه ما عرف له اسماً بالعربية ومنه ما لم يعرف له اسماً ، فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالاندلس الى أيام الناصر عبد الرحمن بن محمد وهو يومئذ صاحب الاندلس .. الخ (مقدمة طبقات ابن جلجل صفحة ك) .

بن اسحق بن هيثم ، ومحمد بـن سعيد الطبيب ، والبسباسي ، ومحمـد الشجار ، وأبي عثمان اليابسة . ويظهر من مقدمة كتاب تفسير كتاب ديوسقرديس المذكور الذي صنعه ابن جلجـل ، إن هـذا الـطبيب الاخـير قـد شـارك في تـرجمـة الكتـاب المـذكـور الى العـربية[18] ، إلا أن أبن أبي اصيبعـة لم يشر إلى هـذه المشـاركـة لا من قـريب ولا من بعيد . وهكذا صار لدى اطباء الاندلس ترجمتان لكتاب ديوسقريدس . الاولى بغدادية من صنع اصطيفن ، والثانية التي عملت في قرطبة التي نحسبها كانت في نظرهم أفضل من الاولى إلا أن مخـطوطتها تعتبـر من المفقودات أمـا مخطوطـة بغداد فمـوجودة في أيـا صوفيا ، وخدابخش بتنه بالهند ، والمكتبـة الوطنيـة بمدريـد ، وفي دار الكتب المصريـة بسبـع مجلدات . وقـد طبـع قيصر دبلر واليـاس تـرت المخـطوطـة الاخيـرة في تـطوان وبـرشلونة في سنتي 1952 و1957 . ولا نعـرف شيئاً عن مصـير ترجمـة قرطبـة . على إن عدم العثور على مخطوطة هذه الترجمة لا يعني ان ترجمة الكتـاب لم تتم في قرطبـة ، وإن ليس لها وجود في الاصل كما يعتقـد بعض المؤرخين المعـاصرين . وفي طبقـات ابن أبي أصيبعة (ص 493 - 494) معلومات مفصلة عن ترجمة الكتاب إلى العربية في قرطبة بما لا يدع الشك يتسرب الى واقعية الترجمة المذكورة .

واكتشف البـاحث صـلاح الـدين المنجـد في سنـة 1960 تـرجمـة ثـالثـة لكتـاب ديوسقريدس في مكتبة الامام علي بن موسى الرضا بمشهد لم يكن أحد من الباحثـين قد أشـار الى وجودهـا . وهي نسخة مصـورة يرجـع تـأريـخ خـطهـا إلى القـرن السـابـع الهجري ، ومترجمها هو مهران بن منصور بن مهران ، وقد نقلها عن نسخة بالسريـانية لحنين بن اسحاق إلى صاحب ميّافارقين ومـاردين وآمد الامـير نجم الدين البى بن تمـر تـاش الارتقي المتـوفي سنـة 575 هـ / 1179م (المنجـد ـ مقـدمـة كتـاب الاعشـاب لديوسقريدس ص 12) . ويـذكر مهـران في مقدمـة الترجمـة المذكـورة إن هناك تـرجمة اخـرى إلى العربيـة لنسخة حنـين السريـانية من عمـل ابي سـالم الملطي ، إلا أن هـذه الترجمة لم تكن حسنة فطلب نجم الدين البي من مهران اعـادة ترجمتهـا بقلمه فكـانت الترجمة التي نتكلم عنها . وبهذا يكون لكتاب الحشـائش لديـوسقريـدس أربع او خمس ترجمات ، الاولى بالعربية بقلم اصطيفان بن باسيل ، والثانية الى السريانية بقلم حنـين

(18) مقدمة طبقات ابن جلجل ، صفحة (ط) و(يح) .

بن اسحاق ، والثالثة هي التي نقلت في قرطبة عن اليونانية الاصل . والرابعة بترجمة مهران بن منصور عن نسخة حنين السريانية . أما الخامسة التي لم تعجب الامير الارتقي فهي بترجمة ابي سالم الملطي ولا نعرف عن هذه المخطوطة شيئاً .

واعتمد الاطباء والعشابون في المغرب الاسلامي ومشرقه على ترجمتي كتاب ديوسقريدس وصار مرجعهم الاول إن لم يكن الوحيد في هذا الاختصاص . فأخذ عنه ابن جلجل الاندلسي في كتابه تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديوسقريدس ، وابن رضوان المصري (ت 461 هـ / 1068م) فيما كتبه عن الادوية المفردة ، وابن وافد الاندلسي (ت 476 هـ / 1074م) في كتابه الادوية المفردة . كما أخذ عنه ابن سينا (428 هـ / 1037م) في كتاب القانون والشريف الادريسي (ت 560هـ / 1164م) في كتابه الجامع لصفات اشتات النبات ، وعبد اللطيف البغدادي (ت 639 هـ / 1231 م) في كتابه انتزاعات من كتاب ديوسقريدس في صفات الحشائش . كذلك أخذ عنه سيد علماء النبات العرب ابو العباس بن الرومية الاندلسي (ت 637 هـ / 1239م) في كتابه تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديوسقريدس . وأخذ عنه أيضاً ابن البيطار (ت 646 هـ / 1248م) في كتابه الجامع في الادوية المفردة ، وداود الانطاكي (ت 1008 هـ / 1599م) في كتابه تذكرة اولى الالباب . وأخذ عنه غير هؤلاء كثيرون . ومخطوطة الكتاب بالعربية في مكتبة ايا صوفيا ، والاسكوريال ، ومدريد وغيرها .

4 ـ سورانس الافسي Soranus Of Ephysus[19]

طبيب يوناني من مدينة أفسس[20] درس الطب في الاسكندرية ، ومارسه في روما

---

(19) اقرأ عن سورانس الافسي في الفهرست ص 419-420 . والعيون لابن ابي اصيبعة ص 59. و
Ullmann, P. 15-21. Sezgin, 3/361.

Singer-Hist. Anatomy, Physiology, P. 44-45.

Leclerc-Medicin ARab, 1/282-283.

Milne-Surgical Instruments in Greek and Roman Time., P. 3-9

Carrison, P. 112. Clendening. P. 170.

(20) افسس مدينة على ساحل آسيا الصغرى المطل على بحر ايجة ، ويرجع تاريخها الى القرن الثاني ق . م ، واطلالها قريبة من قرية سلجوق اليوم .

بحدود سنة 100 م . وربما عاصر في بعض عمر. ديوسقريدس وهو يلي ابقراط من حيث أعماله الواسعة في الطب ، وابتكاراته في بعض اختصاصاته الفرعية . ولا نعرف ترجمات عربية لتلك الاعمال التي كان منها احسن ما كتب في الامراض النسائية والتوليد في الطب اليوناني . وربما كانت كتبه من المفقودات فلم يحصل عليها المترجمون العرب ، وما وقع بأيديهم كان فقرات منها عثر عليها في كتب أوريباسيوس (- 403 325 م) وايتوس الآمدي (حوالي 600م) وبولس الاجيني (610 - 641م) . وقد وصلت كتب هؤلاء الاطباء الثلاثة إلى العرب فترجموها الى لغتهم فكان منها تلك الفقرات التي أشرنا إليها .

كانت أعظم اعمال سورانس هي التي ضمنها كتابه الشهير (في امراض النساء) الذي وضعه للقوابل في الدرجة الاولى ، وادخل فيه معلومات كثيرة عن التوليد والامراض النسائية مما يجعلنا نعتقد ان القوابل كن يومئذ على مستوى جيد في المعرفة الطبية .

وينسب الى سورانس أعمال مبتكرة في الجراحة النسائية والتوليد . وقد يكون هذا الطبيب أول من استعمل آلة ثقب جمجمة الجنين وتفتيتها في الولادة العسرة Cephalotribe و Perforatorوآلة خطاف التوليد Hook ، ومسبر الرحم Uterine Sound . كما استعمل الناظور المهبلي Vaginal Speculum في الفحوص النسائية . ولسورانس أيضاً مخطط تفصيلي لتشريح جسم الحامل ، ووصف كامل للرحم صار بعد ذلك يزين الكثير من المؤلفات التي كتبها الرومان بهذا الموضوع . وقد ورد ذكر سورانس في كتاب الحاوي للرازي (437,422-5) في موضوع عضة الكلب .

5 ـ روفس الافسي Rufus Of Ephesus[21]

طبيب يوناني من مواليد مدينة افسس وإليها ينسب . درس الطب في

(21) اقرأ عن روفس الفهرست لابن النديم ص 419-420 ، العيون ـ لابن ابي أصيبعة ص 57 . القفطي ص 185

Sezgin, 3/64-68. Milne, P. 3. Singer, P. 42. Lund, P. 89-90.
Ullmann,Mediz. Islam, P. 71-75. Ullmann-Islamic Medc
P. 3437. Cqrrison, P. 111- 112. Leclerc, 1/239-242.

الاسكندرية في أيام الملك تراجان الروماني (98 - 117 م)[22] . وكان جالينوس يعتبره بعد ابقراط مرتبة بالطب ، ويأخذ عنه في مؤلفاته الكثيرة[23] . كما كان العرب يعتمدون على آرائه ويرجعون إلى مؤلفاته التي نقل أكثرها إلى العربية . وقد نعته ابن أبي اصيبعة بالعالم الكبير[24] .

وروفس أول من وصف أغشية العين وعدستها البلورية ، والتصالب البصري Optic Chiasma . كما وصف انبوبي الرحم في الماشية ، وأول من ذكر ورم النسج المخاطي ، والطاعون الدملي ، وداء الملوك واستوصف له عقار السورنجان (الكولجكم) . واشتغل روفس بأمراض النساء ، وبالجراحة العامة ، واستعمل الربط والكوي ومخثرات الدم لتوقيف النزف الدموي[25] . وصنف في هذه المواضيع وغيرها ما يقارب الستين كتاباً[26] ، نقلت أكثرها إلى اللغة العربية من قبل مترجمي بيت الحكمة . وقد وردت عناوينها في فهرست ابن النديم وطبقات ابن أبي اصيبعة . إلا أن جميع تلك الكتب تعد اليوم من المفقودات . وما عرف عن بعض مضامينها العلمية هو ما وجد في المؤلفات العربية التي اخذها مؤلفوها عن تلك الكتب . وللرازي فضل كبير في هذا المضمار ، ففي كتابه الحاوي مقاطع كثيرة منها ، ولولاه فقد لا نعرف حتى اسماء تلك الكتب . ومؤلفات روفس هي :

(1) ـ كتاب المالينخوليا

ويتضمن هذا الكتاب معلومات عن مداراة المصاب بهذا المرض بالطعام والشراب والهواء النقي مما يعينه على شهوة الطعام لتتحسن صحته (الرازي ـ الحاوي

---

(22) تراجان ـ اسمه ترايانوس ماركوس اوليبوس . اسباني الاصل وصار امبراطوراً على مملكة روما فيما بين سنة 98 و117م . وكان عسكرياً قديراً وحكيماً رشيداً ، فساس دولته بنجاح كبير . وله في روما منشآت اجتماعية كثيرة .

(23) ابن ابي أصيبعة ص 57 .

(24) المصدر السابق والصفحة .

(25) Carrison, P. 111.

(26) قائمة مؤلفات روفس في العيون لابن ابي أصيبعة ص 57 . و Sezgin, 3/65-68. Ullmann-Islamic Medc. P. 34.

80,70-5) وفي تدثير بطن هذا المريض لنفس الغاية (الحاوي 5-120) وفي إيقاف الشهية المفرطة للاكل (ح 5-185-188) وفي استعمال الاقحوان لاسهال السوداء التي هي سبب المرض (6-133,86) . كما فيه اشارة الى خطورة قرحة الامعاء (ح 8-87,34) وان الضرب على الرأس تقيء المرار لتخفف نوبات المرض (ح 15-74,72) وغير ذلك من المعلومات التي تخص المالينخوليا .

(2) ـ كتاب من لا يحضره طبيب

وهو في الاسعافات الاولية وقد عارضه الرازي بكتاب سماه : إلى من لا يجد طبيباً .

(3) ـ كتاب تدبير النساء

ذكره ابن أبي أصيبعة باسم احتباس الطمث . وقد اخذ عنه الرازي بهذا المرض .

(4) ـ كتاب تدبير الاطفال

ويبحث في تداوي نفث الدم (الرازي ـ الحاوي 5-55) وتجفيف ثدي المرضع (الحاوي 7-6) وفي معالجة اضطرابات المعدة باللبن (ح 19-411,410,273) .

وفيه معلومات عن تدبير رطوبة الصدر (الحاوي 20-169) وتناول التين لاطلاق البطن (ح 20-206) والترمس لاعقال البطن (ح 20-210) واستعمال الحاشا لظلمة البصر (ح 20-325) والملوخية لانطلاق البطن (ح 20-429) والخل للاخلاط الغليظة (ح 20-449) والرمان الحامض لخفقان الفؤاد (ح 20-516) والزيتون لداء الثعلب (ح 20-564) والزعرور لتوقيف القيء وإعقال البطن وغير ذلك .

(5) ـ كتاب أوجاع المفاصل

وفيه نصائح في ممارسة الرياضة وقاية من النقرس (الحاوي 11-180,162) .

(6) ـ كتاب وجع الكلى (كتاب علل الكلى والمثانة)

وفيه علاج بعض حالات الكلى بماء الجبن غير المملح (الحاوي 42/10)

والناردين (ح 46/10) ومرق الدجاج ، واللبن ، والبقلة اليمانية ، والسرمق ، والخس ، وماء الشعير ، والكمون ، والكارباء ، والكرفس لحرقة البول ، والبول المدمم (ح 64/10) .

(7) - كتاب في علاج الحميات

وفيه علاجات للحمى المحرقة (الحاوي 90/15) وغير ذلك .

(8) - كتاب في وجع الخاصرة

وفيه بحث في سبب القولنج (الحاوي 196/8) وأوجاع الخاصرة في امراض الكلى (ح 79/10) وغير ذلك .

(9) - كتاب البحران

وفيه وصف للرجيع ، وكميته وقوامه في حالة البحران (الحاوي 250،149/14) .

(10) - كتاب في ذات الجنب

وفيه بحث في اعراض هذا المرض وشدة الالم فيه (الحاوي/191) ودلائل تطوره من قوام البصاق ورائحته (ح 221/4) ، وأزمان إنتشاره بين الناس (ح 222/4) .

(11) - كتاب الباه

وفيه عن تأثير الجماع على البدن ، وأضرار الاكثار منه (الحاوي 279،278/10) ، وخصوصاً اللواط بالغلمان (ح 308،307/10) وممارسته على الشبع والسكر (ح 313/10) .

(12) - كتاب تهزيل السمان

وفيه وصف للابدان الموفورة الصحة (الحاوي 288،187،181/6) وتأثير السمنة على الاخصاب والحبل (ح 96/9) وعلى الباه (ح 330،298/10) .

(13) ـ كتاب شرب اللبن (كتاب اللبن)

وفيه عن منافع لبن النساء للمدقوقين (الحاوي 102/4) وغير ذلك (ح 273,272/6) .

(14) ـ كتاب السموم (كتاب الترايق) .

وفيه علاج التسمم بالسقمونيا ، وعصارة قثاء الحمار (ح 135/6) وغير ذلك .

(15) ـ كتاب طب ابقراط

وفيه ينقل المؤلف عن ابقراط ان الادمان على الجماع يقوي الباه ويزيد في المني ، وتركه يفعل ما يفعله الفطام بتجفيف الثديين (الحاوي 291/10) وغير ذلك .

(16) ـ كتاب الحمام .

وفيه ما يفعله الحمام في تهزيل الجسم (الحاوي 249.248.238/6) وغير ذلك .

(17) ـ كتاب في علل العوام

وفيه معالجة آلام الاذن (الحاوي 72/3) واستعمال ماء المطر لاوجاع العصب (ح 72/1) وغير ذلك .

(18) ـ كتاب الاطعمة

وفيه ان الدارصين مفيد لبرد المعدة ، ودر البول ، ودر الطمث ، وغشاوة العين (الحاوي 296/10) وغير ذلك .

(19) ـ كتاب الشراب

ترجمه قسطا بن لوقا إلى العربية . وأخذ عنه ابو اسحاق الرفيق النديم في أن النبيذ يهضم الطعام ويزيد في جواهره للبدن (قطب السرور ، ص 227) وذكره الرازي في تأثير الشراب على الابدان (الحاوي 90/21) .

أما كتب روفس التي لم نعثر في التراثيات العربية على فقرات من مضامينها فهي :

(20) كتاب شراء المماليك (21) ك . تدبير المسافر (22) ك . اليرقان (23) ك . تسمية أعضاء الانسان (24) ك . الاربعين مقالة فيما ينبغي للطبيب أن يسأل عنه العليل . (25) مقالة في دوران الرأس . (26) م . في البول (27) م . في النزلة الى الرئة (28) م . في ان يرد للرجال انقطاع التنفس (29) م . في علاج صبي يصرع (30) م . في التخمة (31) م . في العلة التي يعرض منها الفزع من الماء (32) م . في علاج اللاتي لا يحبلن (33) م . في البخر (34) م . في الفواق (35) م . في قضايا حفظ الصحة (36) م . في القيء (37) م . في هل ان كثرة شرب الماء في الولائم نافع ؟ (38) م . في علة ديونوسس (39) م . في الجراحات (40) م . في تدبير الشيخوخة (41) م . في العقار الذي يدعى سوسا (42) م . في السداب (43) م . في ايلاوس (44) م . في الشعر (45) م . في الابتكار (46) م . في تدبير الشهية (47) م . ابلمسيا (48) م . في الذبحة (49) ك . الطب (50) ك . في الاورام الصلبة (51) ك . وصية الاطباء (52) ك . الولادة (53) م . في التين (54) ك . إحتباس الطمث (55) م . في علاج الطمث (56) ك . الامراض المزمنة على رأي ابقراط (57) ك . في مراتب الادوية (58) ك . و الذاكرة (59) .

إن روفس عالم موسوعي في المعارف الطبية ، ومبتكر في فروع هذه الصناعة ، وغزير الانتاج فيها . ولان مؤلفاته دخلت في أعمال الاطباء العرب بعناوينها ومضامينها ، فقد اوليناها إعتباراً خاصاً . ومن المؤسف اننا لم نعثر على واحد من تلك المؤلفات . وللرازي فضل كبير علينا لانه نقل الى مؤلفاته بعضاً من فقرات تلك الكتب التي لا بد ان ترجماتها كانت من الكتب المألوفة عند العرب يومذاك ، ثم ضاعت مع ما ضاع من الكثير من التراثيات العربية . أما الكتب التي لم نعثر على فقرات منها في مؤلفات العرب فقد لا تكون قد ترجمت إلى العربية ، ولم يعرف عنها إلا اسماؤها التي وجدت في الكتب البيزنطية المترجمة . وفيما يلي نسوق نموذجاً من أسلوب كتابات روفس منقولة عن أولمان :

(اليرقان . . ليس من الامراض الخطرة ، ولا من الحادة ، إنها من الامراض السليمة والسريعة الشفاء إذا لم يتأخر البدء في معالجتها . لانها تبدأ بأسرع مما يكون البرء في الامراض المزمنة . والنوع الذي سببه في الكبد يكون عسير العلاج ، خصوصاً إذا كان الكبد صلباً ومؤلماً . أما اليرقان الذي يكون بسبب في الطحال فعلاجه

اسهل ، حتى لو كان صلباً ومؤلماً . ذلك لان الطحال اصغر جرماً من الكبد . وعموماً فإن اليرقان يتأتى من الكبد وقلما يكون من الطحال)[27] .

وفي أعراض اليرقان الكبدي قال :

(يكون البول مشبعاً بلون المرة ، والوجه يلون أصفر ، وبصفة خاصة بياض العين . أما في اليرقان الطحالي فيكون البدن جافاً ، ولا يكون لون الغائط ابيض أكثر من العادة . أما البول فيكون أسود . وأكثر الجسم يكون لونه مائلاً إلى السواد ، وتنتابه بعض الخلجات ، كما يفقد المريض الشهية ، والرغبة عن تناول الاطعمة الحلوة خاصة . ويصاب بالارق ، وعدم التعرق فلا يتخلصون من المرة الصفراء عن هذا الطريق . وفي قسم من المرضاء تظهر المرة في مخاط الانف أو في دمع العين)[28] .

وموضوع الذاكرة وفقدانها وتقويتها الذي عالجه روفس يعد من مبتكراته القيمة في الطب التي لم يتطرق اليها طبيب من السابقين عليه ، قال فيه :

(البرد والرطوبة تبلد الفكر . . ولعلاج فقدان الذاكرة في هذه الحالة يجب تدفئة البدن وتجفيفه بصورة تدريجية وذاكرة الاطفال قوية نشيطة لان ذهنيتهم خالية من المشاكل والمشاغل . . . والاكثار من القراءة يجفف الدماغ)[29] .

وفي مكتبة البودليان بأكسفورد تسجيل لواحد وعشرين حالة مرضية من أعمال روفس ، قال في احدها :

(مريض مصاب بالماليخوليا بسبب احتراق الدم . كان هذا الرجل في أول حياته وديعاً ، ولا تفوته فرص الفرح . وكان سبب مرضه فشله المتكرر بالهندسة وكذلك اتصالاته بالاميرة . فتجمعت المرة السوداء في دماغه ، خصوصاً وإن عمره يناسب هذا المرض بالاضافة إلى أنه في الاصل حاد الطبع سريع الانفعال . وصار المرض يهاجمه في الليل فيحرمه من النوم . فعالجه طبيب قليل التجربة . . وصار

Islamic Medc. P. 35. (27)

Ibid (28)

Ibid, P. 39. (29)

يرفض أن يتناول الطعام ويشرب الماء . . وانتهى أمره بالموت)[30] .

ويعد كتاب روفس في المالينخوليا وكذلك ترجمته العربية من المفقودات . وما نقله الرازي عن الكتاب في كتابه الحاوي)8/120 - 129) هو كل ما وصل الينا من ذلك الكتاب . قال اسحق بن عمران طبيب زيادة الله الاغلبي عن هذا الكتاب : (لم اجد احداً من الاطباء كتب في موضوع المالينخوليا ، ووفاه حقه من الشمول والشرح إلا عالماً يونانياً اسمه روفس الافسي)[31] . ومع ذلك فلاسحاق بن عمران نقد على آراء روفس في المالينخوليا سنذكره فيما يأتي عند الكلام عن هذا الطبيب العربي .

ولروفس أيضاً آراء في تربية الصبيان ، وإختيار المرضعة ، وتغذيتها لتحسين حليبها للرضيع ، وفي علاج أمراض الاطفال الجلدية ، وما يعرض لهم في الاذنين والعينين ، أخذ عنها اوريباسيوس والرازي وأحمد بن محمد البلدي .

وفي تناول الخمور قال روفس : (ان هذا الشراب يوافق كل الاعمار ، وكل لفصول ، وكل الظروف . ويمكن إعطاؤه للاطفال والمعمرين ، وليس أفضل منه شيء للكبار) . وقد ورد في كتاب قطب السرور في أوصاف الخمور لرقيق القيرواني شيء بهذا المعنى .

6 ـ اركاجينس Archigenes[32]

هو ابن الطبيب السوري فيلوبس Philopos[33] الذي كان يومئذ من مشاهير اطباء تلك الديار . عاش اركاجينس في روما في أيام الامبراطور تراجان (53 - 117م) واعتبره جالينوس من خيرة الاطباء الذين سلفوه ، وأخذ عنه . له باتكارات عديدة

Ibid, P. 36-37. (30)

Ibid, P. 37. (31)

(32) اقرأ عن اركاجينس في الفهرست ص 292,288 وابن ابي اصيبعة ص 58 .

Carrison, P. 109. Hobinson, P. 109-110.

Lund, P. 85-86. Sezgin, 3/161-163

Sarton-Introduction, 1/280, Leclerc, 1/252.

Robinson, P. 109. (33)

خاصة في الطب الجراحي . فقد طور عملية قطع الاطراف ، وعالج سرطان الثدي والرحم بالجراحة . واستعمل الناظور المهبلي في الفحوص النسائية . وربما كان أول من وضع مواصفات النبض من حيث امتلاؤه ، وقوته ، وحجمه ، وإنتظامه وما إلى ذلك . ومؤلفاته التي تداولها الاطباء العرب هي :

(1) ـ كتاب الادواء المزمنة ، او كتاب الاسقام المزمنة

وفيه عن التخمة، وضرر اللحم على البطون (الرازي ـ الحاوي5 /33- 144 115/6) وعلاج الفواق واضطرابات المعدة والقيء (الحاوي 5/ 151،174،198،226 و49/6) والعطش (الحاوي 217/7 - 241) وعلاج حالات الطحال بالعلق والاسهال وخل العنصل (ح 310/6) . وبماء اطفي فيه الحديد المحمي (ح 314/6) وغير ذلك .

(2) ـ اوجاع الكلى

وفيه عن مداراة حالة الكلى بالراحة والاشربة والاطعمة (ح 49/10) ، وعلاج البول الدموي بالفصد (ح 64/10) وتفتيت حصى المثانة بأكل العقارب المشوية ، ورماد اجنحة الاوز سقياً ، وباللوز المر ، والصمغ المر ، وبول الخنزير ، وحب الخروع (ح 137/10) واوجاع الظهر (ح 263/11) ومداراة أيام البحران (ح 21/18) وغير ذلك في اجزاء اخرى من كتاب الحاوي .

(3) ـ كتاب الكناش . كتاب طبيعة الانسان .

(4) ـ كتاب أسقام الارحام .

(5) كتاب في النقرس .

(6) كتاب في القيء بالخربق (الحاوي 49/6) .

7 ـ انطليوس Antyllus [34]

من أطباء الرومان في القرن الثاني الميلادي . اشتهر في العلوم الجراحية ، وأخذ

(34) اقرأ عن انطليوس في العيون لابن ابي أصيبعة ص 159 و

عنـه أوريا سيـوس (325 - 403 م) والرازي بعـد ذلك . وأجـاد الكتـابـة عن عمليـة الفصد والحجامة وتوقيف النزف الدموي ، وترميم النـاسور ، وتـوسيع تضيق القلفة ، والمبـال التحتاني ، وذات الـدم ، وعمليات تجميـل الوجـه وربما كـان أول من عـالـج الكاتاراكت بعملية القدح وغير ذلك . ويعتبره المؤرخون من أطبـاء الاسكندريـة[35] ، وقد ترجمت بعض أعماله الى العربية[36] ، وذكرها الـرازي في مداراة المصـاب بالـرمد بقلة الغذاء ، واطلاء الجبهة والاجفان بالورد ، وغسـل الوجـه بالخـل المخفف بالمـاء ، وإسهال البطن ، وحلق شعر الرأس ، والاكثار من النوم على وسادة مرتفعة (الحـاوي 137/2) . كما ذكر الرازي من أعماله في قطع الاصابع الـزائدة (ح 241/6) ومعـالجة خراج الثدي عنـد الذكـور (ح 6/7) وحالات الحبن المسبب عن الكبـد (ح 261/7) وتكـون الحصى في المثـانـة 107/10)والبـول الـدمـوي في هـذا المـرض وعـلاجـه (ح 187,166,143,114,110/10) وفي بتر الذكـر المصاب بمـرض خبيث (ح 219/10) وفي علامات السرطان الموضوعية (ح 9/12) وعلاج سرطان الثـدي وفي تقنية رفـع السلع (ح 83,181/12) .

8 - جالينوس Galen[37]

هو كلوديوس جـالينـوس بن نكـون . أصله يونـاني وعاش في العصر الـروماني ،

Carrison, P. 109. Leclerc, 1/264-265. Robonson, P. 111-112.

Lund, P. 127-129. Ullmann-Mediz. Islam, P.68. Myerhof- Cataract Operqtion of Amar Ibn Ali. P.52.

(35) Robion, P. 109.

(36) ابن أبي أصيبعة ص 159 .

(37) تـرجمة جـالينوس في الفهـرست لابن النديم ص 288-291 . طبقـات الاطباء لابن جلجـل ص 41-51 . مختـار الحكم لابن فاتـك ص 288-296 مختصر الدول لابن العبـري ص 54,50 . تاريـخ اليعقوبي ص 92 ، تاريخ الحكماء للقفطي ص 122-132 . العيون لابن ابي أصيبعـة ص 109-150 صوان الحكمة للسـجستاني ص 104-110 نزهة الارواح للشهرزوري 341/1-359

Sezgin, 3/68-140

Ullman-Mediz. Islam ; P. 41-51. Lund, P. 95-126. Clendening, P. 41-51. Ribinson, P. 112-117. Singer, P. 46-62. Singer and-Underwood-Short. Hist. of Medc. P. 59-65. Leclere, 1/242-255.

ويجيء اسمه بعد أبقراط علماً وشهرةً ، ولا يقربهما طبيب ثالث في تسلسل عظماء الطب في العصور اليونانية والرومانية .

وضع ابقراط الطب على أسس علمية ، ولما توفي تبعثرت آثاره فجمعها جالينوس ونظمها وحفظها من الضياع . وجالينوس عند العرب الاوائل بمرتبة ابقراط إن لم يكن ارفع منه بالطب العملي . وكتبه التي ترجمت الى العربية أكثر مما ترجم من كتب ابقراط ، واعظم فائدة في ممارسة الصنعة . كما فضلها العرب على مؤلفات ابقراط بسبب القرب الزمني بين عهدهم وعهد جالينوس . بالاضافة الى أن الكثير من كتب ابقراط قد لحقتها سمعة الانتحال ، والتشكك في حقيقة تبعيتها لهذا الطبيب العظيم . قال ثابت بن قرة ان هناك أربعة اطباء يونانيين عملوا في التأليف بالطب في العصر الابقراطي فأي منهم كان صاحب تلك الكتب[38] ؟ واذ ان جالينوس أقرب عهداً الى العرب من ابقراط ، وهو تلميذه بالفكرة ، فهو أعرف بمؤلفات ابقراط الحقيقية والمنحولة عليه ، فوضع تفسيراته لبعض كتب ابقراط بعد أن وثق الى حد كبير من تبعيتها له . وقد اطمأن الاطباء العرب الى تلك التفاسير بعد ان قرأوا ما قاله جالينوس في كتابه (كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة) ، فاستغنوا بتفسيرات جالينوس لكتب ابقراط عن كتب ابقراط نفسها . وهكذا كان ابقراط بالنسبة للاطباء العرب هو الطبيب الاصل ، إلا ان بديله (وهو جالينوس) قد بزه في تمثيل دوره ، فصار ابقراط ظلا له ، فلا يذكر اسمه الا حين يدوى اسم جالينوس .

ولد جالينوس في برغامون سنة 131 م ، بعد ما يزيد على الاربعة قرون على وفاة استاذه بالروح ابقراط . وكان ابوه (نكون) رياضياً ومهندساً ، ويحلم أن يكون إبنه طبيباً . فدرس جالينوس الهندسة أولاً ، وبعد وفاة أبيه بدأ بدراسة التشريح على بيلبوس Pelpos في سمرنا ، ثم على نمسياس Nemisias في كورنث كما يذكر انه درس الامراض النسوية على طبيبة اسمها كلاويطرا وبعد أن طاف في آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين دخل الاسكندرية وفيها أكمل دراسة التشريح على الحيوانات . ثم رجع الى مسقط رأسه برغامون بعد اغتراب عنها دام تسع سنوات ، واشتغل فيها أربع سنوات طبيباً في معتقل الاسرى ولجرحى المصارعين . ثم سافر إلى روما ينشد الرزق الوفير ،

(38) الفهرست ص 293 ، القفطي ص 100 .

وأشتهر فيها طبيباً وجراحاً ناجحاً . إلا أنه لم يلبث طـويلاً فيهـا حتى ضاق زمـلاؤه به فهجر روما إلى الشرق ثم رجع الى روما بطلب من قيصرها ماركس اوليري[39] ليكافح وباء الطاعون الذي داهم بلاده . وفي هذه المرة انقطع جالينوس الى التـأليف والبحث العلمي وترك الممارسة لانداده من الاطباء في روما .

كان جالينـوس يتابـع أفكار الاطبـاء الاولين ، وبصفـة خاصـة في كتب ابقراط وايراسـستراتوس وهيروفلس وديـوسقريـدس وروفس وسورانس ، فشـرح آراءهم وزاد عليها من أعماله عشرات من المبتكرات والحقائق الجـديدة . وكـان صريحـاً في قولـه ، وجـريئاً في نقـده حتى مع ابقـراط وارسطو . ويلح في ذلـك مع ايراسـستراتوس ، ومع أصحابه وزملائه الرواقيين[40] أيضاً .

وروى ابن فـاتـك : (ان جـالينـوس كـان حسن الصـورة والقيـافـة ، ومحبـاً للموسيقى والاغاني ، وكثير الهذر ، قليـل الصمت)[41] كما روى انـه (كان متغـطرساً ومتعالياً ، ومعتداً بعمله ، ومداحاً لنفسه وأفكاره ، وإنه كان كثير الكلام اذا تحدث او اذا كتب ، وإنه مع ذلك لم يكن واضحاً في عـرض أفكاره كـل الوضـوح ، ولا موفيـاً الاكتمال والشمول) . ومع ذلك اذا ما ذكره الاطباء العرب نعتـوه بـ (الفاضـل) لا لان هذا هو معنى (جالينوس) بالعربية ، بل تقديراً لعلمه واحـتراماً لشخصه .

وروى ان جالينوس كـان رواقياً ، وقـد افادتـه هذه النحلة في تمشيـة أعمالـه في البحـوث الطبيـة . إذ كان رجـال الدين في الاسكنـدرية الحـديثة العهـد بـالنصـرانيـة متعصبـين لشريعتهم الجـديـدة ، ويـطاردون العلماء الـوثنيـين ، ويـردون عـلى آرائهم بخشونة . فتأخرت بسبب ذلك الفعاليـات الفكريـة في مدرسـة الاسكندريـة وأصابهـا شيء من الركود . إلا أن جالينوس بعقله وحكمته ، صار يـدخل في آرائـه ومنشوراتـه

---

(39) ماركس اوليري ـ امبراطور روماني (121-180 م) ، وفيلسوف رواقي . اشتهر بعطفه على الفقراء وتخفيفه الضرائب على المواطنين ، ومنعه التلهي بمشاهدة افتراس الاسود للانسان .

(40) الرواقية ـ مذهب فلسفي فكرتها أن الحقيقة مادة تسودها وتوجهها قوة غير منظورة هي الله تعالى ، وإن على الانسان أن ينصرف عن العواطف التي تحيد عن القانون الطبيعي . أوجـد هذه الفكـرة الفيلسوف زينون سنة 200 ق . م . وبشر بها في اروقة مدرسة اثينة فسميت بالرواقية .

(41) ابن ابي أصيبعة . ص 129 وLund, P. 107-109 .

بعض اللمسات ذات النغمة السماوية فأرضى بذلك علماء النصرانية ، وسكتوا عنه كباحث في العلوم الطبيعية ، وصار له بذلك قدر من الحرية في العمل بموضوع التشريح لم يتيسر لغيره من الباحثين .

ولم يعرف ان جالينوس اشتغل بالتدريس في اي معهد تعليمي ؛ أو كان له تلاميذ بالمعنى الذي نعرفه في المدارس والتعليم ، بل كان يركض وراءه اينما حل عدد من الطلاب لينثر عليهم من غزير معلوماته وآرائه القيمة في الطب والفلسفة .

وكان جالينوس عالماً بالتجربة ، فكانت أكثر معلوماته التشريحية حصيلة أعماله المختبرية على الحيوانات ، على عكس ارسطو الذي كان يكثر من الاعتماد على المحاججة العلمية والنقاش للوصول الى اكتشاف الحقائق التشريحية . فجالينوس من هذه الناحية ثاني طبيب بعد ايراسستراتوس كانت له بحوث مختبرية واسعة في التشريح والفسلجة ، وإليه يرجع الفضل في معرفة إن الجانب الايسر من القلب وما يتصل به من أوعية مملوءة بالدم لا بالهواء كما كان يعتقد العلماء الذين سبقوه ، وإن عمل القلب لتوليد حرارة الجسم من احتراق الدم الذي فيه ، وإن الدم الرئوي اكثر إحمراراً من دم الجسم لاختلاطه بالهواء . واجاد الى حد ما في وصف صمامات القلب والاوعية الكبيرة المتصلة به ، ولكنه اخطأ في وصف فجوات القلب ، إذ انه اعتقد ان في القلب فجوتين فقط هما البطينان ، وإن الدم ينتقل عند تقلص القلب من البطين الايمن الى البطين الايسر من خلال فتحة او فتحات غير منظورة موجودة في الحاجز الذي يفصل بين البطينين . وقال أيضاً : (إذا حصل للانسان ما لا يوافق مزاجه انقبض له القلب ، وانقبض لانقباضه العرقان ، فتشنج لذلك الوجه والم له الجسد . . . وإن في القلب عريقاً صغيراً كالانبوبة مطل على شغاف القلب وسويدائه . فإذا عرض للقلب غم انقبض ذلك العريق فقطر منه دم على سويداء القلب وشغافه ، فيعصر عند ذلك من العرقين دم يتغشاه فيكون ذلك عصراً على القلب)[42] . وحين ذكر جالينوس ان (الغم) يعصر جرم القلب ويسبب الالم فربما أراد بذلك ان لا يبتعد عن الفكرة السائدة يومئذ من أن القلب مصدر العلل الروحية والجسمية . وجالينوس هو القائل

---

(42) ابن ابي أصيبعة ص 129 .

أيضاً : (ان الهم فناء القلب ، والغم مرض القلب)[43] .

وتوسع جالينوس في تشريح العضلات ، ومع أنه وصف منها ثلاثماية نوع ، إلا أنه لم يكن موفقاً علمياً في هذا الموضوع . كما وصف توزيع الاعصاب على الجسم ، واكتشف مواقع الشلل من جراء قطع العمود الفقري في مختلف المستويات . وعرف ان قَطْعُهُ فيما بين الفقرة الاولى والثانية من الفقرات الرقبية يسبب الموت الآني .

أما أعمال جالينوس التطبيقية على المرضى ، فقد شملت أكثر فروع الطبابة . فأجاد في الفحوص السريرية ، وفي العلاجات الطبية ، وألّف في الادوية ، والاخلاط ، والجبل ، والصحة العامة ، وفي علوم الطبيعة على قدر علاقتها بالانسان ، وغير ذلك .

وكان شغل اليونانيين الشاغل ، ومثلهم العرب أيضاً ، هو اكتشاف كنه الروح ومصدره وربطوا بين الروح وبين كل من القلب والكبد والدماغ ، وجعلوا لكل من هذه الاطراف الثلاثة دوراً في توليدها . ويحتمل أن تكون دراسة اليونانيين الاوائل للقلب والكبد بدافع إهتمامهم بأمر الروح لا العكس . ولا ادل على عجزهم في معرفة كنه الروح من المترادفات الكثيرة التي استعملت في تسمية هذا الشيء غير المفهوم ، فسموه :

Pneuma و Powerو Spiritو Soulوغير ذلك . أما العرب فلم يتوسعوا في هذا الموضوع ، واكتفوا باتباع رأي جالينوس فيه .

كان جالينوس يعتقد ان الروح على نوعين ، روح طبيعية Natural وهي المسؤولة عن فعالية الجسم الداخلية ونموه . وروح حياتية Vital وهي المسؤولة عن حركات الجسم وعقلانياته . واعتقد أيضاً ان الروح الطبيعية تدخل بطريق التنفس (الرئة) الى الوريد الاجوف ومنه تصل الى بطين القلب الايسر حيث تختلط بالدم . وجالينوس في كلامه عن الروح بهذا الاسلوب كأنه يتكلم عن الاوكسجين الذي يحمله الهواء الى الدم بواسطة التنفس .

واعتقد جالينوس ايضاً ان الكيلوس الذي يصل إلى الكبد يتحول الى دم ،

---

(43) المصدر السابق والصفحة .

وفيها يختلط بالروح الطبيعية الذي يصل الكبد من القلب . ثم يصل الدم إلى البطين الايمن بواسطة الوريد الاجوف ، وينتقل من يمين القلب إلى يساره من خلال مسام غير مرئية في الحاجز الذي يفصل بين تجويفي القلب . وهناك يمتزج الدم بالهواء الذي يصل اليه من الرئة بواسطة الوريد الرئوي لكي يتحول الى الوريد الشرياني حيث تتولد فيه الروح الحياتية . ويصل هذا الدم (الحياتي) الى عموم أجزاء الجسم . أما الدم الذي يصل الى الدماغ فيتحول فيه الى روح نفسية ثم ينتقل الى اطراف الجسم بواسطة الاعصاب التي حسبت مجوفة[44] . وسوف نطلع في فصل قادم على نقد ابن النفيس على الفرضيات التشريحية التي تبناها جالينوس ، وكيف اثبت وجود دورة دموية ثانية ، موقعها الرئة تعمل على حمل الهواء الى دم الدورة الدموية الكبرى في الجسم .

لقد كانت أكبر اخطاء جالينوس ما كتبه في موضوع الدورة الدموية بين بطني القلب ، وإصراره على ان في الحاجز بين البطين ثقوباً غير منظورة تسمح بمرور الدم من البطين الايمن الى البطين الايسر ، وإغفاله مكانة الرئة في هذه الدورة بالرغم من معرفته ان الرئة هي التي تزود الدم بالهواء الضروري للحياة . ومع ذلك فلا يمكننا ، بصورة عامة ، إلا أن نحكم أن جالينوس ذلك اليوم بحاثة لا ينافس ، ومكتشف في العلوم الطبية لم يصل إلى درجته احد من الاطباء القدماء . كما كان ممارساً حاذقاً ، وموسوعي المعلومات وغزير الانتاج. وكان عالماً نظرياً كما كان طبيباً عملياً، واستهدف في هذين الحقلين ان يحول الطب الابقراطي العلمي الى طب فني تطبيقي وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد . فقسم الامراض من حيث تأثيراتها ومواقعها في البدن إلى ثلاثة أنواع : امراض الاخلاط ، وأمراض الاعضاء الواحدة في التركيب كالاعصاب ، والاربطة ، واللحم والعظام ، وأمراض الاعضاء المركبة كالمعدة والصدر والاطراف . وأعطى أهمية عالية لخلط الدم في تكوين الامراض أكثر من الاخلاط الاخرى ، وهو أول اتجاه ينحرف عن المعتقد العام في توازن الاخلاط .

وحين صنف جالينوس الامراض من حيث أعراضها الى حادة ، وتحت الحادة ، ومزمنة ، اعتبر الصنف الاول منها ناجماً من خلط المرة السوداء والبلغم ، واعتبر

---

(44) الاعصاب مجوفة .

الامراض المزمنة ناتجة من خلط الدم والصفراء ، من ناحية ثانية كان كأمثاله من أطباء ذلك العهد يعتقد بوجود روابط روحانية بين الكواكب في السماء ، والكائنات على الارض ومنها الانسان وأمراضه ، فاعتبر الامراض الحادة تحت سيطرة القمر ، والامراض المزمنة تحت سيطرة الشمس[45] . واعتبر اليوم (السابع) من دورة المرض حدياً في تكهنات حالة المريض . وكان يؤمن باعتداد بفوائد الاستفراغ ، فيستعمل المقيئات والمدرات للبول ، والمسهلات للامساك ، والفصد لامتلاء الدم . وكانت هذه هي القواعد الرئيسة التي اتبعها في ممارسته على من لم يتجاوز العاشرة من عمره إلا عند الضرورة القصوى .

ويقول جالينوس في الجراحة أنها فن لتعديل حالة الجسم غير الطبيعية بتقريب الانسجة كما يفعل في الجروح ، أو القطع كما يفعل في رفع الاورام ، أو بتعديل موقع الاعضاء كما في عمليات سقوط الرحم . ووصف في كتبه تقنية بعض العمليات ، كقطع الاطراف على حدود الانسجة المتهرئة لكي يتجنب احداث النزف الدموي من الانسجة السليمة . ووصف عملية سرطان الرحم والثدي ، وقال إن العملية لا تشفي المصاب بهذين المرضين ما لم يستأصل الورم بجذوره . وذكر عملية الختان ، وفتق السرة ، والنواسير والبواسير وعلاجها ، وعملية قطع اللوزتين ، وبعض عمليات العين ومنها عملية القدح ، ورفع الحصى من المثانة ، وعملية ذات الدم والقيلة ، والخنازير . وكانت خيوط الجراحة التي يستعملها معمولة من القطن أو الحرير أو امعاء القط Cat Gut . والجدير بالذكر ان جالينوس أول من ربط الغرزات بشكل رقم (8) الغبارية[46] . وانتبه جالينوس الى حالة الناقهين ، وما يحتاجونه من خدمات طبية خاصة ، فأوصى لهم بالهواء الطلق والغذاء الجيد والرياضة المعتدلة ، وأوصى لهذا الغرض باللعب بالكرة الصغيرة ، وله كتاب بهذا المعنى . وخصص الكرة الصغيرة حتى لا يحتاج اللعب بها الى جهد لا يناسب الناقة .

إن جالينوس فيلسوف ، وعالم طبائعي كبير ، وعبقري في الطب وممارس

(45) Lund, P. 106-107.

(46) اقرأ عن جراحة جالينوس بتفصيل في : Lund, P. 118-126

ناجح ، ومؤلف كثير الانتاج والغالب عليه هو الطب ، والتشريح باعتبار خاص . وهو في جميعها عميق التفكير ، وعملي . من أبلغ أقواله في الحكم الطبية قوله (الطبيعة كالمدعى ، والعلة كالخصم ، والعلامات كالشهود ،والقارورة والنبض كالبينة ، ويوم البحران كيوم القضاء والفصل ، والمريض كالمتوكل ، والطبيب كالقاضي) .

وسئل جالينوس مرة :

ما قولك في خلط الدم ؟ فقال : عبد مملوك وربما قتل العبد مولاه .

وما قولك في الصفراء ؟ فقال : كلب عقور في حديقة .

وما قولك في البلغم ؟ فقال : ذلك الملك الرئيس كما اغلقت عليه باباً ، فتح لنفسه باباً ، فيجب ان ترفق به وتخرجه .

وما قولك في السوداء ؟ فقال : هيهات ، تلك الارض اذا تحركت ، تحرك ما عليها . ثم قال : إن مثلها في الجسد مثل الحقود الذي لا يتوهم فيه بما في نفسه ، ثم يثب وثبة فلا يبقي مكروها إلا ويفعله ولا يرجع إلا بعد الجهد الصعب[47] .

اعمال جالينوس في البحث العلمي

قلنا إن جالينوس غزير الانتاج في الحقول العلمية المختلفة . اخذ معلوماته الاولى في الطب عن تراثيات اليونان القديمة ، وعن الاسكندرانيين الذين سبقوه ، وزاد عليها من عنده معلومات جد هامة وجديدة ، واكتشفها من بحوثه على القرد والخنزير والانسان . وجالينوس ليس أول من عمل بالتشريح المقارن ، فقد بدأ به قبله امبادوقليس (القرن الخامس ق . م) ثم اناكساكوراس Anaxagoras المعاصر لاوائل حياة ابقراط . ثم ارسطو الذي يعد شيخ العاملين بهذا الحقل . وأخيراً ايراسستراتوس الذي عاش قبل جالينوس بأكثر من ثلاثة قرون . فجالينوس على هذا أعاد التشريح المقارن الى الحياة كما بعث فيه روحاً جديداً في دقة العمل وسعة التحري . ومن المؤكد ان جالينوس ، بالاضافة إلى أعماله في التشريح المقارن ، قد شرح الانسان على جثتين

(47) ابن ابي أصيبعة ص 133 . واقرأ أيضاً ما ورد في محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني 442/2 عن الاخلاط والامزجة .

على الاقل ، احداهما التي لفظها انحسار الماء بعد فيضان النيل ، والثانية لمجرم شنقته السلطات على قارعة الطريق[48] . وهذا يعني ان جالينوس قد اكتسب معارفه التشريحية بالمقارنة مع تشريح الحيوان ، وكان يطلق على هذا النوع من التشريح اسم (تشريح الاحياء) بالمقارنة الى تشريح الانسان الميت الذي سماه (تشريح الاموات) . ولجالينوس كتاب في كل من الاسمين المذكورين ولا يعتبر تشريح جثتين بشريتين غير كاف لمعرفة تفاصيل تشريح جسم الانسان عن طريق تشريح الحيوان كما كان يفعل جالينوس .

مؤلفات جالينوس[49]

نتقل في ما يلي ما ذكره حنين بن اسحاق العبادي في كتابه الى عيسى بن يحيى المنجم عن كتب جالينوس التي ترجمها هو أو ترجمها غيره الى اللغة العربية أو اللغة السريانية[50] ، وقد يكون ابن المنجم قد أضاف بعض فقرات من صنعه الى الرسالة .

(1) كتاب فينكس - اي الفهرست وهو مقالتان . ذكر في الاولى مؤلفاته في العلوم الطبية ، وفي الثانية كتبه في المنطق والفلسفة والنحو . وقد نقل الكتاب ايوب الرهاوي المعروف بالابرش إلى اللغة السريانية ، وترجمه حنين الى نفس اللغة لداود المتطبب ، وإلى العربية لابي جعفر محمد بن موسى . ولان جالينوس لم يضمن كتاب فينكس جميع مؤلفاته فقد أضاف حنين مقالة ثالثة عن كتبه الاخرى في ترجمته السريانية بكتاب فينكس .

(2) كتاب في مراتب قراءة كتب جالينوس - مقالة واحدة ، ترجمها اسحاق بن حنين الى السريانية لبختيشوع بن جبرائيل . ثم ترجمها حنين بن اسحاق إلى العربية لابي الحسن احمد بن موسى .

---

(48) Lund, P. 106- 107

(49) قائمة مؤلفات جالينوس في ابن ابي أصيبعة ص 135-150 . ص 129-132 . ابن النديم ص 289-291 . و Sezgin, 3/78

Ullmann-Mediz. Islam. P. 104.

(50) G.Brgester-Hunain- Galen Bibiography Leipziq 1932.

(3) كتاب في الفرق ـ مقالة واحدة كتبها الى المتعلمين ، وضمنها ما تدعيه كل فرقة من فرق الطب الثلاث مدافعة عن فكرتها وما تحتج به على الفرقتين الاخريين . وضعه جالينوس وهو بعمر العشرين حين دخل رومة لاول مرة ، وترجمه الى اللغة السريانية ابن شهدا الكرخي . وترجمه حنين الى السريانية لطبيب من جنديسابور يقال أنه شير يشوع بن قطرب ، ثم ترجمه الى السريانية ايضاً بعد عشرين سنة الى تلميذه حبيش بطلب منه . وأخيراً ترجمه الى العربية لابي جعفر محمد بن موسى .

(4) كتاب في الصناعة الطبية ـ مقالة واحدة كتبها للمتقدمين في الصناعة الطبية . ترجم هذا الكتاب الى السريانية كل من سرجس (سرجيس) الراس عيني ، وابن شهدا (شهدي) الكرخي ، وأيوب الرهاوي ، كما ترجمه حنين بنفس اللغة الى داود المتطبب ، وإلى العربية لمحمد بن موسى .

(5) كتاب في النبض ـ مقالة واحدة كتبها الى المتعلمين المبتدئين في تعلم الطب ، وترجمها الى السريانية ابن شهدا . وترجمها حنين الى السريانية أيضاً لسلمويه بن بنان ، وإلى العربية لمحمد بن موسى (الوطنية بباريس) .

(6) كتاب الى اغلوقن في مداواة الامراض ـ ويعرف ايضاً باسم التأني في مداواة الامراض . كتبه جالينوس الى الفيلسوف اليوناني اغلوقن في أدوار الحميات ومداواتها ، ودلائل الامراض ومداراتها . ترجم سرجس الكتاب الى السريانية ، ثم ترجمه حنين الى السريانية ايضاً لسلمويه بن بنان .

(7) كتاب في العظام ـ مقالة واحدة للمتعلمين . وفيه يقول المؤلف أن تعليم التشريح يجب أن يتقدم كل العلوم الطبية الاخرى . ترجم سرجس الكتاب الى السريانية ، ثم ترجمه حنين الى السريانية أيضاً ليوحنا بن ماسويه ، كما ترجمه إلى العربية لمحمد بن موسى .

(8) كتاب في العضل ـ مقالة واحدة . ترجمه حبيش بن الاعسم الى العربية لمحمد بن موسى .

(9) كتاب في العصب ـ مقالة واحدة الى المتعلمين . ذكر فيها ازواج الاعصاب تنبت من الدماغ والنخاع ، وفروعها ، وعمل كل واحد منها .

(10) كتـاب في العروق ـ مقـالة واحـدة في العـروق التي تنبض والتي لا تنبض (الضوارب اي الشرايين ، وغير الضـوارب اي الاوردة) وأي منها تنبت من القلب ، وأي تنبت في الكبـد . وقد جمـع الاسكندرانيـون الكتب الثلاثـة الاخيرة بـاسم كتاب التشريح للمتعلمين الذي ترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى .

(11) كتاب في الاسطقسات على رأي أبقراط ـ مقالة واحدة في تكون الاجسام من أصول حيوانية ونباتية ومعدنية ، وعناصرها الاولى من الهواء والماء والتراب والنار ، وهي ما تسمى بالاركـان الاول أو البعيدة عن بـدن الانسان . أمـا الاركان الثـواني أو القريبة من بدن الانسان فهي الاخلاط الاربعة : وهي الدم والبلغم والمرتـان الصفراء والسوداء . وقد تـرجم سرجس الكتـاب إلى السريـانية ثم تـرجمه حنـين إلى السريـانية والعربية .

(12) كتـاب في المـزاج ـ ثـلاث مقـالات تبحث في اصنـاف مـزاج البـدن ، ومزاجات الادويـة وكيف تعرف أفعـالها . وأوصى جـالينوس بقـراءة هذا الكتـاب قبا قـراءة كتاب حيلة البـرء . ترجم سـرجس الكتاب إلى السـريانيـة ، وترجمـه حنين الى العربية لاسحاق بن سليمان الاسرائيلي .

(13) كتاب في القوى الطبيعية ـ ثلاث مقالات في أن تدبير أمـور البدن تكـون بثلاث قوى طبيعية هي القوى الجابلة ، والقوى المنميـة ، والقوة الغـاذية . وإن القـوة الجابلة تغير المني وتحيله الى الاعضاء المتشابهة الاجزاء ، وإن القوة الغاذية تخدمهـا اربع قوى هي القوة الجاذبية ، والقـوة الممسكة ، والقـوة المغيرة ، والقـوة الدافعـة ، ترجم سرجس هذا الكتاب إلى السريانية ، ثم ترجمه حنين الى السريـانية أيضـاً ترجمـة أفضل لجبـرائيـل بن بختيشـوع . وتـرجم مقـالـة منـه إلى العـربيـة لاسحـاق بـن سليمـان الاسرائيلي .

(14) كتاب في العلل والاعراض ـ ست مقالات نشرهـا جالينـوس متفرقـة ثم جمعها الاسكندرانيون بكتاب واحد باسم كتـاب العلل . ثم سماه السـريانيـون كتاب العلل والاعراض لان مقالاته تضم أيضاً اعراض وعلامات الامراض . ترجم سرجس الكتاب إلى السريانية ، كما ترجمه حنين إلى نفس اللغة لبختيشوع بن جبرائيل . وترجمه حبيش إلى العربية لعلي بن يحيى .

(15) كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة ـ ست مقالات . ترجمها سرجس الى السريانية مرة الى اسقف الكرخ ومرة لشخص اسمه اليسع . وترجمه حنين لاسرائيل الطيفوري الى السريانية أيضاً . كما ترجمه حبيش إلى العربية لاحمد بن موسى .

(16) كتاب في النبض ـ ست عشرة مقالة في أصناف النبض ، وكيفية التعرف على كل واحد منها . ترجم سرجس سبع مقالات منها إلى السريانية ، وترجم ايوب الرهاوي السبع مقالات الاخيرة الى السريانية لجبرائيل بن بختيشوع . كما ترجمه حنين الى نفس اللغة ليوحنا بن ماسويه ، وإلى العربية بمشاركة حبيش لمحمد بن موسى .

(17) كتاب اصناف الحميات ـ مقالتان في وصف أنواع الحميات وما يكون منها من الروح وما يكون من البدن . ترجم سرجيس الكتاب إلى السريانية . وترجمه حنين الى السريانية أيضاً لجبرائيل بن بختيشوع وإلى العربية لاحمد بن موسى .

(18) كتاب في البحران ـ ثلاث مقالات ترجمها سرجس الى السريانية ، وأصلح الترجمة حنين ، كما ترجم حنين الكتاب إلى العربية لمحمد بن موسى .

(19) كتاب حيلة البرء ـ اربع عشرة مقالة تبحث في مداواة الامراض على طريق القياس ، ومعالجة الاعضاء المتشابهة الاجزاء ، والاعضاء المركبة ، والحمى التي تكون في الروح ، والحمى المطبقة ، وحمى العفن . ترجم الكتاب سرجيس إلى السريانية واصلح حنين الترجمة ليوحنا بن ماسويه . كما ترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى .

(20) كتاب في علاج التشريح ـ خمس عشرة مقالة في العضل والرباطات في أقسام الجسم وأعضائه ، وفي تشريح الاعضاء الباطنة في البطن والصدر والرأس ، وفي تشريح العروق الضوارب أثناء الحياة وبعد الممات . وفي العصب الذي ينبت من الدماغ والعصب الذي ينبت من النخاع . وقد ترجم الكتاب ايوب الرهاوي الى السريانية واصلحها حنين لجبرائيل بن بختيشوع .

(21) كتاب في اختصار كتاب مارنيس في التشريح ـ أربع مقالات . يذكر حنين انه لم يطلع على هذا الكتاب ولا سمع عن احد انه قد رآه .

(22) اختصار كتاب لوقس في التشريح ـ مقالتان . وقال حنين انه لم يطلع على

هذا الكتاب ولا سمع عن احد انه قد رآه .

(23) كتاب فيما وقع من الاختلاف في التشريح ـ مقالتان . ترجمه ايوب الرهاوي الى السريانية وأعاد الترجمة حنين ليوحنا بن ماسويه . وترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى .

(24) كتاب تشريح الحيوان الميت ـ مقالة واحدة ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية وأعاد الترجمة حنين ، ثم ترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى .

(25) كتاب تشريح الحيوان الحي ـ مقالتان ، ترجمها أيوب الرهاوي الى السريانية وأعاد الترجمة حنين . وترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى .

(26) كتاب في علم ابقراط بالتشريح ـ خمس مقالات في أن ابقراط كان حاذقاً بعلم التشريح ، ترجم الكتاب ايوب الرهاوي الى السريانية ثم ترجمه حنين الى نفس اللغة وترجمه حبيش الى العربية لمحمد بن موسى .

(27) كتاب في علم ارسستراتس في التشريح ـ ثلاث مقالات فيها اخطأ ارسستراتس وما أصاب في علم التشريح . ترجمه حنين إلى السريانية ، كما ترجمه حبيش إلى اللغة العربية لمحمد بن موسى .

(28) كتاب فيما لم يعلم لوقس من أمر التشريح ـ أربع مقالات . قال حنين انه لم يطلع على هذا الكتاب ولا عرف احداً رآه .

(29) كتاب فيما خالف فيه لوقس ـ مقالتان . قال حنين انه لا يعرف شيئاً عن هذا الكتاب .

(30) كتاب تشريح الرحم ـ مقالة واحدة صغيرة كتبها جالينوس لامرأة تمارس القبالة . ترجم ايوب الرهاوي هذا الكتاب الى السريانية ، كما ترجمه حنين الى السريانية أيضاً . وترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى .

(31) كتاب فصل الفترة الاولى من فقار الرقبة ـ مقالة واحدة .

(32) كتاب في اختلاف الاعضاء المتشابهة الاجزاء مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية وترجمها عيسى بن يحيى إلى العربية .

(33) كتاب في تشريح آلات الصوت ـ يرجح أنه منحول على جالينوس . ترجمه حنين الى السريانية ليوحنا بن ماسويه .

(34) كتاب في تشريح العين ـ مقالة واحدة . وهو منحول على جالينوس ، وقد يكون من أعمال روفس . ترجمه ايوب الرهاوي الى السريانية . ولخصه حنين ليوحنا بن ماسويه .

(35) كتاب في حركة الصدر والرئة ـ ثلاث مقالات كتبها لاحد زملائه الذي كان يدرس معه في سمرنا على معلمهما بوليبس . ترجم الكتاب اصطيفان بن باسيل لمحمد بن موسى إلى العربية واصلح الترجمة حنين . كما نقل حبيش الكتاب من الصيغة العربية المذكورة الى اللغة السريانية ليوحنا بن ماسويه .

(36) كتاب في علل التنفس ـ مقالتان ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية ، واصطفن بن باسيل إلى العربية لمحمد بن موسى ، واصلح حنين الترجمتين المذكورتين .

(37) كتاب في الصوت ـ اربع مقالات ترجمها حنين إلى العربية لمحمد بن عبد الملك الوزير .

(38) كتاب في حركة العضل ـ مقالتان ترجمها حنين الى السريانية ، وترجمها اصطيفان الى العربية واصلح الترجمة حنين لمحمد بن موسى .

(39) في اعتقاد الخطأ الذي اعتقد في تمييز البول من الدم ، ترجمه حنين الى السريانية لسلمويه .

(40) كتاب في الحاجة الى النبض ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية لسلمويه بن بنان ، وترجمها حبيش الى العربية .

(41) كتاب في الحاجة الى التنفس ـ مقالة واحدة ترجمها اصطفن بن باسيل إلى العربية أيضا . وترجم حنين نصفها إلى العربية كذلك لمحمد بن موسى ، كما ترجم كل الكتاب الى السريانية لتلميذه عيسى بن يحيى .

(42) كتاب في العروق والضوارب هل يجري فيها الدم بالطبع ام لا ؟ مقالة

واحدة ترجمها حنين الى السريانية وترجمها عيسى بن يحيى إلى العربية .

(43) كتاب في قوى الادوية المسهلة ـ مقالة واحدة وفيها أن كل واحد من المسهلات يجتذب خلطاً معيناً ليستفرغه البدن ترجمها كل من أيوب الرهاوي وحنين الى السريانية . وترجمها عيسى بن يحيى الى العربية .

(44) كتاب في العادات ـ مقالة واحدة في ان العادات لها أعراض تظهر مع أعراض الامراض . وقد ترجم المقالة حنين الى السريانية لسلمويه ، وترجمها حبيش الى العربية لاحمد بن موسى .

(45) كتاب في آراء ابقراط وافلاطون ـ عشر مقالات في اتفاق ابقراط وافلاطون في القوى المدبرة للبدن ، وإختلافهما مع ارسطو في هذا الامر . ترجم الكتاب ايوب الرهاوي الى السريانية ، كما ترجمه حنين الى السريانية أيضاً ، وترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى .

(46) كتاب في الحركات المعتاصة المجهولة ـ مقالة واحدة ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية ، وترجمها حنين إلى نفس اللغة ، ثم الى اللغة العربية لمحمد بن موسى .

(47) كتاب في آلة الشم ـ مقالة واحدة ، ترجمها حنين الى السريانية ، وترجمها اسحاق بن حنين إلى العربية .

(48) كتاب منافع الاعضاء ـ سبع عشرة مقالة . المقالة الاولى والثانية في حكمة الباري في اتقان خلقة اليد . والمقالة الثالثة في اتقان خلقة الرجل . وفي المقالة الرابعة والخامسة في حكمته في آلات الغذاء ، والسادسة والسابعة فيما يخص آلات التنفس والمقالة الثامنة والتاسعة فيما يخص الرأس . وفي المقالة العاشرة فيما يخص العينين . وفي الحادية عشرة في أمر سائر ما في الوجه . وفي المقالة الثانية عشرة في نواحي الصدر والكتفين . وفي الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة في أمر أعضاء التوليد . وفي السادسة عشرة في أمر الاعصاب والعروق الضوارب وغير الضوارب وفي المقالة السابعة عشرة وصف حال اعضاء الجسم عامة . وقد ترجم سرجس هذا الكتاب الى السريانية وترجمه حنين الى السريانية ايضاً لسلمويه . وترجمه

حبيش الى العربية لمحمد بن موسى . كما ترجم حنين المقالة السابعة عشرة الى العربية أيضاً .

((49)) مقالة في الالوان .

(50) كتاب في خصب البدن ـ مقالة واحدة صغيرة ترجمها حنين الى السريانية ، كما ترجمها إلى العربية لعيسى بن يحيى . كذلك ترجمها حبيش لمحمد بن موسى الى العربية أيضاً .

(51) كتاب في سوء المزاج المختلف ـ مقالة واحدة ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية ، وترجمها حنين إلى العربية لاحمد بن موسى .

(52) كتاب في الادوية المفردة ـ احدى عشرة مقالة في مراتب قوى الادوية (الاول ، والثواني والثوالث) وافاعيلها في البدن في الاسخان والتبريد والتجفيف والترطيب ووصف مصادر الادوية النباتية والحيوانية والمعدنية ، وقد ترجم يوسف الخوري الخمس مقالات الاولى الى السريانية ، ثم ترجمها ايوب الرهاوي الى نفس اللغة . وترجم الكتاب حنين الى السريانية لسلمويه . وترجمه حبيش الى العربية لاحمد بن موسى .

(53) كتاب دلائل علل العين ـ مقالة واحدة في علل طبقات العين وأعراضها ، وقد ترجم سرجس هذا الكتاب إلى السريانية .

(54) كتاب في أوقات المرض ـ اي ادواره الاربعة وهي : الابتداء والتزيد والوقوف والانحطاط . وقد ترجمه الى السريانية ايوب الرهاوي ، وإلى العربية عيسى بن علي .

(55) كتاب في الامتلاء ـ مقالة واحدة في كثرة الاخلاط ، ووصف كل واحد من صنوفها . ترجمه حنين الى السريانية لبختيشوع . كما ترجمه اصطيفن بن باسيل إلى العربية .

(56) كتاب في الاورام ـ مقالة واحدة ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية ،

وترجمها ابراهيم بن الصلت إلى العربية لاحمد بن موسى ، كما ترجمها إلى العربية أيضاً حبيش . واختصر الكتاب حنين بالعربية .

(57) كتاب في الاسباب البادئة وهي الاول التي تحدث من خارج البدن ـ مقالة واحدة ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية .

(58) كتاب في الاسباب المتصلة بالمرض ـ مقالة واحدة وقد ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية .

(59) كتاب في الرعشة والنافض والاختلاج والتشنج ـ ترجمه ايوب الرهاوي الى السريانية كما ترجمه حنين الى السريانية أيضاً . وترجمه إلى العربية حبيش .

(60) كتاب في اجزاء الطب ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية لرجل من مصر يعرف بالفيوم .

(61) كتاب المني ـ مقالتان فيهما أن جميع اعضاء البدن ذات اللون الابيض تتولد من المني ، وإن الذي يتولد من الدم هو اللحم الاحمر . وقد ترجم الكتاب حنين الى السريانية لسلمويه ، وإلى العربية لاحمد بن موسى .

(62) كتاب تولد الجنين المولود لسبعة اشهر ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية والعربية .

(63) كتاب في المرة السوداء ـ مقالة واحدة في صنوف السوداء ودلائلها . ترجمها ايوب الرهاوي لبختيشوع بن جبرائيل ثم ترجمه اصطيفن الى العربية لمحمد بن موسى .

(64) كتاب في أدوار الحميات وتراكيبها ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية .

(65) الكتاب الكبير في النبض ـ مقالة واحدة . ومضمونها في النبض مختصر ، وينقصه التنسيق . ولا يعتقد حنين أنه من أعمال جالينوس ولذلك لم يترجمه . وكان سرجس قد ترجمه الى السريانية .

(66) كتاب في النبض يناقض فيه اركاجينس ـ ثماني مقالات . ولم يترجم هذا الكتاب إلى العربية أو السريانية .

(67) كتاب في رداءة التنفس ـ ثلاث مقالات في أصناف التنفس الاعتيـادي ، وأصنافه غير الطبيعية . ترجمه ايوب الرهاوي الى السريانية واصلح الترجمة حنين . كـما ترجمه الى العربية لمحمد بن موسى .

(68) كتاب نوادر تقدمة المعرفة ـ مقالة واحدة عن حالات مرضية نـادرة ، وقد ترجمه ايوب الى السريانية ، كما ترجمه عيسى بن يحيى الى العربية .

(69) اختصـار كتاب جـالينوس في حيلة البـرء ـ مقالتـان ترجمهـا ابـراهيم بن الصلت الى السريانية .

(70) كتـاب في الفصد ـ ثـلاث مقالات ، في الاولى ينـاقض فيهاارسستراتوس الذي لا ينصح بالفصد وفي المقالة الثانية ناقض فيها اصحاب ارسستراتوس بروما الذين يرون ما يراه في الفصد . ترجم سرجس هذا الكتاب الى السريانية . وترجم اصطيفن المقالة الثالثة منه إلى العربية . وترجم حنين المقالة الثانية إلى اللغة السريانيـة لعيسى بن يحيى الذي ترجمه بدوره إلى اللغة العربية .

(71) كتاب في الذبول ـ مقالة واحدة ترجمها ايوب الى السريانية . ووضع حنين لها جوامع ترجمها عيسى بن يحيى الى العربية . كما ترجمها اصطيفن الى العربية أيضاً .

(72) كتاب في صفات صبي يصرع ـ مقالة واحدة ترجمها ابـراهيم بن الصلت إلى اللغة العربية وإلى اللغة الـسريانية .

(73) كتاب في قوى الاغذية ـ ثلاث مقالات في أنواع الاغذية والاشربة وقواها الغذائية ترجم الكتاب سرجس الى السريانية ، وكذلك فعل حنين إلى العربية لاسحاق بن ابراهيم الظاهري ، وترجمه حبيش الى العربية لمحمد بن موسى .

(74) كتاب في التدبير الملطف ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية ليـوحنا بن ماسويه ، والى العربية لاسحاق بن سليمان . كما اختصر الكتاب وترجمـه عيسى بن يحيى إلى العربية .

(75) كتاب في الكيموس ـ مقالة واحدة في الاغذية والكيموس الجيد والرديء المتولد من أنواعها . ترجم الكتاب سرجس الى السريانية . كما ترجمه الى السريانية حنين . وترجمه ثابت بن قرة إلى العربية ، كما فعل ذلك حبيش لاحمد بن موسى .

(76) كتاب أفكار ارسستراتوس في مداواة الامراض ـ ثماني مقالات . ترجمة اسحاق بن حنين الى السريانية لبختيشوع .

(77) في تدبير الامراض الحادة على رأي ابقراط ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية لبختيشوع ثم ترجمه الى العربية لمحمد بن موسى .

(78) كتاب في تركيب الادوية ـ سبع عشرة مقالة . جعل السبع الاولى في صفات الادوية المركبة وعملها في الجسم كالتي تبني اللحم في القروح ، والتي تدمل القروح وما الى ذلك . وجعل المقالات العشر الباقية في الادوية المركبة بحسب الاعضاء العليلة ابتداء من الرأس . ترجم سرجس الكتاب الى السريانية . وترجمه حنين الى هذه اللغة ايضاً ليوحنا بن ماسويه . كما ترجمه حبيش لمحمد بن موسى إلى العربية .

(79) كتاب في الادوية التي يسهل وجودها ـ مقالتان ترجمها سرجس الى السريانية . ويقول حنين ان فيه مقالة منحولة على جالينوس وهي من عمل فلغريوس . وقد صحح حنين النسخة السريانية .

(80) كتاب في الادوية المقابلة للادواء ـ مقالتان ، الاولى في موضوع الترياق ، والثانية في باقي المعجونات ، ترجمه يوحنا بن بختيشوع الى السريانية وأصلح الترجمة حنين . كما ترجمه من هذه الصيغة الى العربية عيسى بن يحيى لاحمد بن موسى .

(81) كتاب في الترياق الى ابمقوليانس ـ مقالة صغيرة ترجمها إلى العربية عيسى بن يحيى لابي موسى بن عيسى الكاتب .

(82) كتاب الترياق ـ مقالة واحدة ترجمها أيوب الى السريانية ، وترجمها يحيى البطريق إلى العربية .

(83) كتاب في الحيلة لحفظ الصحة ـ ست مقالات ترجمها تيوفيل الرهاوي الى السريانية كما ترجمها حنين الى السريانية أيضاً . وترجمها حبيش الى العربية لمحمد بن

موسى . كذلك ترجمها اسحاق بن حنين الى العربية لعيسى بن يحيى .

(84) كتاب تراسبولس في حفظ الصحة - مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية ، وترجمها حبيش الى العربية لاحمد بن موسى .

(85) كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة - مقالة واحدة يحمد جالينوس فيها اللعب بالصولجان والكرة الصغيرة . ترجمها حنين الى السريانية وترجمها حبيش الى العربية .

(86) تفسير عهد ابقراط - مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية . كما ترجمها حبيش الى العربية لاحمد بن موسى . وترجمها الى العربية أيضاً عيسى بن يحيى .

(87) تفسير كتاب الفصول لابقراط - سبع مقالات ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية ، وأصلحه حنين لجبرائيل بن بختيشوع . كما ترجم حنين مقالة واحدة منه الى العربية لاحمد بن محمد المعروف بابن المدبر ، وترجم المقالة الاخرى لمحمد بن موسى .

(88) تفسير كتاب الكسر لابقراط - ثلاث مقالات ترجمها حنين الى السريانية .

(89) تفسير كتاب رد الخلع لابقراط - اربع مقالات ترجمها حنين الى السريانية .

(90) تفسير كتاب تقدمة المعرفة لابقراط - ثلاث مقالات ، ترجمها سرجس الى السريانية ، وترجمها حنين لسلمويه الى السريانية أيضاً . كما ترجمها إلى العربية لابراهيم بن محمد بن موسى . وترجم اصل التفسير الى العربية عيسى بن يحيى .

(91) تفسير كتاب الامراض الحادة لابقراط - خمس مقالات ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية . وترجمها حنين مختصرة بصيغة السؤال والجواب الى السريانية ايضاً . وترجم عيسى بن يحيى ثلاث مقالات منه الى العربية لاحمد بن موسى .

(92) تفسير كتاب القروح لابقراط - مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية .

(93) تفسير كتاب جراحات الرأس لابقراط - ترجمه ايوب الرهاوي الى السريانية كما ترجمه حنين الى نفس اللغة .

(94) تفسير كتاب الابديميا لابقراط - وقد فسر منها اربع مقالات فقط لانه

يعتقد أن المقالات الثلاث الاخرى منحولة على ابقراط . وقد ترجم سرجس المقالة الاولى والثانية والسادسة الى السريانية ، وترجمها حنين إلى العربية لمحمد بن موسى . كما وضع لها مختصرات على طريقة السؤال والجواب باللغة السريانية ثم ترجمها من هذه الصيغة عيسى بن يحيى الى العربية .

(95) تفسير كتاب الاخلاط لابقراط ـ ثلاث مقالات . ترجمها حنين الى السريانية ، وترجمها عيسى بن يحيى الى العربية لاحمد بن موسى .

(96) تفسير كتاب تقدمة الانذار ـ ولم يقع عليه حنين أو غيره من المفسرين .

(97) تفسير كتاب قاطاطريون ـ فسره جالينوس بثلاث مقالات ترجمها حنين إلى السريانية ثم ترجمها حبيش لمحمد بن موسى إلى العربية .

(98) تفسير كتاب الهواء والماء والمساكن لابقراط ـ ثلاث مقالات . ترجمها حنين الى السريانية لسلمويه ، وإلى العربية لمحمد بن موسى . وترجم حبيش تفسير جالينوس إلى العربية لمحمد بن موسى أيضاً .

(99) تفسير كتاب الغذاء لابقراط ـ أربع مقالات ترجمها حنين الى السريانية لسلمويه .

(100) كتاب طبيعة الجنين لابقراط ـ لم يفسره جالينوس بل ادخله في كتاب (علم ابقراط بالتشريح) بثلاثة اجزاء ، وقال ان الجزء الاول والثالث منحولان على ابقراط . وقد فسر الجزء الثاني جاسيوس الاسكندراني . ثم ترجم حنين نفس الجزء الى السريانية .

(101) كتاب التجربة الطبية ـ مقالة واحدة يبحث فيها حجج اصحاب التجارب واصحاب القياس بعضهم على بعض . وقد ترجمه حنين الى السريانية لبختيشوع ، ونقله عن هذه الصيغة الى العربية حبيش الاعسم . وقد طبع هذه الترجمة مع نصها اليوناني وترجمها بالانكليزية ولسر بنفقة مؤسسة ويلكم بلندن سنة 1944 .

(102) كتاب الحث على تعلم الطب ـ مقالة واحدة وضعها جالينوس لتعميم الصناعة الطبية . ترجمه حنين الى السريانية لجبرائيل وترجمه إلى العربية حبيش لاحمد بن موسى .

(103) كتاب في محنة افضل الاطباء ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية لبختيشوع وإلى العربية لمحمد بن موسى (دار الكتب المصرية ، دار البلدية بالاسكندرية) .

(104) كتاب فيما يعتقده رأياً ـ مقالة واحدة ترجمها ايوب الى السريانية ، كما ترجمها حنين الى السريانية أيضاً ، وثابت بن قرة إلى العربية لمحمدبن موسى . كذلك ترجمها عيسى بن يحيى إلى العربية .

(105) كتاب في الاسماء الطبية ـ خمس مقالات ترجم حنين ثلاثاً منها إلى السريانية . وترجم حبيش المقالة الاولى إلى العربية .

(106) تفسير كتاب طبيعة الانسان لابقراط ـ ثلاث مقالات ترجمها حنين الى السريانية والعربية . كما ترجمه عيسى بن يحيى إلى العربية .

(107) كتاب في أن الطبيب الفاضل فيلسوف ـ مقالة واحدة ترجمها ايوب الى السريانية ثم ترجمها حنين الى السريانية أيضاً ، وإلى العربية لاسحاق بن سليمان وترجمه أيضاً عيسى بن يحيى إلى العربية .

(108) كتاب في السبات على رأي ابقراط ـ ويعتقد حنين أنه منحول على جالينوس .

(109) كتاب في الفاظ ابقراط .

وهناك كتب اخرى لم يذكرها حنين في كتابه الى علي بن يحيى وهي :

(110) كتاب الحبن ـ ويعتقد حنين انه منحول على جالينوس ، وذكره الرازي في موضوع الانسجة المتهرئة (الحاوي 46/13) .

(111) مقالة في الرعشة والنافض والاختلاج .

(112) كتاب علل النفاس ـ وقد ترجم الى العربية (الحاوي 66/9) .

(113) كتاب في اختلاف الاعضاء المتشابهة الاجزاء ، وقد ترجم الى العربية (ايا صوفيا) .

(114) حركات الصدر والرئة .

(115) كتاب الامراض العسيرة البرء .

(116) مقالة فيمن يحتاج في الربيع الى الفصد وعملية رقع الخنازير .

(117) كتاب في العضل ـ مقالة واحدة ، لعموم البدن ومكانات ارتباطها ومحيط عملها . وقد رجح الاسكندرانيون هذا الكتاب بمقالة جالينوس في العصب . ومقالة له في العروق غير الضوارب فصار منها كتاب واحد سموه في التشريح للمتعلمين .

(118) كتاب في حركة العضل وحركات التنفس .

(119) كتاب التعرف على الاعضاء الألمة أو كتاب المواضع الألمة ـ ست مقالات وقد ترجم إلى العربية .

(120) كتاب الذبول مقالة واحدة .

(121) كتاب تحريم الدفن قبل اربع وعشرين ساعة ـ وقد ترجم الى العربية (ايا صوفيا) .

(122) كتاب في البول (فردوس الحكمة ص 354 . الحاوي 166/10) .

(123) كتاب الكيموس الجيد ـ مقالة واحدة في الاطعمة المولدة للكيموس الجيد والرديء وفيه أيضاً ذكر للجراحات الغائرة (الرازي ـ الحاوي 53/12) وعلاج اضطراب المعدة (الحاوي 410/19) .

(124) كتاب الادوية المقبلة للادواء ـ مقالتان في علاج السموم (الحاوي 413,349,316,297/19) وعضة الكلب الكَلِب (ح 437,426,419/19) .

(125) كتاب في إبدال الادوية .

(126) كتاب في الحدود .

(127) مقالة في عضة الكلب الكَلِب .

(128) تفسير كتاب الخلع لابقراط .

الطب في العصور البيزنطية

(395 - 640 م)

انقسمت الامبراطورية الرومانية سنة 395 م الى شرقية وعاصمتها بيزنطية[1] ، وغربية وعاصمتها روما . وصارت كل من الاسكندرية وانطاكيا في القسم الشرقي من الامبراطورية . وكانت المدينتان المذكورتان أهم المراكز الثقافية الموجودة في العالم عهدئذ . الا أن مركزية الحكم في بيزنطية ، والدمار الذي فعلته الحروب فيما بين الفرس والبيزنطيين على الاراضي السورية جعلت المدينتين ومدارسهما بعيدة عن رعاية الحكام وإهتمامهم بأمورهما العلمية . فدفع هذا الامر إلى أن يهجر العلماء مدارسهم وتقل البحوث ، وتنحدر فيهما المستويات العلمية . كما صار الاباطرة البيزنطيون والكنيسة البيزنطية جراء الانقسام المذهبي بين النساطرة واليعاقبة في منتصف القرن الخامس يسيطرون من باب الحذر من أفكار النساطرة التقدمية ، على كل ما له علاقة بالعلوم الطبيعية والفلسفية ، ويحشرون أنفسهم بالامور الطبية وبكل ما له علاقة بالاطباء النساطرة . والمستشفيات التي يعملون فيها . وكان الاطباء النساطرة يومئذ من الفئات الدينية البارزة في النصرانية . فطاردتهم الكنيسة حتى صار رجالها اخيراً أصحاب الولاية على الطب ، وما يرتبط به من المستشفيات والاطباء[2] . وشرع

(1) بيزنطية ـ مدينة اسسها اليونانيون في حوالي سنة 659 ق . م باسم بيزنتيوم . ومكانها مدينة استانبول اليوم . استولى عليها الرومان سنة 196 م ، واختارها قسطنطين الاول (320م) موقعاً لمدينة القسطنطينية التي صارت في القرن العاشر أكبر مدينة بأوربا . من معالمها كنيسة القديسة أيا صوفيا وقد خربت المدينة مرتين قبل أن تسقط بأيدي المسلمين سنة 1452 م .

(2) Carrison-Introd. Hist. Medc. P. 135.

الكهان يمارسون معالجة المرضى بالروح الدينية ، ويعتبرون الاطباء الـذين لا يمارسـون التطبيب على شريعتهم ، ولا يستمزجـون وصفات ادويتهم بـالادعية والصلوات ، من الهراطقة الذين يجب الابتعاد عن استشارتهم . وقد استمر هذا الحال حتى نهاية القـرن الثاني عشر الميلادي ، فـأصدر الـواعظ الديني بـرنارد كـارفو (1090 - 1153 م) تحـريماً بموجبه يمتنع الرهبان من تناول العقاقير الارضية ، والاتصال بـالاطباء ، لكي يضمنـوا خلاص ارواحهم في السماوات العليا[3] . كما هاجم رجال الـدين مضامـين التراثيـات اليونانية وأباحوا للعامة تمزيق كتبها على اعتبارها من بقايا الوثنية وتعارض تعاليم السيد المسيح . فأتلفت نفائس المخطوطات بأيدي الجهلة وقصيري النظر ، واضطر كثـير من الاطبـاء بسبب هذا الـوضع ان يمـالئوا رجـال الدين الغـلاة ، ويعملوا بما يـرضيهم . فطعّموا وصفاتهم الطبية باسم المسيـح واسماء حـوارييه ، وادخلوا في مؤلفـاتهم نكهات دينية استقبلها الناس والحكام برضى وارتياح بالرغم من نشازها إلى جانب المادة العلميّة الصرفة الموجودة بتلك الكتب[4] .

مدرسة الاسكندرية في أيام البيزنطيين

قبـل أن نعرف القـارىء بالاطبـاء البيزنـطيين الـذين اشرنـا اليهم قبل قليـل ، يتوجب علينا أن نعرض ما نعرفه عن مدرسة الاسكندرية التي كـانت يومئـذ ، الى حد ما ، على بعد من الضيق الفكري ، والتزمت الديني المتفشي في مدن سوريا البيزنطية . وتهمنا مدرسة الاسكندرية في هذا البحث باعتبارهـا المعهد الذي تخرج فيه أكثر الاطباء البيزنطيـين . كما أن المـدرسة في هـذه الفترة لعبت دوراً تحـولياً بـالغ الاهميـة في مسيرة الطب الى المشرق الاسلامي .

لا ريب في ان الحقبة من تاريخ مدرسة الاسكندرية فيما بعد وفاة جالينوس سنـة 201 م ، وقبل دخول العرب الى مصر سنة 642م ، كانت غير واضحة المعالم ، إلا مـا يخص تدمير مكتبة الاسكندرية ومعهد الموسيون ، وهمـا حدثـان وقعا قبـل نهاية القـرن الرابع الميلادي . أما بعـد ذلك في منتصف القـرن الخامس بـالتحديـد ، فقد حـدثت

---

(3) هونكة ـ شمس العرب ص 222-223

(4) المصدر السابق .

التفرقة النصرانية بين النساطرة واليعاقبة التي ذكرناها فيها تقدم . فكان من تأثير هذا الحادث الجسيم أن يطمس كثيراً من الاخبار الاخرى ومنها التي تخص مدرسة الاسكندرية . وربما كانت قد توقفت عموم أعمال هذه المدرسة بهذه الفترة ولم يبق في المدينة معهد لتعليم الطب . ثم حدث عند اتصال القرن الخامس بالسادس الميلادي أن تباصر ثمانية من الاطباء النصارى الاسكندرانيين برئاسة انقلاوس ، وارتأوا الحصول على اذن من السلطات المحلية لاعادة فتح مدرسة الاسكندرية وتدريس الطب فيها على أربعة كتب من مؤلفات ابقراط هي كتاب الفصول ، وكتاب تقدمة المعرفة ، وكتاب الاهوية والبلدان والمياه وكتاب الامراض الحادة . وعلى ستة عشر كتاباً من مؤلفات جالينوس . فاختصر وفسر كل واحد من الاطباء الاسكندرانيين الذين أشرنا إليهم تلك الكتب ، وأعادوا ترتيبها بحسب مضامينها واختصاصاتها . فجعلوا مجموعة منها للعلوم الاساسية (الكليات) ، ومجموعة للعلوم السريرية ، واخرى للتداوي وهكذا . فكان ترتيب المجاميع على المراتب الآتية[5] :

في المرتبة الاولى : (1) كتاب الفرق الذي يبحث في قوانين العلاج بحسب القياس والتجربة (2) كتاب الصناعة الصغيرة المتضمن صناعة الطب النظري والعملي (3) كتاب النبض الذي يبحث في فائدة فحص النبض في تشخيص الامراض (4) كتاب اغلوقن في كيفية التأني في شفاء الامراض .

وفي المرتبة الثانية : من كتب جالينوس : (1) كتاب الاسطقسات (2)كتاب المزاج (3) كتاب القوى الطبيعية (4)كتاب التشريح . ويلاحظ ان هذه الكتب في المرتبتين المذكورتين كانت في كليات الطب .

وجعلوا في المرتبة الثالثة كتاباً واحداً فقط لم يكن له اسم سابق ولا وجود ، وإنما جمعوا محتوياته من مقالات كان جالينوس كتبها في مواضع مختلفة من كتبه . وسموا هذا الكتاب الجديد (كتاب العلل والاعراض) ، واسمه يفصح عن مضمونه .

---

(5) اقرأ عن ترتيب الاسكندرانيين لكتب جالينوس في العيون لابن ابي أصيبعة ص 154-158 وكتاب النافع في تعلم الطب ، مخطوطة جستربتي ـ الباب الثامن من المقالة الاولى .

وادخلوا في المرتبة الرابعة كتابين : (1) كتـاب التعرف الى الاعضـاء الباطنـة (2) كتاب النبض الكبير .

وادخلوا في المرتبة الخامسة ثلاث كتب : (1) كتاب الحميات (2)كتاب البحـران (3) كتاب أيام البحران .

وجعلوا في المرتبة السادسة كتاباً واحداً هو كتاب حيلة البرء .

وجعلوا في المرتبة السابعة كتاباً واحداً أيضاً هو كتاب تـدبير الاصحـاء . وكانت الكتب في المراتب الخمس الاخيرة ، في العلوم السريرية .

ويعتقد ابو الفرج بن هندو المولود سنـة 331 هـ / 942م . ان الكتب في المراتب المـذكـورة هي مؤلفـات جـالينـوس الصعبـة الفهم عـلى المتعلم المبتـدىء ، فـاقتضى اختصـارها وتفسيـرها ليسهـل استيعابهـا عـلى القـارىء . امـا الكتب الاخـرى التي لم يشملها ذلك التنظيم فاعتبرها ابن هنـدو سهلة لا يعوزهـا الشرح والتبسيط . كـما هي أيضاً توابع للكتب الداخلة في المراتب الموضوعة[6] . فكل كتاب من هـذه المراتب هـو في الواقع مرشد الى مجموعة اخرى من كتب جالينوس . وصارت هـذه الجوامـع الستة عشر مقررات التعليم في مدرسة الطب بالاسكندرية التي استحدثت آنئذ . وإذ أن كل واحد من الاطباء الاسكندرانيين الثمانية قـد تولى بمفـرده ـ كما يقـول ابن أبي اصيبعة ـ اختصـار وتفسير الكتب الستـة عشر ، فإن اكـثر الاحتمـال إن كـل واحـد من اولئـك الاطباء كان معلماً في المدرسة الطبية ، وإنه اختصر تلك الكتب وفسرها لنفسه ليسيـطر على مفردات الموضوع الذي تولى تعليمه في المدرسـة . ويقول ابن أبي أصيبعـة ايضاً : (ان اجود ما وجدت من ذلك هو تفسير جاسيوس للست عشـرة مجموعـة ، فإنـه إبان فيها عن فضل ودراية)[7] . وفي هذا اثبات ثان على أن كل واحد من جماعـة انقلاوس وضع لنفسه مختصرات لتلك الكتب لتساعده على الاسترسال في الكـلام عندمـا يحاضر في تلك المـواضيع . وسـوف نرى من قـائمة مؤلفـات يحيى النحوي ان مفـردات هذه القائمة هي نفسـها الكتب التي وردت اسماؤهـا في جوامـع جالينـوس الستة عشر التي

---

(6) المصدر السابق .

(7) المصدر السابق ص 151 .

ذكرناها . وهذا يؤكد مرة أخرى صحة ما فسرناه عن الهدف من وضع تلك الجوامع . كما يثبت ان يحيى النحوي قد شارك فعلاً ، لا احتمالاً ، جماعة انقلاوس في تصنيف الجوامع التي تتكلم عنها وإنها قد وضعت باللغة اليونانية ، وإن اسلوب التعليم على ما يفهم من عناوين الكتب التي وضعها الاسكندرانيون ومنهم يحيى النحوي ، كان بقراءة النصوص وتفسيرها وتلخيصها والتعليق عليها . كما كانت لغة التدريس اليونانية لا السريانية . بينما هناك مجال أن نقرر أن لغة التعليم في كثير من مدارس سوريا بنفس الفترة ، كانت بالسريانية .

ومما يجلب النظر ان الاطباء الذين أعادوا فتح مدرسة الاسكندرية ليس لهم ذكر في المصادر الاوروبية القديمة ، وإن الكتّاب الاوروبيين المعاصرين حين يكتبون عنهم يعتمدون كلياً على المصادر العربية والسريانية . وقد يكون هذا التباين بسبب ضياع المصادر اليونانية اثناء الحملات الطائفية ضد الكتب الطبيعية ، والتي اشتدت بصفة خاصة حين طرق سمع الكنيسة ظهور دين جديد ، هو دين الاسلام الحنيف .

وقد تخرج في مدرسة الاسكندرية المستحدثة عدد من الاطباء الذين كانوا بنفس الوقت من أدباء السريان ورجال الدين عندهم . وقد صار بعض هؤلاء ممن تولى تدريس الطب في المدرسة . إلا أن مواقعهم في تاريخ حوادث مدرسة الاسكندرية غير محددة . وبين ما يكتبه المعاصرون عنهم وما هو في التراثيات العربية تناقض في بعض النواحي المهمة . وجزء من اخبارهم لا نجدها إلا في المؤلفات بالادب السرياني أو في تاريخ كنيسة المشرق العربي . على أن في ترجمة أحد اولئك الاطباء ، وهو سرجيوس الراس عيني المتوفى سنة 538 م ما يصح ان نستنتج منه كثيراً من المعلومات التاريخية عن الطب والاطباء في تلك الحقبة ، كما يصح أن نستنتج منه أن مدرسة الاسكندرية في أواخر عمرها ، كان لها تاريخ حافل في الوقت القريب من ظهور الاسلام ، وإن كتبهم ومناهج التدريس التي اتبعوها ، هي نفسها التي أقرتها وعملت بها مدارس سوريا ومدرسة جنديسابور ، فصارت بالتالي همزة الوصل بين الطب اليوناني والطب العربي كما سنرى فيما يأتي .

* * *

إن الاطباء البيزنطيون الذين كانوا يسيطرون على الطب في القرن الخامس

والسادس الميلادي كانوا تلاميذ مدرسة الاسكندرية ، أو كانوا على الاقل من اتباع افكارها ولو كان بعضهم بعيداً عنها زمنياً أو جغرافياً . من هؤلاء الاطباء[8] : شمعون الراهب المعروف باسم طيبويه ، وطيماووس الطرسوسي ، ومغنس الاسكندراني ، وديوسقريدس الكحال ، وأوربا سيوس ، وأهرن بن أعين ، وفليغوريوس ، وسرجيوس الراس عيني ، واتيوس الآمدي ، وبولس الاجيني ، وأبو موسى عيسى بن قسطنطين . وهؤلاء هم ولاة الطب الهلنستي . وقد هجروا مواطنهم وتفرقوا في آسيا الصغرى وشمال العراق وسوريا . وكان لاكثرهم مؤلفات في الطب ترجم اكثرها إلى العربية ، وبعضها الى السريانية ، فزودتنا بالكثير مما ضاعت أصوله الاولى بفعل التعصب المذهبي الذي حارب الوثنية كما حارب افكارها وكتبها بنفس الشدة والعقيدة . وقد يسرت ترجمات تلك الكتب لطلاب المعرفة العرب ، من السريان والمسلمين الاطلاع على كل ما كان يعرفه اليونانيون الاقدمون والمخضرمون في الطب وعلى طريقتهم في العمل به . كما أثار إهتمام العرب بتلك الكتب قربهم من عهود مؤلفيها البيزنطيين ، واتصالاتهم المباشرة مع البعض منهم في مدن سوريا وآسيا الصغرى والاسكندرية . وسوف نرى ان بعض أولئك الاطباء قد عاصروا محمداً (ﷺ) حتى بداية كهولته . ولا بد إن كانت هذه المعاصرة احد العوامل التي سهلت رواج تلك المؤلفات ، ثم ترجمتها فيما بعد إلى العربية . فصارت في الردح الاول من وصول الطب اليوناني الى العرب هي الكتب الوحيدة المتداولة بين الممارسين والمتعلمين . ولانها اصبحت عربية اللغة ، فهي من ناحية المنفعة والتطبيق تعتبر من الكتب العربية الاولى في الطب ، ومرجع معتمد لمؤلفات العرب التي وضعت فيما بعد . وهذا من الاسباب التي تثير اهتمامنا بأمر الطب اليوناني بشكل عام ، واستعراض مفردات كتبه التي ظهرت على مدى العصور منذ عهد ابقراط حتى العهد البيزنطي الذي ادركه الاسلام واخذ منه تقاليد الامور في الحكم وفي العلم .

---

(8) اقرأ عن الاطباء في العصر البيزنطي المتأخر في العيون لابن أبي أصيبعة ص 150، 158-159 و

Carrison, P. 121-154

Lund-Greek Medicine, P. 138-154.

واقرأ أيضاً عن الطب في الاسكندرية في سنواتها الاخيرة في هذا المقال الممتع

Owsi Temkin-Late Alexandrian Medicine, Bulletin of Hist. Of Med. Vol. 1935, P. 405-430.

وفيما يلي ما نعرفه عن الاطباء في العصور البيزنطية المتأخرة ، مراعين في ذلك تسلسل تواريخ حياتهم في تلك الحقبة . ويهمنا أمرهم لان مؤلفاتهم صارت مصادر مهمة للاطباء العرب بعد القرن الثاني الهجري .

1 ـ الاسكندر الافروديسي الدمشقي .

فيلسوف بارع في العلم الطبيعي . اجتمع بجالينوس وناظره وكان يسميه رأس البغل . وهو أول من قال ان الابصار لا يكون بشعاع يخرج من العين . وله مقالة في الماليخوليا، ومقالة في العلل التي تحدث في فم المعدة ، ومقالة في الجنس ، وفلسفته تمجيد لفلسفة ارسطو ، وله ردود كثيرة على جالينوس فيما رده على ارسطو .

2 ـ اوريباسيوس[9] (326 - 403م) Oribasius

ولد في برجامون ونشأ وتعلم الطب فيها . وقيل انه كان عبداً مملوكاً لاحد نبلاء اليونان في المدينة ، ثم صار في خدمة الامبراطور الروماني جوليان ، واشتهر بكتاباته في الامراض الغذائية ، وامراض الاطفال ، وتشريح الاعضاء الباطنة . ولم تكن أعماله مبتكرة إلا أنه احسن جمعها وتصنيفها من كتب الاقدمين في الطب . فعمل منها موسوعة بسبعين مقالة ، وصل القليل منها الينا بترجمة حنين بن اسحاق وعيسى بن يحيى بالمشاركة الى اللغة السريانية . ثم اختصر الموسوعة لابنه اسطاثيوس ، بكتاب مصغر ليسهل عليه قراءتها وفهم مواضيعها . كما ينسب إليه كناش عرف باسمه ، وكتاب آخر في الادوية . وقد ذكرها الرازي في علاج الفالج بمسوح الجندبادستر والفلفل والابيض ، والجاوشير ، الزنجبيل ، والدفلة اليابسة . والخردل (الحاوي 57/1) وفي تداوي الربو بالرواند وبزر الفودنج (ح 11/) ورطوبات الرئة الغليظة بسقي الاشقيل بالعسل (ح 18/3) ومعالجة جشأ المعدة بالمراهم (ح 55/4) ورياح المعدة بدلوك ورق السداب مع الكمون (ح 159/5) وعلاج الادمان على أكل

---

(9) اقرأ عن اورباسيوس في ـ ابن ابي أصيبعة ص 150 ، ابن النديم ص 350 وابن القفطي ص 74
Leclerc, 1/253-255, Neuberger, 2/42-51
Lund, P. 139-142, Sezgin-Gqs. 3/152-154.
Ullmann P.83, Carrison, P.122- 123 .

الطين ، والافراط في القيء (206/5) وقروح الامعاء بحقن نقيع الخبز (ح 28/8) وفي قطع الطمث بلطخ من غـراء جلود البقر (ح 64,28/9) وفي اسبـاب القيء والصداع والبزاق ووجع المعدة (ح 121/9) وعلاج قروح الفرج بلطخ من ثمرة الكرم والعسـل والـزعفران (ح 194/5) وكثـرة التبول في مـرض الديـابيطس (ح 194/10) والفتـوق بمـرهم من جوز السـرو وقشور الـرمان بـالزيت (ح 232/10) وفي معـالجة العنـة (ح 293/10) والـورم الحار في المقعـدة بمرهم من صفـار البيض والزعفـران والافيـون (ح 42/11) وفي وجع النقرس والمفاصل عـامة (ح 176,157,156/11) والسـرطان بنقيـع سماع الدباغة بشراب قابض (ح 18/11) وحـروق النار (110/13) والـداحس بضماد من العفص والرمان وتوبال النحـاس (ح 56/17) والاظفار المتقشـرة بضماد من دقيق البلوط والحلبة والزرنيخ الاحمر (58/17) ومداراة الناقة (ح 96,86/17) وغير ذلـك وله أيضاً كتاب من لا يحضره الطبيب .

3 ـ فيلغريوس Philiagrius [10]

يوناني من عائلة طبية . عاش في القرن الرابع ـ الخـامس الميلادي ، ولـه أعمال قيمة في الطب الباطني ، ويعتبر أول من ربط بين الحمى المتناوبة وضخم الرحم . كـما لـه مؤلفاتـه كثيرة عـرف منها تسعـة عشر كتابـاً صارت من مصـادر الـرازي في كتـاب الحاوي ، منها :

(1) الكناش الصغير ـ ذكره الرازي في معالجة الفواق (الحاوي 169/5)والقيء بـأقراص الكـوكب وبالرمان الحـامض (الحاوي/218,207) وحـالة الـطحال الصلب بطبيخ الحرمل مع بـذرة (ح 297/7) ومعالجة وجع المقعدة بصفـار البيض المشوي مـع

---

(10) اقرأ عن فيلغريوس في الفهرست لابن النديم ص 292 ، وتأريخ الحكماء للقفطي والعيون لابن ابي أصيبعة ص 159 ، و :

Leclerc-Arabic Medicine, 1/235-236.

Lund P. 144-145, Robinson-Story of Medicine, P. 111.

Carrison P. 123-124, Sezgin, 3/54-156.

Ullmann-Islamic Medicine P. 79-81.

Sarton, 1/373, Neuburger, 2/53.

شراب قابض وشمع ودهن (ح 42/11) .

(2) رسالة في السل ـ ذكرها الرازي في اغذاء المسلولين بلبن الاتن في قدح خشب ، وشرب ماء المطر ، وماء العسل (الحاوي 116/4) .

(3) كتاب من لا يحضره طبيب بمقالة واحدة ـ ويفهم من العنوان ان الكتاب في الاسعافات الاولية .

(4) كتاب مداواة الاسقام ـ أو كتاب شفاء الاسقام ، ذكره الرازي في معالجة الافراط في شهوة الاكل (الحاوي 189,188/5) وعلاج الم المغص بالحقن والحمام أو بالاسهال (ح 41/6 - 63,42) وفي تناول الماء البارد والحار (ح 212/7) ومداواة الايلاوس بشراب الخشخاش ، وطبيخ الزبيب مع الشبت والحقنة بماء الورد (ح 214,213,193/8) .

(5) مقالة في عرق النسا ـ ذكرها الرازي في موضوع استفراغ البدن (الحاوي 159/11) .

(6) رسالة في وجع النقرس ـ ذكرها الرازي في استعمال السقمونيا (ح 115/6) ومعالجة تورم القدمين في النقرس بالادهان الحارة والدلك (ح 160,159/11) ومداواة مريض النقرس بالتغذية والمسهلات والمسكنات (ح 208,207/11) .

(7) م . في القولنج ـ ذكرها الرازي في مداواة القولنج البارد بحقن طبيخ الشبت والحلبة والختمة وبزر الكتان والبابونج (ح 152/8 - 153) وطرد الرياح بالزنجبيل (ح 158/8) واللذع بتناول الثوم والحقن به (ح 184/8) ودلك البطن بدهن السذاب والكمون والجنديبادستر (ح 216/8) .

(8) رسالة في الديابيطس ـ ذكرها الرازي في معالجة الديابيطس (ح 159/10) وأسبابه المتعلقة بالكبد (ح 207/10) .

(9) رسالة في اليرقان ـ ذكرها في معالجة اليرقان بتمريخ المعدة والكبد بدهن ورد وسذاب وماء التفاح ، وبالفصد (الحاوي 175,146/7) .

(10) م . في الماء الاصفر ـ ذكرها الرازي في معالجة الماء الاصفر بحساء

الغاريقون والقنطريون (ح 241،218/7) .

(11) رسالة في الحصى - ذكرها الرازي في أنواع حصى المثانة (الحاوي 130/10) واستعمل الحلتيت في معالجتها (ح 138/10) والعنب الاسود مع دم التيس لحصى الكلية (ح 152/10) .

(12) رسالة في اختناق الرحم - ذكرها الرازي في تداوي اختناق الرحم بالحجامة على أسفل البطن وتسخين الاطراف وشدها (ح 64 - 65) وحشو المهبل بالطيوب (ح 67/9) .

(13) م . في سيلان المني - ذكرها الرازي في علاج نزول المني بلا إرادة بطلي الظهر والعانة بالشوكران وممارسة الرياضة (ح 275/10) .

وذكر ابن أبي اصيبعة كتباً أخرى لفيلغوريوس منها :

(14) م . في ترياق الملح (الحاوي 110/7) .

(15) م . فيما يعرض للّثة والاسنان .

(16) م . في عضة الكلب الكلب .

(17) م . في القوباء .

(18) م . في صنع ترياق الملح .

(19) رسالة في وجع البطن (الحاوي 71/5) .

(20) م . في السرطان .

4 - يحيى النحوي[11] Johamines Grammaticus.

كنيته ابو سعيد ، وهو أشهر الاطباء الاسكندرانيين المتأخرين عند العرب ، ومن

---

(11) اقرأ عن يحيى النحوي في الفهرست ص 254-255 ، والقفطي ص 354-357 . وابن أبي أصيبعة 151 ، والشهرزوري 19/2 ، و

Leclerc, 1/256-257

Ullmann. P. 89-91, Sezgin, 3/157-160.

أكثرهم في التأليف . إلا ان المؤرخين حشروا في ترجمته كثيراً من الاخبار الوهمية ، منها أنه ادرك الاسلام ، واتصل بعمرو بن العاص حين دخل فاتحاً مصر[12] . وهذا مما لا تؤيده حوادث الاسكندرية وتراجم اطبائها وخصوصاً اذا احتججنا بتاريخ وفاة سرجيوس الراس عيني (536 م) الذي ترجم الى السريانية جوامع جالينوس التي عملها يوحنا النحوي[13] وانقلاووس وصحبهما في الاسكندرية . إن تاريخ وفاة سرجيوس المذكور موثقة لا شك في صحتها ، فيتحتم على هذا أن يكون يوحنا قد توفي قبل نصف قرن على أقل تقدير من دخول عمرو بن العاص الى مصر .

وأصل يوحنا النحوي من مصر . وكان أمياً الى أن بلغ الاربعين من عمره وهو يعمل في قارب[14] ، فتاق الى التعلم ، والتحق بـ (دار العلم) بالاسكندرية[15] ، ودرس فيها النحو واتقنه ، ومن هذا الصق به لقب النحوي ، كما درس اللاهوت وصار أسقفاً في احدى كنائس الاسكندرية ، ودرس الفلسفة والطب إلا أنه عرف فيلسوفاً ومؤرخاً أكثر مما عرف طبيباً ، وكان أقل درجة في هذه الصنعة من زملائه الذين شاركهم في تأسيس مدرسة الطب الجديدة في الاسكندرية ، مع ذلك صار واحداً ممن رتب جوامع جالينوس الستة عشر التي ذكرناها قبلاً ، كما صار أحد المعلمين في المدرسة . وعمل في تفسير كتب جالينوس وترتيبها أكثر مما الف في علوم الطب .

وكان يحيى النحوي حر التفكير ، طلقاً في الرأي والعقيدة ، فرفض ان يقول بالتثليث كما يفعل زملاؤه حين يعظون في الكنائس . وحاولوا اقناعه ليتراجع عن موقفه إلا أنه رفض بإصرار ، فأحالوه الى مجلس تأديبي في خلقيدونية القريبة من

---

(12) القفطي ص 354-355 ويذكر القفطي تفصيل المقابلة المزعومة التي وقعت بين يحيى النحوي وعمرو بن العاص . وينتهي فيها الى ان ابن العاص وزع كتب مكتبة الاسكندرية على حمامات المدينة فكانت كافية لتدفئتها ستة اشهر كاملة . والخبر مأخوذ عن ابن العبري الذي اخذه بدوره عن عبد اللطيف البغدادي . وقد المحنا قبل هذا الى بطلان هذا الخبر وأنه محض اختلاق ولا اساس له من الصحة . وإن مكتبة الاسكندرية حين دخل عمرو بن العاص مصر ، لم تكن لها قيمة علمية ولا فيها كتب ذات أهمية تأريخية .

(13) اوليري ـ الثقافة اليونانية ص 50 .

(14) القفطي ص 356-357 ، ابن أبي أصيبعة ص 152 .

(15) المصدران السابقان بالتوالي ص 357 ، ص 152 .

القسطنطينية ، فاستجوبه وحكم عليه بالتحريم ، والإقامة الجبرية في القسطنطينية . فلما مرض الملك أقام يحيى النحوي على خدمته ومعالجته حتى كسب الشفاء . فأمر الملك برفع عقوبة التحريم عنه ، والاكتفاء بالاقامة الجبرية في القسطنطينية[16] حيث انتهت حياته . وربما كانت وفاته في حوالي سنة 568 م[17] .

كان يحيى النحوي دؤوباً على القراءة والكتابة في حقائق الامور الفلسفية والطبية ، وتفسير الكتب اليونانية القديمة . فكان من أبرز الاطباء الذين شاركوا في تفسير وتصنيف مؤلفات جالينوس . وسماه زملاؤه لهذا السبب فيلوبونس ، أي المجتهد ، وخاطبوه بكِنيته (ايروشيسّ) اي ابو سعيد ، احتراماً وتقديراً له .

كانت جميع آثار يحيى النحوي الطبية اختصارات وتفاسير لكتب جالينوس إلا مقالة واحدة الفها في النبض ، وكتاباً آخر وضعه في تاريخ الاطباء القدماء[18] ، اخذ عنه المؤرخون اللاحقون كأبن ابي أصيبعة ، فيما كتبوه عن أطباء اليونان الاولين . وترجمة يحيى النحوي وما كتبه عن الطب ، من الشواهد التاريخية المعتمدة في تاريخ الطب عامة ، وفي الطريق التي عبرها الطب اليوناني للوصول إلى العرب بصفة خاصة .

وكتب جالينوس التي عالجها يحيى النحوي بالاختصار والتفسير هي :

(1) كتاب الفرق (2) ك . الصناعة الصغير (3) ك . النبض الصغير (4) ك . اغلوقن لجالينوس (5) ك . الاسطقسات (6) ك . المزاج (7) ك . القوى الطبيعية (8) ك . التشريح الصغير (9) ك . العلل والاعراض (10) ك . تعرف علل الاعضاء الباطنة (11) ك . النبض الكبير (12) ك . الحميات (13) ك . البحران (14) ك . أيام البحران (15) ك . حيلة البرء (16) ك . تدبير الاصحاء (17) كتاب منافع الاعضاء (18) ك . جوامع الترياق (19) ك . جوامع كتاب الفصد .

---

(16) ابن أبي أصيبعة ص 152 .

(17) أوليري ـ مسالك الثقافة الاغريقية ص 136 .

(18) اسحق بن حنين ـ تأريخ الاطباء في Oriens Vol. 7/1954, P. 61-71.

5 ـ سرجيوس الراسعيني[19]

ويسمى ايضاً سرجيس ، وهو من مواليد رأس العين في شمال جزيرة ما بين النهرين بين حرّان ونصيبين ، تعلم اللغة اليونانية في الاسكندرية ، واتصل برجال الدين اليعاقبة فيها ، واخذ بمذهبهم . كما التحق بصفوف الاطباء وتعلم صناعتهم . ولما رجع الى مسقط رأسه برأس العين كان في مرتبة دينية عالية فنصب قسيساً على المدينة ، كما صار شيخ اطبائها . وعمل سرجيوس في نقل الكتب اليونانية الى السريانية . فترجم بعض كتب جالينوس ومجاميعه التي صنعها الاسكندرانيون . وقد حمل النساطرة الذين هاجروا الى فارس ، هذه الترجمات وادخلوها معهم الى جنديسابور ، وصارت إحدى كتبها المقررة لتعليم طلاب هذه الصنعة .

توفي سرجيوس الراس عيني في القسطنطينية سنة 536 م ، وله من المؤلفات :

(1) كتاب في الاستسقاء ـ أخذ عنه الرازي في أسباب هذا المرض وعلاقته بالكبد (الحاوي 234/7) .

(1) كتاب في مفردات الادوية .

(3) كتاب في تركيب الادوية ـ ولعله تكملة نفس الكتاب المتقدم .

6 ـ اثيوس الآمدي[20] Aetius of Amida

يوناني الاصل ، من مواليد آمد باقليم ديار بكر . خدم في بلاط الامبراطور

---

(19) اقرأ عن سرجيوس الراس عيني في : تراث الاسلام لمايرهوف ، ص 451 وابن ابي أصيبعة ص 158 ، والادب السرياني لمراد كامل ومحمد البكري ص 218-223 واوليري ـ الفكر العربي ص 63 . واقرأ المقال الممتع عن سرجيوس للدكتور يوسف حبي في مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد 1981/32 ، ص 265-288

Sezgin 3/177, Ullmann, P. 87, Leclerc, 1/205

Galin-On The Usefullness of the Parts of The Body, 1/5, Sarton, 1/434-435.

(20) اقرأ عن ايتوس الآمدي في ابن ابي أصيبعة ص 150, 159 ، و :

Leclerc 1/265, Neuberger, 2/104-109.

Carrison P. 125, Ullmann, P. 84-85.

Sezgin 3/104-105, Neuburger, 2/104-109.

جستانيان (527 - 565 م) وتنصر على يده . ويعتبر آخر من اعتنق هذا الدين من الاطباء اليونانيين المشهورين . وكانت وفاته حوالي سنة 575 م .

وضع اثيوس موسوعة طبية باليونانية بخمسة عشر كتاباً ، أخذ فيها عن روفس وسورانس وجالينوس في المواضيع الجراحية والنسائية وسواها . وذكر فيها كثيراً من العمليات ، منها قطع اللوزتين ، وبعض عمليات العين ، وعملية البواسير ، وذات الدم . وله وصف مستفيض لاورام الغدة الدرقية ، وداء الكلب ، وفي الجزء السادس من الموسوعة معلومات واسعة في الامراض النسائية والتوليد ، أخذ عنها الرازي والزهراوي . وقد ترجم هذا الجزء الى الانكليزية من قبل جيمس ريسي سنة 1950 .

7 ـ الاسكندر الترالي[21] (طرابيلوس)

عاش هذا الطبيب فيما بين سنة 525 و 605م متنقلاً بين الاقطار الشرقية ، وأخيراً استقر في روما . له مبتكرات كثيرة في الطب ، وكان مثل جالينوس يداوي المسلولين بالراحة والهواء الطلق والاسفار البحرية والتغذية الجيدة . وله من المؤلفات :

(1) كناش ـ ويبحث في مواضيع شتى منها : الليثوغس أو الليثرجي (الرازي ـ الحاوي 236/1، 326/2) وقرحة الرئة ، ونفث الدم (الحاوي 100,97,42/3) وعلاج اللقوة (ح 180/1) وعلاج الحميات (ح 37/17,141,105,63/16,118,73,26/15,368,25,24/14,72,71/6) . وعلاج الخنازير (ح 131/12) ومداواة داء المفاصل والنقرس (ح 197/13,241/11) وعلاج الدق (ح 38/16) ودر العرق (ح 227/14) .

(2) كتاب الحيات والديدان ـ ويبحث في أعراض الاصابة بديدان البطن (ح 27/11) .

(3) كتاب المعدة ـ ويبحث في سيلان اللعاب (ح 79/5) ورطوبة المعدة (ح 85/5)

---

(21) اقرأ عن اسكندر الترالي في الفهرست لابن النديم ص 293 ، والقفطي ص 55

Leclerc, 1/256.

Carrison P. 123-124, Sezgin-Gas. 3/162-164.

Ullmann P. 85-86.

والجشأ (ح 54/5) والفواق (ح 156/5، 169) والجوع مع الغثيان أو البوليموس (ح 182/5) والغثى (ح 217/5) وأسباب العطش (ح 242/5) وغير ذلك .

(4) كتاب المالينخوليا ـ ويبحث في الخلط السوداوي ومصادره وأمراضه وما إلى ذلك .

(5) كتاب البول ـ وفيه وصف للبول في حالات القولنج (ح 123/8) وغير ذلك .

(6) كتاب علل العين ـ ويتكلم فيه عن الوقاية من رمد العين (ح 115/2) وغير ذلك .

(7) كتاب البرسام .

8 ـ اهرن بن أعين Ahrun[22]

من تلاميذ مدرسة الاسكندرية في زمن قريب من الفتح الاسلامي لمصر وربما أدرك اوائل خلفاء المسلمين . عرف طبيباً وفيلسوفاً ورجل دين ، واشتهر بلقب القس ، عاش أكثر عمره في سوريا ، ووضع في سنة 600 م كناشا بالسريانية ضمنه وصفاً لمرض الجدري ، يعتبر من أوائل ما كتب عن هذا المرض . كما ضمنه مداواة الدوار (الرازي ـ الحاوي 90/1) والرمد وقروح العين (الحاوي 110/2) وعلاج ضيق الصدر (ح 67,9/4) ونفث الدم (ح 40/4) وقرحة الرئة (ح 92/4) وذات الجنب (ح 164/4) والشوصة (ح 22/4) وأسباب الدبيلات والاورام والقروح (ح 125,51/5) واسباب الفواق (ح 175/5) ومعالجة ورم الثدي بعد الولادة (ح 2/7) ومداراة مرضاء القلب (ح 36/7) ومعالجة الاستسقاء الاصفر وحالات الطحال (ح 280/7, 223/7) ومعالجة البواسير (ح 91/8 ,11 /35 واسباب القولنج وتداويه (ح 201,117/8) ومعالجة النزف الرحمي ، واختناق الرحم وأعراض الرحام (ح

---

(22) اقرأ عن أهرن بن أعين في طبقات الامم بن صاعد ص 88 ، والقفطي ص 80 وابن ابي أصيبعة ص ١٥٠ ، و :

Leclerc. L/77-81, Neuberger 2/128.

Sezgin 3/166-167, Brockelmann S. 1/106.

Ullmann P. 87-89, Sarton, 1/479.

61,60,6/9 والتوقي من الاجهاض (ح 91/9) واستخراج الجنين الميت من الرحم (ح 129/9) . وأسباب حصر البول (ح 60/10) وعلاج حصى الكلية والمثانة بأكل العقارب المشوية (ح 99/10) ومداراة المصاب بالديابيتس (ح 191/10) وعلاج سيلان المني (ح 257/10) وتشخيص حيات البطن (ح 5/11) وعلامات الجدري الرديئة (ح 33/17) ، والكلام في أنواع الطواعين (ح 4/17) وتشقق الاظفار من حدة المرة السوداء ، ومعالجة الحميات الملازمة (ح 143/18) وغير ذلك . وقد ترجم جاسيوس الكتاب من لغته اليونانية الى اللغة السريانية ، وترجمه ماسرجويه من هذه اللغة الى العربية وزاد عليه مقالتين من عمله ، ونشرت الترجمة في أيام الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة (101 هـ / 719م) . وربما كانت هذه الترجمة الاولى من سلسلة ترجمات الطب اليوناني الى العربية ، ولم تكن جيدة التعبير على عكس نصها السرياني .

9 - بولس الاجيني Paul Of Agina[23]

يوناني من مواليد جزيرة اجينا الواقعة غرب شاطىء اثينة . عاصر صدر الاسلام ، وربما أدرك بعض الاطباء العرب ، وعرف فيما بينهم جراحاً قديراً وخصوصاً في الامراض النسائية والتوليد ، فلقبوه بالقوابلي . وله مؤلفات نقلت كلها إلى العربية منها :

(1) الكناش - ويسمى أيضاً كناش الثريا . وهو موسوعة في الطب بسبعة اجزاء أخذ فيها بكثرة عن جالينوس وأوريبا سيوس واتيوس الآمدي بالاضافة الى اطباء اليونان القدماء . وكرس الجزء السادس من الكناش للعلوم الجراحية ، وبحث فيه امراض الكلى والمثانة ؛ وعلاماتها (الرازي - الحاوي 101,85,81,19/10) والفتق في الصبيان (الحاوي 229/10) ونتوء السرة (ح 234/10) وما يخص الباه والمني (ح

---

(23) اقرأ عن بولس الاجيني في الفهرست ص 293 ، والقفطي ص 261 ، وابن ابي أصيبعة ص 159,150 ، و :

Ullmann P. 86, Leclerc 1/256.

Carrison P. 124, Sezgin 3/168-170.

300,260/10) وأنواع الدود في البطن (ح 36/11) وعلاج الدبيلات والخنازير (ح 130,126,82/12) . ومداواة حالات الحمى بأنواعها (ح 152,127,89/15,50/14) وغير ذلك .

(2) تدبير الحبالى - (الرازي - الحاوي 54/5) ويبحث هذا الكتاب في أصناف الولادة (الحاوي 101/10) وأسباب الولادة العسرة (ح 131/9) وأدوية اسقاط الجنين (ح 140/9 - 145) وغير ذلك .

(3) كتاب تهزيل السمان (ح 242/6) .

(4) كتاب علل النساء ويبحث في النزف الرحمي (الحاوي 15,8/9) والتهابات الرحم (ح 46,32,14/9) واختناق الرحم (ح 69,62/9) وسقوط الرحم (ح 184/9) وسرطان الرحم ، وشقاق المقعدة (ح 36/11) وغير ذلك .

10 - عيسى بن قسطنطين[24]

ويكنى بأبي موسى ، ويدل اسمه على أنه من أصل عربي وممن أدرك الاسلام وهو صاحب تجربة ورأي في العلاجات الطبية وله كتاب في البواسير وكتاب في الادوية المفردة .

---

(24) اقرأ عن عيسى بن قسطنطين في القفطي ص 247 وابن ابي أصيبعة ص 159 .



القسم الثالث

طب العرب قبل الاسلام

العرب قبل الاسلام

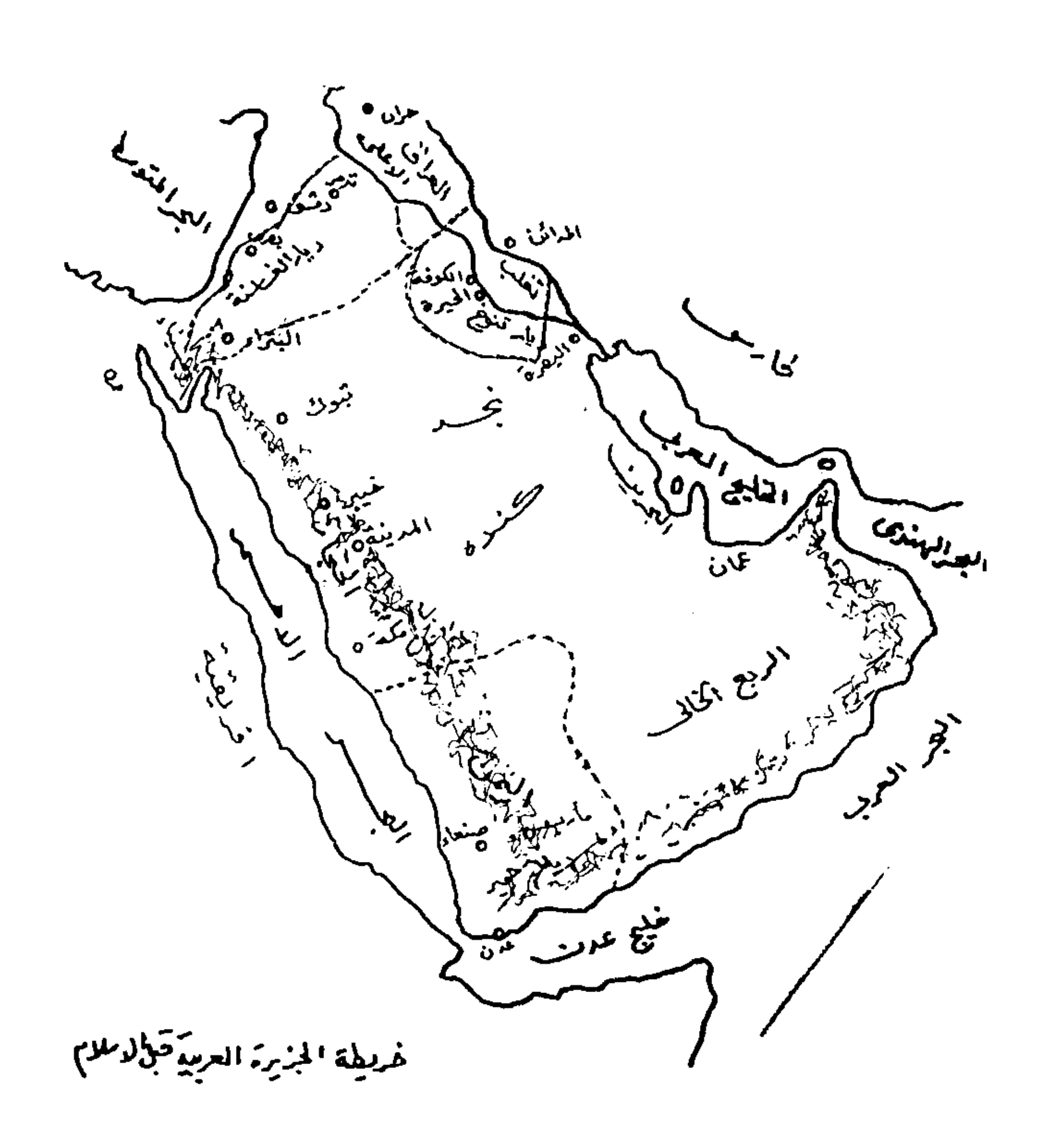
1 ـ نبذة تاريخية[1]

العرب مجموعة من الاقوام السامية استوطنت منذ أقدام عصور التاريخ ، الجزيرة الشاسعة الاطراف التي تحيط بها البحار إلا من طرفها الشمالي المتصل بباديتي العراق والشام . وقد نسبت تلك الجزيرة بعد ذلك إلى تلك الاقوام وسميت باسمهم . وأراضي الجزيرة مجموعة من بواد لا تنبت فيها الاعشاب إلا اذا هطلت عليها الامطار ، وصحارى جرداء تصعب فيها الحياة على النبات والحيوان والانسان ، يستثنى من ذلك الاراضي المحاذية للبحر الاحمر والقسم الجنوبي الغربي من الجزيرة ، فإنها كثيرة الخصوبة والحياة بسبب أجوائها الرطبة وغزارة الامطار عليها . فانشئت عليها المدن ، كيثرب ومكة وصنعاء ومأرب . (انظر الخريطة) .

ويطلق المؤرخون على المائتي عام التي سبقت الاسلام مصطلح الجاهلية . والمعلومات عن هذه الحقبة نزرة وغير مثبتة . والعرب الذين عرفهم المؤرخون هم القحطانيون الذين سكنوا ديار اليمن ، وحضارتهم موثقة بالآثار العمرانية وسدود المياه الباقية علاماتها إلى هذا اليوم . كما عرفوا العدنانيين الذين استوطنوا ما يعلو وسط الجزيرة العربية وشمالها . والمعلومات عن هؤلاء مستنتجة من أمثالهم واشعارهم وبعض منثورهم .

---

(1) اقرأ عن هذا البحث في بلوغ الارب للالوسي 3/327-343 ، وتاريخ العرب لفيليب حتي ,79-116 1/63-72 .



خريطة الجزيرة العربية قبل الاسلام

وكانت ديانة العرب في الجاهلية هي الوثنية التي تعتمد على التوسل الى الاصنام لتكون وسيطاً لهم لارضاء الله ، كما كان فيهم الحنفاء وقليل من اليهود والانصارى .

وآمن العرب مثل باقي البشر في ذلك الزمان بالخرافات ، ومارسوا العرافة ، والكهانة ، والفراسة ، واستعملوها لتصريف أمورهم ، وفي طبهم أيضاً . كما علمتهم سماء الصحراء ونجومها الوضاءة مسار الكواكب ، فوضعوا لكل نجم منها اسماً ، واستخدموها في الاسفار واقتفاء الاثر والكشف عن الطوالع . اما لغتهم فكانت العربية التي نعرفها اليوم أو كانت مثيلة لها ، وهي احدى اللغات السامية التي تضم أيضاً الآرامية والسريانية (الآرامية المطورة) والعبرية والفينيقية والامهرية الحبشية . ويتعشق العربي لغته ويقدسها ، ويجعلها اداة يتفاخر بها على الانداد والاعداء . ويرجع الفضل في كثير مما عرفناه عن أحوال العرب وايامهم وانسابهم ، وفلسفة حياتهم ، والطب عندهم ، الى ما قرأناه في البدائع اللغوية التي خلفوها لنا في أمثالهم ونثرهم وشعرهم .

2 ـ دول الجزيرة العربية قبل الاسلام .

اقدم الدول التي عرفت في الجزيرة العربية هي دول اليمن في الجنوب الغربي من الجزيرة . وهي ثلاث دول حكمت بالتعاقب ما يزيد على السبعة عشر قرناً . كان أكثر من ثلثيها قبل الميلاد . وعاصرت في الخمسة القرون الاولى منها حضارة الكلدانيين الزاهرة في بابل . وقد كانت لتلك الدول حضارة راسخة في فنون الزراعة ، وطرق الارواء ، وإقامة السدود ، والتبادل التجاري عبر البحار كما كانت لها لغة عربية خاصة تختلف عن لغة عرب شمال الجزيرة ، تلك الدول هي :

(1) الدولة المعينية (1200 - 650 ق . م) .

(2) الدولة السبئية (650-115ق.م)،وفي عهد هذه الدولة انفجر سد مأرب وتدفق السيل العرم مما اضطر بعض قبائلها على أن تهجر مواطنها صاعدة إلى شمال الجزيرة العربية شرقاً وغرباً . كان منهم اللخميون والتنوخيون الذين استوطنوا غرب فرات العراق ، والغساسنة الذين استوطنوا ديار الشام . وهناك اقاموا دولاً صار لها ارتباطاً وثيق بالفرس والرومان كما سنرى .

(3) الدولة الحميرية (115 ق . م ـ 525م) . وقد انقرضت هذه الدولة بقوات الاحباش بدعم من الرومان البيزنطيين . ثم دخل الفرس الى اليمن سنة 570 م ، وطردوا الاحباش منها ليحتلوا مكانهم عليها . وكان ذلك قبل ولادة محمد (ﷺ) بنحو خمسين سنة . ونحسب ان اليمنيين بتأثير من الاحتلالين الحبشي والفارسي قد تعلموا شيئاً من الطب . ويروى ان الحارث بن كلدة الثقفي قد تعلم الطب في اليمن ، وأكثر الاحتمال إن ذلك كان إبان حكم الفرس على تلك البلاد ، وانه تعلم الطب على اطبائهم الذين كانوا فيها .

ومما يجب أن نذكره ان قبائل عربية أخرى هجرت الجزيرة لاسباب جغرافية أو معاشية ، قبل اليمنيين وبعدهم ، واستقرت في ما بين النهرين وبادية الشام والاردن ، وأسست هناك دولاً اتخذت بعضها سياسة التحالف ، كما فعل اللخميون والغساسنة ، مع الدولتين المجاورتين لها ، وهما الفارسية والرومانية . وكانت اولى تلك الدول هي دولة الانباط التي احتلت البقاع التي عليها اليوم دولة الاردن ، واتخذوا البتراء (سلع بلغة العبرانيين) في وادي موسى عاصمة لهم ، وامتهنوا الزراعة على المياه التي يستنبطونها من جوف الارض . وكانت لغتهم خليط من العربية والآرامية المطورة ، وكتبوها مرسومة بتشابك صارت بعد ذلك أحد أصول الخط العربي . وقد ازدهرت حضارتهم في القرنين ما قبل الميلاد ، وانقرضت هذه الدولة بقوات الامبراطور الروماني تراجان سنة 105 م .

على اثر انفجار سد مأرب (بين القرن الاول والثاني للميلاد) هاجرت بعض قبائل تنوخ ولخم اليمنية الى شمال الجزيرة العربية واستوطنت غرب الفرات الاوسط ، وأسسوا فيه دولة المناذرة وجعلوا عاصمتهم الحيرة[2] الواقعة آثارها اليوم قرب مدينة الكوفة[3] . ودخل ملوكها النصرانية ، ثم انتحلوا المذهب النسطوري بعد ظهوره في

---

(2) الحيرة ـ يرجع تاريخ هذه المدينة الى العصور الكلدانية . قامت فيها دولة المناذرة اللخميين الذين حالفهم الفرس الساسانيون لعزلهم عن دولة الغساسنة التي كانت تحالف الروم وكان أول ملوكهم جذيمة بن الابرش وآخرهم المنذر بن النعمان . وفي زمان هذا الملك استولى خالد بن الوليد على الحيرة (12 هـ / 632م) . اقرأ عن هذه المدينة في كتاب المرحوم يوسف غنيمة الموسوم (الحيرة المدينة والمملكة العربية) معلومات وفيرة وجد ممتعة .

(3) الكوفة ـ أسس هذه المدينة القائد سعد بن ابي وقاص اثر معركة القادسية ، قرب الحيرة (17 =

منتصف القرن الخامس جرياً على ما فعلت نصارى حليفتهم فارس . وكانت الحيرة ذات موقع طبيعي متميز فصارت بأيدي ملوكها أكثر رواء وحضارة . وسكنت في حوالي الحيرة أقوام العباد العربية التي عرفت بعبادة الله فكثر في صدر اسمائهم كلمة عبد ، كعبدالله ، وعبد يسوع ، وعبد المسيح ، وعبد عمرو . وربما لهذا السبب لقبوا بالعباد . وكان من أنسالهم شيخ المترجمين العرب في العصر العباسي حنين بن اسحاق العبادي . وفي سنة 12 هـ / 632م خضعت ديار الحيرة لقوات خالد بن الوليد ، إلا أن اكثر أهلها بقوا على دين النصرانية .

أما الاقوام اليمنية الاخرى التي نزحت من اليمن بعد انفجار سد مأرب ، فكان منهم من الجفنيين (اتباع جفنة بن عمرو) الذين استوطنوا ديار فلسطين وحوض نهر الاوذن وحوران الشامية ، وأسسوا فيها دولة الغساسنة واتخذوا بصرى[4] عاصمة لهم . وتنصر الغسانيون وحالفوا البيزنطيين وصاروا من اعداء مناذرة الحيرة الاقوياء ، وأبرز دولة في تلك الديار على مدى القرن السادس ودحرتها قوات كسرى ابرويز ، ثم استردها البيزنطيون ، ومن هؤلاء انتزعها المسلمون في حوالي سنة 13 هـ / 632م .

أما دولة تدمر فقد ظهرت في بادية الشام في صدر التاريخ الميلادي . وكان الذي أقامها قبائل من الجزيرة العربية حالفت البيزنطيين وحاربت الى جانبهم سابور الساساني . كما كان لها شأن تجاري لموقعها على طريق المواصلات بين الشمال والجنوب والشرق والغرب في تلك المنطقة . من أشهر ملوكهم الزباء او زنوبيا التي احتلت قواتها غرب ما بين النهرين وجنوب آسيا الصغرى وسوريا . كما احتلت مصر مدعية بنسبها الى الملكة كليوبترا (ت 30 ق . م) . وثارت زنوبيا على البيزنطيين إلا أنها خسرت المعركة مع امبراطورهم أورليان سنة 272 م ، واقتيدت أسيرة الى روما وتوفيت بعد

= هـ /638 م) . واتخذها الخليفة علي بن ابي طالب عاصمة له وفيها اغتيل (40هـ / 661م) . وكانت مركزاً مهماً لعلماء اللغة والعقائد ، إلا أن اهميتها العلمية والاجتماعية قد انحدرت الى الدرجة الثانية بعد تأسيس بغداد .

(4) بصرى - عاصمة الغساسنة حلفاء البيزنطيين . ضمها الامبراطور الروماني تراجان سنة 105 م الى مملكته ، وصار لها مركز ديني بالمسيحية سنة 512 م . دخلها المسلمون سنة 11هـ / 632م هـ ، وشيد فيها الايوبيون قلعة فخمة . وفيها مسجد الناقة ذو المئذنة المربعة العالية . ومسجد فاطمة وجامع عمر ، والآثار الرومانية التي فيها لا تزال قائمة بروعة الى هذا اليوم .

ثماني سنوات في هذا المنفى . وبقيت تدمر بيد البيزنطيين حتى اخذها منهم خالد بن الوليد سنة 12 هـ / 633م .

هل كان مهماً ، على قدر ما يخص موضوع هذا الكتاب ، ان نتطرق بهذه التفصيلات الى تاريخ الدول التي استوطنت الهلال الخصيب قبل الاسلام ؟ .

ان الدول التي قامت في الهلال الخصيب لا تشبه الدولتين اللتين أقامتهما القبائل العربية التي سبقتهم الى هجر الجزيرة لتقيما دولتي بابل وآشور على حوض الرافدين . بل كانت تلك الدول ، في الحقيقة ، دويلات تحت رعاية دولتي الفرس والبيزنطيين . ومنها من خضعت بالتناوب لكل من الدولتين المذكورتين . ومن طبيعة الامور في تلك الحالة ان تختلط القوميات فيما بينها ، وتتبادل المعرفة والصناعات . واورليان الذي مر ذكره هو نفسه الذي اقتاده سابور مع من اقتاد من علماء واطباء سوريا الى جند يسابور . والهجرات العكسية لا خلاص منها في أكثر هذه الحالات . فكان في تدمر وبصرى كما كان في الحيرة كثير أو قليل من اصحاب الصناعات ومنها الطب . فاستعراض تواريخ دول الهلال الخصيب ضروري لنعرف منه ما كان يدور في تلك الديار ، وما ورثه السوريون في العصور الاسلامية من اجدادهم الذين عايشوا الفرس والروم . وسوريا كانت أولى البلاد العربية التي لعبت دوراً مهماً ومثيراً في الطب بالحضارة الانسانية .

ويلاحظ ان عموم الدويلات التي ذكرناها في شمال الجزيرة العربية ، وكذلك دول جنوب الجزيرة ، قد انقرضت قبل ظهور الاسلام . ولم تترك أي من تلك الدول ، بالرغم من حضارتها في التجارة والزراعة واللغة ، واتصالاتها بالدول ذات المعارف الطبية ، تراثيات في علوم الطب كما فعل السومريون والآشوريون . كذلك نلاحظ عدم نشوء حضارة محلية جديدة داخل الجزيرة العربية أو في جنوبها بعد ظهور الاسلام كما حصل في ما بين النهرين وديار الشام ومصر . وواقع داخل الجزيرة العربية الجغرافي لا يفسر هذه الظاهرة ، فلم تتجدد حضارة في اليمن بعد حضارتها الاولى الرائعة ، بالرغم من توافر كل متطلبات تقويم الحضارة في تلك الديار . ولا شك ان بعد مراكز الحكم والحكام عن داخل الجزيرة وجنوبها له تأثير حاسم فيما آل إليه هذا الوضع .

الطب عند العرب قبل الاسلام

كـان طبيعياً أن يكـون الطب عنـد عرب الجـاهليـة في الحـواضر ارقى من طب البوادي . وإذ ان الاعراب هم الكثرة الغالبة من سكان الجزيرة العـربية ، فـإن الطب عند العرب كان بسيطاً وبدائياً يستنـد أكثره عـلى المتعارف عليـه في استعمال التعـاويذ والتمـائم وتناول المـواد الخام القـريبـة من الايـدي كـالاعشـاب الصحـراويـة وأبـوال الابل[1] ، ورماد الحرائق ، ودماء الذبائح والطرائد ، والشمع والعسـل ونحو ذلـك . كما كان طبيعياً أيضاً أن يكون الطب عند العرب من الصنائع التي لا خيار للفرد إلا أن يلجأ الى استخدامها ليقي به نفسه من الامراض . فالطب حاجة يطلبها كـل إنسان في كل زمان ومكان . فكان للطبيب مكانة ذات شرف وحشمة بين مجتمعات العرب ، كما كان للاطباء مركز محترم ليس ادنى من مركز شيخ القبيلة وحكيمها الروحي ، وهو دوماً من سادة القوم ، وخطبائهم ، ومن يوفد منهم الى الملوك[2] .

توصل الاعراب الى المعارف الطبية بالمشاهدة والتجربة . فعرفوا بعض الامراض بالمقارنة الى ما يظهر على ماشيتهم أو على صحرائهم من تغييرات غير مألوفة . فاطلقـوا على الحالة التي سموها (الجدري)[3] هذا الاسم لان بثور هـذا المرض تشبـه ما تـطرأ من السلع عـلى اعناق الابـل ، او على النتـوءات التي تـظهـر عـلى سـطح الارض اذا

---

(1) جواد علي ـ العرب قبل الاسلام 389/8 .

(2) المصدر السابق 381/8 .

(3) ابن منظور ـ لسان العرب 119/4 .

(جدرت) اي اذا ارتفعت في بعض مواضعها بسبب اندفاع النبت من تحتها . وعرفوا (الحصبة) واخذوا اسمها من الارض الحصباء ، اي ذات الحصى الناتئة على اديمها . وعالجوا هذين المرضين ببذور الحشائش والحرمل والحنظل[4] . وسموا الصفرة التي تطفح على البشرة وبياض العين (اليرقان) وهي الصفة التي يطلقونها على الزرع المصفر . وعرفوا البرد وتأثيره على الجسم ، واستعملوا لعلاجه المعرقات ومنها (المغمّلات)[5] وهي اغطية التدثر . ولان الاصابة بوباء (الطاعون) كالطعنة القاتلة ، لذا سموه بهذا الاسم ، كما سموه أيضاً (عوس) ، وضربته في نظر الاعراب من وخز الجن[6] . كما عرفوا (الهيضة) وسموها (الفضجة) . واطلقوا على المرض الجلدي الذي يسبب تساقط الشعر من فروة الرأس اسم (داء الثعلب) لمشابهته بما يفعله هذا الحيوان من العبث بالنبت وتخريب الحقول[7] . او لان شعر الثعلب يتساقط في كل حول بمثل ما يحدث في المرض المذكور . كما سموه (داء الحية) لنفس السبب[8] . وعرفوا احتباس البول في المثانة وأطلقوا عليه مصطلح (الاسر)[9] اي الانحباس . ووصفوا مرض السل في الصدر وسموه (سلال)[10] وداء اليأس ، لان المصاب به ميؤوس من حياته . او انهم نسبوه الى (الياس) بن مضر ، إذ قيل انه أول من مات بهذا الداء[11] .

---

(4) جواد علي 407/8 .

(5) المغملات ـ الاغطية التي تستعمل لتسبب تعرق الجسم (معلوف ـ المنجد مادة غمل) .

(6) جواد علي 406/8 .

(7) الآلوسي ـ بلوغ الارب 341/3 .

(8) المصدر السابق والصفحة .

(9) المصدر السابق 360/3 .

(10) جواد علي 407/8 .

(11) المصدر السابق . والياس هو النبي الذي ورد ذكره في القرآن الكريم (سورة الانعام 85 ، الصافات 123-130) . وكان من أتابع اليسع . وله علاقة ببني اسرائيل ، وبالخضر ، وإنهما شهدا نزول الوحي على محمد (ﷺ) وصار الياس بدعاء من محمد (ﷺ) يعين المسلمين في البحر ، كما صار الخضر يعينهم في البر . وذكرت تراجم وأنساب اخرى لالياس منها هو إدريس النبي أو أخنوخ عند العبرانيين أو هرمس عند اليونانيين (اقرأ عن الياس في دائرة المعارف الاسلامية (شعب) 381/4-385) .

ولا غرابة ان يخلط الاعراب في ذلك الزمان البعيد ، بين عرض المرض والمرض نفسه . فحسبوا العرض مرضاً . والوجع بحد ذاته في نظرهم مرض . ووضعوا لكل مرض اسماً مشتقاً من أعراضه وأوصافه . فسموا الم الرأس صداعاً ، لان المصاب به يحس وكأن رأسه (يصدع) اي يفلق قطعتين من شدة الالم . وسموا الصداع النصفي : الشقيقة لانها تصيب احد (شقي) الرأس لا شقيه في آن واحد وسموا المرض الذي يسبب قطع الاصابع وقطع النسل (جذاماً)[12] مشتقاً من الجذم اي القطع ، كما سموه (داء الاسد) لانه يفترس أطراف الجسم . وعرفوا ان هذا الداء مهلك ويعدي بالتماس . وقالوا فيه من باب النصيحة : فر من المجذوم فرارك من الاسد[13] . فمن يقع في براثن اي منهما مصيره الهلاك .

وسموا تجمع الماء في انسجة الجسم وفي البطن (الاستسقاء) وهو تعبير أخذوه من السقي بالماء . وعرفوا المرض المعروف بعرق النسا ، وسموه بهذا الاسم لانه ينسى ، من شدة اله ، آلام كل مرض آخر يزامنه (ابن قيم الجوزية ـ الطب النبوي ص 56) .

وعرف الاعراب أمراضاً اخرى كثيرة ، الفوها فيما بينهم وأطلقوا عليها بنفس الطريقة اسماء لا يزال الكثير منها في الاستعمال الى هذا اليوم . كان منها مرض الجرب واليرقان ، وداء الفيل[14] ، والنملة ، والباسور ، والناسور ، والمغص (او المغس) ، والفالج ، والجنون ، والبرص ، والبهق ، والذبحة الصدرية ، والسعفة ، وذات الجنب وأوجاع المفاصل ، والحميات بأنواعها ، والرمد ، والماء الابيض والماء الاسود في العين ، والامساك ، والاسهال ، واضطراب التبول ، والباطنة . وعرفوا بعض أمراض القلب ، والكبد ، والرحم ، فسموها قُلاب ، وكُباد ، ورُحام . وتكونت لهم

---

(12) الآلوسي 340/3 .

(13) جواد علي 402/8 .

(14) عرف الاطباء اليونانيون داء الفيل الذي يصيب رجل الانسان فتتضخم وتتغضن حتى لتصير أشبه برجل الفيل ، إلا أننا لا نعرف فيما إذا وضعوا له نفس هذا المصطلح الذي استعمله العرب ، ام اكتفوا بوصفه دون ان يطلقوا عليه اسماً ؟ فنحن لا نعرف الى الآن من اطلق هذا الاسم على الداء المذكور ، اليونانيون أم العرب ؟

صيغة فَعال (بضم الفاء وفتح العين) ، لمثل هذه الامراض ، ومثلها الزكام والزحار والظهار .

وعرف الاعرابي ان بعض الامراض معدية بطبيعتها ، كالجذام والجرب ، وعالج هذا الامر بعزل المصابين بهذين الداءين من الانسان والابل .

ولا يمكن بأي حال من الاحوال إلا أن يكون الاعراب قد حاولوا علاج الامراض والطوارىء الجسمانية التي يتعرضون لها ، وعرفوا بعد تكرار التجربة ، لكل حالة مرضية علاجاً لها ، شافياً كان أم غير شاف . واشهر الادوية الشافية عندهم واحدة من ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار . ولكل واحدة من هذه مكان فسيح في المعالجات الطبية ، يجربونها واحدة بعد الاخرى . فيكون الكي آخر ما في جعبة الطبيب من تداوي . ومن هذا انحدر المثل : (آخر الدواء الكي) المنسوب الى لقمان بن عاد[15] . ولاحظوا ان المريض اذا طال اضطجاعه على كيفية واحدة ، فإن جانب جسمه الذي ينام عليه يتعرض لقرحة تثقب عميقاً في لحمه فسموها (الناقبة) فعالجوها وقاية بتكرار تغيير الجانب الذي ينام عليه المريض ، وهي طريقة ناجحة لهذه الحالة .

وكان العسل أكثر الادوية المستعملة لعلاج البطنة ، والامساك الزمن ، والاسهال المفرط . كما استعملوا الهليون لدر البول ، وتخفيف الم القولنج ، واستعملوا عنب الثعلب لقطع دم الحيض اذا طال ، وتقليله اذا كثر . وتناولوا الحمص لانزاله في حالة انقطاعه أو قلته .

كما اكتشف الاعراب بالتجربة أضرار التخمة في المعدة ، فقالوا : البطنة تذهب الفطنة[16] . وأعابوا الرجل الاكول . وعالجوا كثيراً من الامراض بالازم أي الامساك

---

(15) جواد علي 402/8 ، ولقمان بن عاد هو لقمان الحكيم . من المعمرين في العصر الجاهلي . وفي القرآن الكريم سورة باسمه وفيها وصيته لابنه في طاعة الله واحترام الابوين وما الى ذلك . وحقيقة ترجمته غير معروفة الا ما يستفاد من أقواله وحكمه الكثيرة وقيل انه عبد حبشي ، وإنه كان راهباً أو كان نجاراً .

(16) الراغب الاصبهاني ـ محاضرات الادباء 631/2 .

عن الاكـل . وقالـوا المعدة بيت الـداء والحمية رأس الـدواء[17] . وفي ذلـك كثير من الصدق .

واستعملوا البصـل ، والكمون لمعـالجة الحـالات الصدريـة ، وقتل الـديدان في الجـوف البطني ، والثـوم للديدان وأمـراض المعـدة وبعض أمـراض القلب . وتهـافت الاعراب على أكل الزبيب لانـه (يذهب النصب ، ويشـد العصب ، ويطفي الغضب ويصفي اللون) وعلى أكل السفرجل لانه يشد القلب ويطيب النفس[18] . وعلى أكـل التـين لمعالجـة الامساك وحـالات الكبد المرضية . واستعملوا الحلبـة لامراض الصـدر كـالربـو ، والسعال ، وكثـرة البلغم ، ولامراض الكبـد والطحـال ، والمثـانـة ، وآلام الظهر ، وبواسير المقعد ، ويروى حديث شريف فيها قوله (ﷺ) : (لو يعلم النـاس ما في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهباً)[19] .

وكان الترياق من الادوية الشائعة عنـد الاعراب . يستعملونـه ليلطف النفس ، ويقطع الالم . ويسمي العرب الخمر درياقـاً أو تريـاقاً لهـذا السبب[20] . كما استعملوا (الحبـة السـوداء) في حـالات مـرضيـة كثيـرة تخص الجهـاز الهضمي[21] . واستعملوا (البنج) وهو عشب صحراوي ، لجلب السبات[22] . واعتبروا الكمأ مفيـداً لامراض العين ودرياقاً للسموم .

واهتموا بصحة الاسنان واستعملوا لها أصنـاف المساويـك لتبدو نـظيفة بـراقة . واستعملوا الكحـل في العـين للزينـة والتجميـل ، كـما استعملوه للعـين الـرطبـة . واستعملوا الاثمد لتقويـة البصر وشعر الاهـداب . وكانـوا ينقعون العـين بماء بـارد في الصباح ، ويغمسون القدمين في ماء بارد أو حار لمعالجة بعض أمراض العين . أما الماء

---

(17) هذا قول الحارث بن كلدة الثقفي (طبقات ابن جلجل ، وابن أبي أصيبعة ، وتاريخ القفطي) .

(18) جواد علي 393/8 .

(19) الزبيدي ـ تاج العروس (كويت) 312/2 .

(20) جواد علي 395/8 .

(21) المصدر السابق 396/8 .

(22) البنج ـ عشب يستعمل للراحة والاسترخاء والتخدير (ابن البيطار ـ جامع المفردات 117/1 ، ابن ابي السرور ـ القول المقتضب ص 26 ، الفيروزبادي ـ ترتيب القاموس 269/1) .

الابيض في العين فيعالجونه بالنقب (القدح) أي عمل ثقب أو فتحة فيها ليدخل إليها النور الباصر[23] .

واستعملوا الفصد والحجامة لاوجاع الرأس وأمراض العين ، كما استعملوا بعض الديدان (العلق)[24] لتمص الدم من خلال الجلد الذي تعلق به مثلما تفعل الحجامة والفصد في الحالات التي تستطب لهما هاتان العمليتان . وقالوا خير الدواء العلق والحجامة .

واستعمل الاعراب الكي لاوجاع المفاصل (الوثية) ، والاستسقاء ، والجروح ، وآلام البطن ، والعقم ، وتوقيف النزف الدموي . كما استعملوا لتوقيف النزف أيضاً الضغط بالرفائد والرماد . واستعملوا الجبائر للكسور ، والتمسيد للخلوع ، والحقن للامساك[25] .

ولاحظ الاعراب ان استمرار نضح الصديد من الموضع الذي يعالج بالكي ، يساعد على تمام تخلص الحيوان من المرض الذي يعالج بهذه الطريقة . فوضعوا حصاة صغيرة أو ما يماثلها بين حافات الانسجة المكوية لتمنع سرعة التآمها ، وتزيد في سيلان الصديد منها . وطبقوا هذه الطريقة على أنفسهم في الحالات التي يستطب لها الكي . وبقيت هذه الطريقة في التطبيق قروناً بعد الاسلام ، ودخلت أوربا اللاتينية باسم التضميد الرطب Wet Dressing وعلى هذا المبدأ نفسه استعمل الاعراب الخزم Seton على انفسهم عند الاصابة بمرض المفاصل المزمن مثلما كانوا يستعملونه على دوابهم حين نعطل قوائمها عن الحركة . ومارس الاعراب عملية الاخصاء ، وبتر الاطراف ، واستعملوا البنج والزوان للتخدير .

ومن الامور الطبيعية ان تعرف الاعرابية توليد نفسها عند المخاض ، او توليد غيرها وتعرف مداراة النفساء بطريقة ما ، مثلما يجيد الرجل راعي المواشي توليد الانعام . فصار بين البيوت (قابلات) اشتهرت بهذه الصناعة . على أنه من المتوقع أن تنتهي الكثير من حالات الولادات العسرة بوفاة الجنين ، وبوفاة الام احياناً . ومما يذكر

---

(23) الزبيدي 493/1 .

(24) ابن منظور 267/10 .

(25) جواد علي 399/8 .

أيضاً في هذا الموضوع أن القابلات كن يمارسن عملية التطريح على الحوامل . ولا بد إن كانت التخريبات في بدن المرأة جراء هذه العمليه واسعة وعميقة . أما الاجهاض التلقائي فإنه مألوف في كل مكان وزمان ، ولا بد أن القابلة الاعرابية هي التي تتدبر هذا الامر . كما عرفت القابلة الحمل (الحشيش) وهو الجنين الذي يموت في الرحم ولا ينقذف منه . والغريب جداً أن يقوم الزوج لا القابلة ، بعملية إخراج الجنين من الرحم تعرف باسم السطو[26] ، وبأي حال فان هذا الامر ليس مفهوماً تماماً من وجهة استطباب العملية المذكورة وطريقة تنفيذها . والمعلومات عنه جد سطحية ، ولا تذكرها إلا كتب معاجم اللغة . وتذكر معاجم اللغة ايضاً عملية أخرى مارسها العرب ، هي (الخشْعة) التي تجرى على الحامل لحظة وفاتها فيستخرج عن طريق شق بطنها الجنين الذي ما يزال حياً . ويسمى الجنين الذي يخرج بهذه الطريقة : (خارجة) كما يسمى خشعة أيضاً (لسان العرب ، والقاموس ، مادة خشع) . وهذه العملية مألوفة عندنا في هذا اليوم باسم Post-Mortem Caesarean Section وليس في التراثيات العربية تفصيلات تقنية عن هذه العملية . ورغم ان العملية تطبق على الحوامل الاموات لا الاحياء ، إلا أنها تتطلب لاجرائها معرفة بتشريح البطن والرحم ، وملحقات الحبل أيضاً . وإذا كان الرعاة يمارسون هذه العملية على انعامهم ساعة تنفق ، فلا نستبعد أن يكون هؤلاء الرعاة هم الذين يمارسون عملية الخشعة على نسائهم .

وفي الطب النسوي ، لا بد كانت القابلات ، والامهات بشكل عام يعرفن شيئاً عن بلوغ الفتيات سن الرشد . ومشاكل هذه الظاهرة من الوجهة النفسية والجسمية وعن الشكاوى من سن اليأس ، وانقطاع الطمث وصغر الثدي عند الضهياء . وعن الافراط في دم الحيض . والغريب في هذا الباب ان العرب في ذلك الزمان القديم ، قد اكتشفوا علاقة الطمث ووقت انحداره مع اكتمال القمر في المحاق[27] ، وهذا ما لم

---

(26) الزبيدي 177/10 .

(27) هذه المعلومات استنتاجية لا وثائقية ، اعتمدتها على بيتين من الشعر لعروة الرحال (الزركلي - الاعلام 354/5) هما :

وما غرني الأخضاب بكفها	وكحل بعينيها واثوابها الصفر
وجاءوا بها بعد المحاق بليلة	فكان محاقاً كله ذلك الشهر

نعثر عليه في التراثيات اليونانية المتوفرة لدينا .

وقد مارس العرب الختان قبل دخولهم الاسلام ، وقد يكونون تعلموه من اليهود ، ومارسوه على الصبايا من الذكور والاناث[28] ، ويختص باجرائها الحلاقون والحجامون ويستعملون فيه الموسى . وقداشتهرت من الخاتنات الصحابية أم عطية الانصارية[29] ، التي بقيت تمارس العملية بعلم من النبي (ﷺ) ، وتلقت منه درساً بهذا الخصوص[30] .

ومارس العرب قلع الاسنان ، وبعض عمليات التجميل . روى ان عرفجة بن سعد أصيب في انفه يوم الكلاب ، فوضعت له أنف من الفضة[31] كما استعملوا الخيوط المعدنية لربط الاسنان المتخلخلة[32] .

ويعتمد المتطبب العربي في تشخيص المرض على النظر الى سحنة العليل ، ولون عينه ، وعلى جس نبضه . كما يسأله عن انطلاق بطنه وتبوله . وبديهي أن لا تكون هذه الخطوات في الفحص كافية دائماً لتشخيص المرض ، كما لا يحصل المريض بأي حال على علاج يضمن الشفاء بمفهوم الممارسة العلمية .

بالاضافة الى كل ما ذكرناه عن طب الاعراب ، وهو ما لم يكن دوماً من غير فائدة صحية بدرجة من الدرجات ، فقد كان الاعراب يمارسون بثقة بعض الاساليب الغريبة التي لا يمكن أن يكون فيها شيء من الفائدة ، بل هي محض وهم وخرافة ، إلا

---

(28) عطية الله ـ القاموس الاسلامي 217/2 ، وابن الاخوة ـ معالم القربة ص 164 . والجدير بالذكر ان المصريين القدماء واليونانيين كانوا يمارسون الختان .

(29) ام عطية الانصارية ـ هي نسيبة بنت الحارث (او بنت كعب) الانصارية . من فواضل نساء الصحابة . شاركت النبي (ﷺ) في كثير من الغزوات لتداوي الجرحى وتمرضهم وتشجع الرجال على قتال المشركين (رضا كحالة ـ اعلام النساء 171/5) .

(30) ابن الاخوة ـ معالم القربة ص 164 .

(31) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد 354/6 . وكلاب (بضم الكاف) موقع أو عين الماء ، ينسب اليها قتال وقع بين ملوك كندة وبني تميم (اقرأ عن يوم الكلاب في العقد الفريد 222/5-224) ، ابن الاثير (بيروت) 652/1 تاج العروس (كويت) 462/1 .

(32) جواد علي 451/8 ، ويذكر ان عثمان بن عفان كانت اسنانه مربوطة بخيوط من الذهب (السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص 150)

انها كانت مع ذلك تمنح المريض القناعة والراحة النفسية ، وكأنه يتناول العلاج الـذي يضمن الشفاء . فالاصابة بالعين والوقوع بالمرض بسببها معتقد قديم كافحـه الاعراب بالرقي والتعاويذ ، فيعلقون على أبواب دورهم الاحذية البالية ، أو حدوة الخيـل ، أو صـورة العـين في وسط الكف[33] . كـما اعتقـد الاعـراب أن سبب الجنـة هـو دخـول الارواح الخبيثة الى داخل الراس ، فيضربون المجنون ويعذبونه ليخرج ذلك الروح من رأسه . كما كانوا يصفـون له جـرعة من دم الملوك ، وهي صفـة لا يمكن تحقيقها بـأي حال . ومن أوهامهم أيضاً ان هذا الـدم يشفي المكلوب[34] . كما وصفـوا لداء الكلب العدس والشراب المعتق[35] . وهي وصفة متواضعـة والشفاء من الله . واذ أن العـرب عـرفوا العـدوى بالاوبئـة ، فكان إذا أراد احـدهم ان يدخـل قريـة تفشى فيها مـرض معـدٍ ، فعليه أن يتـوقف على مـدخل القـرية وينهق كـما تفعل الحمـير . وتسمى هـذه العملية : (التعشير) وقيل أنهم يفعلن ذلك لاعتقـادهم الحميات عـامة تهـاجم البشر دون البهـائم ، فينهقون ليـوهموا الحميـات أنهم من تلك الحيـوانـات لا من البشر فـلا تقربهم[36] . وكان باعتقاد الاعراب أيضاً ضرورة قتل الحية التي تظهـر في بيت الحامـل لان رؤيتها دون قتلها تسبب الاجهـاض . أما لسعتهـا فيعالجـونها بأن يمسـك الملسوع قلادة امرأة ويبقى يهزها طول الليل[37] ، لكي لا يتسلل الى عينه الوسن ، فـلا ينام ، والنوم في نظرهم يسـاعد عـلى انتشار السم الى اطـراف البدن وأعمـاقه . . كـما كانـوا يعتقدون أن عظام الموتى والخرق الملوثة بدم الحيض تقي من الجنون . أما المـرأة المقلاة (التي لا يعيش لها ولد) فتعالج حالتها بأن تتخطى جثة قتيل شريف سبع مرات[38] .

إن المعلومات التي ذكرناها عن طب العرب قبل الاسلام مدونة في كتب التواريخ العــامــة ، وفي بعض كتب الادب ضمن أبــواب خـصصــت لعــادات الـعــرب ، واجتماعياتهم ، ومأكلهم ومشربهم وما له علاقة بعـافيتهم وأمراضهم . ولم يصـل الينا

---

(33) جواد علي 409/8 .

(34) المصدر السابق 408/8 .

(35) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار 97/2 .

(36) Ullmann-Islamic Redc. P. 2.

(37) Ibid.

(38) Ibid.

كتاب بهذه المعلومات نعتبره خاصاً بطب عرب الجاهلية . ويمر كتاب العصر على تلك المعلومات مر الكرام ، فلا يعيرونها ما تستحقه من الاهتمام والتدارس لنعرف فيها إذا كانت أصول تلك المعارف الطبية بابلية أو مصرية أو يونانية ، أو أنها موروثة عن الآباء والاجداد ثم تطورت بالمران والتجربة . وإذ أن وضع الجزيرة الجغرافي ، وحالة العرب الاجتماعية قد جعلا هذه الامة في معزل عن البلاد المتحضرة المتاخمة للجزيرة العربية ، فيبدو منطقياً أن يكون مصدر الطب الجاهلي ، وهو نزر وبسيط ، من أصول محلية ولا دخل للفكر الاجنبي فيه . ونوعيته تتفق كل الاتفاق مع روحية الحياة في مضارب الاعراب ، وأساليب معيشتهم في الصحراء . كما أنه ليس هناك ما يدل على وصول الطب الروماني البيزنطي الى عمق الجزيرة ، وقد يكون قد وصل ، إلا ان ذلك احتمال بعيد .

ونحسب ان اطباء المدن المجاورة لدولتي فارس وبيزنطية ، قد تعلموا صنعتهم على أطباء محترفين ، أما الاعراب ومن يقطن بعيداً عن الحواضر فكان لهم أطباء ورثوا المهنة عن آبائهم ومارسوها من غير تغيير أو تطوير ، ويستعملون فيه نقيع الاعشاب ومخلفات الحيوان ، وكذلك بعض اللعب السحرية . ومع ذلك يتقمص الطبيب شخصية مدركة لامور الصنعة وما ينفع صحة الفرد . والطبيب المتقدم في العمر يكون بالاضافة الى ذلك مسموع المشورة حتى في الشؤون العامة . كما يكون أهلاً ان يعلم الصنعة لمن يريد ان يتعلمها . قال ابن خلدون[39] : (وللبادية من أهل العمران طبيب يعالج في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص ، ويتداولونه متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ، إلا أنه ليس على قانون طبيعي ، ولا على موافقة المزاج)[40] .

ومن البديهي أن كان الطب في حضر الجزيرة العربية ، وخصوصاً المتاخمة

(39) ابن خلدون ـ اسمه عبد الرحمن . من مواليد تونس ، درس المنطق والفلسفة والتاريخ والف فيها . وانتدبه ابن الاحمر امير غرناطة سفيراً الى ملك قشطالة . ثم رحل الى مصر والتحق بالازهر . ولما حاصر تيمورلنك دمشق قصده ابن خلدون راجياً انقاذ المدينة فلم يوفق توفي سنة 809 هـ /1460 م . واشهر مؤلفاته كتابه المعروف بمقدمة ابن خلدون .

(40) مقدمة ابن خلدون ص 1108 .

لامبراطوريتي فارس وبيزنطية الروم كحيرة المناذرة وبصرى الغساسنة ومدن اليمن ، أعلى مستوى من طب الاعراب سكان داخل الجزيرة . وذلك لاختلاط اولئك بالاعاجم الذين كانوا عهدئذٍ اكثر معرفة من العرب بالعلوم الطبية ، وأن يكون سكان المدن ايضاً أكثر حاجة الى تعلم هذه الصناعة ، فتعلموها بالدراسة والتقليد . كما سافر بعضهم طلباً لعلومها إلى ديار اليمن وفارس ، وهناك استزادوا من معارفها وتدربوا على ممارستها ، ورجعوا الى بلادهم فخورين بما تعلموه من معارف جديدة في هذه الصناعة .

إن قيمة ما نعرفه عن الطب الجاهلي لا تنحصر بالاصالة التي أشرنا إليها ، بل فيما عرفناه أيضاً من أن ذلك الطب التقليدي الموروث كان أساس كل المعارف الطبية عند العرب على مدى القرن التالي لظهور الاسلام ، أي إلى بعد احتكاك العرب بالاعاجم من الفرس والروم ، ولم يستجد في الطب التطبيقي في خلال تلك المدة إلا بعض التفصيلات ، وأغلبها شكلي أكثر مما هو موضوعي . أما التحول الجذري في المعارف الطبية عند العرب فقد حصل في صدر الدولة العباسية ، كما سنرى في فصل قادم .

الاطباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام

ذكرنا فيما تقدم ان الطب في المدن والحواضر العربية المتاخمة لبلاد فارس ، وامبراطورية بيزنطية كالحيرة وبصرى ، كان أعلى مستوى من الطب في داخل الجزيرة العربية . وربما كان الاطباء في تلك المدن من ملة الفرس والروم أكثر مما كانوا من العرب ، وأعلى مستوى منهم . ويحتمل على هذا الاساس ان اسحاق العبادي (ابو حنين) كان يعمل صيدلانياً بأمرة أو تحت أشراف أحد اولئك الاطباء الاعاجم ، فتعلم منهم الصنعة وأورث ابنه حنين الرغبة في تعلمها .

والغريب ان معلوماتنا عن أطباء داخل الجزيرة العربية على نزرتها ، هي أكثر مما نعرف عن أطباء الحواضر والمدن في أطراف الجزيرة ، والمفروض ان يكون العكس هو الواقع ، لكثرة الاطباء في المدن المتاخمة لبلاد الفرس والروم البيزنطيين كما اسلفنا .

وكان جل الاطباء الذين عرفناهم في داخل الجزيرة مخضرمين نشأوا في العصر الجاهلي وامتدت أعمارهم حتى العصر الاموي . نذكر منهم ما يلي :

1 ـ ابن ابي رمثة التميمي[1]

وهو متطبب مارس العلاج بالطب اليدوي اي الجراحي ، وقيل أنه رأى (خاتم

---

(1) ابن جلجل ـ طبقات الاطباء ص 57 . ابن صاعد ـ طبقات الامم ص 47 . القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 436 . ابن ابي اصيبعة ـ عيون الانباء ص 171

النبوة) على كتف محمد (ﷺ) فظنه سلعة مؤلمة فقال لرسول الله ، دعني أعالجه ؟ فاني رفيق الصنعة . فقال له الرسول : انت طبيب والرفيق هو الله .

2 ـ ابن حِذْيم[2]

متطبب من تيم الرباب . اشتهر بالطب عموماً ، حتى قيل أنه : أطب من الحارث بن كلدة الثقفي ، خصوصاً في التداوي بالكي . وقيل أيضاً أنه أطب العرب جميعاً . وضرب به المثل فقيل : اطب من حذيم ، أو أطب في الكي من ابن حذيم . وقد يكون حذيم في هذا المثل هو الاب . وقد عاش ابن حذيم قبل الحارث بن كلدة ، ويلفظ اسمه بكسر الحاء وسكون الذال .

3 ـ الشفاء بنت عبدالله القريشية[3]

هي بنت عبدالله بن عبد شمس بن خلف . صحابية ذات عقل وفضل وعلم . قيل أن محمداً (ﷺ) طلب منها أن تعلم زوجته حفصة القراءة والكتابة ومعالجة رقية النمل ، وكانت تحسن تداوي الامراض الجلدية . وكان عمر بن الخطاب يحترمها ويقدرها ويحتمل أنه ولاها شيئاً من أمور السوق اي مراقبة ومحاسبة الباعة فيه . وقد توفيت في أيام خلافته سنة 20 هـ / 640م .

4 ـ رفيدة الاسلمية[4]

من الصحابيات الجليلات . كانت ترافق المسلمين في حروبهم على المشركين ، وتضمد جرحاهم ، وتمرضهم . ثم أقيمت لها خيمة في مسجد النبي (ﷺ) بيثرب لهذا الغرض . وتعتبر لهذا أول من عمل في التمريض من المسلمات ، وخيمتها أول مستشفى في الاسلام أيضاً .

5 ـ ضماد بن ثعلبة الازدي[5]

كان صديقاً لمحمد (ﷺ) قبل الاسلام ، ويداوي المسلمين بالرقى ، ويعرف

(2) الالوسي ـ بلوغ الارب 337/3 .

(3) عمر كحالة ـ أعلام النساء 300/1-301 .

(4) النويري ـ نهاية الارب 191/17 ، عمر كحالة 386/1 .

(5) جواد علي ـ تاريخ العرب 386/8 ، طبقات ابن سعد 241/4 .

شيئاً من الطب . ويذكر انه استدعى لمعالجة النبي (ﷺ) على اعتباره غير طبيعي بنظر المشركين . فلما كلمه وسمع منه عظيم الحديث اسلم على يديه ، فكان مبدأ الصداقة بينهما .

6 ـ الحارث بن كعب

متطبب عاصر النبي (ﷺ) وقيل انه حضر وفاة عمر بن الخطاب بالطعنة القاتلة ، وربما شارك في مداواته .

7 ـ ام عطية الانصارية[6]

اسمها نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف ، وتكنى أيضاً ام عمارة . صحابية جليلة ، مارست الختانة ، وشاركت النبي (ﷺ) في موقعة أحد تقاتل وتسعف الجرحى من رجاله ، وعاشت حتى خلافة أبي بكر الصديق (11 - 13 هـ /632 - 634 م) .

8 ـ زهير بن جناب الكلبي ، والشمردل بن قباب الكعدي[7]

روي أنهما كانا يمارسان الطب ولم يعرف عنهما أكثر من ذلك .

أما أشهر اطباء تلك الحقبة فهو الحارث بن كلدة الثقفي . ولان حياة هذا الطبيب امتدت بسعة حتى عصر الراشدين ، فنرجىء الكلام عنه إلى الفصل المخصص للطب والاطباء في صدر الاسلام .

---

(6) عمر كحالة 171/5 .

(7) جواد علي 352/8 .



القسم الرابع
الطب في فجر الاسلام وعصر الراشدين



عصر الخلفاء الراشدين

(11 - 40 هـ / 632 - 661م)

نبذة تأريخية

ولد محمد (ﷺ) في مكة المكرمة في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول من عام الفيل المصادف لليوم العشرين من نيسان سنة 571 م . وكانت الحالة الحضارية والسياسية في الجزيرة العربية وعلى حدودها يومئذ كما وصفناها فيما تقدم : دولتا المناذرة والغساسنة في شمال الجزيرة ومن خلفها بالتتابع ، العراق تحت حكم الفرس الساسانيين ، وسوريا وفلسطين ومصر تحت حكم البيزنطيين . كما يحتل الفرس أيضاً غربي جنوب الجزيرة العربية .

ودولة بيزنطية هي القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية الكبرى ، ذات العلاقات القديمة والمباشرة بعرب شمال الجزيرة العربية . وقد توسعت تلك العلاقات بعد ظهور النصرانية خاصة في أيام البيزنطيين . كما تجددت في أيام هؤلاء العداوة التقليدية القديمة بين هذه الامبراطورية ودولة الفرس الساسانيين . وبعد حروب متصلة بين الطرفين استولى الفرس بين سنة 611 و 619م على انطاكيا ودمشق والقدس والاسكندرية . ورد عليهم الملك البيزنطي هرقل (622 - 628 م) بحرب صليبية ، وانتصر عليهم واسترجع منهم ما غنموه من بلاده من الاموال والتحفيات والسبايا . وهكذا انهكت هذه الحروب كلا من دولة الفرس والبيزنطيين ، كما انهكتهما بنفس الوقت الثورات الداخلية والبدع العقائدية كالمانوية والنسطورية ، والمانوفستية . في هذا الظرف ظهرت دعوة محمد (ﷺ) الى الاسلام ، ونشر كلمة القرآن . وقد شارك

(ﷺ) بنفسه في حملة تبوك[1] ضد البيزنطيين سنة 9هـ / 630م ومشى على هديه خلفاؤه في الجهاد لاعلاء كلمة الله . فكانت إنتصاراتهم الحربية السريعة والحاسمة تثير الدهشة والاعجاب . ففي سنة 14 هـ / 635م سقطت بايديهم دمشق . وفي نفس السنة دخلت قواتهم بلاد فارس بعد ان انتصروا على قوات الفرس في موقعة القادسية المصيرية . وفي سنة 16 هـ / 637م استسلمت لهم قوات البيزنطيين في القدس . كما فتحوا جنديسابور سنة 17 هـ / 638م ، ومصر سنة 22هـ / 642م . وبذلك ازاحوا الدولتين البيزنطية والفارسية عن كل البلاد العربية التي كانت تحت سيطرتها . ثم فتح المسلمون اذربيجان ارمينيا وشمال افريقيا (انظر الخريطة) . ولم يكن العرب الى ذلك اليوم ذوي خبرة قتالية في البحر ، إلا ان الانتصارات التي احرزوها في ديار الشام أغرتهم إن لم تكن دفعتهم أيضاً ، الى تحدي البيزنطيين في عباب البحر ليحافظوا على مركزهم في تلك الديار ، وطاردوهم حتى نزلوا قبرص[2] سنة 27هـ / 647م . وبموقعة ذات الصوارى[3] التي تكرر النصر فيها للمسلمين سنة 34هـ / 654م انتهت السيادة على شرق البحر الابيض للمسلمين . وانتهى عصر الراشدين بمقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة 40 هـ / 660م .

مراكز الحضارة التي شهدت فجر الاسلام

ذكرنا فيما تقدم ان الاسلام قد أدرك الدولتين الساسانية والبيزنطية في أواخر سنيهما بديار الشام وما بين النهرين ومصر . وكانت جنديسابور إذ ذاك العاصمة

---

(1) تبوك ـ مدينة على الحدود بين البلاد العربية والدولة البيزنطية . اشتهرت بوصول النبي (ﷺ) إليها في السنة التاسعة بعد الهجرة لطرد البيزنطيين منها .

(2) قبرص (قبرس) ـ جزيرة على بعد ٧٥ كيلو متراً من كل من شواطىء سوريا وتركيا . سكنها الفينيقيون ثم إنتزعها منهم اليونانيون ثم تناوب على حكمها الاشوريون والفرس والفراعنة . كما حكمها البطالسة مدة من الزمن ثم صارت ولاية رومانية في سنة 59 ق . م وبنشوء الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) انضمت قبرص الى هذه الدولة وبقيت جزء منها الى ان دخلها المسلمون 27 هـ / 647م . ويبدو من تاريخها انها بقيت ذات مركز علمي وفيها خزائن من الكتب النفسية حتى أيام الخليفة المأمون .

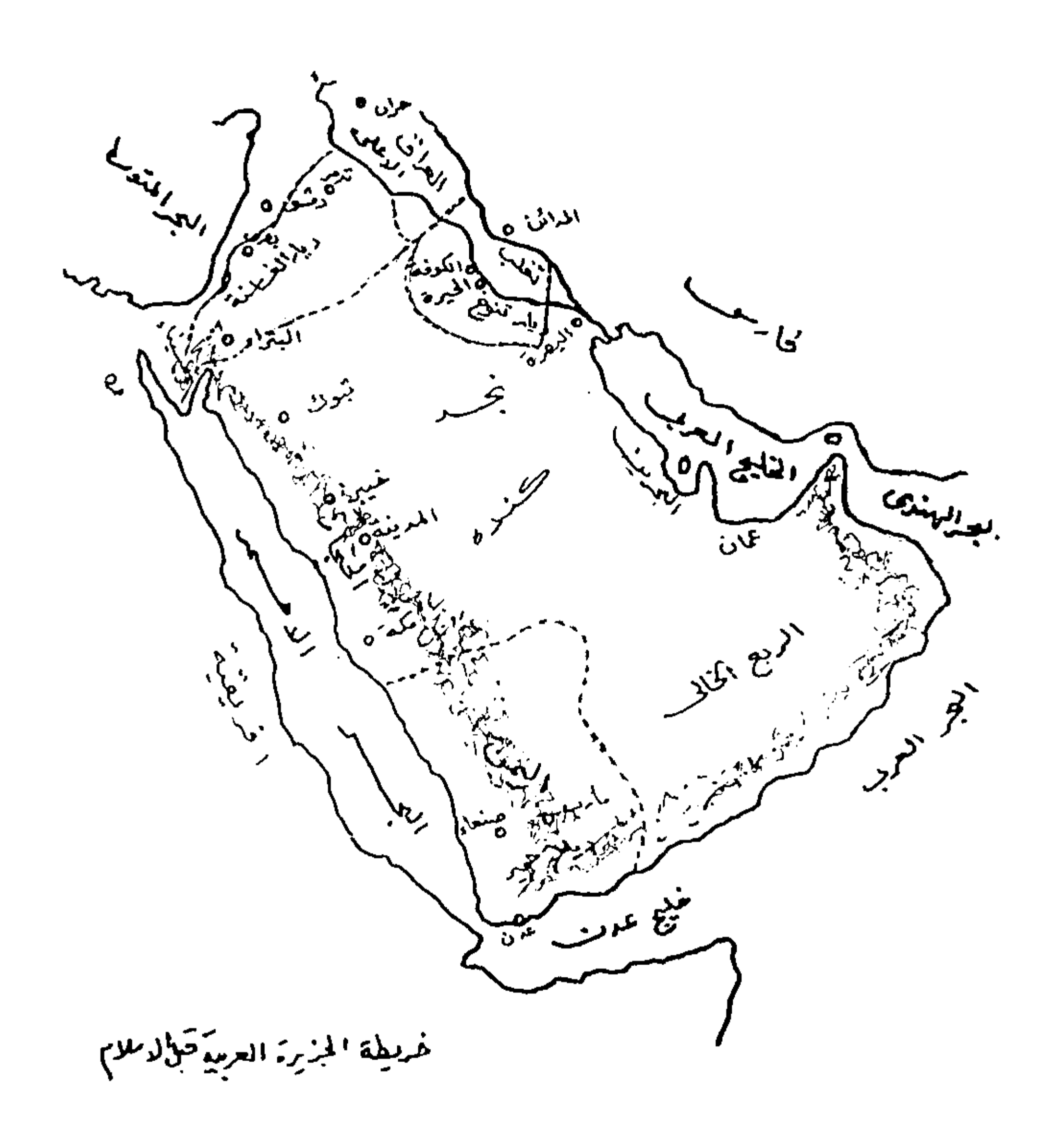
(3) ذات الصواري ـ معركة بحرية وقعت في حوالي سنة 34 هـ / 654م بين قوات العرب بقيادة عبد الله بن ابي سرح ، وقوات البيزنطيين بقيادة ابن الملك هرقل اسفرت عن انتصار العرب .

العلمية لدولة الفرس ، ويعمل بها خليط من علماء الهند والسريان والاروام بالاضافة الى العلماء الفرس من أهل البلاد . أما عاصمة بيزنطية العلمية فكانت الاسكندرية ، وهي ذات قدم وعمق في الحضارة الانسانية ، وفيها موروث ضخم من الطب اليوناني القديم ، وكثير من العلماء الذين يحملون أفكاره . كما أدركت الاسلام مدارس سوريا المتأخرة التي كان يعمل بها من خبروا معارف البيزنطيين الذين يحملون ثمالة الفكر اليوناني قبل انتهاء أجله في أواخر أيام القرن السادس الميلادي . كذلك كانت الحيرة عند بزوغ الاسلام دولة علمية ومركزاً حضارياً وكانت الى حالتها العامة المتسمة بالطابع العربي ، علوم الفرس وصنائعهم التي تعلمتها من حليفتها فارس . لقد انضوت جميع مراكز الحضارة التي أشرنا إليها تحت ظل الاسلام في عهد الراشدين ، وستكون كما نرى ، المصدر الوحيد الذي استقت منه شعوب الخلافة العباسية مبادىء العلوم اليونانية النظرية والتطبيقية . اما حكام عهد الراشدين ، فلانشغالهم بالفتوحات (انظر الخريطة) ونشر الاسلام ، لم يلتفتوا بكثير من الاهتمام الى مواطن العلوم في تلك المراكز . فبقيت هذه بعيدة عن انظار المسلمين واعتباراتهم الآنية أو المهمة . ولا شك إن معلومات العرب في الطب بتلك الحقبة ليست أكثر من المعلومات التقليدية التي كان يمارسها أكثرية الاعراب . كما لا نعتقد ان اطباءهم - إن كان لديهم غير الحارث بن كلدة الثقفي - قد ساهموا باختصاصهم بخدمة المسلمين المحاربين ، أو في المدن التي استقروا فيها . ويجوز لنا أن نقرر بتحفظ ، إن المسلمين في هذا العهد قد استعانوا بالاطباء الاروام أو الفرس أو الهنود في حالات الطوارىء الطبية ، كما يحتمل أنهم استخدموهم في معالجة جرحاهم في المعارك أيضاً .

وفي ما يلي نستعرض بايجاز التاريخ الحضاري في المدن التي شهدها فجر الاسلام :

1 ـ الاسكندرية

ذكرنا فيما تقدم ، الطب اليوناني منذ نشأته وحتى وصوله الى الاسكندرية في عهد البطالسة ، ثم في دور زهوه في أيام جالينوس بالعهد الروماني ، ودور انحطاطه في العهد البيزنطي (330 م وما بعدها) . ويهمنا الآن من تاريخ الاسكندرية ما كانت عليه دور التعليم ومستوى الطب فيها إبان دخول العرب إليها سنة 22 هـ / 642م .



خريطة الجزيرة العربية قبل الاسلام

• إن المؤرخين يؤكدون ان الاسكندرية بعد القرن الرابع الميلادي قد فقدت أهم ما كان فيها من المعاهد العالية[4] . فقد نهبت مدرسة القيصرية في سنة 366 م[5] بنوازع دينية تعصباً ضد العلوم الطبيعية التي اعتبرت من الافكار الوثنية . وحصل لمعهد الموسيون مثل ذلك في سنة 391 م[6] ، كما اصاب مدارسها الاخرى سنة 392م تدمير شامل[7] بأمر البطريق تيوفيل [8]بنفس الدوافع . كذلك قامت عدة ثورات فكرية بين الحادث الاخير ودخول العرب إلى المدينة سنة 642 م . كان منها احداث الخلافات المذهبية بين النصارى أنفسهم . فنزح كثير من علمائها الى مدارس سورية ليمارسوا فيها نشاطهم الديني والعلمي ، ونشر أفكارهم الحرة بين المتعلمين . ثم كان القرن الخامس في تاريخ الاسكندرية ، وهي حقبة مظلمة على قدر ما يخص منها بحثنا . كما ان هناك خلطاً تاريخياً بين طب هذا القرن والقرن السادس ، وكذلك بين الاطباء الذين عاشوا فيهما . أما الذي نعرفه بدقة فهو أن اكثر اطباء سوريا الذين ذكرناهم في القرن السادس من حكم البيزنطيين ، كانوا من تلاميذ مدرسة الاسكندرية التي استحدثها انقلاوس وجاسيوس ، ويحيى النحوي في نهاية القرن الخامس ، اي ان هذ المدرسة ، كانت إبان الفتح الاسلامي لمصر سنة 22 هـ / 642م ما تزال دائبة على تعليم الطب . وقد استفاد منها بعض شباب العرب مثل عبد الملك بن ابجر الكناني ، كما استفاد من احد اساتذتها خالد بن يزيد بن معاوية في تعلم صناعة الكيمياء وربما بقيت المدرسة تعلم الطب حتى نهاية العصر الاموي .

أما المكتبة المشهورة باسم (مكتبة الاسكندرية) فلم يكن فيها يوم دخل العرب الى الاسكندرية ، تلك التراثيات اليونانية التي يدعو فقدانها الى الاسف عليها . فقد أتت الاحداث التي ذكرناها قبل قليل ، على كل ما فيها من نادر ونفيس . أما رواية ابن العَبري المتوفى سنة 685 هـ / 1286م التي نقلها عن عبد اللطيف البغدادي الذي

---

(4) مايرهوف ـ تراث الاسلام ص 41 .

(5) ريسلر ـ الحضارة العربية ص 101 .

(6) مايرهوف ـ ص 40 .

(7) ريسلر ـ ص 101 ، واقرأ أيضاً ازمنة التأريخ الاسلامي لعبد السلام ج 1 ص 461-462 .

(8) تيوفيل ـ بطريق الاسكندرية (385-412 م) ، وخصم يوحنا فم الذهب الدمشقي . له كتب في اللاهوت بالقبطية والعربية .

توفى قبله بنصف قرن تقريباً ، من أن المكتبة المذكورة قد احرقت بأمر من الفاتح عمرو بن العاص ، فتلك رواية ليس فيها شيء من الصحة . ولقد انتهى التحقيق فيها من قبل الكثير من الباحثين الثقات واكدوا أن ليس هناك ما يدل على ثبوت الرواية ، وإنها محض اختلاق[9] .

2 ـ مدن سوريا

من هذه المدن التي تعاطت صنوف العلوم بشكل خاص هي حران والرها وانطاكيا ونصيبين ، وكانت ما تزال تمارس تلك العلوم حين وصلها الاسلام . ومن المفيد ان نؤشر على المهم من تاريخ هذه المدن الذي سبق الاسلام لنعرف الموروث الحضاري والعلمي الذي انحدر اليها وتمتعت به عند دخولها الاسلام وبعده . ومن المنطق الوراثي والحضاري ان تبقى الشعوب ذات الحضارات القديمة تحتفظ برواسب وجذور سوابق حضارتها مهما قست عليها تقلبات الزمان وجور الانسان .

كانت بعض المدن السورية موجودة قبل الحضارة اليونانية بقرون ، إذ يرجع تاريخ حران الى العهد البابلي . ويذكر ان ابراهيم الخليل قد هجر موطنه في أور الى شمال ما بين النهرين وسكن حران . وكان أهلها يومذاك يتعبدون في معبد إله القمر الآشوري (سن)[10] ، ويتكلمون الآرامية . ثم دخلها المقدونيون سنة 334 ق . م

---

(9) في هذا الخصوص كتب ريسلر : (يحكى عالم مسلم هو عبد اللطيف البغدادي ت 629 هـ / 1231 م) أول بيان عن هذا التدمير الذي لا يمكن اصلاحه . وقد اثبت هذا البيان ابو الفرج غريغوريوس ، وهو يهودي متنصر من سوريا يطلق عليه اسم ابن العبري (ت 685 هـ / 1286 م) . تقول الرواية أن عالماً نحوياً من الاسكندرية طلب مخطوطات المكتبة من عمرو ابن العاص الذي يرجع الى عمر بن الخطاب في ذلك الشأن فأجابه : إن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله غني . وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فلسنا في حاجة اليها . ولما تخلص عمرو بن العاص من مسؤوليته عن المكتبة وزع كتبها بين حمامات المدينة ، فاشتعلت مواقدها لمدة ستة اشهر) . ويلاحظ ان عبد اللطيف البغدادي الذي هو أول من روى هذا الخبر قد عاش ما يقرب من الستة قرون بعد دخول العرب الى الاسكندرية ، وإنه لم يذكر مصدر هذه الرواية . والعرب اشد الكتاب حرصاً على اسناد الرواية . كما لم يرو الخبر المذكور مؤرخ فتوح مصر الاول عبد الرحيم بن عبد الحكم المتوفي بعد فتح مصر بقرنين (257 هـ ـ 872م) .

(10) وير ـ دائرة المعارف الاسلامية 355/7 .

واستقروا بها ، واختلطوا بأهلها ، وعمموا فيها اللغة اليونانية . ومع ذلك احتفظت حران بأصالتها الخاصة كمدينة وثنية إلى أن دخلها المسلمون بقوات عياض بن غنم في سنة 18 هـ / 639م وادعى أهلها بعد ذلك أنهم من الصابئة وبقي الكثير منهم على دينهم ومنهم من اعتنق الاسلام . وكانوا يجيدون علم الحساب والنجوم ، وصار من انسالهم كبار العلماء والاطباء في العصور الاسلامية .

وتنافس حران في القدم، مدينة أخرى في ديار مضر أيضاً هي الرُها (أورفة)[11] التي حكمها الفرثيون أولاً ثم المقدونيون الذين سموها أديسا ، واعتبر أهلها من العرب . ولملوكها اسماء عربية مثل وائل وبكر وعمرو وابجر وفي حكم الرومان عليها دخل اهلها النصرانية بعد ظهورها بثلث قرن تقريباً . وحارب سابور الاول الساساني الامبراطور فالريان (اورليان) الروماني على اراضيها سنة 220 م واقتاده اسيراً الى فارس . كما حكمتها ملكة تدمر الزباء حتى سنة 273 م . وفي هذه الفترة تأسست فيها مدرسة فارسية بمساعدة علماء نصيبيين . ولما ظهر المذهب النسطوري صارت الرها مركزاً للنساطرة ومعقلاً لعلمائهم . وأخيراً طاردتهم كنيسة البيزنطيين وامبراطورهم زينون في حوالي سنة 489 م . فهرب الكثير منهم الى فارس . وأخيراً دخلتها قوات المسلمين بقيادة عياض بن غنم في سنة 26 هـ / 637م .

وفي سنة 300 ق . م، أي بعد تأسيس مدينة الاسكندرية بثلاثين سنة تقريباً أسس سلوقس الاول وريث الاسكندر المقدوني على سوريا ، مدينة انطاكيا[12] (باسم ابيه انطيخوس) على نهر العاصي لتكون عاصمة مملكته الناشئة الممتدة الى بابل وأعماق شرق فارس وقد اهتم سلوقس بعمارة هذه العاصمة وتجميلها ، وشجع الناس على استيطانها ، حتى صارت أكبر المدن اليونانية والسورية بعد اثينة والاسكندرية . كما أسس فيها مدرسة (270 ق . م) استقدم لها كبار العلماء والاطباء لتنافس مدرسة الاسكندرية . وبدأت انطاكيا بالانحطاط بسبب الزلازل وحروب الفرس الساسانيين

(11) في دائرة المعارف الاسلامية 281-266/10 بحث واف وممتع عن مدينة الرها ، تجدر قراءته . كما للمستشرق اوليري في مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب (ص 79-107) فصل يشرح فيه الفائدة العلمية التي حصل عليها العرب والفرس من الخلافات المذهبية التي حصلت في مدن سوريا .

(12) دائرة المعارف الاسلامية 68-62/2 ، ودائرة معارف فريد وجدي 736-735/1 .

المتكررة عليها . فلما استولى عليها كسرى أنو شروان سنة 538 م دمرها انتقاماً ، ثم استعادها الامبراطور البيزنطي جستانيان 483 - 565 م) وأعاد بناءها . وقد اشتهر هذا الامبراطور باهتمامه بالعلم والعلماء وله مآثر في تدوين القضاء ، وإهتمام بشؤون الطب والاطباء . ولما احتل المسلمون المدينة سنة 17 هـ / 638كانت ما تزال تحتفظ بطابعها الحضاري .

3 ـ جند يسابور

كان الاسرى الذين اقتادهم سابور الاول بعد معركته مع الامبراطور البيزنطي فالريان سنة 260 م ، خليطاً من الشعوب السورية . فمنهم يونانيون ، ومنهم عرب ، ويهود . وفيهم أصحاب الحرف اليدوية ، والعلماء ، والاطباء وغير ذلك . وكان معظم الاطباء من النساطرة ، ويتكلمون بالسريانية ، كما يعرفون العربية واليونانية . وكانت فارس يومئذ في حاجة شديدة الى هذه الفئات المهنية والعلمية ، فكان ما غنمه سابور من هذه الناحية لا يقل فخراً عن المجد العسكري الذي اكتسبه في موقعة الرها مع فالريان . كما خلدت اسمه مدينة جنديسابور (ونـدوشابـور) التي اسسها ليوطن فيها اولئك الاسرى . وجنديسابور أي معسكر سابور اسم يحمل جميع المعاني التي ينطوي عليها تاريخ هذه المدينة . وقد ذكرنا كل ذلك في موضع متقدم . كما ذكرنا هجرة علماء سوريين آخرين الى جنديسابور هرباً من اضطهاد الحكام البيزنطيين للمذهب النسطوري الذي يعتنقونه . وزادت الهجرة بعد أن اغلق زينون (474 - 491 م) مدرسة الرها كما أسلفنا . وبسرعة تجلب النظر ازدهرت جنديسابور بمعاهدها العلمية ، وبعلمائها من السريان واليونانيين ، ومن انضم اليهم من علماء الهنود والفرس . ووصلت جنديسابور قمة ازدهارها في عهد كسرى انو شروان (531 - 579 م) الذي انشأ فيها بيمارستانا يعتبر في ذلك الزمان مثالياً من نوعه . والحق بالبيمارستان مدرسة لتعليم الطب والفلك وعلوم اخرى . وكانت السريانية لغة التعليم وقتئذ[13] . ولما فتح العرب المدينة سنة 17 هـ / 638م في خلافة عمر بن الخطاب كان البيمارستان والمدرسة الطبية ما زالتا تعملان بنشاط . وبقيتا كذلك حتى

---

(13) هموارت ـ دائرة المعارف الاسلامية 121/7 .

خلافة ابي جعفر المنصور (136 - 754/158 - 775 م) وكان فيها اذ ذاك عدد مر أساتذة الطب امثال جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي وابنه بختيشوع ، وعيسى بز شهلاثا ، وسابور بن سهل ، ودهشنك الهندي ، وعيسى بن صهاربخت وغيرهم كثير .

4 ـ الحيرة[14]

اول صيدلاني عربي عرف في تاريخ الطب كان يمارس هذه الصنعة في الحيرة وهو اسحاق ابو حنين وأول من ترجم كتب اليونان الطبية الى العربية هو الاخر عربي ومن مواليد الحيرة هو حنين بن اسحاق العبادي . إضافة الى ذلك فهناك شواهد كثيرة تشير إلى أن الحيرة كان لها تاريخ حافل في كثير من وجوه الحضارة وفنون المعرفة ، وإنها كانت ذات مركز في الطب أيضاً ، ومع ذلك فإن الكتاب الاوائل وكذلك المعاصرين ، أهملوا دراسة الدور الذي لعبته هذه المدينة في العلوم الطبية .

الحيرة ذات تاريخ عريق يصل الى عهد نبوخذ نصر . وقد اطلق عليها اراميو ذلك الزمان اسم (حرتا) ، وسماها اليهود (حاصير) ، ويفيد الاسم معنى المخيم . أما كلمة الحيرة فاسم مستحدث من صنع العرب .

وديار الحيرة مشهورة بخصبها وطيب مناخها ، حتى قيل فيها : (يوم وليلة في الحيرة خير من دواء سنة) ، ولذلك قصدتها القبائل من الجزيرة العربية التي اجدبت اراضيها بالجفاف أو الخراب . فوصل إليها من اليمن التنوخيون واللخميون الذين تنصروا فيها ، وأقاموا دولة المناذرة المشهورة التي تكلمنا عنها فيما تقدم ، واتخذوا الحيرة عاصمة لهم وحالفوا الفرس وحاربوا الى جانبهم البيزنطيين ، واختلطوا بشعوبهم ، وقلدوا اسلوب حياتهم ، ورطنوا بلغتهم ، وليسوا ما يلبسون من الحرير المقصب بالذهب ، ونحلوا مثلهم المذهب النسطوري . وافتتحوا المدارس ، وطوروا الخط العربي الذي صار بعد ذلك ما يعرف بالخط الكوفي . كما شيدوا القصور ، والديارات ، واستقدموا العلماء والفنانين واصحاب الحرف من اليونانيين والروم

---

(14) جل ما توصلنا اليه في تاريخ الحيرة اخذناه عن الكتاب القيم للمرحوم يوسف غنيمة الموسوم : (الحيرة المدينة والمملكة العربية) . وشيء قليل عن دائرة المعارف الاسلامية 8/161-162 .

والفرس وغيرهم . لقد صارت الحيرة من الوجهة الحضارية وكأنها احدى مدن فارس . فدخلتها هذه الاقوام بكثرة ، يمارسون فيها صناعاتهم ، كما دخلتها أقوام عربية من الجزيرة كان منهم فيما عرفوا بعد ذلك بالعباديين الذين تنتمي إليهم اسرة أبي حنين اسحاق العبادي . واستفاد اهل الحيرة ممن دخلها من اصحاب الحرف والصناعات كعمال الخزف ، والنجارين والصيادلة والاطباء . كما انتشرت في الحيرة مهنة الصيرفة لتبادل الفلوس الحيرية بالفارسية أو البيزنطية أو غيرها ، وبالعكس . ولا نشك اطلاقاً أن يكون في الحيرة بعض الاطباء من الفرس أو الهنود او الرومان ، فليس من المنطق أن لا ينشد هؤلاء الاطباء مزاولة صناعتهم في مثل هذه المدينة التي تضج بالفعاليات الاجتماعية . وعدم وصول اسماء او اخبار اولئك الاطباء الينا لا ينفي وجودهم في الحيرة . وإذا كان ابو حنين يعمل صيدلانياً كما تؤكد التواريخ ، فلا بد أنه كان يعمل تحت إشراف طبيب ما . وإذا كان هو نفسه يفحص المرضى ويزودهم بالدواء الذي يعمله بنفسه أيضاً ، فهو الطبيب الذي ننشده . كما يحتمل جداً أن يكون النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف احد تلاميذ الحيرة في الطب . فلما رجع إلى موطنه في الطائف صار يمتدح ما عمله الفرس لهذه المدينة ليغيظ النبي محمداً (ﷺ) الذي كان على عكسه يشيد بأعمال العرب ويبشر بلغة القرآن الكريم .

كانت الحيرة ما تزال تتمتع بمركز حضاري عندما دخلها خالد بن الوليد صلحاً سنة 12 هـ / 623م إلا أنها بدأت تتدهور بسرعة منذ اسست الكوفة في سنة 17 هـ /628 م ، مع ذلك فقد نزل بها الخليفة ابو العباس عبدالله السفاح قبل أن يستقر بالانبار . كما زارها الخليفة المنصور . أما هارون الرشيد فكان اذا ما آب من الحج اقام بها في قصر عون العبادي . ولولا احتجاج أهل الكوفة على ذلك لبقيت دار استراحة الخليفة المفضل .

5 ـ سلوقيا

مدينة أسسها الملك اليوناني سلوقس الأول حوالي سنة 312 ق . م . على الضفة الغربية لنهر دجلة مقابل طيسفون لتكون عاصمته في ديار بابل مناظرة لعاصمته انطاكيا على نهر العاص بسوريا . وكان أكثر سكان سلوقيا من اليونانيين وجلهم من الحكام وقادة الجيش والجنود والعلماء ، أما عامة الناس فكانوا من السكان

المحليين ، وصارت سلوقيا مركزاً علمياً على الثقافية اليونانية منافسة لانطاكيا ، كما صارت مركزاً عسكرياً وتجارياً يربط الشرق بالغرب ، ولم يمسها الفرثيون بسوء حفاظاً على مركزها العلمي والتجاري ، على أنهم احتلوا طيسفون وجعلوها قاعدة حكمهم حتى اخذت مكانها بابل سنة 164للميلاد .



الطب عند العرب في فجر الاسلام وعصر الراشدين

كان الطب عند العرب في فجر الاسلام وعلى مدى عصر الراشدين كله ، هو نفسه ما كان العرب يمارسونه قبل الاسلام ، باستثناء بعض المعلومات التي حصل عليها طبيب او طبيبان من العرب الذين زاروا اليمن وبلاد فارس لتعلم هذه الصناعة . وكانت الافكار التي تبناها هؤلاء الاطباء لا تختلف جوهرياً ولا هي أكثر من معارفهم القديمة ، ومعظمها تطبيقية في الوقاية الصحية ، وقليل منها في قواعد العلاجات الجراحية البسيطة كالحجامة والفصد والكي وقلع الاسنان والختان والاخصاء[1] . أما في علمي التشريح والفسلجة فيحتمل أن هذين العلمين قد ظهرا لهما معقدين ، فتجنبوها واكتفوا بالفروع التطبيقية . وكان (العارف) او الساحر بالطب يضفي من عنده على أعضاء الجسم اختصاصاً وألقاباً لا تخلو من لمحات ـ ولو هزيلة جداً ـ في حقيقة وظائف تلك الاعضاء قال : (ان القلب أمير البدن ، والرئة

---

(1) كان الاخصاء مألوفا بين عرب الجاهلية كما ذكرنا سابقاً ، وكذلك كان مألوفاً في العصر المسيحي في أوربا ، فيخصون الاسرى ليستخدمهم الموسرون في قصورهم . كما شجعت الكنيسة (قبل القرن الثامن عشر) اخصاء الصبيان الذين ينضمون الى فرق الترتيل الكنائسي لترق اصواتهم وتشجو . وكان يطلق على هؤلاء اسم (الكستراتو) اي المخصيين او الخصيان . وعارض الاسلام الخصاء ونهى عنه . ويروى أن محمداً (ﷺ) قال في معرض حديثه الشريف عن الاخصاء والخصيان : (لا يعتبر مسلماً من اختصى او خصى آخر) ومع ذلك دخل الخصيان بكثرة بين حريم الخلفاء ، وكانوا يشترونهم من أوربا ، وبعضهم وصل مراتب عالية في الدولة . ومن هؤلاء جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي .

مروحته ، والكبد حارسه وهو أيضاً مثوى الروح . والمعدة موضع المتعة واللذة ، والمرار مصدر الشجاعة)[2] .

وفي فجر الاسلام وبداية دعوة محمد (ﷺ) حدث شيء غاية في الاهمية بالنسبة للطب ذلك أن الرسول الكريم جاء اكبر داعية لصناعة الطب والاطباء ، اذ كان يسيطر على الفكر العربي قبل الاسلام شيء يجيء مركزه بعد اهتمام العرب بأمورهم المعاشية . ذلك الشيء هو اللغة ، فلما دخلوا الاسلام صار دينهم الجديد أول مشاغلهم الفكرية ، وصارت آيات الله الكريمة وأحاديث نبيه الشريفة هي كل شيء لديهم بما فيها اللغة . ومن هذا الطريق قومت المعارف الطبية على أسس من فرائض وسنن الشريعة الاسلامية . فأصاب الاطباء مركزاً محترماً يتقدمون به على غيرهم ممن يمارس الصنعة بالعرافة أو الكهانة أو الشعوذة ، وصارت وصاياهم الصحية التي أيدها محمد (ﷺ) سنناً يعملون بها بإيمان وعقيدة . قال القاضي ابن صاعد الاندلسي[3] في كتابه طبقات الامم : (ان العرب في صدر الاسلام لم تعن بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشا علوم الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا اليها) .

وتحدث الرسول الكريم في الطب ، والصحة المرض ، والوقاية من العدوى ، وفي فضائل الاطباء حتى تجمعت للرواة عنه ثلاثمائة من احاديثه الشريفة بهذا الموضوع سميت بعدئذ : (الطب النبوي)[4] . وهي تشمل وصايا صحية في الوقاية من

---

(2) Carrison-Introd. Hist. Medc. P. 135.

(3) صاعد الاندلسي ـ هو ابو القاسم صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن صاعد تغلبي النسب ، من أهل قرطبة . مؤرخ وبحاثة مشهور . ولي القضاء في طليطلة . وله كتاب جوامع اخبار الامم عن العرب والعجم ، وصوان الحكم في طبقات الحكماء ، ومقالات أهل الملل والنحل ، وتاريخ الاندلس ، وطبقات الامم . توفي سنة 462 هـ / 1070م ترجمته في بغية الملتمس ص 331 . ومعجم المطبوعات لسركيس ص 1182 ، وكشف الظنون لحاج خليفة ص 1096،1083،610 ، والاعلام للزركلي ، ج 2 ص 271 .

(4) الطب النبوي ـ هناك كتب عديدة وضعت بهذا العنوان منها واحد ينسب الى احمد بن محمد الذهبي (كما ينسبه البعض الى السيوطي) . وهو مختصر لكتاب المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي : يبحث في قواعد الطب والتداوي بالادوية والغذاء . وكتاب آخر في (الطب النبوي) للحافظ ابي نعيم وهو نادر . وكتاب آخر لابن قيم الجوزية وكتب اخرى كثيرة .

الامـراض ، واختيار الاطعمـة النـافعـة ، وأصـول عيـادة المـرضى ، ولـزوم استشـارة الاطباء ، وتركيزاً على أهمية النظافـة والريـاضة للصحـة . فقال (ﷺ) : النـظافة من الايمـان : وما الاغتسـال عند المسلمـين ، والـوضـوء ، والتخلل ، وتقليم الاظـافـر ، والختان ، إلا من طرق النظافة لتقويم الصحة ودفع الامراض التي تنتقل بالـوساخـة . وليس هناك رياضة مثل حركات الصلاة بأوقاتها الخمس تلين العضل والمفاصـل وتحرك الدم وسوائل الجسم ، وكذلك الحركات في مناسك الحج .

وكان للسحر وما يناظره مكانة وسيعة في افكار الناس قبل الاسلام كـما ذكرنـا ، وفي المعالجات الطبية أيضاً . فحرم الرسول ممارسته وإبـان عن كذبـه وضرره . فـأزاح بذلك قـطاعاً كبيـراً ممن يمارسـون الطب بـالدجـل والشعوذة . ويبـدو أن عملية الكي كانت من أكثر العلاجات العملية في الطب ، ويستطبها الناس أحياناً على غير سبب أو مبرر ، فقال (ﷺ) فيها ما جعلهـا تقل كثيـراً في التطبيق ، ويقـل عدد ممـارسيها من منتحـلي الصنعة . كـما قال (ﷺ) عن أولئـك المتطفلين ان (من يـطبب ولم يعلم منه طب قبـل ذلك فهـو ضامن) ومعنى ذلـك ان من يتعاطى الـطب ويخطىء ولم يكن من ممتهنيه فعليه العقاب . أما من سبق له العمل بها فلا يحاسب على خطئه فيهـا إلا بقدر تقصيره في الخدمة وإهماله لقواعدها . وبهـذا الحديث الشـريف انتبه النـاس الى اخطاء المنتحلين لصنـاعة الـطب ، كما صـار هؤلاء يهـابـون السلطات التي تعمـل بـالحـديث الشريف .

وفتـح الرسـول الكريم البـاب للناس ان يلتجئـوا الى خيـرة الاطبـاء يستشفـون بوصاياهم وعلاجاتهم الطبية . قال عليه السلام لسعد بن أبي وقاص وكان يعوده اثنـاء مرضه بمكة : (ادع الحارث فإنه رجل يتطبب)[5] . والحارث المذكور هنا هـو الحارث بن كلدة الثقفي ، وكان هذا (طبيب العرب) يومئـذ . واذا كان الحـارث وثنياً[6] يـوم نصح الرسول سعداً باستشارته ، فما أعظم المغزى من هـذا الحديث الشـريف . إذ أن محمداً (ﷺ) لم يلتفت إلى كون الحارث من غير الكتابيين طالما لديه من العلم ما ينتفع منه الناس .

(5) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 161 .

(6) القفطي ـ تاريخ العلماء ص 162 .

وركز الرسول على قواعد الاغتذاء . قال (ﷺ) : (إن المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء) . وبقيت هذه المقولة الشريفة تحتل مكانها الرفيع في الممارسة الطبية طيلة العصور الاسلامية . كما ورد في احاديثه الشريفة : (إنما الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء)[7] . وقال (ﷺ) في العدوى : (اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها . وإذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه)[8] .

ولم يترك محمد (ﷺ) مجالاً للمتزمتين بالدين الحنيف السمح ، أن يفضلوا علوم الشريعة على العلوم الطبية ، حين دوت كلمته الشريفة : (العلم علمان ، علم الابدان وعلم الاديان) . ولا بد أن النبي (ﷺ) قد نطق بهذه الكلمة القاطعة في معرض كلامه عن صنوف المعرفة ، فقدم علوم الطب عليها جميعاً .

وهناك احاديث شريفة اخرى كثيرة في الصحة والمرض . على أن محمداً (ﷺ) لم يحاول أن يعمل في الطب لكنه اضفى على هذه المهنة بركته وشرفها بالاهتمام بها ، وفي هذا غاية التعضيد للمهنة ومن يعمل بها .

وهناك قاعدة فقهية مفادها أن حفظ النفس قبل حفظ الدين .

وسوف يستبين لنا فيما يأتي ان طب العرب في فجر الاسلام صار أساس المعارف في الطب العربي على مدى القرن الذي تلاه وحتى اطلاع العرب على الطب اليوناني في زمن الخليفة المنصور (136 - 158 هـ / 754 - 775م) . كما سنرى البون الشاسع بين مستوى الطب الجاهلي التقليدي والطب العربي المتطور .

(7) ابن القيم الجوزية ـ الطب النبوي ص 18 .

(8) المصدر السابق ، ص 29 .

أطباء صدر الاسلام وعصر الراشدين

لم يعرف من الاطباء الذين شهدوا بزوغ الاسلام وعاشوا في خلافة الراشدين الا عدداً قليلا ذكرناهم في أول هذا الفصل . ولـولا كتب السيرة وبعض أبيـات من شعر العرب لما عرفنا حتى ذلـك العدد القليـل منهم . كما إن معلومـاتنا عن اولئـك الاطباء القليلين نزرة وأكثرها غير موثقة . كذلك لم نعرف عنهم ممارسات طبية معينة لنقدر منها مدى علمهم ومشاركتهم بفنون هذه الصنـاعة . وربمـا يكون الحـارث بن كلدة الثقفي أكثر من نستطيع أن نتكلم عنه بثقة واطمئنان كـطبيب ممارس عن تجـربة وعـلى قواعـد علمية .

الحارث بن كلدة الثقفي[1]

هو ابو وائل[2] ، الحارث بن كلدة بن عمر بن علاج الثقفي . ينتسب الى ثقيف بالطائف وهو أشهر الاطباء العرب قبـل الاسلام وفي عهـد الخلفاء الـراشدين . وكـان لتجربته الـواسعة في الـطب وآرائه الحكيمـة يلقب بـ (طبيب العرب)[3] . عـاش في

(1) اقـرأ عن الحـارث في العيـون لابن ابي اصيبعـة ص 162-165 ، وتـاريـخ الحكــاء للقفـطي ص 161-162 ، والـطبقـات لابن جلجـل ص 159 ، ومختصر الـدول لابن العبـري ص 156-157 ، والاعلام للزركلي 159/2 والمؤتلف والمختلف ص 712 ، والطبقات لابن صاعد ص 47 .

(2) محمد الخيلي ـ ادباء الاطباء (عن العسقلاني) 103/1-104 .

(3) حاشية طبقات الاطباء لابن جلجل ، تحقيق : فؤاد سيد ص 54 .

الجـاهلية وادرك الاســلام[4] . ولم يشر أكـثر المؤرخــين الى اسـلامــه . وقسم منهم أنكره[5] . كما اختلفوا في تاريخ وفاته . قيل أنه توفي في خلافة ابي بكر الصديق (11 - 13 هـ / 632 - 634م)[6] ، وقيل أيضاً ان عمر بن الخطاب الـذي حكم بعد وفـاة أبي بكـر سـأل الحـارث : مـا الـطب ؟ فـأجـابـه : الازم ، يعني الجـوع أو الامسـاك عن الطعام . كما قيل انه سأله : ما الدواء يا حارث ؟ فقال لـه : الحمية . وقيـل أيضاً ان جوابه ما أجاب عمـر بن الخطاب[7] . ولم يكن احـد من المؤرخين الـذين ذكروا هـذه الاخبار عن وفاة الحارث واضحاً . إذ قـد يكون سؤال اي من عمـر ومعاويـة قد وقـع قبل أن يرقى الى دست الخلافة لا في اثنائها . وافتراضه ليس على رواية[8] .

وعرف عن الحارث بن كلدة انه كان يهوى الطرب ، فتعلم الضـرب على العـود في اليمن[9] . وقـد يكون درسـه على الفـرس الذين كـانوا عهـدئذٍ يحتلون تلك البـلاد (570م) . كما تعلم منهم شيئاً عن الطب . ويبدو ان حياة الفرس وعلومهم قد أغرت الحارث وجذبته الى اصل ديارهم في فارس ، فشد الرحال الى جنديسـابور الاحـواز ، وقيل أنه دخلها مرتين[10] ، وتدرب على الطب في بيمـارستانها . ومـارسه في فـارس . ولما رجع الى موطنه في الـطائف اصطحب معـه جاريتـه المجوسيـة سمية التي قيـل أنها صارت بعدئذٍ ام زياد بن أبيه من أبي سفيان[11] .

---

(4) القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 163 .

(5) المصدر السابق ص 162 وكان كثير من المؤرخين يدعـون من هم من غير ملة الاسـلام (الكفار) سواء كان هؤلاء من الوثنيين ام من اصحاب الكتب السماوية كالنصارى والصابئة واليهود . إلا أننا نعتقد ان القفطي باعتباره رجل قضاء ، لا يعتبر الكتابيين من الكفـار اي أن الحارث حسب اشارة القفطي لم يكن نصرانياً ولم يسلم بل كان وثنياً حتى زمن محمد (ﷺ) .

(6) القفطي ص 162 .

(7) القفطي ص 163 .

(8) الزركلي ـ الاعلام 159/2 .

(9) ابن ابي أصيبعة ص 162 .

والعود آلة موسيقية وترية قديمة يرجع تـاريخها الى العصـور الفرعـونية ثم وصـل الى ديار المشـرق واستعمله العرب في الجاهلية والاسلام وهم الذين طوروا شكله واستعماله الى الآلة المستعملة في هذا الزمن .

(10) الزركلي ـ 159/2 .

(11) القفطي ص 163 .

ويتوارد في الاخبار ان الحارث بن كلدة قابل كسرى انو شروان (531 - 579 م) عاهل فارس[12] ، ودار بينهما حوار مستفيض[13] ، وردت فيه نصائح طبية كان عرب الجزيرة يمارسونها قبل الاسلام . كما يذكر أن كسرى أمر بتسجيل ذلك الحديث لعظيم الفائدة فيه ، وإن ما دون منه صار كتاباً بعد ذلك الحق باسم الحارث[14] ، ولم يصل الينا اثر من هذا الكتاب .

وتورد التراثيات العربية المحاورة المذكورة بأسلوب مشوق للقارىء . وهي تتضّمن تعريف الطب والمرض ، ومعلومات عن العلاج بالحمام ، والحجامة ، وبالدواء ، والغذاء ، وحكماً صحية كثيرة تبناها الاطباء العرب بعدئذٍ ، وصارت لهم مبادىء مشوا عليها في ممارساتهم ووضع مؤلفاتهم . وفيما يلي بعض من المحاورة المذكورة[15] :

كسرى ـ ما اصل الطب ؟

الحارث ـ هو الازم .

كسرى ـ فما الازم[16] ؟

الحارث ـ ضبط الشفتين والرفق باليدين .

كسرى ـ فما الداء الدوي ؟

الحارث ـ ادخال الطعام على الطعام . هو الذي يفني البرية ويهلك السباع في جوف البرية .

---

(12) كسرى انو شروان ـ هو كسرى الاول الساساني (531-579 م) حارب البيزنطيين واحتل انطاكيا (555 م) وهدّمها واقتاد الى بلاده من بين الاسرى طبيباً لنفسه اسمه جبرائيل درستاباذ ، كما استولى على اليمن (570 م) وخلع اخيراً وسملت عيناه .

(13) نص الحوار في العيون لابن ابي أصيبة ص 163-164 ، والبصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي 50/2-55 ، والعقد الفريد لابن عبد ربه 373/6-376 . ولم يذكره القفطي ولا ابن جلجل .

(14) إبن ابي أصيبعة ـ العيون ص 162 ، ولم يصلنا من هذا الكتاب المزعوم الا المحاورة التي ذكرناها .

(15) هذه الفقرات مأخوذة عن العيون لابن ابي أصيبعة ص 163-164 .

(16) الازم في اللغة لها معاني متعددة . اقربها الى هذا الموضوع هو الامساك عن الشيء او عدم الاكثار

كسرى ـ فما الجمرة التي تصطلم منها الادواء ؟

الحارث ـ هي التخمة ، إن بقيت في الجوف قتلت وإن تحللت اسقمت .

ويعجب كسرى بأجوبة الحارث ، فيسأله في موضوع آخر :

كسرى ـ فما تقول في الحجامة ؟

فيجيه الحارث عن فوائدها إذا عملت في الوقت المناسب لها فيقول :

في نقصان الهلال ، في يوم صحو لا غيم فيه ، والنفس طيبة ، والعروق ساكنة ، لسرور يفاجئك ، وهم يباعدك .

كسرى ـ فما تقول في الحمام ؟

الحارث ـ لا تدخله شبعان ، ولا تغشى اهلك سكران ، ولا تقم بالليل عريان ، ولا تقعد على الطعام غضبان ، وأرفق بنفسك يكن ارخى لنفسك ، وقلل من طعامك يكن اهنأ لنومك .

كسرى ـ فما تقول في الدواء ؟

الحارث : ما لزمتك الصحة فإجتنبه . فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت وإن تركتها خربت .

كسرى ـ فما تقول في الشراب ؟ (يقصد النبيذ ونحوه) .

الحارث ـ اطيبه اهنأه ، وأرقه امرأة ، وأعذبه اشهاه . لا تشربه صرفاً فيورثك صداعاً ، ويثير عليك من الادواء أنواعاً .

ويسأل كسرى عن أنواع اللحوم وأيها افضل . فيجيب الحارث ان الضأن الفتى أفضلها ، أما القديد المالح فمهلك . واجتنب لحم الجزور (النوق) والبقر .

كسرى ـ فما تقول في الفواكه ؟

الحارث ـ كلها في اقبالها وحين أوانها .

كسرى ـ فما تقول في شرب الماء ؟

الحارث ـ هو حياة البدن وبه قوامه . ينفع ما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم ضرر .

ولما سأله كسرى عن طعمه ولونه . أجابه الحارث كما يجيب فيزيائيو هذا اليوم على هذا السؤال ، قال :

الحارث ـ لا يوهم له طعم (لا طعم له) واشتبه على الابصار لونه (لا لون له) لانه يحكي لون كل شيء يكون فيه .

ويغير كسرى مجرى المحاورة عن الاطعمة والاشربة فيسأله في علمي التشريح والفسلجة ، وهما علمان جديدان في الطب الفارسي ، ادخلهما اليونانيون والسوريون النساطرة الى جنديسابور ، ولكل جديد رنة .

كسرى ـ فما هذا النور في العينين ؟

الحارث ـ مركب من ثلاثة أشياء ، فالبياض شحم ، والسواد ماء والناظر ريح . ويسأل كسرى في الاخلاط والامزجة :

كسرى ـ فعلى كم جبل طبع هذا البدن ؟

الحارث ـ على اربع طبائع : المرة السوداء وهي باردة يابسة ، والمرة الصفراء وهي حارة يابسة والدم وهو حار رطب ، والبلغم وهو بارد رطب .

كسرى ـ فلم لم يكن من طبع واحد ؟

الحارث ـ لو خلق من طبع واحد : لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك .

كسرى ـ فمن طبيعتين ، لو اقتصر عليهما ؟

الحارث ـ لم يجز ، لانهما ضدان يقتتلان .

ونتذكر بهذه المناسبة ان ابقراط قد تكلم في هذا الموضوع وقال : (لو خلق الانسان من طبيعة واحدة لما مرض أحد ، لانه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض)[17] .

---

(17) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 49 .

ويسأل كسرى عن علاج امراض الامزجة فيجيبه عن كل واحدة منها . وينصح باخراج الدم اذا زاد مقداره في البدن (الامتلاء) . ويسأل كسرى عن الرياح في البدن وطريقة التخلص منها ؟

كسرى ـ فالرياح ؟ ما علاجها ؟

الحارث ـ الحقن اللينة ؛ والادهان الحارة اللينة .

وكأن كسرى كان متخوفاً من سلامة الحقنة ، أو متشككاً من فائدتها فيسأله مستغرباً :

كسرى ـ افتأمر بالحقنة ؟

ويجيبه الحارث باقتضاب : نعم . ثم يضيف : قرأت في بعض كتب الحكمة : ان الحقنة تنقي الجوف ، وتكسح الادواء عنه . والعجب لمن احقن كيف يهرم او يعدم الولد (وان الجهل كل الجهل من كل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شهوته على راحة بدنه) .

ولما سمع كسرى ، وفيه كما هو واضح اشارة الى الحمية ، سأله : كسرى ـ فما الحمية[18] ؟

الحارث ـ الاقتصاد في كل شيء . فإن الاكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها .

ثم سأله كسرى عن اضرار العلاقة الجنسية ومنافعها ، إذ كان موضوع الجماع الباه من المعارف الوافدة من الهند واليونان الى فارس ، وصار من المعتقدات عندهم ن الاستفراغ بكل أنواعه هو احد الوسائل لتعديل عناصر الجسم . فالتخلص من لمني بالجماع يناظر الاستفراغ بالمقيئات وترطيب الامعاء بالمسهلات ، وتخفيف الامتلاء لدموي بالحجامة او الفصد .

---

18) الحمية : الامتناع عن أكل الاطعمة المضرة . واقرأ عن الحمية في محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني 2/427-430 .

كسرى ـ فما تقول في النساء واتيانهن ؟

الحارث ـ كثرة غشيانهن رديء . وإياك وإتيان المرأة المسنة ، فإنها كالشن[19] ، تجذب قوتك وتسقم بدنك . ماؤها سم قاتل ، ونفسها موتٌ عاجل ، تأخذ منك الكل ولا تعطيك البعض .

ويستمر الحوار فيما بين كسرى والحارث حول الجنس . ثم يتحول الى الكلام في لذة الجماع مع ذات الجسم اللدن والوجه الحسن والفرج الضيق . والعرب منذ اقدم الازمان وحتى بعد دخولهم الاسلام مكشوفو الادب ، وصريحو العبارة ، فلا يترددون أن يقولوا ما في صدورهم عن الجنس ، الذي هو من المشاغل الطبيعية لكل انسان طبيعي . والطبيب أكثر صراحة من غيره بهذا الموضوع الذي يعتبره من اختصاصه . وفعلاً كان الباه والمضاجعة من المواضيع التي بحثها الاطباء العرب وكذلك الادباء بكثرة ، من غير حياء .

كسرى ـ وما تقول في مضاجعة الشابة ؟

الحارث ـ ماؤها عذب زلال ، وعناقها غنجٍ ودلال ، ريقها عذب ، ريحها طيب . وهنها ضيق . تزيدك قوة الى قوتك . ونشاطاً إلى نشاطك .

كسرى ـ ففي أي الاوقات اتيانهن أفضل ؟

الحارث ـ عند ادبار الليل يكون الجوف أخلى . والنفس اهدى ، والقلب اشهى ، والرحم أوفى (ادفى ؟) .

وإذ ان طب الحارث كان في مرحلته الاخيرة يوناني النحلة ، فإنه أي الحارث ، لا بد قد اطلع على نظرة ابقراط الى الجماع . فإن هذا العالم الاكبر عند اليونانيين لم يكن يرى في الجماع ما يراه غيره من الاطباء كالحارث ، بهذا الموضوع . وقد ذكرنا في مكان متقدم أنه سئل في كم ينبغي للانسان أن يجامع ؟ فقال في كل سنة مرة . . وبعد جدل مع سائليه قال أخيراً عن الجماع : هي روحه اي وقت شاء يخرجها[20] . كما

---

(19) الشن : القربة البالية .

(20) ابن أبي أصيبعة ص 50 .

قال ابقراط ان لذات الدنيا اربع وان الجماع احدها[21] ، وصرح أنه يجب الجماع ولـو كان بالزنا الا انه يملك إرادة نفسه[22] ، ولا حاجة أن نقول ان رأى ابقراط في الجمـاع بعيد عن الاعتدال ، وان رأى الحـارث فيه كـان من وحي طبيعته ، أو أنـه اكتسبه من الاطباء الهنود الذين زاملهم في مدرسة جنديسابور .

وينسب الى الحارث بالاضافة الى الحوار الذي ذكرناه . أقوال في الحكمة والطب منها .

* البطنة بيت الداء ، والحية رأس الدواء[23] ، وعودوا كل بدن ما اعتاد[24] .

* اربعة اشياء تهدم البدن ، الغشيـان (الجماع) عـلى البطنـة . ودخول الحمـام على الامتلاء ، وأكل القديد (اللحم المجفف) . ومجامعة العجوز [25] .

كما ذكر الحارث حين قابل اجله على فراش الموت قال ناصحاً :

« لا تتزوجوا من النسـاء إلا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها ، ولا يتعالجن احد منكم ما احتمل بـدنه الـداء . وعليكم بالنـورة (حجر الكلس) في كـل شهر . فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة . وإذا تغـدى احدكم فلينم عـلى اثر غـدائه ، واذا تعشى فليخط اربعين خطوة »[26] .

لقد جمع الحارث بن كلدة في محاورته مع كسرى أنو شروان كل ما كان معـروف في الـطب في ذلـك الـزمـان . فتكلم في الصحـة والمرض ، والـدواء ، والغـذاء ، والشـراب ، والحقنـة[27] ، والحجـامـة والفصـد[28] ، والبساه[29] ، والـريـاضـة

---

(21) المصدر السابق والصفحة .
(22) المصدر السابق ص 48 .
(23) المصدر السابق ص 165 .
(24) وينسب هذا القول أيضاً إلى عبد الملك بن أبجر .
(25) المصدر السابق ص 165 .
(26) ابن أبي أصيبعة ص 166 . الابشيهي في المستطرف 2 / 277 . يرويها عن تياذوق . كما يرويها ابن أبي أصيبعة ص 166 .
(27) يقصد بالحقنة دفع الماء صرفاً أو فيه بعض العقـاقير الملينـة عن طريق المقعـد الى الشرج لمعـالجة :

والاستحمام[30] ، والاخلاط والامزجة . وفي أكثر كلامه تعابير ومعلومات جديدة بالنسبة لطب العرب في الجاهلية . ويعتقد البعض ان تلك المحاورة مزعومة . وإذ أن المعلومات الواردة فيها لا يسهل تجميعها وترتيب تسلسلها إلا على من يعرف العلوم الطبية ، فالارجح ان المحاورة المذكورة أو بعضها ، كانت واقعية . وسواء كانت واقعية أو أنها نحلت على الحارث من قبل طبيب ذكي ، فإن المعلومات التي وردت فيها كانت زبدة ما كان معروفاً يومئذ في طب جنديسابور ، وفي الطب اليوناني أيضاً . وهي

= (الامساك) . ويقال ان الانسان عرفها منذ اقدم عصوره التاريخية ، وأنه تعلمها من طيور الماء التي رآها تزرق بمنقارها ماء البحر الى مقعدها كما مارسها المصريون واليونانيون . وكان روفس اليوناني (199 ق . م) أول من كتب في موضوعها .

(28) مررنا على ذكر الفصد والحجامة في موضوع الممارسة الطبية عند اليونانيين وقد استطب الفصد لاول مرة في تاريخ الطب من قبل ابقراط ، وله كتاب فيه كما ذكرنا سابقاً . واستطبه اتباع ايراستراتوس لحالة الامتلاء ، أما هذا الطبيب نفسه فعارض استعماله لهذه الحالة المرضية ، واوصى بمعالجتها بالرياضة . كما عرفت الحجامة والفصد من قبل عرب الجاهلية واستمروا يمارسونها الى أن وصلهم الطب اليوناني فصارتا احد علاجاتهم العلمية الحديثة . ويذكر أنهم صاروا يفضلون عملهما في اليوم السابع عشر من الشهر وهو يوم انحدار القمر ، وفي يوم الثلاثاء من الاسبوع ايضاً .

(29) منذ خلق الله الانسان وهو مشغول البال بالجنس وما يتعلق به . فاضطرت الشرائع الدنيوية والدينية ان تتدخل في أمور هذا الموضوع لتحل مشاكله الكثيرة ، فبحثت فيه بلا تحفظ ولا استحياء . وأول من كتب في الجماع هم الهنود ، وكان ذلك قبل ما يزيد على الستة عشر قرناً قبل الاسلام ، وافترضوا المني من اخلاط البدن الرديئة التي يجب ان يتخلص منها البدن فبحثوا في موضوع الباه لتقويته وتسهيل فعله . ثم كتب فيه ارسطو (القرن الرابع ق . م) ، ثم روفس (ح 119 م) ، ثم جالينوس (131-201م) وأول من تكلم عن الباه من الاطباء العرب هو الحارث بن كلدة الثقفي ، ومن ذلك اليوم صار الموضوع يشغل مكاناً مهماً في المؤلفات العربية .

(30) اول من استعمل الحمام كوسيلة علاجية هو الطبيب اليوناني اسقليبادس البثيني (ص 130) وقد استقبل الاطباء وغير الاطباء هذه الوسيلة الطبية بكثير من الرضى والاهتمام ، فكثرت الحمامات الخصوصية والعمومية من أجل النظافة والعلاج على السواء . أما الحمام عند المسلمين فيعتبر من وسائل النظافة التي تدخل في ايمانهم وفروض ديانتهم . وقد عرفوه منذ صدر الاسلام ، وكان الناس يدخلونه عراة فأمر النبي (ﷺ) الا يدخلوه الا متزرين وكثرت الحمامات في الحواضر الاسلامية ، فكان منها في بغداد في زمن الخليفة المقتدر سبعة وعشرون الف حمام (ابن الخطيب 120/1) . وهذا الرقم مبالغ فيه إلا أنه يعني كثرة الحمامات وإهتمام المسلمين بأمور صحتهم ونظافة أبدانهم في ذلك العهد .

معلومات لم تكن معروفة من العرب قبل ان يتعلمها الحارث في اليمن وجنديسابور . أو أنها كانت معروفة منهم بمفهوم تطبيقي علمي . فطب الحارث على هذا الاساس ثورة علمية ومنطلق في آفاق جديدة في المهنة بالنسبة لما كان لدى العرب من هذه الصنعة قبل عصر الحارث . ومما يلفت النظر في محاورة الحارث مع كسرى انه لم يشر لا من قريب ولا من بعيد الى استعمال الرقى والتعاويذ وما إلى ذلك في معالجة المرضى ، مع أن التطبيب بهذه الوسائل كان من الطرق الشائعة بين المتطببين آنذاك ، وهي لا تنتقد ولا يستخف بأمرها باعتبارها من ملحقات عقائد اولئك الناس ومستويات مفاهيمهم . كما كانت تلك الوسائل كثيرة الاستعمال من قبل الفرس رعايا كسرى سيد هذه المقابلة مع الحارث .

وإننا لنحسب ان الحارث قد اتصل بكسرى عند دخوله بلاد فارس عملاً بما تقتضيه آداب الزيارة ، لا عند خروجه منها كما يعتقد بعض الكتاب . أو أن كسرى هو الذي استدعاه اليه لاغراض طبية . كما يحتمل أن تكون المعلومات الطبية التي وردت في حواره مع العاهل الفارسي قد حصل على أكثرها من الاطباء الفرس الذين درس عليهم الصنعة في اليمن قبل أن يلتحق بمدرسة جنديسابور . وطبيعي ان تكون قد ازدادت معلوماته بعد أن تخرج في المدرسة الاخيرة .

وكان عصر الحارث في داخل الجزيرة العربية عصر أميّة مطنبة . والذين كانوا يقرأون ويكتبون ندرة في العدد ، وأندر منهم الكتب الطبية التي كانت يومئذ مخطوطة على أوراق البردى او رقوق البرجامون ، فكانت العلوم الطبية عندهم من المعارف التي يتناقلها اصحاب التجربة الطبية بالرواية لا من المدونة في الكتب . ويبدو ان الحارث كان من المتعلمين ، أي أنه يعرف القراءة والكتابة ، إذ ورد في حديثه مع كسرى قوله : . . . قرأت في كتب الحكماء الخ (ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 164) . ولأننا لم نعرف كتاباً واحداً في الطب ينسب الى العرب في عصر الحارث أو ما سبقه ، فإنه من باب الاحتمال أن يكون الحارث قد اشار بكلمته المذكورة الى الكتب السريانية أو اليونانية التي تعلم لغتها في اليمن أو في جنديسابور ، فاعتمد تلك الكتب في دراسة الطب والرجوع اليها . اي ان الحارث على هذا التفسير كان يعرف اللغة اليونانية أو السريانية أو كليهما .

ومعلوماتنا عن الحارث بن كلدة تحمل قيمة تاريخية بالاضافة الى القيمة الطبية . فهو اول طبيب عربي اطلع على الطب اليوناني ودرسه على اطبائه . وأول من مارسه منهم على القواعد العلمية لا التقليدية . كما يمكن اعتبار طب الحارث مقياساً للتطورات والتحسينات التي ادخلت على الطب العربي فيما بين زمانه بالجزيرة العربية ، وعصر الترجمة في صدر الخلافة العباسية ، حين صار الطب خاضعاً لقواعد مثبتة لا يلعب بها الخيال والافتراض والتقليد .

النضر بن الحارث بن كلدة[31]

اسمه الكامل : النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، وهو ثقفي حليف الامويين ، وابن خالة النبي محمد (ﷺ)[32] . قيل أنه تعلم الطب على ابيه ؟[33] ، أو تعلمه في الحيرة . ولما رجع من هذه المدينة الى الحجاز في صدر أيام بعثة الرسول الكريم اخذ يقرأ على الناس أخبار العجم ويقول : محمد يأتيكم بأخبار عاد وثمود وأنا آتيكم بخبر الاكاسرة (يوسف غنيمة ـ الحيرة ص 57) وكان يريد بذلك اذى النبي (ﷺ) ، كما حاربه الى جانب المشركين في موقعة بدر . فاسره المسلمون ، وقتله علي (رض) بأمر من النبي (ﷺ)[34] فحزنت عليه اخته قتيلة ورثته بأبيات من الشعر فيها تلميح الى قرابة أخيها من الرسول . وفي بعض المراجع ترجمة للنضر غير واضحة تحسبه ابنا للحارث بن كلدة الثقفي[35] ، وهو الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي . والمعروف ان الحارث هذا لم يعقب إلا بنتاً اسمها

---

(31) ترجمة النضر بن الحارث بن كلدة في العيون لابن ابي أصيبعة ص 167 ، وفتوح البلدان للبلاذري 141/1 ، وبلوغ الارب للالوسي 335/3 ، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 348/3 ، والبيان والتبيين للجاحظ 236/2 43/4 ، والعرب قبل الاسلام لجواد علي 384/8 . وتلفظ (النضر) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ، ومعناها ـ الذهب .

(32) جواد علي ـ العرب قبل الاسلام 383/8 .

(33) ابن ابي أصيبعة ص 167 . وليس واضحاً جداً ما إذا كان صاحب الترجمة هو من الاطباء . فإذا كان تعلم الطب على أبيه كما ذكر ابن أبي أصيبعة في الفقرة المتقدمة ، وهو ابن خالة النبي ، فلا بد وأن يكون ابوه طبيباً ، وهذا ما ليس لنا علم به .

(34) ابن ابي أصيبعة ص 168 .

(35) المصدر السابق ص 167 .

(أزدة)[36] . ولم يكن لـه ابن بـاسم النضر . وهكـذا نـرى الاضــطراب في تـرجمـة النضر ، ولولا الترابط بين اسمه واسم الحـارث بن كلدة الثقفي لما كـان له مـوضع في تاريخ الطب العربي أكـثر من ذكر اسمـه عرضـاً ، مثلما تذكـر اسماء كثيـرة من الاطباء العرب دون أن نعرف عنهم ما يكفي لضمها الى زمرة الاطباء المشهورين .

اثير بن عمرو السكوتي

ويعرف بابن عمريا ، وقد ادرك الاسلام ، وشارك في علاج الخليفـة علي بن ابي طالب من الطعنة القاتلة . ومعلوماتنا عنه ليست أكثر من ذلك .

---

(36) جواد علي 384/8 .

القسم الخامس

الطب والاطباء في العصر الاموي

الطب في العصر الاموي

(41 - 132 هـ / 661 - 750م)

1 ـ نبذة تاريخية[1]

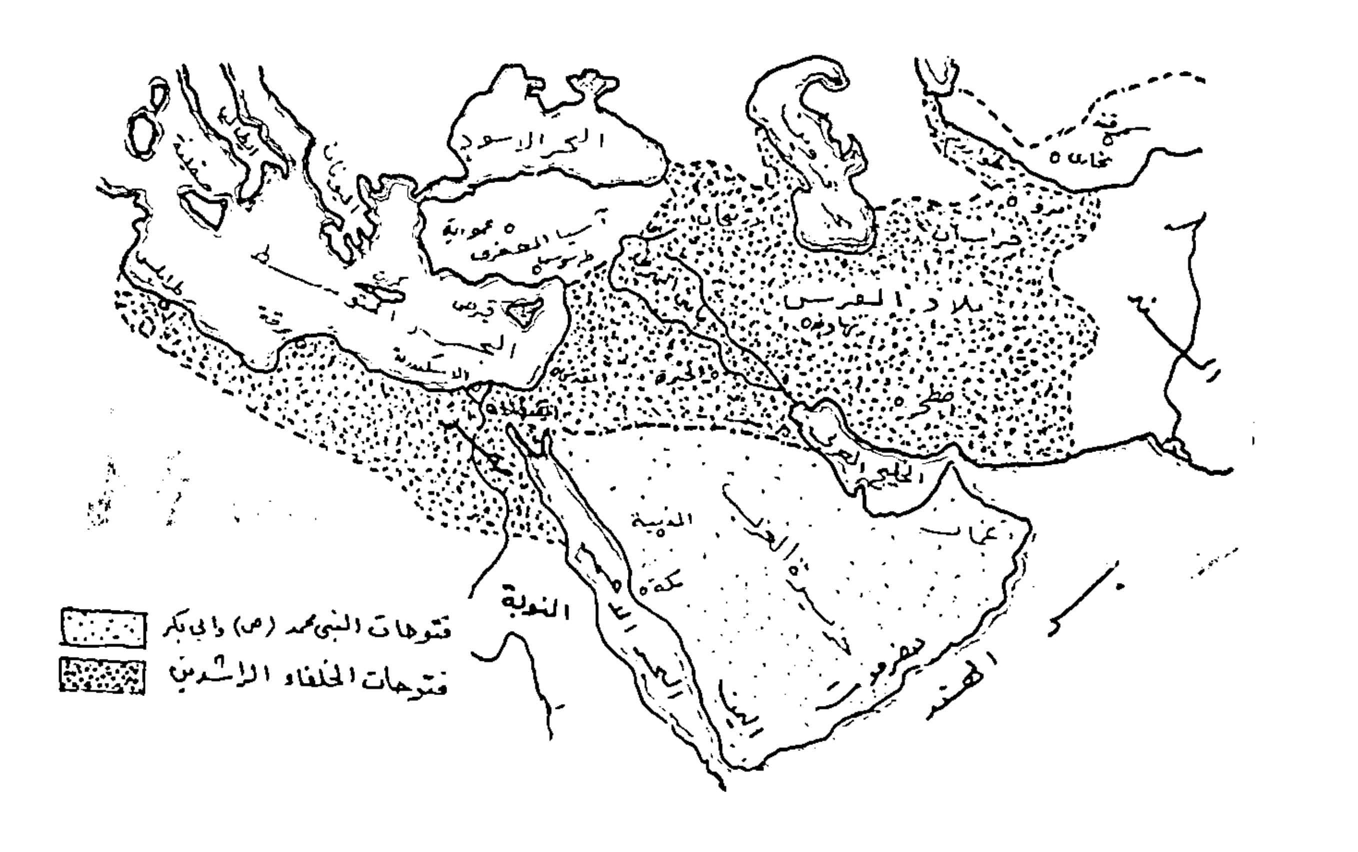
حكم الامويون البلاد الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين . ودام حكمهم احدى وتسعين سنة . وتوالى على الخلافة فيها أربعة عشر خليفة ، كان أولهم معاوية بن أبي سفيان (41 - 60 هـ / 661 - 680م) وآخرهم مروان الثاني (127 - 132هـ /744 - 750 م) ، وكانت عاصمتهم دمشق[2] . وحاول الخليفة الاخير مروان الثاني ، أن ينقل قاعدة حكمه الى حران ، المدينة المعروفة بتقدمها في الحضارة ، وبعلمائها في الفلك والرياضيات ، إلا أن خلافته لم تطل بما يكفي لتحقيق رغبته .

وعرفت خلافة عبد الملك بن مروان (65 - 86 هـ / 685 - 705م) وابنه الوليد بن عبد الملك (86 - 96 هـ /705 - 715) بالفتوحات وتوسيع رقعة الامبراطورية الاسلامية . فوصلت أطرافها حدود الصين شرقاً وشواطىء المحيط الاطلسي غرباً . فشملت بالاضافة الى الجزيرة العربية ، حوض السند وبعضاً من الهند ، وسرمقند ،

---

(1) اقرأ عن الخلافة الاموية في تاريخ العرب فليب حتي 251/1-348 ، وتأريخ سوريا وفلسطين لنفس المؤلف 105/2-135 وتقرأ (اموية) بضم الالف لا بالفتح .

(2) بداية تاريخ دمشق موغلة في القدم . قيل أنها كانت موجودة قبل أن يولد ابراهيم الخليل (حوالي 1800 ق . م) ، وسميت دمشق لان من بناها دمشق (الدال مفتوحة والميم ساكنة والشين والقاف مفتوحتان) في بنائها اي اسرع . ولا يعرف بالضبط من شيدها فيها الكثير من قبور الصحابة وعدد من قبور امهات المؤمنين (الحموي ـ معجم البلدان ج 2/ص 463) .



البحر الاسود
آسيا الصغرى
عمورية
طرسوس
قبرص
الاسكندرية
برقة
طرابلس
صقلية
اليونان
بلاد الفرس
نهاوند
اصطخر
خراسان
مرو
بخارى
سمرقند
السند
الحيرة
القدس
الخليج العربي
جزيرة العرب
المدينة
مكة
عمان
حضرموت
اليمن
البحر الاحمر
النوبة
بحر الهند
فتوحات النبي محمد (ص) وابي بكر
فتوحات الخلفاء الراشدين

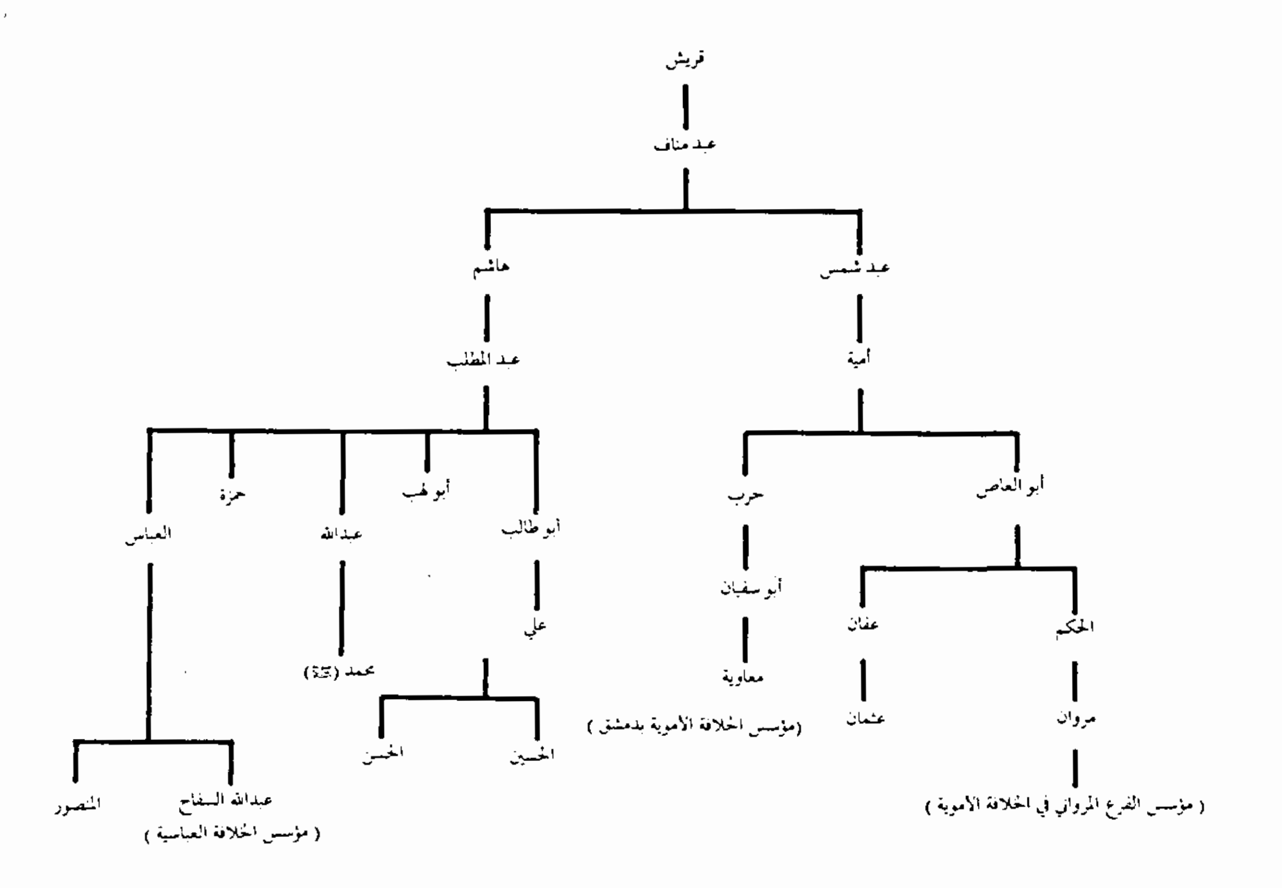
وبخاري ، وخوارزم ، والري ، واذربيجان ، وخوزستان ، وما وراء النهر ، وعموم ديار سوريا وفلسطين ، وما بين النهرين بما فيها حران والرها ونصيبين وانطاكيا والرقة وديار بكر (آمد) وأقساماً اخرى من آسيا الصغرى . كما شملت شمال أفريقيا بما فيها مصر وقبرص وتونس والمغرب الاقصى ومعظم اسبانيا ، ودخلت الاسلام معظم تلك الاقطار ، وتكلمت باللغة العربية ، وتعلم المسلمون منها أنواع الحرف والمعارف . ولولا خسارة المسلمين في موقعة تور باسبانيا سنة 114 هـ / 732م[3] ، وموقعة طلس[4] سنة 134 هـ / 751م على حدود الصين لوصلت كلمة الاسلام ولغته بين العباد الى ابعد مما وصلت بكثير (انظر الخريطة) .

ولاختلاط الامويين بالشعوب التي خضعت لهم كالفرس والروم الذين ألفوا الترف والحياة الناعمة ، صار بعض حكامهم يميلون الى لذائذ الدنيا ومتعها المحرمة والرخيصة . كما ابقى خلفاؤهم بالرغم من غلو نزعتهم العربية على الروم المتخصصين بأعمال الكتابة والمال والطب ممن كان يشغل هذه الوظائف اثناء حكم الرومان قبل الفتح الاسلامي للبلاد . فلم يرق للعرب أن يشارك الاعاجم بادارة شؤون المسلمين ، كما استهجنت أسلوب الحياة الناعمة وتصرفات الخلفاء الماجنة . فثارت الجزيرة العربية تعصباً لاسلامها الذي يروى انه أهمل أو أهينت شريعته . كما ثارت عليهم خراسان المتعصبة لقوميتها والمتشيعة لآل علي بن أبي طالب الذين أبعدوا عن الخلافة دون حق . وتراكمت المشاكل على آخر الخلفاء الامويين مروان بن محمد ، وأخيراً قتل سنة 132 هـ / 750م . وحصلت المفاجأة الحاسمة اذ طفر الى المسرح السياسي على غير تخطيط من الثوار ، أبو العباس عبدالله الهاشمي ، فأخذ الحكم لنفسه من العلويين وأسس الخلافة العباسية المنسوبة الى كنيته . وبهذا انقرض حكم الامويين الذي دام تسعين عاماً فقط كرست للفتوحات وتوسيع رقعة الاقطار الاسلامية ونشر لغة القرآن . ثم بدأ حكم العباسيين الذي اشتهر بالاشتغال بالعلوم والفنون فكان لهم اليد الطولى في إيصال العرب إلى أعلى مراتب الحضارة الانسانية . وفي ما يلي مخطط يبين وشائج النسب بين رجال الحكم في الخلافات الاسلامية الثلاث الاولى :

---

(3) Campbell-Arabian Medicine, 1/38.

(4) المصدر السابق .



قريش
عبد مناف
عبد شمس
هاشم
أمية
عبد المطلب
أبو العاص
حرب
أبو طالب
أبو لهب
عبدالله
حمزة
العباس
الحكم
عفان
أبو سفيان
علي
محمد (ﷺ)
مروان
عثمان
معاوية
(مؤسس الخلافة الأموية بدمشق)
الحسين
الحسن
(مؤسس الفرع المرواني في الخلافة الأموية)
عبدالله السفاح
(مؤسس الخلافة العباسية)
المنصور

إن أعمال الفكر لم تصل في أيام الامويين الى مستوى علمي عال بسبب حداثة عهدهم بالحياة خارج الجزيرة العربية . وكل ما حدث في زمانهم كان في تدوين الحديث الشريف الذي صار فيما بعد احد أسس علم الفقه وأصول الشريعة الاسلامية . وكذلك البدء بتدوين التاريخ على الرواية . ولم تكن لهذه العلوم مدارس ومدرسون ، بل تعتمد على السماع في حلقات المجالس التي يديرها شيوخ المعرفة ، أو (المؤدبون) الذين يعلمون أولاد الامراء والخلفاء . أما الطبقات الاخرى التي تطلب المعرفة فتلجأ الى حلقات الدرس في الكنائس والمساجد . وكان من هذه المساجد . المسجد الاقصى[5] بجوار قبة الصخرة[6] ، والمسجد الاموي بدمشق[7] . كما كانوا بنفس الوقت ما يزالون يعتبرون معايشة البدو في صحرائهم افضل المدارس لتعلم مفردات اللغة الصحيحة ، والفروسية . وتحسب هذه المكتسبات من سمات الثقافة التي ينشدها ويتفاخر بها علية القوم يومئذٍ .

---

(5) المسجد الاقصى ـ موقعه بالقرب من قبة الصخرة . قيل أن الذي شيده هو الخليفة عبد الملك (حتي 131/2) وقيل هو الوليد بن عبد الملك (الفخري ـ الآداب السلطانية ص 173) وكان على موقعه قبل تأسيسه ، كنيسة للقديسة مريم ، وقد استصلحت انقاضها لبناء المسجد . وأصابت الزلازل المسجد فرممه الخليفة ابو جعفر المنصور ، ثم ادخل الصليبيون عليه بعض التغييرات ، وأخيراً استرده منهم صلاح الدين سنة 1187/583 م .

(6) اول مسجد شيد في سوريا هو قبة الصخرة . بناه الخليفة عبد الملك سنة 73 هـ / 691م في موقع كان عليه هيكل سليمان . ولان القدس أول قبلة في الاسلام ، ومن جانب الصخرة عرج النبي (ﷺ) الى السماء ، فقد صار مسجد القبة مقدساً ومزاراً لعامة المسلمين . وقد انفق عبد الملك على تزيينه أموالاً طائلة لاشهر المعماريين والفنانين . ويعتبر هذا المسجد الشريف اقدم ما بقي الى الآن من العمارات الاسلامية الاولى . وفي داخله كتابات بالخط الكوفي تعتبر أيضاً اقدم الخطوط العربية الباقية الى الآن وهي تؤرخ مؤسسة عبد الملك الاموي .

(7) المسجد الاموي ـ هو من المؤسسات المقدسة من قبل المسلمين ، بعد مكة والمدينة والقدس . بناه الوليد بن عبد الملك على موقع كنيسة يحيى المعمدان التي بنيت هي الاخرى على معبد لجوبيتر (الاله هدد) المبنى على طراز آلة الشمس في تدمر . وقد استخدم الوليد عدداً كبيراً من خبراء البناء الهنود والفرس والروم لاقامته وتزيينه بالزخارف الرمزية والفسيفساء الجميل . وأقام في شماله مئذنة كانت مثالاً رائعاً لهندسة العمارة يومئذ . وقد نقلت صورتها وخريطتها الى قرطبة في أيام عبد الرحمن الاول الاموي ، وهي تعتبر اقدم مئذنة لا تزال قائمة الى اليوم (اقرأ عن الجامع الاموي في تاريخ دمشق لابن عساكر 189/1، 202 ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي 591/2 .

وكان من إحتكاك المسلمين بنصارى سوريا وعلمائها الاروام ان ظهرت حركات فلسفية بواجهة دينية عرفت باسم : الفرق ، كان منها المعتزلة التي بدأ بأفكارها واصل بن عطاء (ت 131 هـ /749 م) وفرقة الخوارج التي كانت قد ظهرت بواكيرها اثناء معركة صفين فدعت الى تطبيق المبادىء الديمقراطية التي يقرها الدين الاسلامي ، وعارضت حصر الخلافة بقريش .

ومن أبرز رجال الفكر المسيحي واليوناني بسوريا الاموية ، يوحنا الدمشقي (ت 749 م) ، وكان يدعى لفصاحته في اللغة بيوحنا فم الذهب ، او دفاق الذهب ، وثقافته باللغة اليونانية ، كما كان يعرف الآرامية ويجيد العربية أيضاً ، الا ان اللغة الاولى هي الغالبة على لسانه . وقد شغل مناصب عالية في دولة الامويين حتى حكم هشام بن عبد الملك (حوالي 106 هـ / 724م) ، ثم انقطع الى اللاهوت وترهب في دير بالقدس . كما يذكر من رجال تلك الحقبة الراهب الكيميائي مريانوس ، وهو احد معلمي الامير خالد بن يزيد بن معاوية في الكيمياء . أما يحيى النحوي الديلمي (58 هـ /704 م) المعروف بالبطريق [8] فكان فيلسوفاً وعالماً بالطبيعيات ، وكان له دير في ديلم العجم ، وكاتب الخليفة الامام علي وحصل منه على أمان بالابقاء على دير . ويذكر كل من الشهرزوري[9] والبيهقي[10] ، ان الامير خالد بن يزيد بن معاوية قد تعلم الطب على صاحب هذه الترجمة لتطابق اسم يحيى النحوي الديلمي مع اسم يحيى النحوي الاسكندراني بخلط بعض الكتاب بين أخبار كل منهما . ويحيى النحوي الديلمي بأي حال فيلسوف ورجل دين أكثر مما هو طبيب ومؤرخ .

---

(8) اقرأ عن يحيى النحوي الديلمي في فلاسفة الاسلام للبيهقي ص 39-40 ، ونزهة الارواح للشهرزوري 2/21-22 .

(9) المصدر السابق .

(10) المصدر السابق .

العلوم الطبية في العصر الاموي

يعتبر العصر الاموي بداية التفاتة العرب على المستوى الجماعي والحكومي ، الى دراسة العلوم الدنيوية ومنها الطب ، التي كانت تزخر بها البلاد التي افتتحوها وخضعت لحكمهم ، وخصوصاً التي كانت تنطق باللغة اليونانية . وكانت الاسكندرية وانطاكيا وجنديسابور مراكز ثقافية في العلوم عامة وفي الطب بخاصة ، فاعتمد خلفاء هذا العصر على الاطباء الاروام في هذه المدن ، فكانوا بذلك أول الحكام العرب الذين اذخلوا الاطباء الاعاجم الى حاشيتهم . ولما لمس شباب الشام ما يكسبه الانسان المزود بالثقافة والصناعة الطبية ، تطلعوا الى تعلّم تلك المعارف والارتحال الى مراكزها للتزود منها . إلا أن العصر الاموي القصير المدى (تسعون عاماً) ، لا يمكن أن يكون كافياً لاستيعاب هذه المعارف الجديدة ، وخصوصاً في علوم المنطق والفلسفة والطب . والعلم الاخير يحتاج التمرس به الى طول تجربة وتطبيق ، ودراسة الطب في الاصل بحث وتدقيق ، لا قراءة وتقليد . لذلك لم يبرز في تلك الحقبة طبيب يشار اليه بالبنان ، وينفرد عن غيره بالشهرة والنبوغ . وهذه نتيجة حتمية لمركز كل العلماء الذين لم يصلوا بعد الى موقع الامتياز في الصنعة . يستثنى من ذلك بعض الاطباء الذين استخدمهم الخليفة معاوية لمآرب خاصة غير طبية . كما ان انشغال بني امية بالفتوحات لاظهار قوميتهم بشكل متميز كان سبباً آخر لم يساعد على انتشار العلوم التطبيقية بين العرب ، فلم تتقدم صناعة الطب الى اكثر مما كان معروفاً عندهم في عصر الخلفاء الراشدين الا بشيء يسير . وقد عرف عن طبيب أو طبيبين برعوا في علم السموم الذي درسوه على الرومان أو في مدرسة جنديسابور ، واستعملوه بأمر من معاوية لقتل اعدائه

ومنافسيه على الحكم . وفيما عدا ذلك كانت عموم معلوماتهم الطبية محصورة فيما له علاقة بحفظ الصحة وقواعد الوقاية من الامراض ، وبعض العمليات البسيطة مثل الكي والحجامة والفصد ، وقلع الاسنان ، والختان وما على مستواها . وهي المعارف التي كانت مألوفة في العصر الجاهلي والراشدي . ويروى ان بدراقس وهو طبيب رومي ، اقتلع بعملية جراحية سلعة (تورم غدّي) من أسفل عين سكينة بنت الحسين[1] ، فعاد وجهها الى ما كان عليه سوى ندبة الجرح[2] ، وهذه العملية مثل من الجراحات التي تدل على ان عامتها يومئذ كانت بمستوى هذه العملية .

ويعتبر أعظم ما حدث في العصر الاموي من الناحية الحضارية هو ترجمة بعض الكتب اليونانية الى اللغة العربية . اذ فتحت هذه الحركة نافذة اشرف منها العلماء العرب لاول مرة ، على ما لدى اليونانيين من معارف لم تكن بعد في افكارهم . وكان أول تلك الكتب التي ترجمت من العلوم التطبيقية التي اقدم عليها المترجمون بدافع من الحاجة الى مضامينها ، أو المتعة في غرابة ما فيها من المعلومات . فترجمت كتب في الكيمياء والطب بطلب من الامير خالد بن يزيد بن معاوية (ابن النديم ـ الفهرست 354) . كما ترجم في خلافة مروان بن الحكم كناش اهرن بن اعين الاسكندراني . وقيل ان هذه الترجمة حفظت في خزائن الخلافة الى ان نشرها بعد ذلك بثلث قرن الخليفة عمر بن عبد العزيز[3] . كذلك استقدم الخليفة عمر صديقه وطبيبه عبد الملك بن ابجر الكناني من مصر ليمارس الطب ويعلمه في انطاكيا[4] ، فكان ذلك أول نقل للمعارف اليونانية الى الاقطار الاسلامية .

---

(1) سكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب من أمها الشاعرة رباب . اشتهرت بندواتها الادبية مع الشعراء امثال جرير والفرزدق وجميل بثينة وكثير عزة ، وبزيجاتها المتعاقبة التي قيل أنها بلغت الخمس أو الست . وكانت ذات اعتداد بحسنها وجمالها وحسن تصفيف شعرها . توفيت في المدينة سنة 117 هـ / 735 م .

(2) الاصفهاني ـ الاغاني 224/2 .

(3) ابن جلجل ـ طبقات الاطباء ص 161 ، القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 324-325 ، ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 232-234 .

(4) اقرأ عن خالد بن يزيد بن معاوية في الفهرست لابن النديم ص 354 ، البيان والتبيين للجاحظ 178/1 ، الوفيات لابن خلكان 168/1 ، التهذيب لابن عساكر 116/5 ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص 1254 .

أطباء العصر الاموي

خالد بن يزيد بن معاوية
ابو الحكم الدمشقي
الحكم الدمشقي
ابن الحكم الدمشقي
تياذوق
فرات بن شحناتا
ياسرجويه البصري
عبد الملك بن ابجر الكناني

زينب بن أود

معلوماتنا عن أطباء العصر الاموي ، فيما يخص أعمالهم في الطب ، نزرة وتعتمد على مصادر موجزة ، وفي بعضها كثير من الغموض . وعدد الاطباء الذين نعرفهم في هذه الحقبة قليل جداً . وليس من المعقول أن لا يكون في أقطار هذه الخلافة التي تمتد من شواطىء المحيط الاطلسي غرباً الى حدود الصين مع الهند وفارس شرقاً ، إلا بضعة اطباء في دمشق ، وواحد او اثنان في الكوفة ، وواحد في البصرة ، وواحد في انطاكيا ، ثم لا نعرف طبيباً واحداً في الاندلس أو المغرب أو تونس أو بلاد العجم . وجهلنا بأسماء الاطباء في تلك الاقطار لا يدل على كل حال على عدم وجود أطباء هناك ، فلا بد إن كان في نيسابور وفي جنديسابور وطبرستان بعض من بني بختيشوع ، أو من آل ربن الطبري . كما نعلم أن كلا من نصارى الاندلس ، وتونس كانوا يقرأون كتاباً بأسم ابريشيم او الافروشيم الذي هو دون شك كتاب الافورزم (الفصول) لابقراط بلغة الناس التي تقرأه هناك . كما لا نشك ان اولئك القراء ، او قسماً منهم على الاقل ، كانوا من ذوي المهن الطبية بمرتبة من مراتبها العلمية . وربما يرجع انطماس اسماء اولئك الاطباء في ذلك العصر الى ضعف مكانتهم في الصناعة الطبية التي يحتاج التمرس بها إلى تجربة واسعة لا يكفيها جيل أو جيلان من أعمار ممارسيها ، اضافة الى ان هذه المهنة بمركزها التاريخي العتيد وطبيعة علومها ، طارئة على العقل العربي في ذلك الزمان ، ولم يمارسها إلا بضعة من الاطباء الذين لم يعملوا فيها إلا بقدر ما يكفي للكسب المادي دون المنافسة العلمية . ولولا علاقة الاطباء الذين نعرفهم بشخصيات بني امية لما عرفنا عنهم شيئاً . أما من برز في ممارسة الصنعة

كأبن الحكم الدمشقي الملقب بمسيح ، وتياذوق طبيب الحجاج ، فقد خلدتهما الكتب التي ألفوها في مهنتهم .

ويلاحظ ان عموم الاطباء الذين عرفناهم في العصر الاموي كانوا من ملة النصارى ، وأكثرهم من الاروام . وقد يكون مرجع ذلك الى عراقة المسيحيين باللغة اليونانية ، واختلاطهم المبكر بأطباء روم الشام الذين سبقوا المسلمين في الاقبال على تعلم العلوم الطبيعية والطبية . وإذ لم يكن قد ترجمت بعد ، الكتب اليونانية إلى العربية ، فلا بد ان الاطباء الدمشقيين قد تعلموا الصنعة على الاطباء الاروام مباشرة ، أو على قراءة كتب الاطباء البيزنطيين المتأخرين ، او انهم درسوها في مدرسة جنديسابور ، أو على رهبان الاديرة . وهناك إحتمال كبير في ان أبا الحكم الدمشقي وبنيه الذين اشتهروا بالتقوى والورع ، قد كانوا أيضاً من تلاميذ مدارس الاديرة التي أشرنا إليها . وكانت من ابرز الاسر التي امتهنت الطب في العصر الاموي ، أو كانت الاسرة الوحيدة ، هي الاسرة المذكورة التي كان منها ثلاثة أطباء ، لهم اسم واحد مع اختلاف في الكنى . كما ينسب كل واحد منهم الى دمشق حيث نشأت الاسرة ، وهؤلاء هم الاب ابو الحكم الدمشقي ، والابن الحكم الدمشقي ، والحفيد ابن الحكم الدمشقي . وكل منهم على قدر كبير من الاخلاق الفاضلة والسلوك المهني الحسن ، والتجربة الواسعة في الطب . وقد عمرّ ثلاثتهم طويلاً ، وتجاوز اثنان منهم المائة سنة . وربما كان الحفيد ابن الحكم أعلمهم جميعاً ، وهو اشهرهم في الطب أيضاً . ولكي يستقيم تسلسل ابناء هذه العائلة سنتكلم عنهم جميعاً في هذا الفصل بالرغم من أن ابن الحكم لم يدرك كثيراً من العصر الاموي ، وكانت جل حياته في أيام العصر العباسي .

1 ـ خالد بن يزيد بن معاوية

لا يصح اعتبار خالد بن يزيد بن معاوية من الاطباء دون تحفظ ، كما لا يصح عدم الحاقه بمن اشتغل بعلوم مهنة تلك الفئة . قال عنه ابن النديم : (انه عني باخراج كتب القدماء في الصنعة وأول من ترجمت له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء)[5] . وقال عنه ابن خلكان ان (له كلام في صناعة الكيمياء والطب ، وكان

---

(5) ابن النديم ص 354 .

بصيرا بهذين العلمين متقناً لهما)[6] . ونفهم من النصين المذكورين ان الامير خالداً كان أول أموي ، وربما أول واحد من العرب قاطبة ، التفت الى دراسة الكيمياء ، واستعان بمن يعرف لغة كتبها على نقلها إلى العربية . كان من هؤلاء اسطانيس الرومي الاسكندراني واصطيفن القديم (ابن النديم 418 - 419) وذكر كل من الشهرزوري (نزهة الارواح 21/2) والبيهقي (فلاسفة الاسلام ص 39) ان الامير خالد بن يزيد قد درس الطب على يحيى النحوي الديلمي . وبالرغم من كل الشهادات التي ذكرناها عن دراسة الامير المذكور للطب ، فإنه لا يعرف ان الامير خالداً قد مارس هذه الصناعة أو كتب فيها مثلما عرف بأعماله في صناعة الكيمياء ، فقد اشتهر بهذه الصنعة ودخل عن طريقها في تاريخ العلوم التطبيقية عند العرب[7] وتزايدت عند خالد دراسة الكيمياء بعد ان التقى بالكيمياوي مريانوس ، وهو راهب رومي من مواطني القدس ، استضافه الامير في قصره بحمص وقيل في الاسكندرية . وكانت دراسة الكيمياء يومئذ مقصورة على طبقة من الناس ، ولا يحصل احد عليها من شيوخ الصنعة إلا من كان تقياً يخاف الله واميناً على أسرار علومها[8] . وكان خالد شهماً وحكيماً وذا نزعة شعرية وفنية . وقد لقب لذلك بحكيم آل مروان . كما قال عنه عمر بن عبد العزيز (ما ولدت امية مثل خالد) . فرأى مريانوس ان الامير خالداً كفوء لتعلم الصناعة فأطلعه على أسرارها وكشف له عن خفاياها . وقد وضع خالد رسالة ضمنها ما دار بينه وبين معلمه في ذلك اللقاء[9] . توفي خالد بن يزيد سنة 85 هـ / 704م وله من المؤلفات[10] :

---

(6) ابن خلكان 224/2 .

(7) ينفي الدوميلي في كتابه تأريخ العلوم عند العرب (ص 99) ان يكون خالد بن يزيد عالماً بالكيمياء أو الطب . ويعتقد ان شهرته بالكيمياء لا أساس لها من الواقع ، وأكثر الاحتمال أن الدوميلي قد تأثر بابن خلدون الذي سبقه الى هذا الرأي . وكلاهما ليسا على حق ، فان ابن النديم المتوفى سنة 438 هـ ـ 1074م وابن خلكان المتوفي سنة 681هـ / 1283م ، وغيرهما كثيرون قد أكدوا على اشتغال خالد بن يزيد بالكيمياء وتنطسه بها . وهؤلاء الشهود هم بأي حال اقدم عهداً من ابن خلدون المتوفى سنة 809 هـ / 1406م واكثر الاحتمال ان علمهم بأخبار خالد بن يزيد اوثق .

(8) ديوان خالد بن يزيد ص 5 (المكتبة الظاهرية بدمشق) .

(9) ابن خلكان 224/2 . ويذكر صاحب كشف الظنون (ص 1784) رسالة بمناسبة هذه المقابلة ، بعنوان : مقالة مريانوس الراهب لخالد بن يزيد في الكيمياء . أما ابن خلدون فيعتقد ان من نتكلم عنه هو غير الامير خالد بن يزيد ' (952/1)

(1) كتاب الحرارات (2) كتاب الصحيفة الكبير (3) كتاب الصحيفة الصغير (4) وصيته لابنه بكتاب عن الصناعة (5) كتاب السر البديع في فك الرمز المنيع . وتعتبر هذه الكتب الخمسة من المفقودات (6) رسالة في الكيمياء ـ مخطوطتها في مكتبة راميور (7) رسائل خالد لمريانوس الراهب ، ومخطوطتها بمكتبة شهيد علي (8) اختبارات خالد ، وهو ديوان شعر في الكيمياء ، ومخطوطته بمكتبة لالـلي (9) ديوان النجوم ومخطوطته بمكتبة كوبرلي ، وجار الله ، والاب انستاس الكرملي ببغداد ، والمكتبة الظاهرية بدمشق (10) فردوس الحكمة في الكيمياء ، ومخطوطة منه في بيروت والاخرى بالقاهرة . وهناك ما يدعو الى الظن ان بعض هذه الكتب منحولة على المؤلف .

2 ـ ابو الحكم الدمشقي[11]

زامن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41 - 60 هـ / 661 - 680م) ، وعمل في بلاطه بتركيب الادوية ، وقيل ان الخليفة استغله لمآرب خاصة غير طبية ، ربما كانت في تحضير السموم ، إلا ان هذه المعيبة لم تثبتها المراجع عليه . كما خدم ابو الحكم يزيد بن معاوية أميراً وخليفة . وخدم ايضاً كلا من الخليفة عبد الملك بن مروان وحضر وفاته سنة 86 هـ / 705م ، وابنه الوليد بن عبد الملك المتوفى سنة 96 هـ ـ 715م ، والارجح أنه توفى اثناء حكمه ، وكان قد طعن في السن ، وزاد عمره على المائة سنة ولم تعرف له مؤلفات في الطب .

3 ـ الحكم الدمشقي[12]

كان مثل أبيه دمث الخلق ، ومتمكناً من الصنعة ، وتروى عنه أخبار تدل على ذهنية علمية في معالجة المرضى . عاش نحو مائة وخمس سنوات ، ويقول عنه ابنه عيسى بن الحكم : انه مع ذلك لم يتغير عقله ولم ينقص علمه[13] . ادرك حكم

---

(10) قائمة مؤلفات خالد بن يزيد في الفهرست ص 354 . والادب العربي لبروكلمان 1/262-263 .

(11) اقرأ عن ابي الحكم الدمشقي في تاريخ الحكماء ص 404 . والعيون ص 174-175 .

(12) اقرأ عن الحكم الدمشقي في تاريخ الحكماء ص 178-179 . والعيون ص 176-177 .

(13) ابن ابي أصيبعة ص 176 .

العباسيين في ثلثي عمره الاخير وتوفي في أيام المأمون سنة 210 هـ / 805م في خلافة المأمون ، ولم يترك عملاً مكتوباً .

4 ـ ابن الحكم الدمشقي[14]

اسمه عيسى ويكنى بأبي الحسن . وكان متديناً بنزعة كهنوتية ويحتمل انه لهذا السبب لقب (مسيح) ، واشتهر بهذا الاسم وحده في التراثيات الطبية . عاش أكثر عمره في أيام دولة العباسيين ، وخدم هارون الرشيد ، وعالج جاريته مصفى المشهورة باسم غضيض[15] ، من قولنج توفيت به[16] .

توفي مسيح بحدود سنة 225 هـ / 839م الموافقة لحكم المعتصم بالله ، فهو على هذا من أطباء العصر العباسي أكثر مما هو من العصر الاموي . وكان كغيره من اطباء ذلك العصر ، يعتمد كثيراً على العلاجات الطبيعية وعلى اختيار الاطعمة النافعة واجتناب الضارة منها . من أقواله في الطب (لا تذق القديد ، ولا تغسل يديك ورجليك عند خروجك من الحمام أبداً بماء بارد ، أبرد ما يمكنك) وله من المؤلفات :

(1) كتاب في منافع الحيوان .

(2) الرسالة الكافية الهارونية ـ ومخطوطتها بمكتبة باريس ، والزيتونة ، ورامبور ، وكمبرج والفاتيكان .

(3) رسالة في الاعشاب والعقاقير ، (مكتبة كتاني) .

---

(14) اقرأ عن ابن الحكم الدمشقي في الفهرست ص 297 ، وطبقات الامم لابن صاعد الاندلسي ص 37 ، وتاريخ الحكماء ص 249-250 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 177-178 . و

Leclerc-Arab. Medicine, 1/84

Sezgin-Gas. 3/227-228,

Brockelmann, S.I., 416. Ullmann. Mediz. Islam. P. 112.

(15) غضيض ـ في تاريخ الطبري اسمها قصف (بفتح القاف وكسر الصاد) ويحتمل أن يكون هذا الاسم تصحيفاً لمصفى الذي هو اسمها ، وهي أم حمدونة من هارون الرشيد . ورد ذكرها في حوادث سنة 210 هـ بكتاب الطبري ، وتاريخ بغداد للبغدادي 392/3 ، وفي كتاب نساء الخلفاء لابن الساعي (تحقيق مصطفى جواد) ص 53 .

(16) ابن ابي اصيبعة ص 177 .

(4) الكناش الياقوتة (مكتبة حكيم بحلب) ـ ذكره الرازي في علاج الربو (الحاوي 36/4) وعلاج الشوصة (ح 187/4) ، وعلاج رطوبة المعدة (ح 85/5) والفواق (ح 177/5) وتقلب المعدة (ح 218/5) واضطرابات الامعاء (ح 189/6) . وفي ادوية خفقان القلب (ح 36,35,34/7) وفي اليرقان من الكبد (159/7) وفي الادوية المدرة للحبن (ح 231/7) وفي فوائد اللبن الرائب للدق وضعف المعدة والاسهال (ح 274/7) وعلاج مغس المرار (ح 57/8) ونفخ البطن (ح 154/8) وفي ادوية اختناق الرحم وميله (ح 69/9) وفي طرق منع الحبل (ح 146/9) وفي ادوية قرحة المثانة (ح 45/10) والادوية التي تفت الحصى (ح 31/10) وفي مداواة الباه (ح 286/10) ومداواة البواسير (ح 62/11) ووجع الظهر (ح 247/11) وغير ذلك . كما أخذ عن هذا الكناش ابن البيطار في كتابه مفردات الادوية .

5 ـ ابن آثال[17]

والمتطبب ابن آثال نصراني آخر ومن طراز غير طراز بني الحكم الدمشقي ، لا في سعة ممارساتهم الطبية ولا في آدابها ، مع أنهم جميعاً (على الارجح) درسوا في مدرسة واحدة هي مدرسة جنديسابور المعروفة بتعصبها لتقاليد الصنعة وآدابها . رجع ابن آثال الى دمشق والتحق بحاشية الخليفة معاوية (41-60 هـ / 661-680م) فأرتاح الخليفة الى منادمته ووثق بطبه وركن الى فطنته . ويتهمه بعض المؤرخين بأنه استعمل السم وقتل بعض اعداء الخليفة ويقال أن معاوية من فرط اعتماده عليه ولاه مدينة حمص جزاء خدماته له . وسواء كان هذا الخبر صحيحاً أو مختلقاً فإنه يظهر مكانة ابن آثال لدى الخليفة معاوية .

6 ـ تياذوق[18]

احد الاطباء الاروام بدمشق ، وربما اقدرهم جميعاً في ممارسة الصنعة . وكان

---

(17) اقرأ عن ابن اثال في العيون ص 171-175

Leclerc, 1/86.

Sezgin, 3/204-205.

(18) اقرأ عن تياذوق في الفهرست ص 303 ، والعيون ص 179-181 ، واخبار الحكماء ص 105 و

كـريم الخلق لطيف العشـرة ، سريـع الخاطـر والجواب ، وواسـع الخبرة في الـطب . استطبه الحجـاج بن يوسف الثقفي[19] فلمس منـه صدقاً ودراية وحـذقاً في الصنعـة ، فالحقه بمجلسه واعتمده طبيباً له في الكوفة .

وتذكر لتياذوق ملح تدل على بديهيته الحاضرة ، وخفة روحه ، وحلاوة مجلسه . سأله الحجاج ذات يوم : اي شيء دواء اكل الطين ، وكان الحجاج مولعاً بأكل الـطين الارمني ، فيسبب له اسهالاً وألماً معوياً ، فأجابه تياذوق على الفـور : عزيمـة مثلك ايها الامير ، فانقطع الحجاج من يومها عن أكل الطين ولم يعد يشكو من الاسهال .

وشكى الحجاج يوماً من صداع ، فأشار عليه تياذوق بغمس قدميه في ماء حار . وكان خصي الحجاج قائماً آنذاك على الخدمة الى جانب الحجاج ، فقال : والله ما رأيت طبيباً اقل معرفة بالطب منك يا تياذوق ! يشكو الامير من الصداع في رأسـه فتصف له دواء لقـدميه . فقـال تياذوق : عـلامة مـا فيك بينـة ، نزعت خصيتـاك فذهب شعـر لحيتك[20] . ولا بد ان الناس عامة ، لا الاطباء وحدهم كانوا يومئذ يعرفـون العلاقـة غير المنظورة بين نبت الشعر والخصية .

كانت جل معلومـات تياذوق في القـواعد الصحيـة ، والوقـائية من الامـراض . ويعتمد في معالجاته البسيطة على الوسائل الطبيعية بالتمسيد ، والحمامات ، والفصد ، واستفراغ فضلات البدن بالمقيئات ، والمسهلات ، والجماع ونحو ذلـك . وأغلب هذه الوسائل من المعارف الصحية العامة التي كان يمارسها العرب منذ قـديم الزمـان . على

= Leclerc 1/82-83

Sezgin 3/207-208.

(19) الحجاج بن يوسف الثقفي ـ احد مشاهير الولاة والقواد في العصر الاموي ولد بالـطائف سنة 40 هـ /660 م وانتقل الى الشام في خدمة المروانيين من بني أمية . قاتل مصعب بن الزبير ، وعبد الله بن الزبير في مكة ، وضرب هذه المدينة بالمنجنيق واستولى عليها وقتل ابن الزبير . في سنة 75 هـ ولاه عبد الملك بن مروان على العراق وفيه حارب الخوارج . كما حارب ابن الاشعث الذي ثار على الخليفة عبد الملك . وكان المهلب بن ابي صفرة ساعده الايمن بهذه الحروب . ينسب الى الحجاج بناء مدينة واسط التي توفي بها سنة 95 هـ / 714م . ويقال ان الحجاج ولد بلا فتحة لمقعده .

(20) وردت مثل هذه القصة ، عن احد الملوك لا عن الحجاج في (المستطرف للابشيهي 295/2)

ان تياذوق كان بنفس الوقت ملما بمعارف من الطب اليوناني غير قليلة . وفيما يلي بعض من أقواله في الطب الوقائي[21] :

* اربعة تهدم العمر ، وربما قتلن : دخول الحمام على البطنة ، والمجامعة على الامتلاء ، وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق ، وما مجامعة العجوز ببعيدة منهن .

ونصح تياذوق سيده الحجاج ذات مرة قائلاً :

لا تأكلن حتى تجوع ، ولا تتكارهن على الجماع ، ولا تحبس البول ، وخذ من الحمام قبل ان يأخذ منك .

وسأله الحجاج عن جوامع الطب فأجابه :

لا تنكح الا فتاة ، ولا تأكل من اللحم الا فتياً ، وإذا تغديت فنم ، وإذا تعشيت فأمش ولو على الشوك . ولا تدخل بطنك طعاماً حتى تستمرىء ما في جوفك ، ولا تأوى الى فراشك حتى تدخل الخلاء ، وكل الفاكهة في إقبالها ووفرها في أدبارها .

واستنصح احد الملوك تياذوق في الصحة فأجابه :

* لا تأكل طعاماً وفي معدتك طعام .

* لا تأكل ما يضعف اسنانك على مضغه ، فتضعف معدتك عن هضمه .

* لا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين . فإن اصل الداء التخمة . وأصل التخمة الماء على الطعام .

* عليك ان تدخل الحمام في كل يومين مرة ، فإنه يخرج من جسدك ما لا يصل اليه الدواء .

* لا تحبس البول وإن كنت راكباً .

* عليك في كل فصل قيئة ومسهلة .

---

(21) ابن ابي أصيبعة ص 179-180 .

* اعرض نفسك الى الخلاء قبل نومك .

* لا تكثر الجماع فانه يقتبس من نار الحياة ، فليكثر أو يقل . ولا تجامع العجوز فإنه يورث الموت الفجأة .

كما رويت وصية عن تياذوق وهو على فراش الموت ، قال :

* لا تشربن دواء حتى تحتاج اليه .

* لا تأكل طعاماً وفي جوفك طعام .

* واذا اكلت فامش أربعين خطوة .

* واذا امتلأت من الطعام فنم على جنبك الايسر .

* لا تأكل الفاكهة وهي مولّية .

ومؤلفات تياذوق هي :

(1) كناش ـ وهو اضخم كتبه . وضعه لابنه وكان هذا احد تلاميذه . بحث فيه مواضيع طبية شتى ذكر منها بعض ما يخص امراض المعدة (الحاوي 185,94,56/5 و28/7) وأمراض الرئة وذات الجنب (ح 167,53/4) ، (ح 177/6 و159,4/11) والقولنج (ح 129/8) والايلاوس (ح 154/8) وفي علاج المشيمة المنحبسة في الرحم (ح 134/9) وأمراض الطحال والكبد (ح 297/7) وغير ذلك .

(2) كتاب ابدال الادوية وكيفية دقها واذابتها .

(3) قصيدة في حفظ الصحة ومخطوطتها بمكتبة شيراز بطهران .

(4) الفصول في الطب .

7 ـ فرات بن شحناثا[22]

يهودي ، ومن أبرز تلاميذ تياذوق ، وأقربهم اليه . اتقن المهنة على استاذه ، وخدم بعد وفاته الحجاج ، وعاش حتى خلافة ابي جعفر المنصور ، وخدم ولي عهده

(22) اقرأ عن فرات بن شحناثا في تاريخ الحكماء للقفطي ص 255-256 .

عيسى بن موسى الى جانب طبيبه موسى بن اسرائيل الكوفي[23] المتوفى سنة 222 هـ / 836 م .

8 ـ ماسرجويه البصري[24]

يسمى ايضاً ماسرجيس . هو يهودي من اصل فارسي . ويحتمل كثيراً أنه درس الطب في مدرسة جنديسابور ثم استوطن البصرة . وعاش وعمل فيها في أيام الخلفاء المروانيين الأمويين . وكان يجيد اللغة السريانية بالاضافة الى العربية . وهو الذي ترجم في أيام مروان بن الحكم كناش اهرن بن أعين من تلك اللغة إلى العربية . إلا أن هذه الترجمة قد حفظت في خزائن الدولة الى ايام الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت 101 هـ / 710م) ، فأجاز نشرها ليستفيد منها الناس بعد ان استشار الله وعرف ان ليس فيها ما يخالف شريعة الاسلام (طبقات ابن جلجل ص 61) . وتعتبر ترجمة كناش اهرن بن اعين أول حركة مهمة في ترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية ، إلا أن هذه الحركة لم تستمر ، ولم تبعث من جديد إلا في صدر الخلافة العباسية ، كما سنرى فيما يأتي .

كان ماسرجويه طبيباً ناجحاً ، ويتعامل مع المرضى بالاحسان والمروءة . وله من المؤلفات :

---

(23) اقرأ عن موسى بن اسرائيل الكوفي في ابن ابي أصيبعة ص 230-232 .

(24) اقرأ عن ماسرجويه في طبقات ابن جلجل ص 61 ، والفهرست ص 297 ، وطبقات ابن صاعد ص 88 ، وتاريخ الحكماء للقفطي ص 324-326 . وابن العبري ص 192-193 .

Leclerc, 1/79-81.

Sezgin, 3/206-209.

Meyerhof-Isis, 12 (1929) P. 115-116, 28 (1938) P. 433-437.

وينقل اوليري (مسالك الثقافة اليونانية الى العرب ص 52) ان كتب اهرن بن أعين وهي مكتوبة باليونانية ، قد نقلت الى اللغة السريانية بقلم جاسيوس والكناش الذي ترجمه ماسرجويه البصري الى العربية كان احد كتبه التي وجدت باللغة السريانية . وبأي حال كانت ترجمة ماسرجويه المذكورة من السريانية لا من اليونانية ، اي ان ماسرجويه لم يكن على أكثر الاحتمال يتقن اليونانية كما ذكر بثقة بعض الكتاب المعاصرين ، أو كان يعرفها بضعف

(1) كنـاش ـ صار من مصـادر كتب أبي بكر الـرازي الذي كـان يشير اليـه في كتاب الحاوي باسم اليهودي[25] . وقد ورد ذكر اسمه (اليهـودي) في هذا الكتـاب أكثر من مائة وثلاثين مرة . كان منها ما أخـذه عن كناشـه في أسباب السـدر ، وأورام الحجاب الحاجز وعلاماتها ، وصلابـة الكبد والـطحال ، واختنـاق الرحم ، وأوجـاع الحيض ، واضـطرابات المعـدة ، وأمراض القلب ، وأمـراض القولـون وتشخيصهـا وغـير ذلـك كثير .

(2) كتاب أبدال الادوية وما يقوم مقامها (أيا صوفيا) .

9 ـ عبد الملك بن ابجر الكناني[26]

كان هذا الطبيب العربي نصرانياً يعلم الطب في مدرسة الاسكندريـة[27] . وأكثر الاحتمال أنه تعلم الطب في هذه المدرسة . ومما يذكر عنه أنـه اتصل بـالامير عمـر بن عبد العزيز حين كان مع أبيه الوالي يومئذ على مصر ، وصار يفحص بـوله ويعـالجه اذا مرض . كما يذكر أنـه اسلم على يـده . فلما ارتقى عمر الى سـدة الخلافـة الامويـة في دمشق سنة 99 هـ / 717م استدعى صديقه وطبيبه ابن ابجر الكنـاني وعينه في انـطاكيا ليمارس الطب ويعلمه فيها[28] . وفي انطاكيا اختفى أثره بالنسبة للمتتبعين لاخباره .

---

(25) ابن ابي أصيبعة ص 232 .

(26) اقرأ عن ابن ابجر الكناني في طبقات ابن جلجل ص 59 ، وطبقات تهذيب ابن صاعـد ص 48 والعيون لابن ابي أصيبعة ص 171 . ويذكر العسقلاني في تهذيب التهذيب (6/394-395) ان عبد الملك بن ابجر (هو سعيد بن حيان بن ابجر الهمداني ويقال الكوفي ؟)

(27) ابن ابي أصيبعة ص 171 ، التراث الاسلامي ص 64-67 .

(28) المصدر السابق . ويستبعد مايرهوف (تراث الاسلام ص 68) ان يستقدم عمر بن عبد العزيـز الخليفة ، عبد الملك بن ابجر الكناني الى انطاكيا أو الى حران ليعلم الطب فيهما . وبنى مايرهوف رأيه هذا على كون الخليفة عمر لا يهتم بالامور الدنيوية كالطب ، وأنه كان زاهداً في الدنيا فتفرغ للامور الدينية وحدها . ويبدو لنا رأي مايرهوف غريباً إذا تذكرنا ان الخليفة سبق ان سمح بنشر كناش اهرن بن اعين الذي كان قد احتفظ به سلف عمر بن عبد العزيز من خلفاء بني امية خوفاً من أن يكون فيه ما يعارض الشريعة الاسلامية . كما ان ابن ابجر كان صديق عمر بن عبد العزيز حين كان عمر بصحبة ابيه في مصر ، وكان طبيبه ويفحص بوله اذا مرض . افلا يفسر كل هـذا إهتمـام الخليفة عمـر بشؤون الطب ، وسبب استـدعائـه لابن ابجر بـالذات ليمـارس الطب في =

وفي كتب التراجم معلومات مضطربة عن نسب عبد الملك بن ابجر الكناني ، وتاريخ حياته ، فنسبه البعض الى بني فراس من كنانة الكوفة[29] الذين كانوا يمارسون الطب فيها . كما نسبه البعض الآخر الى كنانة الرها وحران إعتماداً على كون (ابجر) من الاسماء المألوفة بين كنانة تلك الديار . وأهم من كل ذلك أن نذكر ان عمر بن عبد العزيز الذي استدعى ابن ابجر ليعمل في انطاكيا وحران ويبعث فيهما حركة في الممارسة الطبية وتعليمها ، قد سبق أن أمر بنشر ترجمة ماسرجويه لكناش أهرن بن أعين إلى العربية ، وهو أمر يثير الانتباه ، لان هذا الخليفة الورع رغم انقطاعه الى الامور الدينية والعدل في الاحكام ، لم يغفل الاهتمام بالعلوم الطبية ، فكان بإشارة منه أن عمل كل من أبجر الكناني وماسرجويه في هذا الحقل الفني الواسع . فقام ماسرجويه بترجمة ونشر الكتب الطبية وقام ابن ابجر بممارستها وتعليمها . وأي من الحركتين بادرة ضخمة في الحضارة العربية .

ويعتقد بعض المؤرخين ان ابن ابجر لم يكن طبيباً فحسب ، بل كان أيضاً فيلسوفاً وكيمياوياً[30] ، وانه علّم في مدرسة الاسكندرية . وكان من تلاميذه فيها الراهب مريانوس الذي تتلمذ عليه خالد بن يزيد واخذ عنه في صناعة الكيمياء . ومصدر هذا الاعتقاد كتاب لاتيني منقول عن كتاب عربي للراهب المذكور نفسه . وكان اسم ابجر في ذلك المصدر ادفر تحريفاً[31] .

من حكم ابن ابجر في الطب قوله : دع الدواء ما احتمل بدنك الداء . وهو

= انطاكيا ؟ ولابن ابجر خبرة في تعليم الطب ، إذ مارسه في مدرسة الاسكندرية ، وربما استقدمه الخليفة الى انطاكيا او حران لا الى دمشق حيث قاعدة الخلافة ، لاحتمال وجود مدرسة طبية ، أو بقايا مدرسة سابقة في المدينتين المذكورتين . ومما يسند هذا الاحتمال هو كون كل من هاتين المدينتين ذات تاريخ معروف في تدريس العلوم الطبيعية . وهناك من ينفي احتمال إقامة مدرسة في انطاكيا بمعلم واحد هو ابن ابجر الكناني أو غيره وهذا أيضاً رأي مردود ، ذلك لان المدارس بأنواعها الى ذلك الوقت والى ما بعد ذلك بعشرات من السنين ، لم يكن فيها أكثر من معلم واحد وبضعة تلاميذ ، لا أكثر .

(29) طبقات ابن جلجل (حاشية المحقق) ص 59-60 .

(30) المصدر السابق .

(31) المصدر السابق .

تقليد للحديث الشريف : سر بدائك ما حملك . كما تنسب اليه ما نسب الى الحارث بن كلدة الثقفي قوله : البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد . والشطر الاول من هذه الحكمة مأخوذ أيضاً من الحديث الشريف : المعدة بيت الداء والحمية أساس كل دواء ، ولابن ابجر ايضاً : المعدة حوض الجسد ، والمصروف فيه . فما ورد إليها بصحة صدر بصحة ، وما ورد بسقم صدر بسقم .

10 ـ زينب بني أود

هذه الطبيبة من قبيلة أود كهلان القحطانية ، أو من باهلة العدنانية . ذكرها ابن أبي اصيبعة (العيون ص 181)، مع جملة الاطباء الذين ظهروا في صدر الاسلام . واشتهرت بأعمال الطب الجراحي وأمراض العين ولم تعرف تفاصيل أعمالها ولا سنة وفاتها .

المستشفيات[1] في العصر الاموي[2]

إن الحكام الامويون أول من انشأ المستشفيات النظامية ، من العرب . ولا شك في ان بيمارستاني جنديسابور والاسكندرية هما اللتان أوحتا الى أولئك الحكام بهذه الفكرة . وربما كان معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء مبادرة في هذا المضمار[3] .

---

(1) ان فكرة تجميع المرضى في مكان واحد حيث تتوفر فيه الراحة للمرضى وسهولة العمل للفنيين ، وتطبيق العلاجات على الوجه الصحيح ، فكرة قديمة . ويجوز اعتبار (معابد الاسقلبيون) حوالي القرن السابع ق . م . وقبل ذلك) في اليونان أول أشكال المستشفيات التي انشأها الانسان . ويروى ان ابقراط (منتصف القرن الرابع ق . م) قد جعل من الحديقة الملصقة بداره مكاناً أوى اليه المرضى للراحة والمعالجة باسم اخسندوقين (ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 47) فكان ذلك المكان أول مستشفى نمطي عرف في تاريخ الطب . وانتشر استحداث المستشفيات بعد ابقراط . وتطور اسلوب العمل فيها كما تطورت هندسة عمارتها لتلائم نوعية العمل وراحة المرضى . ولروفس الافسي (حدود سنة 70 م) كتاب في العمل بالمستشفى نستدل منه على أن المستشفيات في عهده قد كثر عددها وإنها صارت تسبب بعض المشاكل الادارية أو الفنية فتقدم هذا الطبيب اليوناني بآراء لحلول تلك المشاكل ونقدر أن المستشفيات التي انشئت في زمن متأخر بكل من الاسكندرية ، وانطاكيا وجنديسابور كانت على مستويات عالية من الوجهة العمرانية والادارية والفنية . فنقل الاطباء الذين هربوا الى فارس من مضايقات الكنيسة البيزنطية ، نماذج تلك المستشفيات لبناء بيمارستان جنديسابور التي كانت اثناء حكم الامويين ليس لها مثيل بين مستشفيات المشرق والمغرب . واوحت تلك المستشفيات بمجموعها للحكام الامويين بحاجة البلاد الى مستشفيات اخرى لتسد حاجة المرضى اليها .

(2) اقرأ عن هذا الموضوع في تاريخ البيمارستانات في الاسلام لاحمد عيسى بك

(3) القلقشندي صبح الاعشى 431/1 والخطط المقريزية 405/2 .

والمؤكد لدينا أن الوليد بن عبد الملك (86 - 96 هـ / 705 - 715م) كان اول من ابتنى مستشفى نمطياً بحسب متطلبات العلاج والراحة للمرضى وحجر المصابين بالجذام[4] ونذكر فيما يلي المستشفيات التي كانت معروفة في أيام الامويين .

1 ـ البيمارستان الصغير بدمشق[5]

هذا أقدم بيمارستان عرف في عاصمة الامويين دمشق . وتنسب عمارته الى الخليفة معاوية بن أبي سفيان المتوفى سنة 60 هـ / 683م . وكان مكانه تحت المئذنة الغربية في الجامع الاموي . ومعلوماتنا عن هذا البيمارستان قليلة جداً . ولم يشهد له المؤرخون المتأخرون أثراً .

2 ـ بيمارستان الوليد بن عبد الملك بدمشق[6]

يعتبر الوليد بن عبد الملك المتوفى سنة 96 هـ / 715م أول من بنى المستشفيات في الاسلام ، وكان ذلك في سنة 88 هـ / 707م . وإذ أن الوليد قد بنى عمارة هذا المستشفى خصيصاً لغرض الاستشفاء ، فلا بد أن تكون قد هندست عمارتها كما يتطلبه نوع العمل وراحة المرضى ، وعلى نمط البيمارستانات في سوريا والاسكندرية وجنديسابور إن لم يكن أفضل منها . وقد بنى الوليد بن عبد الملك هذا المستشفى للمجذومين في الدرجة الاولى ، وأمر بحبسهم فيها لئلا يختلطوا بالناس وينشروا المرض فيما بينهم ، واجرى على العميان الذين فيها الارزاق[7] ، وجعل لكل واحد

---

(4) الجذام ـ مرض معروف . نحت اسمه من الجذم اي القطع . لان هذا المرض يسبب قطع الاصابع والأطراف والنسل فسمي على هذا المعنى . والمرض معروف منذ أقدم الازمان . فقد عرفه البابليون (Carrison P. 164) وتفشى بشمال اوربا في القرن السادس والسابع الميلادي ، ووصل ذروته في الشراسة في القرن الثالث عشر . ويذكر ان هذا المرض وصل الى الشرق بواسطة الصليبيين وهذا غير صحيح لانه كان موجوداً في الشرق قبل ذلك الزمان . وقد ذكرنا آنفاً أن الوليد بن عبد الملك الاموي قد بنى المستشفى المعروف باسمه من اجل المجذومين .

(5) احمد عيسى بك ـ البيمارستانات في الاسلام ص 205 .

(6) المصدر السابق ص 213 . والشطي ـ تاريخ الطب العربي عن ابن دقماق ـ الانتصار لواسطة عقد الامصار ج 99/4 .

(7) المقريزي ـ الخطط المقريزية 431, 405/2 . والقلقشندي ـ صبح الاعشى 431/1 .

منهم دليلا[8] . وسواء كانت فكرة المجذمة قد انحدرت الى الوليد بن عبد الملك من مجذمة ارمينيا (270 م) او مجذمة فرنسا (460م [9] ، أو كانت فكرة من خالص تفكيره ، فللوليد فضل كبير في هذا الميدان الانساني . كما نفهم من تأسيس هذا البيمارستان تفشي مرض الجذام في البلاذ آنذاك ، ومعرفة الاطباء طبيعته المزمنة القتالة التي لا ينفع فيها دواء[10] .

3 ـ بيمارستان زقاق القناديل [11]

يعتبر هذا البيمارستان اقدم مستشفى في مصر ، وكانٍ مكانه بزقاق القناديل بفسطاط مصر ولا يعرف من انشأه ولا كيف انتهى أمره .

---

(8) المصدر السابق..

(9) الشطي ـ تاريخ الطب ص 16-17 .

(10) ابن سينا ـ القانون 140/3 .

(11) ابن دقماق ـ الانتصار 99/4 .

القسم السادس

الطب في اقطار الخلافة العباسية

(132 - 656 هـ / 749 - 1285م)

نبذة تاريخية وجغرافية . التيارات الاجتماعية والفكرية والسياسية في العصر العباسي . وصول الطب اليوناني الى العرب . الترجمة في العصر العباسي. بيت الحكمة في بغداد . أسلوب الترجمة والمصطلحات الطبية . المترجمون في بيت الحكمة ، وغيرهم من المترجمين . الطب والاطباء في العصر العباسي .



نبذة تاريخية وجغرافية

بعد مقتل الخليفة الاموي مروان بن محمد سنة 132 هـ/749 م، بويع ابو العباس عبدالله بالخلافة باسم القائم بأمر الله ، وأبو العباس من صلب وثيق العلاقة بآل النبي محمد (ﷺ) ، فكلا البيتين من نسل عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (أنظر مخطط النسب فيما تقدم) .

واتخذ الخليفة ابو العباس مقراً له قرب الانبار[1] سماه الهاشمية نسبة الى جده الاكبر هاشم ، وجعله عاصمة لدولته (العباسية) الناشئة ، وأوقع في بني أمية قتلاً وهو يصيح (انا السفاح) فالتصق هذا اللقب به واشتهر[2] . وهرب من سيف السفاح شاب أموي بعمر العشرين هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، واستطاع أن يعبر متخفياً صحارى أفريقيا الى أخواله البربر[3] في المغرب ويؤسس هناك دولة أموية جديدة . وسوف نعود الى الكلام عن هذه الدولة في قسم قادم من هذا الكتاب .

---

(1) الانبار مدينة قديمة على الفرات . افتتحها خالد بن الوليد سنة 12 هـ 634م واتخذ فيها ابو العباس السفاح مقراً لحكمه سماه الهاشمية . وقد توفي فيها بمرض الجدري سنة 137 هـ / 754م (اليعقوبي 434/1) .

(2) الطبري ـ تاريخ الملوك 30/3 .

(3) حتي ـ تاريخ العرب المطول 601/2 ، ابن الاثير 316/5 .

وكانت أسرة برمك[4] المروزية الفارسية ، من أكثر الاسر التي ساهمت في إيصال العباسيين الى الخلافة ، فاستقدم السفاح مكافأة لها ، رئيس اسرتها خالد بن برمك ، ونصبه وزيراً لخزانة الخلافة . ومن ذلك الوقت صار البرامكة يحصلون على أعلى المناصب في الخلافة العباسية الى يوم نكبتهم في زمن هارون الرشيد سنة 187 هـ /803 م .

وفي سنة 145 هـ / 762م اسس الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور ، أخو عبدالله السفاح ، مدينة بغداد[5] على ارض قرية قديمة كانت تعرف عند البابليين باسم (باغ دادو) .

وكان الخليفة ابو جعفر المنصور حازماً وصارماً في تصريف أمور الدولة ، ويعتبر

---

(4) برمك جد البرامكة ـ اصله من (بلخ) خراسان (وكان سادنا لمعهد وثني اسمه نوبهار . وبرمك لقب السادن لا اسمه ، ولا يعتقد أن برمك قد اسلم .

(5) بغداد ـ يتفق المؤرخون على أن في مكان بغداد العباسية كانت قرية صغيرة تعرف باسم (بغداد) يرجع تأريخها الى العهد الاشوري الذي سبق ميلاد المسيح بنحو احد عشر قرناً . وقد وجدت حديثاً آجرات كتب عليها اسم بغداد واسم بختنصر في ابنية مغمورة بمياه دجلة في محلة خضر الياس بالجانب الغربي من بغداد . وإذ احتل الفرس تلك القرية (القرن السادس الميلادي) اعتقد الجغرافيون ان اسم بغداد فارسي الاصل مركب من (بغ) بمعنى اعطى و(داذ ـ بالذال المعجمة اسم صنم وقال مفسرون آخرون ان (باغ) معناها بستان و(داد) اسم رجل . كما قيل ان (داد) و(داذ) مختصر من (داذويه) وهو اسم الرجل الذي يملك ذلك البستان وقال بعض آخر ان اسم بغداد ارامي الأصل اخذ عن (بيت غداد) ومعناها مدينة الغزل والحياكة . وفي العصر المسيحي سكنت القرية قبائل نصرانية ثم اختارها الفرس لعذوبة هوائها ومائها منتجعاً لهم ، وصارت بعدئذٍ سوقاً يبيعون فيه بضائعهم واغنامهم . وفي سنة 13 ت / 634م استولى عليها جنود خالد بن الوليد . وحين اختارها المنصور العباسي ليبني عليها عاصمته كانت تكثر فيها الاديرة وبعض الضواحي التي يسكنها السريان ، منها (براثا) حيث جامع براثا اليوم والمنطقة المعروفة باسم المنطكة ـ بالكاف الفارسية) ، وهي محلة سونايا القديمة وغيرها ولم يعجب المسلمون ان تدعى مدينتهم الجديدة باسم الذي كان يدعى (وادي السلام) . ثم سميت الزوراء لان حدودها كانت (بغداد) لعجمته ووثنيته . فسموها (دار السلام) ، على اسم نهر دجلة مزورة اي دائرية او لان طالعها النجمي كان في برج القوس . كما سميت (المنصورية) ودار الخلافة وغير هذه الاسماء أيضاً . الا ان عموم تلك الاسماء لم تعش طويلاً ورجع الناس يدعونها باسمها القديم ، بغداد (لغة العرب ,392 ,551/2 392-387/1 ، ونصارى بغداد بأبو اسحاق ص 5-21) .

المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس . وهو أيضاً مثل اغلب الخلفاء من بعده يولي الاطباء والمنجمين والشعراء والادباء إهتماماً خاصاً ويعتبرهم من مستلزمات الحكم[6] ، وهو نفسه كان شغوفاً بعلم الحديث والفقه ومأثور الحكمة . فاستقدم الى بغداد العلماء والفقهاء ، والنحاة والاطباء ، ورعاهم ووصلهم بجزيل العطاء بالرغم مما عرف عن تقتيره في العطاء ، وهي خلته التي بسببها لقب بالدوانيقي[7] .

وكان ابو جعفر المنصور موجوعاً ، وفي معدته ضعف بالاستمراء ، وفي بدنه يبوسة ، فيحلق من اجلها رأسه ويلطخه بالطيب ليخفف من الحرارة التي يشكو منها فيه ، ولا يفارقه من اجل ذلك طبيبه اللجلاج حتى في سفره الى بيت الله[8] . ولما اشتدت الاوجاع في معدته أمر باستدعاء الطبيب النسطوري جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي[9] من بيمارستان جنديسابور بفارس . وكانت شهرة هذا الطبيب قد وصلت إلى بغداد ، ودخلت مجالس الحكام . فلما تعافى ابو جعفر المنصور بدواء هذا الطبيب الجديد أكرمه واستبقاه في بغداد ، وجعله طبيبه الخاص ، ووفر له كل ما يحتاج لراحته وصناعته . ويعتبر دخول جورجيوس الى بغداد بداية وصول الطب اليوناني الى العرب ، إذ أثار هذا الطبيب ، ذو الثقافة اليونانية ، أول حركة ترجمة جماعية في الطب عرفت الى ذلك الوقت . كما يعتبر ابو جعفر المنصور أول خليفة ترجمت بأمره الكتب الاعجمية الى العربية .

وفي سنة 170 هـ / 786م ارتقى هارون الرشيد الخلافة ، وهو حفيد ابي جعفر المنصور من ابنه المهدي ، وكان مثله أو اكثر منه ، يحب العلم ويقرب اليه العلماء ، وبخلافه كان يحب البهرجة ومظاهر القوة ، حتى صار اسمه مرادفاً لكل سمات العظمة والعلم والرفاه والترف .

وكانت الكتب حتى خلافة هارون الرشيد مصنوعة من لفائف البردى او رقوق

---

(6) السمرقندي ـ جهار مقالة ، المقدمة بقلم عبد الوهاب عزام .

(7) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص 269 .

(8) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 219 .

(9) هكذا ورد اسمه في العيون لابن ابي أصيبعة كما ورد بتكرار باسم جرجيس أما القفطي في كتابه تاريخ الحكماء فسماه جورجيوس بختيشوع .

جلود الماعز ، فنقل الخليفة الى بغداد معملاً للورق من سمرقند[10] كان قد اسسه الصينيون الاسرى لدى الحامية الاسلامية في المدينة[11] . فلما اصبح الورق ميسوراً توفر بذلك للكتاب والمترجمين أهم ما يحتاجه هؤلاء لاعمالهم في النقل والتأليف . وهكذا انتعشت الفعاليات الفكرية في عهد الرشيد ، وسهل على طلاب العلوم متابعة المترجمات والحصول على المخطوطات بسهولة .

كما أن أسرة برمك التي كان اعضاؤها يشغلون ارفع المناصب في دولة هارون الرشيد ، كانت هي الاخرى تحاكي سيدها الخليفة في تعضيد المترجمين والمؤلفين ، فاستقدمت الى بغداد كبار علماء فارس والهند ، كما ادخلت اليها وسائل اللهو والترف التي ألفوها في فارس ، حتى صارت بغداد منارة العلوم والفنون وقبلة العالمين من الشعراء والادباء والاطباء والفلكيين ، وطلاب المعرفة عامة . وطار صيت الخليفة هارون الرشيد شرقاً وغرباً ، وصار الملوك والاباطرة يخطبون وده ورضاه ، ويتبادلون معه السفراء والهدايا . وكان من أعاظم اولئك الملوك شارلمان (742 - 814 م) عاهل الامبراطورية الرومانية التي كانت عهدئذٍ تضم معظم أوروبا الغربية .

ويروى أن شارلمان من خلال صداقته مع هارون الرشيد استشار طبيباً عربياً ليعالجه[12] .

واسم هارون الرشيد في كتاب الف ليلة وليلة[13] ابرز شخصية في قصص هذا

---

(10) سمرقند ـ مدينة في ازبكستان بوسط آسيا . قيل ان الاسكندر المقدوني هو الذي اسسها . افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان في خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة 55 هـ / 674م . وقد ثارت وتمردت على المسلمين فاخضعها قتيبة بن مسلم الباهلي وحرق اصنامها . وفي أيام هارون الرشيد اسس فيها معمل صيني لصنع الورق صار يصدر إنتاجه الى بغداد . وخرب جنكيز خان المدينة سنة 668 هـ /1259 م . ثم جعلها تيمورلنك عاصمة دولته وتوفي ودفن بها سنة 807هـ / 1405م .

(11) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص 269 .

(12) Camphell-Arabian Medicine, 1/103.

(13) الف ليلة وليلة ـ مجموعة قصص عربية لا يعرف كاتبها . وارجح أنها لاكثر من مؤلف واحد تدور حوادثها في العواصم الاسلامية لا سيما بغداد والقاهرة وترويها جارية اسمها شهرزاد لتسلية ملك مستبد اسمه شهريار . وقصة تودد اكثر قصص الكتب علاقة بالطب والاطباء في العصر العباسي . ترجم الكتاب الى الفرنسية والانكليزية وإلى لغات اخرى كثيرة .

الكتـاب من حيث القـوة والـذكـاء والحكم النـاجـح . وفي قصص هـذا الكتـاب . وخصوصاً في حكاية تودد الجارية ، الكثير من اخبار اطباء العصر العبـاسي في بغداد ، وأسلوب ممارستهم ، وعلوم الصناعة الطبية التي كانوا يمارسونها .

على أن في حكم هارون الرشيد الذي وصفناه بـالقوة والعلم ، بـدأت من الجهة الثانية ، الضربات السياسية تترى على الخلافة العبـاسية لتجـزئها الى دويـلات صارت تستقل عن حكم المركز في بغداد وتحاربه في كثـير من الظروف والمنـاسبات . فثـار في الحجاز ادريس بن عبدالله ، احـد احفاد عـلي بـن أبي طالب ، ولمـا قمع الخليفـة هذه الثورة كان الثـائر ادريس قـد وصل إلى المغـرب وأسس فيه سنـة 172 هـ / 778م دولة الادارسة مستقلة عن خلافة بغداد[14] .

وفي حـوالي سنـة 185 م/ 801م منـح هـارون الـرشيـد الاستقـلال لعـامله عـلى تونس ، ابراهيم بن الاغلب ، ليـنـاصر خلافـة بغداد عـلى تمرد الادارسـة في المغرب . وقد لعبت إمارة الاغالبة في تونس دوراً كبيراً في الطب العربي سنذكره في فصل قادم .

وفي سنة 198 هـ / 813م بدأ حكم الخليفة المأمـون بن هارون الـرشيد ، وكـان هذا أكثر من أبيـه محباً للعلم ، فـاستقدم من الخـارج مزيـداً من علماء الحكمة والفلك والطب والادب وضمهم الى مجالسه العلمية التي كان يعقدهـا في كل يـوم ثلاثـاء[15] ، ليطارحهم الشعر ويناظرهم في الادب والعقائد ، ويناقشهم في الطب ، ويشجعهم على ترجمة المخـطوطات اليـونانيـة التي كان يجيء بهـا من أطراف الـدنيا ليـودعها في (بيت الحكمـة) ، وهي الخزائن التي اوجـدهـا جـده الاول ابـو جعفـر المنصـور ، ورعـاهـا

---

(14) احمد سليمان ـ الاسر الحاكمة 43/1 .

(15) المسعودي ـ مروج الذهب 19/4 . وينقل الينا هذا المؤرخ ايضاً محضر احد تلك الاجتماعات في ديوان الخليفة الواثق بالله بسامراء حيث يلتقي اكابر الاطباء في بغداد ، كان منهم حنين بن اسحاق العبادي ، وسلمويه وابن بختيشوع . وكان الخليفة يسائلهم في ذلك الاجتماع عن منابـع الطب الاولى ومناهج الممارسة ، والبحث عن المعارف الجديدة في هذه الصناعة فيدلى كل واحد من أولئك الاطباء برأيه ومعلوماته من تاريخ الطب القديم والتطور الـذي طرأ عليـه (المسعودي 77/4 ، 83) ويمكن اعتبار مجلس الخليفة الواثق نموذجاً صادقاً لمجلس المأمون وغيره من مجالس الخلفاء ونـوصي بقراءة المحضر المذكور ففيه اضاءة لتأريخ الطب في تلك الحقبة .

ووسعها ابوه هارون الرشيد . وصارت بغـداد في عصر الخليفة (العـالم) المأمـون تعج بالفعاليات الثقافية ، وتستقبل طلاب العلم الوافدين إليها من قريب وبعيد . ووصلت بيت الحكمة في أيامه ذروة ازدهارها لما حوته من نفائس المخطوطات ، ومن يعمل فيها من كبار المترجمين والعلماء والحكماء .

أما الحالة السياسية في عهد المأمون من الجهـة الاخرى ، فقـد استقل سنـة 204 هـ /819 م طـاهر بن الحسـين [16]في فارس واستبـد بخراجهـا ، ومثله فعل بعـد ذلك الصفارون[17] ، والسامانيون[18] ، والغزنويون[19] مما أفقر خزانة الخلافة ، وحرمها من الكثير من الموارد الاقتصادية والبشرية والفكرية من تلك الاقطار الخصبة .

وأسس محمد المعتصم الخليفة العباسي الثامن (218 - 227 هـ / 833 - 842م) ، اخو المأمون ، مدينة سامراء سنة 322 هـ [20]في شمال بغداد لتكون عاصمة الخلافـة ،

---

(16) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، وكنيته ابو الطيب وابو طلحة . اديب وقائد شجاع . ولد في خراسان واستوطن بغداد . وكانت لابيه منزلة دانية من هارون الرشيد . واتصل الحسين بالمأمون بمرو قبل خلافته . وصار قائد جيوشه الزاحفة الى بغداد لمقـاتلة الخليفة الامـين ، فظفـر به وقتله (198 هـ / 813م) وعقـد البيعة للمـأمون . فنصبـه هذا الخليفـة على شـرطـة بغـداد ، ثم ولاه خراسان . إلا أنه طمع بامتلاك تلك البلاد الغنية وأعلن استقلاله بها عن الخلافة في بغداد . وكان طاهر بن الحسين كريم العين ، ومات مسموماً او قتله احد غلمانه سنة 207 هـ .

(17) الصفـاريون (248-290 هـ / 902م) اسسهـا يعقوب بن الليص الصفـاري بفارس وافغـانسـتـان واسقط الدولة الطاهرية في خراسان . هزمـه الخليفة العبـاسي المعتمد سنـة 261 هـ / 874م . ثم انقرضت دولتهم بقوات السامانيين سنة 290 هـ /902 .

(18) السامانيون ـ هم اسرة نصر بن سامان الذي تغلب احد احفاده واسمه اسماعيل بن احمد بن نصر الساماني على الصفارين في سنة 261 هـ الا ان الغزنويين دحروهم سنة 389هـ / 997م في افغانستان وحارب الهنود في البنجـاب وانتصر عليهم سنة 388 هـ / 998م ، وتغلبـوا على الـدولة السـامانيـة وورثوها

(20) سامراء ـ العاصمة العباسية الثانية بعد بغداد . انشأها المعتصم المتوفى سنة 221 هـ / 835م ، بعد ست وسبعين سنة من تأسيس بغداد . ثم رجع مقر الخلافة الى بغداد في خلافة المعتمد سنة 279 هـ /892 م وتعتبر سامراء اقدم مـدينة لا تـزال مسكونـة في العراق . وهي تسبق اربـل (اربيل) الاشورية ، فقد اكتشف فيها آثار يرجع تأريخها الى ما قبـل التاريـخ . ودارت سنة 363 م حـرب ضـروس على اراضيهـا بين الـروم والفرس ولما تلمكهـا سـابـور الثـاني حفـر لها نهر القـاطـول =

وعسكراً لجيشه من غلمان الترك الذين اشتراهم لحماية عرشه ضد ثورة العيارين في بغداد ، وغدر الفرس . وبقيت سامراء عاصمة الخلافة حتى سنة 279 هـ / 892م أعيدت العاصمة الى بغداد في أيام المعتمد على الله (256-279 هـ / 870-892م) .

وأساء الترك التصرف بأمور الدولة ، وتدخلوا بوقاحة في شؤون الخلافة ، وقتلوا الخليفة المتوكل سنة 247 هـ / 861م . ومنذ ذلك الحادث تفاقم ضعف الخلفاء على مدى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي حتى لم يبق للخليفة إلا الامامة والرئاسة الدينية . فأغرت هذه الحالة السيئة كل من له حول وقوة ان يستقطع لنفسه بالسلب أو بالحرب جزءاً من ممتلكات الخلافة . فاستقل في سنة 254 هـ / 868م احمد بن طولون[21] عامل الخليفة المعتز على مصر بتلك الديار وأسس فيها الدولة الطولونية التي دامت حتى سنة 293 هـ / 905م .

وفي خلافة المعتمد على الله ظهر مغامر أصله من (طالقان) بفارس اسمه علي بن محمد ، وأثار حركة ثورية دامت أربعة عشر عاماً عرفت بثورة الزنج[22] ، كانت

= (الكسروي) . وفي العصر المسيحي انشئت على ضفاف دجلة الديارات العديدة ، كان اسم احدها (دير سامراء) وموقعه في المكان الذي كان اسمه (سر من رأى) . وربما كان هذا الاسم من وضع المعتصم او اتباعه حين سروا من رؤية هذا المكان الجميل . وكانت المنطقة التي فيها هذه الاديرة تسمى (الطيرهان) وبقي هذا الاسم عالقاً بها حتى السنين المتأخرة من عمر الخلافة العباسية ، وتطور اسم المدينة (سر من رأى) فصارت سامراء ولما انحدرت منزلتها بعد أن أصابها ما أصابها حاكمها الذي تشاءم الناس منها فسموه (ساء من رأى) .

(اقرأ عن سامراء لمصطفى جواد في العتبات المقدسة قسم سامراء ص 7-10) .

(21) احمد بن طولون ـ مؤسس الدولة الطولونية في مصر ، تركي الاصل ، ابوه طولون من موالي نوح بن اسد الساماني ، فاهداه الى الخليفة المأمون وولد له احمد في سامراء ونشأ فيها وتأدب على علمائها . وكان من اصدقائه يوحنا بن ماسويه . ولاه المتوكل إمارة دمشق ثم مصر سنة 254 هـ /868 م فطمع فيها واستقل بها في خلافة المعتمد بالله 256-279/879-882م وعمر بها مدينة القطائع بالقرب من الفسطاط لتكون عاصمة ملكه . من آثاره قلعة يافا بفلسطين والجامع المعروف باسمه بالفسطاط ، توفي سنة 275 هـ / 883م .

(22) ثورة الزنج ـ نشبت هذه الثورة في اقليم البطائح حول شط العرب بزعامة فارسي اسمه علي بن محمد ، الذي ادعى عنه من نسل زين العابدين ابن الحسين . بدأ حركته في البحرين بين الزنج الذين كانوا يعاملون بقسوة في خلافة المهتدي بالله العباسي 256-279 هـ / 870-892م ودامت.الحركة

سبباً لخروج كثير من امراء الاقاليم على سلطان الخلافة العباسية ، وقتل الكثير ممن شارك في ثورتهم أو محاربتهم ، بالاضافة الى الخسارة المادية الجسيمة التي لحقت بخزينة الدولة .

وفي خلافة المقتدر بالله استولى حسين بن حمدان التغلبي على الموصل وأسس فيها الدولة الحمدانية ، وكان اشهر حكامها وأقواهم سيف الدولة الحمداني المشهور بميله للعلماء والشعراء والاطباء ، والمعروف بعلاقته بالشاعر ابي الطيب المتنبي[23] . ويروى ان مائدته لم تكن تخلو من أربعة وعشرين طبيباً في خدمة الامير وحاشيته[24] .

وفي خلافة المقتدر بالله ايضاً ظهرت الدولة الفاطمية في تونس ، وهي الضربة القاصمة الثانية لمبدأ وجود الخلافة الواحدة على المسلمين . وكانت الضربة الاولى ظهور الخلافة الاموية في قرطبة . وكانت خلافة الفاطميين منذ ولادتها وحتى انقراضها سنة 567 هـ خصماً نداً لخلافة بغداد .

وفي عام 364 هـ / 974م في خلافة المطيع لله دخلت قوات البويهيين [25]بغداد بقيادة أميرهم عضد الدولة البويهي ابي شجاع فناخسرو الديلمي . وكان هذا قائداً حازماً وقوياً وجريئاً ، كما كان متعلماً ويتقن العربية وينظم الشعر ، ويعرف حل

طيلة خلافة المعتمد (256-279 هـ / 870-892م) وحركة الزنج احدى الاسباب التي اثارت طمع ابن طولون بمصر وإعلان استقلاله عن الخلافة . اخمد الثورة احمد الموفق اخو الخليفة سنة 270 هـ /883 م وتقرأ الزنج بفتح الزاء وكسرها .

(23) المتنبي ـ ابو الطيب احمد بن الحسين (303-355 هـ / 915-965م) اشهر شاعر عربي . ولد بالكوفة ودرس فيها ، وهرب صغيراً من فضائح القرامطة الى بلدة السماوة . وثار في الشام على الحكم الاخشيدي فسجن ثم اطلق سراحه . واتصل بسيف الدولة الحمداني وصار صديقه وشاعره تسع سنوات إلا ان الوشاة فرقوا فيما بينهما فاتصل بكافور الاخشيدي في مصر ومدحه . ثم غادر مصر الى العراق وهجا كافور وصار يتنقل بين الكوفة وبغداد وشيراز . قتله واحد ممن هجاهم قرب دير العاقول في شعره تشيع لآل علي ونظرة تشاؤمية الى الحياة وتعصب للعروبة .

(24) ابن ابي أصيبعة ص 610 .

(25) اسرة فارسية مسلمة من اصل ديلمي اسسها ابو شجاع بويه . حكمت فارس وبغداد بين سنة 321 هـ / 932م وسنة 447هـ / 1055م وكان الخليفة العباسي لعبة بأيدي ملوكهم الى أن غلبهم طغرليك السلجوقي سنة 447 هـ / 1055م واخذ مكانتهم في بغداد .

الازياج الفلكية ، ويقرب العلماء الى مجلسه ويشجع المتعلمين . وهو الذي أسس البيمارستان العضدي في بغداد . ومشى على منوال عضد الدولة خلفاؤه ووزراؤهم فأنشأوا في حكم بهاء الدولة البويهي (دار علم) في جانب الكرخ ببغداد ، وجمعوا في خزائنها ما يربو على العشرة آلاف كتاب في مختلف صنوف المعرفة الدينية والدنيوية[26] .

وفي حكم القائم بأمر الله (423 - 468 هـ / 1031 - 1075م) استولى السلاجقة[27] الاتراك على أمور الحكم في بغداد خلفاً للبويهيين . وقد خلد وزيرهم نظام الملك[28] اسم السلاجقة بكثير من المآثر ودور العلم ، في العراق بصورة خاصة . وخلال حكم السلاجقة اندلعت الحروب الصليبية سنة 490 هـ / 1096م ، واستمرت حتى سنة 761 هـ / 1272م وكانت خلافة بغداد في هذه الفترة عاجزة عن مساعدة المسلمين في تلك الحروب بسبب الاوضاع الداخلية المرتبكة في بغداد ، وتلويحات المغول للاستيلاء عليها ، فهددها جنكيز خان في حكم الخليفة الناصر (575 - 622 هـ /1180 - 1225 م) وأخيراً دخلها هولاكو في خلافة المستعصم بالله سنة 656 هـ /1258 م . والاعمال المروعة التي عملها هذا الفاتح ببغداد باقية في التاريخ كأقسى ما عمله الانسان من الآثام على العلم والحرمات .

التيارات الاجتماعية والفكرية والسياسية في العصر العباسي

تعتبر الخلافة العباسية حدثاً جللاً ومن نوع خاص في مقاييس التاريخ . فهي

(26) ابن الاثير ـ الكامل 35/9 .

(27) السلاجقة ـ عشائر تركية مسلمة من فارس في القرن التاسع دحر امراؤها البويهيين سنة 447 هـ /1055 م . واتخذوا اصفهان عاصمة لهم ، ودخلوا بغداد في خلافة القائم بالله (467-1031-1075 م) ، واكتسحوا ارمينيا ، وهزموا البيزنطيين وأسروا امبراطورهم رومانوس ديوجنس في أيام إمارة ملك شاه بن ارسلان ووزيره نظام الملك . وضعفت الدولة السلجوقية في القرن الثاني عشر وخلفتها دول صغيرة منها الدولة الزنكية الخوارزمية وانقرضت كل هذه الدول أخيراً بقوات جنكيز خان في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي .

(28) نظام الملك ـ وزير الب ارسلان السلجوقي (456-466 هـ / 1063-1073م) والمتنفذ في الحكم في زمانه . انشأ المدارس المنسوبة الى اسمه في بغداد ونيسابور قتله . الحشاشون سنة 485 هـ /1092 م .

خلافة العلم والمعارف بكل صنوفها النظرية والتطبيقية والفلسفية التي حققت للعرب المركز العالي والوسيع بين الحضارات الانسانية . وهي تختلف عن الخلافة الاموية في أنها أقل تعصباً للقبيلة والقومية العربية[1] ، واعتمدت في بداية تأسيسها على عناصر اعجمية ثم صارت بعد ذلك تخضع ذليلة لتلك العناصر الدخيلة عليها على مدى أكثر عمرها الذي يزيد على خمسمائة وعشرين عاماً ، وصار يحكم إلى جانب خلفائها موالي من الفرس والترك والديلم .

وبالرغم من ان الاقطار الشاسعة التي دخلت الاسلام صارت تتكلم بالعربية ، واتقنت علومها وفنونها وقواعدها ونحوها ، إلا ان هؤلاء لم يكونوا كل الناس في تلك الاقطار بل فئة خاصة منهم ، تعشقت الثقافة العربية فانخرطت في مدارسها وحلقات شيوخها لتحصل على مميزات اجتماعية ، أو على وظائف حكومية ، أو لتدخل مجالس الامراء وتحصل على حمايتهم وكرمهم الباذخ . فلما انحسرت رقعة اقطار الخلافة صارت بنفس السرعة تلك الفئات التي كانت تنطق باللغة العربية تهمل استعمال هذه اللغة ، ورجع كلام الطريق والسوق الى اللغات المحلية غير العربية . ويعتبر سقوط بغداد وانقراض الخلافة فيها بقوات المغول سنة 656 هـ / 1258م بداية اختفاء الروح العربية في بلاد العجم ، يستثنى من هذا الحساب كتابة العلوم وتداول مؤلفاتها العربية .

وفي الخلافة العباسية وجد النصارى والصابئة واليهود ، وحتى المجوس مجالاً واسعاً للعمل الى صف المسلمين[2] باسم المحالفة وتحت حماية مبادىء الاسلام المتعالية عن التفرقة العنصرية ، والداعية الى احترام المذاهب والأديان والالوان . وكان من نتيجة اختلاط المسلمين والعرب والاعاجم ، ان صار الزواج بالاجنبيات أمراً لا يبدو مستهجناً كما كان في نظر الامويين ، خصوصاً حين عرف الناس ان ام المنصور بربرية وأم المأمون فارسية ، وأم المنتصر يونانية ، وام المستعين صقلبية ، وأم المكتفي والمقتدر تركيتان ، وأم المستضيء ارمنية . كما يروى ان الخيزران ام الرشيد كانت آمة اجنبية عن الدم العربي[3] . ونتيجة لهذا التمازج بين العرب والاعاجم ، وتواطن بعضهم في

---

(1) حتي ، تاريخ العرب 409/2 .

(2) المصدر السابق 432/2-433 .

(3) المصدر السابق 409/2 .

ديار بعض ، اختفى بمرور الزمن نسب كثير من العلماء البارزين من الطرفين العربي والاعجمي .

ولما دخلت الفلسفة في افكار العلماء ، انبثقت عن طريقها ملكة الاجتهاد في تعليل الامور ، والبحث في الحقائق . وانطلقت هذه الافكار كما ينطلق المارد من فوهة القمقم الضيقة ، لتعمل بحرية تجاوزت حدود اختصاصها ، فأصابت التعمير كما فعلت التدمير على السواء . وظهرت من أعمال العقليات المتفتحة ، أفكار ومذاهب سياسية ودينية جديدة بواجهات فلسفية أو علمية ، كان منها مذهب الاعتزال[4] ، وهو مذهب عقلي وديني اقدم من ميلاد الخلافة العباسية ، إلا أنه لم يستفحل امره ويعلو صوته إلا في عصرها ، إذ صار مذهب الدولة الرسمي في حكم الخليفة المأمون . وكان من ابرز نظريات المعتزلة قولهم بخلق القرآن الذي تعصب له الخليفة المذكور ، وعمم أمره على عماله وقضاته باعتناق هذا المذهب ، ونكل بمن عصى هذا الامر . فدعم المذهب كثير من علماء المسلمين على اختلاف نحلهم ، كان منهم الصاحب عباد[5] ، والمفسر جار الله الزمخشري[6] ، وعمرو بن بحر الجاحظ[7] . وبقي الجاحظ طوال

---

(4) مذهب الاعتزال : مذهب جماعة من المسلمين الذين وقفوا موقفاً وسطاً من مقترف الخطيئة الكبيرة فلم يفتوا بكفره ولا بايمانه ، واعتمدوا على المنطق والمعقول لا المنقول في مناقشة وحل القضايا الفكرية والعقائدية . من نظرياتهم أن الانسان ذو إرادة حرة وليس مجبراً على اتيان عمله خيره او شره ، وإن القرآن مخلوق ، وسموا بالمعتزلة لان واصل بن عطاء ، وهو من الاوائل الذين دعوا الى هذه الافكار ، اعتزل حلقة الحسن البصري وخالفه الرأي فيما ذكرناه من الافكار . فسميت جماعته المعتزلة واشهر رجال المعتزلة بعد واصل بن عطاء هم عمرو بن عبيد ، والصاحب بن عباد ، والجاحظ ، والزمخشري . (اقرأ عن هذا المذهب في كتاب المعتزلة لزهدي جار الله القاهرة 1947) .

(5) الصاحب بن عباد واسمه اسماعيل بن عباد بن العباس وكنيته ابو القاسم الطالقاني (الطالقان من أعمال قزوين) ولقبه الكافي ، وزر لمؤيد الدولة البويهي واخيه فخر الدولة غلب عليه الادب ، فكان من المشهورين بالعلم والفضل ، وتضعيد العلماء . درس على ابن العميد وغيره من علماء اللغة ، واعتنق مذهب الاعتزال . وله في الادب مؤلفات كثيرة منها كتاب المحيط في اللغة بسبعة مجلدات . والكشف عن مساوىء شعر المتنبي وغيرها . توفي الصاحب بالري سنة 385 هـ / 995م ودفن باصبهان . (الزركلي ، الاعلام 1/312-313) .

(6) الزمخشري : لغوي وأديب ومفسر . هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد ويلقب بجار الله لانه شد الرحال من موطنه بزمخشر في خوارزم واستوطن مكة . شافعي المذهب ومعتزلي المعتقد . رجع =

عمره الذي بلغ التسعين عاماً وهو يدافع تحت غطاء من ادبه الرفيع عن هذا المذهب ويدعو الى الانطلاق بالفكر الى حرية القول والعقيدة . ومن مؤلفات الجاحظ الكثيرة كتاب الحيوان ، وهو الاول من نوعه في اللغة العربية ، يجمع بين الادب وعلم الحياة ، وفيه معلومات تجعل له مكانة في المكتبات الطبية .

ولعب تلاميذ الامام جعفر الصادق المتوفى في خلافة ابي جعفر المنصور ، سنة 148 هـ / 765م ادواراً ضخمة وخطيرة في تاريخ الفكر والعقائد في العصر العباسي . وجعفر الصادق من رؤوس اهل البيت ، ومن أصفى أنسالهم ، وهو أستاذ أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، وجابر بن حيان[8] الكيماوي الشهير (83-139هـ /702-756) . وينسب الى هذا التلميذ وأستاذه الإمام الصادق كتب في الكيمياء لاتزال مضامينها تحير الباحثين ، ومن بعضها ما يدخل في علوم الكيمياء الحديثة .

وادعى شيعة اسماعيل بن جعفر الصادق إن الإمامة تنتهي بمحمد بن اسماعيل الذي لم يكن قد ولد بعد ، واعتبروه المهدي المنتظر ، وهي دعوى لاتقرها الفرقة الإثنا عشرية شيعة الإمام الصادق الذين يرون ان الإمامة تنحدر الى محمد المهدي المنتظر بن الحسن العسكري المتوفي بسامراء سنة 260 هـ / 873م .

= الى جرجان بفارس وتوفي فيها سنة (538 هـ / 1144م) . وله كتاب تفسير (الكشاف) وقاموس لغة باسم (اساس البلاغة) وكلاهما من عيون التراثيات العربية .

(7) عمرو بن بحر الجاحظ : وكنيته ابو عثمان . ولد ونشأ في البصرة وتوفي بها . درس في الكوفة . وكان معتزلياً بارزاً ، ونسبت اليه فرقة الجاحظية المعتزلة . وكان حر التفكير وبارعاً في التأليف وبعد من ابرز كتاب العربية . من كتبه الكثيرة البيان والتبيين والبخلاء ، وكتاب الحيوان توفي سنة 255 هـ /868 م .

(8) جابر بن حيان : ابو موسى بن عبد الله . كيميائي عربي عاش في الكوفة وبغداد في القرن الثاني الهجري ، وعاصر خلافة الرشيد والمأمون . وصاحب جعفر البرمكي وتبع جعفر الصادق . ينسب إليه الكثير من الفضل في تطوير علم الكيمياء . كما ينسب اليه ابتكار عملية التقطير والتبلور واستحضار زيت الزاج (حامض الكبريتيك) وبعض مركبات البوتاسيوم والصوديوم والزئبق . كما اشتغل ابن حيان بالطب والفلك والفلسفة . وقيل ان مؤلفاته بلغت المائتين ، وقيل أيضاً ضعف هذا العدد منها كتاب اسرار الكيمياء ، والسموم والخمائر ، وعلم الهيئة ، وتصحيحات كتب افلاطون . ومع كل ذلك ينكر البعض وجود ابن حيان كمؤلف للكتب المذكورة . توفي بمدينة طوس في حوالي 200 هـ /815م .

وظهرت في ايام الخلافة العباسية أيضاً المذاهب السنية الاربعة وهي : المذهب الحنفي وإمامه ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى في خلافة المنصور سنة 150 هـ /767 م .والمذهب المالكي وإمامه مالك بن انس المدني المتوفى في خلافة هاروز الرشيد سنة 180 هـ / 796م . والمذهب الشافعي وإمامه محمد بن ادريس الشافعي الغزي المتوفى في خلافة المأمون سنة 205 هـ / 820م . والمذهب الحنبلي وإمامه احمد بن حنبل البغدادي المتوفى في خلافة المتوكل سنة 241 هـ / 855م .

ويجوز أن نعتبر حكم الخليفة المتوكل (232 -247 هـ / 847-861م) حقبة ركود الزوابع العقائدية ، إلا ان عاصفة دينية سياسية عرف اصحابها بالقرامطة تحركت من واسط في أيام الخليفة المعتضد (299 هـ / 890م) بدعوة من احد الاسماعيليين اسمه حمدان قرمط ووصلت الى كثير من الاقطار الاسلامية ، منها : ديار الكوفة ، وشمال سوريا ، والبحرين ، واليمن ، وحاصروا دمشق ، ودخلوا مكة وسلبوا الحجر الاسود (318 هـ / 930م) . وكانت مبادىء الحركة خليط من تعليمات الاسماعيلية ، والعقائد المجوسية ، والفلسفة اليونانية كما نادى القرامطة بشيوع الممتلكات ، والنساء أيضاً . وقد حارب المعتضد هذه الحركة وقضى عليها ابنه الخليفة المكتفي (289-295 هـ /902-908 م) .

ولم يحل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حتى اصبح الخليفة العباسي لا حول له ، فلم يتمتع إلا ببعض النفوذ في بغداد وما حواليها ، وبتمثيلية منح الرتب والالقاب للحكام الحقيقيين من الفرس والترك والديلم . وكان قد سيطر الحمدانيون على الموصل والجزيرة وديار بكر ، وسيطر الديلم على طبرستان وجرجان ، والقرامطة على اليمامة والبحرين ، واستقل الفاطميون بالمغرب وافريقيا ومصر والامويون بالاندلس ، وبذلك اصبح في العالم الاسلامي ثلاث خلافات بثلاثة خلفاء في وقت واحد ، هي خلافة بغداد ، وخلافة قرطبة وخلافة الفاطميين في افريقيا ، وهو واقع يخالف المبدأ الاسلامي في استحداث الخلافة ، ولا يخدم إلا المصالح الشخصية العاملة في دوائر هذه الحكومات الثلاث . فنقم الناس على العباسيين واعتبروهم أساس البلاء والمسؤولين عن تردي احوال البلاد وتمزيقها . وتأسست الجمعيات لمحاربة الفساد الحكومي وسياسة الحكام الطائشة . وكان اشهر تلك الجمعيات واكثرها تكتماً في العمل

السري هي التي ظهرت في البصرة في أيام الخليفة الطائع (363-381 هـ / 974-991م) باسم جمعية اخوان الصفا التي سرعان ما انتشرت الى كثير من الاقطار الاسلامية بفعل التهذيب والدقة بالمادة العلمية والفلسفية ، والتي تحتوي ضمنياً على دعوة الى التمرد على الحكم العباسي وإسقاطه .

وليس بصعوبة ان تتخيل الاضطراب والخلط في شؤون الخلافة العباسية ، وبين عناصرها البشرية والعقائدية ، واصداء المناقشات الصاخبة التي كان يثيرها العلماء والسياسيون وحكام البلاد وعامة الناس ، لنفهم الجو العام الذي عاش فيه علماء الطبيعة ومنهم الأطباء ، كانوا دائمي العمل في أبحاثهم ولم يعقهم ذلك الاضطراب والقلق في الأمن والحكم إلا بعد ان تردى الوضع السياسي ، وسقطت بغداد بيد المغول سنة 656 هـ / 1258م بزمن طويل .

مسارب الطب اليوناني الى العرب

تقف الحضارة العربية في تسلسل تاريخ الحضارات الانسانية ، بعد الحضارة اليونانية التي كانت احدى مصادرها لكثير من المبادىء العلمية في الطب . وقد درس العرب تلك المبادىء وشذبوها من ألاوهام التي خالطتها وزادوا عليها مبتكرات لم يتوصل اليها الاطباء اليونانيون .

وصلت المعارف اليونانية الى العرب من مسارب كثيرة ، وفي عهود مختلفة . ونعرف أن الحارث بن كلدة الثقفي قد قطع الطريق الطويل من الطائف الى جنديسابور وتعلم في بيمارستانها صناعة الطب الذي كان جله يونانياً . كما رحل الى جنديسابور لنفس الغاية عدد من مواطني ديار الشام منهم ابو الحكم الدمشقي ، وابن آثال وغيرهما . ومن الصواب ان نفترض ان عرب الحيرة كان لهم اطلاع سابق على الطب الفارسي والهندي وربما اليوناني أيضاً قبل أن تصل المعارف اليونانية إلى دمشق او بغداد . أما سوريا فكانت مركزاً هاماً في الثقافة اليونانية قبل ان يدخلها الاسلام بعديد من القرون . ونعرف ايضاً أن عبد الملك بن ابجر الكناني قد عمل في مدرسة الاسكندرية اليونانية ، وحمل معه كتبها ومعارفها الى انطاكيا[1] في خلافة عمر بن عبد

---

(1) مايرهوف ـ تراث الاسلام ص 61-165 عن ابن أبي أصيبعة ـ العيون القاهرة 135/2 .

العـزيز (99 - 101 هـ / 717 - 720م) . كـما درس الامير خـالد بن يـزيد بن معـاويـة المتـوفى سنة 85 هـ / 704م علوم الكيميـاء على اسـاتذة هـذه الصنعة الاروام . إلا أن عموم هذه الاتصالات بعلماء اليونان كانت فـردية وعـابرة ، ولم يتـابعها أحـد باهتمـام وجدية . فكـانت حصيلاتهـا نزرة ، ونـطاق فائـدتها ضيقـاً لا يصح أن يحسب مـورداً تحويلياً هاماً في وصول المعارف اليونانية الى العرب . أما الاتصالات المكثفة مع العلماء اليونان او تلاميذهم ومن حمل ثقافتهم ، فهي التي حصلت عن طريق جنديسابور عـلى لسان النساطرة[2] الناطقين بالسريانية[3] .

وكانت جنديسابور في خلافة ابي جعفـر المنصور (136 - 158 هـ / 755 - 785م) وحفيده هارون الرشيد ما تزال تزخر بأعلام الطب اليوناني من النساطرة السريان . أما مدن سوريا وانطاكيـا والرهـا وحران ونصيبـين فقد تضـاءل شأنها الحضـاري منذ لمعت

---

(2) النساطرة : هم العرب السوريون اتباع مذهب نسطوريوس بطريق القسطنطينية في حوالي سنة 450 م الذي كان من رأيه فصل الذات الروحيـة عن الذات الانسـانية في شخص المسيـح . فقال ان عيسى ولد انساناً اعتيادياً ثم صير نبياً ، وهو رأي يخالف رأي اليعاقبة ـ الملكيين وعامة النصارى . فأعتبرتـه الكنيسة خارجاً عن الدين وطاردته . فتنقل متخفياً بين مدن سوريا حتى وصل الى مصر وهناك اختفى اثره . اما مذهب النسطورية فقد انتشر بسرعة بين مدن سوريا وخصوصاً في الرها ، كما دخل ما بين النهرين وبلاد فارس بواسطة النساطرة الذين هربوا من اضطهاد الامبراطور زينون لمنتحلي هذا المذهب . وكان بحكم اتصال النساطرة المبكر بعلماء اليونان في مدن سوريـا ، سبقوا غيرهم من الاقوام السامية في تعلم اللغـة اليونـانية ، والاطـلاع على العلوم المكتـوبة بهـذه اللغة فترجموها إلى لغتهم السريانية. وكان ذلك قبل أن تبدأ الترجمة في بيت الحكمة ببغداد بقرن أو أكثر .

(3) اللغة السريانية ـ هي لغة ارامية من مجموعة اللغات السامية التي تشمل أيضاً العربية ، والعبرية ، والفينيقية ، والحبشية . وهي اللغات التي تكلم بها الساميون فنسبت إليهم .

ولما ظهرت النصرانية غالى معتنقو هذا الدين الجديد في تعصبهم له واقتلعوا من حياتهم كل ما يمت الى الوثنية بصلة حتى ولو كان بالاسم ومنها كلمتا الارامية والاراميين ، واستعاضـوا عنها بكلمتي السـريانية والسـريان ولم يحل القرن الرابع الميلادي حتى صارت السريانية لغة الدين الجديد الـذي حملها الى عموم مدن سوريا وما بين النهرين ومصر وفارس . ولما ظهرت النسطورية في النصرانية في منتصف القرن الخامس الميلادي صارت الرها الناطقة بالسريانية معقل النساطرة حتى صارت كلمة السريانية فيها مرادفة للنسطورية .

سأل النبي محمد (ﷺ) ربيبه زيد بن حارثة هل تعرف السريانية قال لا ، فقال له تعلمهـا ففيها الشيء الكثير ، وقيل أيضاً هل تعرف العبرية ؟ (صبح الاعشى 165/1) .

جنديسابور في دنيا العلم ، فلم تكن على هذا محطات ذات شأن كبير لمرور العلوم اليونانية في طريقها الى بغداد أو سامراء (العاصمة بعد بغداد) . وفعلاً لم تنتقل معارف حران الصابئية الى بغداد إلا بعد مرور ما يزيد على القرن من وصول معارف جنديسابور الى العاصمة العباسية[4] .

وجملة القول ان الفكر الحضاري الذي إنتقل من ما بين النهرين الى بلاد اليونان في حوالي القرن السادس ق . م ، قد رجع الى موطنه الاول في العراق في العهد العباسي بعد غيبة عنه استغرقت اكثر من اثني عشر قرناً (انظر المخطط) .

ولدفع الغموض والخلط في تسلسل مسيرة الطب اليوناني الى بغداد ، نستعرض باختصار ، وإن كان في ذلك بعض التكرار والاعادة ، المسارب والمحطات التي مر بها ذلك الطب في طريقه الى العاصمة العباسية .

المرحلة الاولى ـ من اثينة الى الاسكندرية

بقيت العلوم اليونانية حكراً على اليونانيين الى أن خرج الاسكندر المقدوني في نهاية القرن الرابع ق . م غازياً المشرق ، وبخروجه خرجت معه كنوز المعرفة اليونانية الى أطراف العالم . وازداد اطلاع العالم على تلك المعارف بعد موت الاسكندر سنة 323 ق . م ، إذ تحرر اليونانيون بعد موته من استعمار المقدونيين لبلادهم . وصاروا يضطهدون ويطاردون كل من شايع حكم الاسكندر واتباعه ، حتى العلماء منهم[5] . فهاجرت هذه الفئات واخرى من المثقفين اليونانيين الى خارج البلاد هرباً من الحروب الاهلية التي أعقبت وفاة الاسكندر . وكانت الاسكندرية أول بلد من المشرق العربي وصلت اليه تلك المعارف[6] . وصارت المدينة في أيام البطالسة اليونانيين (القرون الثلاثة التي سبقت الميلاد) تضاهي اثينة بل أكثر منها غنى بالعلم والعلماء . وظهرت في مدارسها أفكار جديدة في شتى اصناف المعرفة ، وهي وليدة تخالط العلماء اليونان بعلماء المشرق ، وامتزاج آرائهم لتثبيت حقائق جديدة مجردة من الخيالات والاوهام . فكانت

(4) القفطي ص 115 .

(5) الاب ميخائيل ـ آفاق عربية عدد 5 سنة 1975 ، ص 212 .

(6) المصدر السابق .



الامبراطورية الأموية – القرن الثاني الهجري

من حصيلة ذلك ثقافة (وخصوصاً في العلوم المنطقية) ليست يونانية صرفة ولا هي مشرقية ، بل هي مزيج من الثقافتين دعيت بعد ذلك بـ« (الثقافة الهيلينية) . أما في العلوم الطبيعية ومنها الطب فقد مشى العاملون فيه على الخط اليوناني وأضافوا إليه معارف جديدة في التعليل والتطبيق . ولا ينسب الطب في هذه الفترة الى الهيلينية الا للاشارة الى موقعه من الزمان في تاريخ الطب وألا فهو يوناني روحاً ومادة . وبقيت الاسكندرية تتسع بسلطانها ومجدها الحضاري الى أن تغلب القياصرة الروم على البطالسة في حوالي سنة 30 م . وفي أيام هؤلاء الحكام الجدد انتقلت السلطة ، وكذلك مراكز العلم ، من الاسكندرية الى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الجديدة ، وإلى مدن سوريا . وبذلك انتهى الدور الكبير الذي لعبته الاسكندرية في الحضارة الانسانية ، لتلعب مدن سوريا مثل ذلك الدور الخطير .

المرحلة الثانية ـ من الاسكندرية الى مدن سوريا

كانت في سوريا الشمالية إبان ازدهار الاسكندرية بالعلوم والعلماء ، مدينتا الرها ونصيبين بالاضافة الى انطاكيا عاصمة السلوقيين في تلك الديار . وكانت هذه المدن الثلاث تتمتع بمركز حضاري وثقافة يونانية ليست ادنى كثيراً من مدينة الاسكندرية ، وخصوصاً بعد أن انتقل مركز حكم الرومانيين الى القسطنطينية . وارتقى مركز مدن سوريا العلمي اكثر من ذلك حين وقعت الخلافات المذهبية بين النصارى في منتصف القرن الخامس الميلادي ، فوصل اليها بدافع التكتل العدد الكبير من علماء الاسكندرية الذين يحملون الآراء الحرة ، وانضموا الى أترابهم في الرها ونصيبين وصاروا يعملون تحت واجهات طبية خوفاً من مطاردة الامبراطور البيزنطي زينون الذي تبنى محاربة البدع الجديدة في النصرانية ومنها المذهب النسطوري الذي يعتنقه أولئك العلماء[7] . وبقي النساطرة العلماء غير مرغوب فيهم حتى قبيل الفتح الاسلامي .

وفي الحكم الاموي استقدم الخليفة عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة 101 هـ /720 م صديقه عبد الملك بن ابجر الكناني من الاسكندرية الى انطاكيا ليعلم فيها الطب ويمارسه[8] .

---

(7) اوليري ، مسالك الثقافة اليونانية ، ص 69-107 .

(8) ابن رضوان المصري ، النافع في تعلم صناعة الطب (مخطوط) المقالة الثانية ابن ابي أصيبعة ص 171 .

ورغم ان هذه الحركة كانت غير مبكرة بالنسبة لازدهار الطب في أكثر الاقطار المجاورة الا أن وقوعها في العهود الاسلامية جعل هذه الصنعة اقرب الى رعاية الحكام لها وإلى إثارة الناس الى تعلمها . وبدأ اهتمام الخليفة مروان الثاني المتوفى سنة 132 هـ /750 م بأمر الطب حين نقل المدرسة من انطاكيا الى حران وهي المدينة التي كان يفضلها على دمشق كعاصمة للخلافة الاموية وسوف نرى كيف أن العلوم الطبية التي كانت في حران ستجد لها الفرصة لتصل الى بغداد في خلافة المعتضد العباسي المتوفى سنة 289 هـ / 902م .

المرحلة الثالثة ـ من سوريا الى جنديسابور

دخلت العلوم اليونانية الى بلاد فارس في فترات ثلاث متباعدة . كان أولها عند دخول الاسكندر المقدوني الى تلك الديار في حوالي سنة 331 ق . م . إلا أن الفائدة التي حصل عليها الفرس آنذاك كان أكثرها في معرفة اللغة اليونانية ، وبعض الحرف اليدوية ، والنظريات الديمقراطية في القول والسياسة .

ثم دخلت العلوم اليونانية الى فارس عن طريق الاسرى من الشعوب البيزنطية بعد معركة الرها التي دارت بين سابور ملك فارس وفالريان الامبراطور الروماني سنة 266 م والتي كسب منها الفرس الكثير من معارف اليونانيين ، كما غنموا عدداً من علماء الطب والعلوم الاخرى .

أما الفترة الثالثة التي دخلت فيها العلوم اليونانية الى فارس ، فكانت أثر مطاردة كنيسة بيزنطيا للنسطورية والعلماء النساطرة في منتصف القرن الخامس . وحين اغلق الامبراطور جستانيان مدرسة الرها سنة 489 هاجر علماؤها هذه المدينة ، وانضموا الى زملائهم في جنديسابور . وهكذا تجمع في هذه المدينة عدد كبير من علماء واطباء النساطرة المتحلّين بالثقافة اليونانية . كما أسر كسرى انو شروان من علماء انطاكيا سنة 538 م واسكنهم مدينة قرب المدائن سماها (رومية) واختص بواحد من أطبائها وهو جبرائيل درستاباذ ليكون طبيباً لشخصه .

المرحلة الرابعة ـ من جنديسابور الى بغداد

بدأ دخول الطب اليوناني الى بغداد في خلافة ابي جعفر المنصور (136 - 158

هـ / 775 - 785 م) وبقي ينساب اليها طيلة القرن الاول من حكم العباسيين . وأول من حمل مشعل الطب اليوناني الى بغداد هو الطبيب جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي الذي وصل إليها في حوالي سنة 148 هـ من جنديسابور ليعالج الخليفة نفسه[9] ، وكان له كناش بالسريانية ضمنه مجرباته وآراءه الطبية ، ترجمه فيما بعد حنين بن اسحاق الى العربية[10] ، وهو أول كتاب طبي ينقل الى اللغة العربية في العصر العباسي . ولما عرف اطباء جنديسابور ما للاطباء من المنزلة في عاصمة العباسيين ، وما يحصلون عليه من هدايا الناس وتقدير الحكام وإكرامهم ، هرعوا الى الهجرة الى العاصمة الثرية بالمال والقوة يحملون إليها نفائس المخطوطات اليونانية والهندية والفارسية ، وآراءهم في الطب وتطبيقاته .

لقد كانت جنديسابور نقطة انطلاق العلوم اليونانية الطبية لتصل الى العرب في بغداد وتزدهر بها وتخطو بثبات نحو الذروة في المراتب العلمية . وبقدر ما كانت تتقدم بغداد في هذا المضمار كان الركود والتدهور يصيبان جنديسابور حتى اختفت نهائياً ، ولم يبق منها إلا بعض الآثار هي على الاكثر الخرائب القريبة من شاه أباد الواقعة على احد فروع نهر الكارون بين الشوش وتستر ، وبين الاحواز وديسابول في خرائط ايران اليوم .

---

(9) القفطي ، ص 158 .

(10) ابن ابي أصيبعة ص 184 .

الترجمة في العصر العباسي[1]

لقد ساعدت الخلافات المذهبية التي أثارها النساطرة فيما بين النصارى في منتصف القرن الخامس ، على تنشيط الحركات الفكرية عامة والطب خاصة في منطقة الشرق الاوسط . وكانت العلوم اليونانية في هذه الحقبة تكاد تكون حصراً في الاسكندرية وفي بعض مدن سوريا كالرها مثلاً . وبانتشار اللغة السريانية التي احتلت مكان اللغة الآرامية في معاهد التعليم ، بدأ النساطرة (السريان) يترجمون الكتب اليونانية الى لغتهم التي اخذت طابعاً دينياً وعلمياً معاً . وهكذا صارت اللغة اليونانية تختفي من ألسنة المتعلمين شيئاً فشيئاً الا في بعض مراكز تعليم الطب كمدرسة الاسكندرية التي ظلت تعلم الطب باليونانية .

أما في جنديسابور فقد سادت السريانية في لغة التعليم ، وقل فيها التعليم باليونانية . وربما كان سرجيوس الرأس عيني المتوفى عام 536 م أول من ترجم الكتب اليونانية في الطب الى السريانية ، فظهرت هذه الكتب بلغة سكان المشرق الاسلامي لاول مرة في الوقت الذي ذكرناه . كما ان السريان أيضاً استطاعوا بنفس الوقت أن يؤلفوا في العلوم الطبية . وهكذا توفرت لطلبة العلم من الكتب المترجمة والموضوعة كل ما يحتاجونه لتعلم صناعة الطب . ونتيجة لذلك صارت تختفى أصول المؤلفات الطبية

---

(1) اقرأ البحث الممتع (نظرة عامة على حركات الترجمة الاولى في العالم الاسلامي لرمضان شن/ مجلة معهد البحوث الاسلامية م 7 (3-4) ص 7 ، وكتاب حركة الترجمة في المشرق الاسلامي لرشيد الجميلي ، منشورات دار الشؤون الثقافية بغداد .

باللغة اليونانية . وحين دخل المسلمون أقطار الشرق الاوسط ، كان في مراكز الثقافة فيها كثير من مترجمات السريان . كما كان ما يزال في دمشق حين أقام فيها الامويون دولتهم ، بقايا من الكتب اليونانية ، وكثير من بديلاتها باللغة السريانية . فنقلت بعض هذه الى العربية ، وصارت أول ما ترجم من تلك الكتب الى العربية . ولما آلت الخلافة الى العباسيين ، اهتم مؤسسو هذه الدولة بترجمة الكتب الاعجمية الى العربية إهتماماً منقطع النظير . ويعتبر ابو جعفر المنصور (136 - 158 هـ / 754 - 775م) أول من شجع المترجمين على نقل الكتب الاعجمية الى العربية . فقد طلب من طبيبه جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي ان يطلعه على كتب الحكمة والطب التي بحوزته ، ودهش الخليفة حين وجد فيها من المعارف الجزيلة الفائدة ، فعهد بها الى المترجمين ان ينقلوها الى اللسان العربي . وراسل الروم طالباً منهم شراء بعض كتبهم القديمة . فلما صارت الكتب بين يديه دفعها الى من يعرف اليونانية ليترجمها إلى العربية . وكان قد سبق ان ترجم عبدالله بن المقفع[2] الكتاب الهندي الشهير كليلة ودمنة من الفهلوية الى العربية ، وكانت هذه تجربة ناجحة ومشجعة على المزيد من الترجمات . فترجم جورجيوس بن جبرائيل بعض الكتب الطبية من اليونانية الى لغته السريانية التي كان يفهمها أكثرية المتعلمين يومذاك ، كما نقل بعض الكتب اليونانية الى العربية . ولما تجمعت لدى الخليفة المنصور هذه الذخائر من المترجمات ، أمر بالعناية بها ، والمحافظة عليها في خزائن محروزة ليستفيد منها العلماء وطلاب العلم ، على غرار ما فعله اليونانيون في اثينة والاسكندرية عندما اسسوا دور العلم فيها[3] . فصارت تلك الخزائن البذرة التي نبتت منها (بيت الحكمة) ، وهو المعهد الذي لعب دوراً ضخماً في ترجمة الكتب اليونانية ونشرها بين المتعلمين العرب بأوسع نطاق .

وقد نشطت حركة الترجمة في عهود الخلفاء الرشيد والمأمون والمتوكل وكان من

---

(2) ابن المقفع ـ اسمه عبد الله . اديب ومؤلف عربي من أصل فارسي وكان اسمه اولاً يرزويه ، ولقب ابوه بالمقفع لانه اختلس من أموال الخلافة فضرب على يده حتى تقفعت ، وكان ابن المقفع كاتباً بارعاً سلس العبارة وقد ترجم كتاب كليلة ودمنة من الفهلوية إلى العربية وقتله الخليفة المنصور سنة 143 هـ (759م) .

(3) دور العلم ـ تنظيم ثقافي قديم ، يذكر انه كان معروفاً في كثير من المدن البابلية (طه باقر ـ اتصال شخصي) كما عرف عند اليونانيين ، وفي اسكندرية البطالسة ايضاً (مايرهوف ـ التراث اليوناني) .

ولــع هؤلاء بـالعلوم وكتبها ، انهم جعلوا الحصـول عـلى الكتب شـرطـاً من شـروط الصلح مع المدن التي يدخلونها ، وصار بـالتالي حكـام الدول المتـاخمة لاقـطار الخلافـة العبـاسية يتقـربون الى الخلفـاء بهدايـاهم من نفائس الكتب ، وحصـل الخلفـاء بهـذه الطريقة عـلى العديـد من الكتب القيمة والنـادرة . ولما رأى أعيـان الناس والاطبـاء ، شغف الخلفاء والامراء بالعلوم ، بادروا يحاكون اسيادهم بجمع المخـطوطات الاصليـة والمنسوخة ويتبارون في اقتناء أنواعها وأكبر عدد منها ، ويتعلمون لغة كتابتها ليستطيعوا قراءتها وترجمتها إلى العربية . وتعتبر الكتب المترجمة من التراثيات العربية طالما إعتمدها الاطباء العرب في دراساتهم ومصدراً لمؤلفاتهم وتطبيقاتهم .

المصطلحات في لغة الترجمة

ليس من السهل نقل الكتب الطبية من لغة الى لغة أخـرى ، ما لم يكن المتـرجم مدركاً للمعاني العلمية والتطبيقية لاصولها في لغة الكتب الأولى . وتزداد هذه الصعوبـة بصفـة خاصـة اذا لم يكن للمترجم المـام بتـطبيق العلوم الـطبيـة ، ومعـرفـة بمفـردات اللغتين . ولقد توفرت هذه المؤهلات في بعض المترجمين العرب . أما حنين بن اسحاق الذي يعتبر شيخ هذه الفئة دون منازع ، فقد كان ذامكانة في الترجمة لا مثيل لهـا لدى غيره من المترجمين . فهو طبيب ممارس ، وأديب ، ولغوي في ألسنـة السريـان واليونـان والعرب . فكانت ترجماته ناجحة الى حد بعيد . واثبت بنفس الوقت أن اللغة العربيـة قادرة على التعبير عن الافكار العلمية بملفوظـات واضحة وبسيـطة . وأعمال حنـين في الترجمة إنجاز لغوي وحضاري من درجة عالية يستحق عليه الثناء الجزيل . ويتضاعف تقديرنا لحنين حين نعرف ان ما صنعه في استعمال مفردات اللغـة العربيـة كان مجهـوداً فردياً لم يشاركه فيه احد من اللغويين . ويمكن تقـدير حجم ذلـك الجهد بـالمقارنـة الى الصعوبات التي تواجهها جامعات الـدول العربيـة في الوقت الحـاضر في ترجمـة الكتب الانكليزية أو الفرنسية الى العربية .

لقد كان حنين مرناً وبعيداً عن التزمت اللغوي اذا ما رأى ان هذا الاتجـاه يحقق الغـاية من جعـل الترجمـة مفهومـة بالنسبـة للقارىء العـربي . كـما كـان يحسن النحت والاشتقاق وابتكار الكلمات أو نقلها من معنـاها اللغـوي الى المعنى الفني . فاذا اعيتـه الحيلة في ذلك استعمل المصـطلح الاعجمي كما هـو ، أو بتحريف شكـلي في بنائـه أو

رسمه . ولنذكر فيما يلي بعض المصطلحات التي استعملت في المترجمات كمثل للتحايل الذي استعمل لحل مشاكل الترجمة . فقد ترجم كلمة Synokos التي تعني الحمى المتواصلة ، الى العربية بكلمة سنوخس ، وهي لا تختلف عن الملفوظ اليوناني الا برسمها بالحروف العربية . وعلى هذا المنوال ترجم كلمة Hemitritais ومعناها حمى شبه الربع ، الى اميطر يطاوس ، وكلمة Epipialos الى البرداء . أما Lethorgusفقد نقلها الى العربية بكلمة ليثاغورس ، وهو مرض فتور الهمة أو التراخي الجسماني . وترجم كلمة Diabetes الى العربية بكلمة ديابيطس ، و Dysentariaالى ديزنطاريا . كما نقل كلمة Phrenitis الى فرانيطس . أما ابن سينا فقد ابدل القاف بالفاء في هذه الكلمة فقال قرانيطس . وابدال حرف التاء الاعجمية بالطاء العربية متعارف عليه ، ويبدو هذا الابدال واضحاً في المصطلحات الثلاثة المتقدمة . أما كلمة برسام فهي فارسية مركبة من (بار) اي صدر ، وسام اي التهاب ، ومعناها التهاب الصدر .

وترجمت كلمة Xerion الى السريانية بكلمة ازيون ، ومن هذه الى العربية بكلمة اكسيرين ، ثم اختصرت الى اكسير على وزن افعيل . ولم يحرف الاوروبيون هذه الكلمة عندما نقلوها الى لغتهم فقالوا Elexir . كما استعمل السريان مصطلح اكريباثيون اليوناني الذي يعني تركيب الادوية ، وعنهم اخذه المترجمون العرب وحرفوه الى كلمة اقرباذين .

ووضعت ايضاً مصطلحات بحسب طبيعة المرض ومواصفاته التشريحية أو السريرية ، فترجمت Karkinus الى كلمة سرطان . وفي تشريح العين ترجمت Edipephykos الى الطبقة الملتحمة . و Keratoeidesالى الطبقة القرنية . وهذان المصطلحان باللغتين متقاربان على السمع ، وهما أيضاً وصفان صادقان لتشريح الطبقتين المذكورتين . كما ترجمت كلمة Skleros من طبقات العين الى (الطبقة الصلبة) باللغة العربية . وهي ترجمة حرفية للمصطلح اليوناني المذكور . ويظهر جمال الترجمة وبراعة المترجم في نقل مصطلح Skiadeion في علم النبات الذي يعني خيمة ، فترجم إلى العربية بكلمة التاج والاكليل . وهي ترجمة تفيد المعنى ولا تتقيد باللفظ .

وهناك مصطلحات من خالص ابتكارات المترجمين ، وليس للمفوظها علاقة تشريحية أو وظائفية أو غريزية بالمسمى ، كالوريد الاكحل ، والاخدعين ،

والابهرين ، والابجلين . وكل هـذه أوعية دمـوية لا تـزال تحتفظ بهـذه الاسـماء التي خلعت عليها منذ أربعـة عشر قرنـاً . وهنا تجـدر الاشارة الى أن عـامة الاطبـاء ، على اختلاف عصورهم الاسلامية التي تلت عصر التـرجمة قـد تبنت استعمال المصـطلحات التي وضعت حينذاك دون أن يحرفوا ملفوظها تحريفاً جذرياً .

وفي باب التعابير ، كان للمترجمين ابداع في ابتكار الالفـاظ واستعمالهـا بما يتفق والموضوعية العلمية . فاستعملوا مصطلح (محنة) بدلاً عن امتحـان ، و(ثمار) بـدلاً عن خلاصة ، و(مسألة) بدلاً عن السؤال وغير ذلك كثير .

لا يصلح هذا الحيز الضيق لنقل كل المصطلحات والاسماء الطبية اليه . ولذلك نختار بعضاً منها مما يكثر استعماله في النصوص التراثية ، ومـا نردده نحن فيـما يأتي من المواضيع الطبية :

* الشـرايين ـ وهي العـروق الضوارب (النـابضة) ومنبعهـا من القلب ، وهي تحمل الحرارة الغريزية .

* الاوردة ـ هي العروق غير الضوارب ومنبتها من الكبد .

* الابهـران ـ وهما عـرقان يخـرجـان من القلب ، ومنهـما تتشعب سـائـر الشـرايـين في البدن .

* البـاسليق ـ وهو عـرق غير ضـارب في اليد عنـد المرفق بجـانبه الانـسي الى مـا يـلي الابط . ومصطلحه معرب عن اليونانية : Basalis Vein

* القيفال ـ وهو أيضـاً من العروق غـير الضوارب . ومكـانه في الجـانب الوحشي من اليد الى ما يلي الابط . وهو معرب عن اليونانية : Cephalika

* الاكحل ـ عرق بين الباسليق والقيفال .

* الودجان ـ عرقان في العنق ، احدهما ظاهر والآخر غائر .

* حبل الذراع ـ عرق في ظاهر الساعد وهو من شعب القيفال .

* الاسيلم ـ عـرق بـين الخنصر والبنصر ، وهـو من شعب البـاسليق . ويكتب بضم الهمزة وفتح السين .

* الصافن ـ عرق في الساق ، يظهر عند الكعب في الجانب الانسي وباللاتينية Saphenos

* عرق النسا ـ ومكانه في الجانب الوحشي من الساق . وهو أيضاً مرض بنفس الاسم . ويكتب بفتح النون والسين ومقصور الآخر .

* الطبقة المشيمية في العين ـ سميت كذلك لانها تشبه المشيمة التي فيها الجنين .

* الطبقة الشبكية ـ تشبه الشبكة ، وباللاتينية Retina اي شبكة .

* القرنية ـ شبهت بالقرن لصلابتها . وباللاتينية Cornea

* الملتحمة ـ وهي بياض المقلة وسميت كذلك لالتحامها بأطراف الجفن من الداخل . وباللاتينية Conjungtiva

* السبِّل في العين ـ أن يكون على بياضها وسوادها شبه غشاء يتصل بعروق حمر غلاظ ، وتلفظ بفتح السين المشددة والباء المفتوحة .

* الظفرة ـ غشاء يأتي من المآق الذي يلي الانف على بياض العين الى سوادها .

* الطرفة ـ ان تحدث في العين نقطة حمراء من ضربة أو غيرها .

* السلَعة ـ زيادة غدّية تحت الجلد غير مؤلمة . وتلفظ بفتح السين وسكون اللام .

* النار الفارسية ـ وهي نفاخات ممتلئة ماء رقيقاً تخرج بعد حكة ولهب .

* الداحِسْ ـ ورم مؤلم شديد الضربان يظهر تحت الاظفار من الاصابع . وتلفظ بكسر الحاء .

* اللقّوة ـ ان يتعوج وجه الانسان فلا يقدر على تغميض احدى عينيه . وتلفظ بضم اللام الثانية .

* الضفدعة ـ غدة تنعقد تحت اللسان .

* الشوصة ـ ريح تنعقد في الاضلاع .

* الهيضة ـ مغس في البطن يليه قيء واختلاف . ومعنى الهيض الشهوة الكلبية ،

وفيها أن يدوم جوع الانسان ، ثم يأكل كثيراً فيثقل ذلك عليه فيقيئه .

* اعتقال الطبيعة - اي الامساك عن خروج البراز ، وهو عكس الجلاس ، والاختلاف .

* الفتق - وهو اندلاق في مراق البطن ، فاذا استلقى الانسان غاب ، واذا استوى عاد .

* البواب - هو قسم المعى المتصل مباشرة بالمعدة من طرفها الاسفل . وينضم عند دخول الطعام المعدة الى ان ينهضم .

* الاثنا عشر - وهو قسم المعى المتصل بالبواب ، وطوله اثنتا عشرة أصبعاً .

* فرانيطس - تعبير يوناني معناه هذيان ، أو سرسام .

* صفة طبية - تقابل وصفة طبية في هذا اليوم .

* المعى الصائم - وهو المعى الذي يلي الاثني عشري ، ويسمى صائماً لانه لا يثبت فيه الطعام .

* المرابض - مجاري الطعام والغذاء من المعدة إلى الكبد .

* القولون - وهو المعى الغلاظ الذي يلي الصائم ، وفيه يحدث القولنج ومنه اشتق .

* الاعور - وهو طرف بين المعى الصائم والقولون . ويكون على هيئة كيس . وسمي الاعور لانه لا منفذ له . ويسمى أيضاً المُمْرِغة (بضم الميم الاولى وسكون الثانية وكسر الراء) .

* المعى المستقيم - وهو مخرج الثقل (البراز) .

* المراق - ما لان من أجزاء البطن . ويشمل البريطوان والثرب .

* القرو - وفيها يعظم جلدة البيضتين لريح فيها ، أو ماء ، أو نزول الامعاء ، أو الثرب . والعامية تسميها (كروة) بالكاف الفارسية ، وتلفظ بفتح القاف .

* الانثيان - الخصيتان .

* الدوالي ـ عروق غلاظ ، خضراء ، شديدة الالتواء تظهر في الساق .

* الدق ـ حمى تدوم ولا تكون قوية للحرارة ، ولا لها أعراض ظاهرة ، وينتهي الانسان فيها إلى ذبول . وتستعملها العامة بمعنى السل . والدال فيها مكسورة .

* الحمى الورد ـ هي النائبة في كل يوم ، وهي بلغمية على الأكثر . وتلفظ بكسر الواو .

* الحمى الغب ـ وتنوب يوماً ويومين وتعود في الرابع ، وهي على الاكثر سوداوية .

* القارورة ـ ومعناها عيّنة البول المعدة للتحليل .

* الحمى المطبقة ـ وهي الدائمة الي لا تقلع وتكون دموية تحمر معها العينان والوجه والاذنان .

* الحمى المحرقة ـ وهي من جنس الحمى الغب إلا أنها لا تفارق البدن وتكون أقوى وأشد حرارة .

* ترياق ـ مشتق من تيروق باليونانية . ويقال لها أيضاً درياق بالعربية . دواء وضع أولاً لنهش الهوام . وترياق سم الافاعي هو الترياق الفاروق .

* اطريفل ـ معربة عن الهنلهية (ترى أبهل) اي ثلاثة اخلاط . والابهل هو الخلط .

* الجلجبين ـ هو شراب يعمل بخلط الورد والعسل .

* السكنجبين ـ شراب مركب من الخل والعسل (سك + انكبين) .

* الفرزجات والشيافات والحمولات ـ ما يحتمل من الادوية في الدبر أو في قبل المرأة .

* المرض الوافد ـ هو المرض الذي يعرض في وقت واحد لناس كثيرين في قطر واحد .

* الموتان ـ هو المرض الوافد القتال ، ويلفظ التعبير بفتح الميم والواو والتاء .

* الشيافات والاكحال وذرورات والبرودات (بفتح الباء) ـ ادوية تستعمل للعين .

* السنونات ـ وهي الادوية التي يستن بها الانسان اسنانه ، أي يسنّها بها ويحدّها .

* التفسرة ـ كناية عن البول ، او فحص البول .

* الطبيعة ـ يكنى بها عن البطن في اللين واليبس ، فيقال طبيعته يابسة ، اي بطنه معتقل .

* العلاج ـ يكنى به عن القيء .

* الرياضة ـ يقصد بها التعب والحركة .

* البحران ـ حالة تحدث للعليل تغيراً عظيماً ، فتنتقل حاله الى الاحسن ، وربما تنتقل الى ما هو أسوأ . والكلمة سريانية الاصل . ويقول الاطباء ما ينسب الى البحران باحوري .

* الاستفراغ ـ ويقصد به اخراج الطبيعة لفضول البدن بالرعاف أو بالخلفة ، أو بالقيء ، أو بالعرق .

* النفض ـ إخراج فضول البدن بالفصد او بالاسهال او بالقيء . وهي قريبة المعنى من الاستفراغ .

* السكتة ـ أن يكون الانسان ملقى كالنائم يغط من غير نوم ، ولا يحس اذا نخس .

* السبات ـ أن يكون كالنائم يحس ويتحرك إلا أنه مغمض العينين ؛ (وربما فتحها ثم عاد) .

* الفالج ـ استرخاء احد جانبي جسم الانسان (الشلل النصفي) .

* التخمة ـ امتلاء المعدة بالطعام الكثير .

* النقرس ـ ورم مؤلم في المفاصل .

* السحنة ـ حال الانسان في بدنه من الضخامة والقضامة ونحوهما .

* الشقاق ـ وتعني التشقق .

* المسألة والجواب ـ اي السؤال والجواب .

* المرض الغامض ـ الذي يؤدي الى الموت فجأة .

* ضربة ـ اي مرة واحدة ، فيقال ارتفعت الحمى ضربة .

* الارياح ـ الغازات في البطن .

مقدونيا
البحر الاسود
اليونان
اثينا
آسيا الصغرى
بغداد
جنديسابور
القرن السادس قام
سوريا
بابل
قبرص
القرن الثالث
البحر الابيض
الاسكندرية
القرن الخامس الميلادي
النيل
مصر
البحر الاحمر

مسيرة الطب اليوناني بين أثينا وبغداد العباسية

بيت الحكمة في بغداد

أكثر ما يرتبط بأمور العلم والترجمة في العصر العباسي هو ذكر بيت الحكمة[1] في بغداد . و(الحكمة) لغة هي كل ما يوافق الحق والحقيقة والعلم والحلم وتصريف الامور بحسب ذلك . وبيت الحكمة مؤسسة تعني وتبحث في كتب الامور المذكورة وأصل التعبير يوناني ، كما سمى أيضاً بيت الذهب وقد درس في هذا البيت بائينة ارسطو على شيخه افلاطون (ابن بناعة سرح العيون ـ تحقيق أبو الفضل إبراهيم (1964) ص 210وقد أسس هارون الرشيد بيت الحكمة في بغداد . ورعاها وزراؤه ومن جاء بعده من الخلفاء . وليس من المستطاع تثبيت مكانها في بغداد . وربما كانت ضمن حرم قصور الخلافة . وتلمح المصادر الى أن روادها في اليوم كانوا من الكثرة . بحيث يتعذر احصاء عددهم[2] ، مما يجعلنا هذا الخبر نعتقد أن بيت الحكمة كانت في مكان بعيد عن قصور الخلفاء ليرتاح الى دخولها عامة الناس .

وليس في النصوص التراثية معلومات تفصيلية عن مكونات بيت الحكمة ، إلا أن هناك ما يجعلنا نتصور أنها كانت عمارة كبيرة تضم قاعات للمجالس العلمية ، وحجر للعاملين في ادارتها ، وخزائن لحفظ الكتب . ودوائر للمترجمين وما الى ذلك . ومعلوماتنا عن أعمال حنين بن اسحاق في الترجمة وما يتبعها ، وعلاقته بمساعديه في هذا العمل تجعلنا أيضاً نتصور أنه كانت في بيت الحكمة مدرسة أو مثل ذلك لتعليم

---

(1) ابن النديم ـ الفهرست ص 268،276،255 .

(2) ياقوت الحموي ـ معجم الادباء 277/2 .

صناعة الترجمة . كما نعتقد أن بعضاً من العدد الكبير من المترجمين الذين يـذكرهم ابن أبي أصيبعة [3] وغيره من المؤرخين ، كانوا يعملون في بيت الحكمة أيضاً .

ولتشعب العمـل في بيت الحكمـة نصب عليهـا الخلفـاء من يقـدر عـلى إدارتهـا والمحـافظة عـلى ما فيهـا من الكتب والتحف النادرة ، كـما إنضم اليهـا عـدد كبـير من المتـرجمين ومن يسـاعـدهم في العمـل [4] ، ونسـاخـون ، ومجلدو الكتب ومـزوقـوهـا ، ووراقون لهم إلمام بمراتب العلوم والكتب التي تبحث فيها .

وإزداد إهتمام الخليفة المأمون ببيت الحكمة بشكل خـاص ، فصار يـراسل ملك الـروم يسألـه الاذن في ارسال بعض من رجـاله ليختـاروا له طـائفة من كتبهم القـديمة فأجابه الى طلبه ، فأنفذ الحجاج بن مطر وابن البـطريق وسَلْما صاحب بيت الحكمة[5]. كما يروى ان المـأمون طلب من ملك الـروم (ثاوفيل) ان يبعث اليـه العـالم (ثـاون) ليكون ناظراً على بيت العلم في بغداد ووعده ان اجابه الى طلبه بهدنة دائمة وانعـامات أخرى جزيلة فأبى ثاوفيل مما سبب حروباً بـين الطرفـين (مجلة المشرق عـدد 15/سنة 3 وربما كان مع بعثة المأمون يوحنا بن ماسوية أيضاً، وعادوا يحملون إلى بيت الحكمة ما كان من الكتب قيماً ونادراً.

كما أن المـأمون حـين هادن ملك قبـرص طلب منـه خـزانـة كتب اليـونـان التي بحوزته [6] فأرسلها إليه الملك وكان فرح المأمون بهذا الكسب شديداً [7] .

وقد تعاقب على ادارة بيت الحكمة عدد من الاطباء والحكماء ، وكان منهم سهل بن هارون[8] ومحمد بن موسى الخوارزمي . كما تولى رئاستها في عهـد الامين والمـأمون والمعتصم والواثق والمتوكل يوحنـا بن ماسويه ، وهي مـدة تقرب من نصف قـرن[9] . وتزودنا الاخبار بأنها جددت على يـدي الخليفة المتـوكل ، ولا يهمنـا كثيراً معنى وسعـة

(3) ابن ابي أصيبعة ـ عيون الانباء ص 284-289 .

(4) القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 171-380 .

(5) ابن النديم ص 205 .

(6) ابن نباتة ـ سرح العيون ص 132 .

(7) ابن النديم 295 .

(8) ابن النديم ص 295 .

(9) القفطي ص 269-270 .

هذا التجديد ، ويكفي أن نعلم منه أنها كانت حتى عهد هذا الخليفة على الاقل موضع اهتمام الحكام ، ومنتدى العلماء والمتعلمين . ثم انقطعت الاخبار الواضحة عن بيت الحكمة في حكمي المعتز والمستعين بسبب ما كان بينهما من التناحر والفتن مما ادى ذلك الى إهمال جانب العلم والعلماء من شؤون الخلافة . على أنه يبدو أن الخليفة المعتمد المتوفى سنة 279 هـ / 892م بعد ان نقل مقر خلافته من سامراء الى بغداد صار يولي بيت الحكمة رعايته ، ويشجع العاملين فيها على تنشيط الحركة العلمية والترجمة . وكان ممن عمل له في الترجمة عيسى بن علي تلميذ حنين بن اسحاق العبادي[10] وذلك بعد وفاة رئيس بيت الحكمة الاخير حنين بن اسحاق العبادي سنة 259 هـ / 873م وليس لدينا معلومات واضحة وموثقة بعد هذا التاريخ عن بيت الحكمة . والارجح أنها اقتصرت على خزن الكتب ، وانقطع عنها القراء وطلاب العلم ، وتناثرت كتبها بين الخزانات الخاصة بالخلفاء ، فقد روى أن ما نقل من خزانة المستنصر الى مكتبة المدرسة المستنصرية بغية انماء هذه المدرسة زهاء مائة وثمانين الف كتاب[11] . وربما كانت اكثر كتب دار العلم التي اسسها البويهيون في بغداد سنة 338 هـ / 998م ، نهب من خزانات بيت الحكمة .

ولا بد ان التدمير الماحق الذي لحق بغداد على أيدي المغول سنة 656 هـ /1258 م وما فعله تيمورلنك في سنتي 795 هـ / 1392م و803هـ / 1400م قد أزال كل معالم خزانات الكتب الخصوصية والعامة في بغداد المنكوبة .

المترجمون في بيت الحكمة وغيرهم من المترجمين

توسعت أعمال الترجمة في بيت الحكمة ، وازداد تبعاً لذلك عدد العاملين فيها ، وكانت رئاسة البيت تستدعي المترجمين من مختلف الاقطار ممن تتوفر فيه الكفاءة في أصول الترجمة ومعرفة اللغات دون الالتفات الى اجناسهم العرقية أو مذاهبهم الدينية او نحلهم العقائدية . فكان منهم الصابئي كثابت بن قرة الحراني ، والمجوسي كأبي سهل الفضل بن نوبخت ، والشعوبي كسهل بن هارون الدستمياتي ، وعلان

---

(10) ابن عنبة ـ عمدة الطالب ص 182 .

(11) المصدر المتقدم

الوراق[12]، والهندي كأبن منكة ، وصالح بن ذهن وغير هؤلاء . على أن أكثر المترجمين كانوا من السريان ولهؤلاء اثر كبير في إيصال المعارف اليونانية باللغة العربية إلى العرب .

وتفرغ بعض من المترجمين الى أعمال الترجمة وحدها ، ومنهم من جمع بين الترجمة والممارسة الطبية معاً . مع ذلك من الصعب تطبيق هذا التقسيم على كثير من المترجمين الذين نعرفهم .

ومما ساعد على الترجمة وكثرة المنخرطين في دائرتها هو سخاء الخلفاء والامراء ، وتقديرهم لجهود المترجمين ، وإيصالهم بالعطايا السخية ، وتسامحهم الديني والعقائدي مع غير المسلمين منهم . فلم يلتفت الحكام الى ذمية المترجمين بقدر ما التفتوا الى كفاءتهم في اللغة . ومن أكثر الامراء الذين عضدوا الترجمة والمترجمين اسرة بني برمك وأولاده موسى بن شاكر ، ثم محمد بن موسى ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، وعلي بن يحيى المنجم ، وغيرهم من المحسنين واصحاب الفضل في نشر المعرفة .

ومن الضروري ان نذكر أن اكثر المترجمين للكتب الطبية لم يكونوا من الاطباء ، ولقلة معلوماتنا عنهم يصعب تفريق الطبيب من غير الطبيب منهم ، وإن الطبيب المشهور بالترجمة لا يتحتم أن يكون ضليعاً بممارسة الطب ، كما تجدر الاشارة أيضاً الى أن ليس كل المترجمين أرفع من أن يخطئوا في النقل الصحيح إلى العربية ، وهذا ينطبق ايضاً حتى على المجيدين منهم في الترجمة ، وهو أمر طبيعي خاصة فيمن ليس له إلمام بالطب وتعابيره ومصطلحاته . ويترتب على ذلك أن بعض الترجمات العربية التي حولت فيما بعد إلى اللغة اللاتينية ، كانت صياغتها بهذه اللغة الجديدة مشوهة أو غير واضحة ، لضعف الترجمة الاولى .

ومما يجدر ذكره ايضاً أن كثيراً من الكتب اليونانية قد ترجمت الى العربية بقلم أكثر من مترجم واحد ، وذلك إما لرداءة الترجمة الاولى ، أو لانها ترجمت الى السريانية ، فأعيدت ترجمتها إلى العربية أو بالعكس ، بقلم من يجيد اللغة المطلوبة .

---

(12) علان الوراق ـ شعوبي متطرف ، فارسي الاصل ومن أتباع البرامكة عمل في استنساخ الكتب في بيت الحكمة في خلافتي الرشيد والمأمون . له كتاب الميدان في المثالب قدح فيه العرب جميعاً .

وقد يتبارى مترجمان في ترجمة كتاب لاهميته الكبيرة في الطب . ولا يعرف مترجم عربي واحد انتحل لنفسه ما ترجمه من الاعجمية الى العربية .

على ان كثيراً من الترجمات قد نسبت ترجمتها الى حنين بن اسحاق العبادي ، عمداً أو خطأ ، وذلك لجودتها وحسن عبارتها ، فلا يظنها النساخون الا أنها ترجمة حنين لا ترجمة من هو دونه مقدرة من النقلة ، فينسبون ترجمتها اليه اي إلى حنين ، ويضعون اسمه على صفحاتها الأولى[13]. بالاضافة الى ذلك فإن عدداً من الترجمات لم تكن في الحقيقة من أعمال حنين بن اسحاق نفسه ، بل هي ترجمة احد تلاميذه ومساعديه ، إلا أنها كانت لا بد ان تعرض على رئيس المترجمين حنين ليضع عليها اللمسات الاخيرة ويرسم اسمه عليها قبل أن تصدر عن بيت الحكمة . فكان هذا سبباً آخر لاختفاء اسماء كثير من المترجمين الذين عملوا في بيت الحكمة . ومن الواجب التاريخي ان نستمر على ذكر عموم من وصلتنا أخبارهم حتى لا تطمس اسماؤهم بمرور الزمان .

وجدير بالذكر ان ثمة من عمل بالترجمة في بغداد قبل ان تبدأ هذه الحركة في بيت الحكمة . فقد روى ان أبا يوحنا البطريق المتوفى سنة 184 هـ / 800م كان يترجم للخليفة المنصور من كتب جالينوس . وتيوفل بن توما الرهاوي المتوفى سنة 167 هـ /785 م وهو نسطوري من مدرسة الاسكندرية ، كان فلكياً في خدمة الخليفة المهدي ويترجم له أيضاً من مؤلفات جالينوس[14]. وسبق هذا المترجم جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي المتوفى حوالي سنة 155 هـ / 771م الذي ترجم لابي جعفر المنصور بعض الكتب اليونانية الى السريانية ثم نقلت بعد ذلك إلى العربية بقلم حنين بن اسحاق . كما نقل جورجيوس كتباً أخرى من السريانية واليونانية إلى العربية مباشرة . وأكثر الاحتمال ان هذه الكتب كانت مما يمتلكه الرهبان في حجر اديرتهم ، وربما كانت هي التي أثارت الرغبة إلى طلب المزيد من الكتب من بلاد الروم .

وقد كان عدد المترجمين في بيت الحكمة كبيراً ، قيل انه بلغ المائة ، اشهرهم جميعاً واكثرهم كفاءة وإنتاجاً هو حنين بن اسحاق العبادي . ومنهم ابنه اسحاق وابن

---

(13) القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 177 .

(14) الدوميلي ـ العلم عند العرب ص 127 .

اخته حبيش بن الاعسم ، وعيسى بن يحيى وايوب الرهاوي وثابت بن قرة ، وقسطا بن لوقا . وسوف نتكلم عن كل واحد من هؤلاء على انفراد لتوفر المعلومات الكثيرة عنهم . أما المترجمون الآخرون فسنذكرهم فيما يلي باختصار . ولا يدخل في هذا الباب المترجمون في غير العلوم الطبية .

1 ـ حنين بن اسحاق ـ أشهر المترجمين عموماً واكفؤهم وأكثرهم علماً باليونانية والفارسية والسريانية والعربية ، وسوف نتكلم عنه باسهاب في الفصل المخصص لاطباء اقطار الخلافة العباسية .

2 ـ اسحاق بن حنين ـ يعرف من اللغات ما يعرفه ابوه حنين . وعبارته في الترجمة عذبة وفصيحة (تأتي ترجمته) .

3 ـ حبيش بن الاعسم ـ هو ابن أخت حنين بن أسحاق واكثر ترجماته الى العربية ، وكان يجيدها ويحسن استعمالها في الترجمة . وشهرته بهذا الحقل أقل من واقعيته (تأتي ترجمته) .

4 ـ قسطا بن لوقا ـ عالم وفيلسوف وخبير باللغات ومترجم .

5 ـ تيوفيل بن توما الرهاوي ـ وكان ممن يترجم كتب اليونانيين للخليفة المهدي .

6 ـ زروبا بن مانحوه الناعمي الحمصي ـ نقله متوسط الجودة .

7 ـ ابو ابراهيم ايوب الابرش ـ كان ينقل الى اللسان السرياني وكانت مترجماته الاخيرة تضاهي مترجمات حنين في جودة العبارة ، وقد ترجم زهاء خمسة وثلاثين كتاباً من اليونانية الى السريانية (اقرأ رسالة حنين بن اسحاق الى علي بن يحيى المنجم فيما ترجم وما لم يترجم من كتب جالينوس) كما لايوب الرهاوي كتاب موسوعي قيم باسم دائرة المعارف الاسلامية أو كتاب الكنوز . وقد ترجمه من لغته السريانية الى الانكليزية مثكنة سنة 1935 . وحاول الاب يوسف حبي أن يعتبر ايوب الابرش (ابو ابراهيم) وأيوب الرهاوي شخصاً واحداً باسم أيوب الابرش الرهاوي (مجلة المجمع العلمي العراقي ج 2 (1983) ص 124-142بينما ابن ابي أصيبعة لا يعتبر ايوب الابرش من مدينة الرها (ص 241) كما لا يعدّه من المترجمين المجيدين أو المكثرين من الترجمة كأيوب الرهاوي (ابن أبي أصيبعة ص 281) .

8 ـ ابو يوحنا البطريق ـ يعتبر هذا المترجم من اوائل من اشتغل بالترجمة . وكان في خدمة المنصور وتوفي سنة 184 هـ / 800م . وقد نقل الى العربية عدداً من كتب ابقراط وارسطو .

9 ـ يوحنا بن البطريق[15]ـ كنيته ابو زكريا وكان مولى للمأمون ، ولم يكن طبيباً بل كان أميل الى الفلسفة . وكان يعرف اللاتينية كما يعرف اليونانية والسريانية . ومن يعرفون اللغة الاولى يومئذ قلة نادرة . وهو الذي ترجم كتاب سر الاسرار المنسوب الى ارسطو . على ما فيه من أوهام يضم معلومات في تدبير الصحة ووظائف الاعضاء . وللكتاب نسخ عربية كثيرة . كما ترجم لارسطو الى العربية كتاب طباع الحيوان وكتاب اجزاء الحيوان وقد نشر الاستاذ بدوي الكتابين حديثاً . وله أيضاً كتاب السموم ومخطوطته في ايا صوفيا ، وترجم كتاب ابقراط عن الموت ومخطوطته بمكتبة باريس الاهلية .

10 ـ اسطاث (اسطاثيون) ـ كان بطريق الاسكندرية واشترك سنة 179 هـ / 795م مع سلفه في هذا المنصب في ترجمة الكتب ليحيى البرمكي .

11 ـ سرجيوس بن الياس الرومي ـ وهو الذي ترجم كتاب في الاسابيع ، وكتاب الغذاء لابقراط ، وكتاب الترياق لجالينوس ، وله أيضاً رسالة في الادوية[5] .

12 ـ الحجاج بن يوسف بن مطر ـ وهو الحاسب الوراق الكوفي . ترجم كتاب المجسطي لبطليموس ، وكتاب الاصول لاقليدس . ويذكر انه صنع ترجمتين للكتاب الاخير واحدة تعرف بالهاروني (نسبة الى هارون الرشيد) واخرى بالمأموني (نسبة الى المأمون)[16] .

13 ـ عيسى بن صهاربخت ـ اصله من جنديسابور ، ويظن انه حفيد ماسرجويه النصراني ، ترجم المقالات الثلاث الاخيرة من كتاب تفسير جالينوس لكتاب الفصول

---

(15) ترجمة ابن البطريق في حاشية كتاب الطبقات لابن جلجل تحقيق فؤاد سيد ص 69 ، والفهرست لابن النديم ص 244 ، ومختصر الدول لابن العبري ص 239 ، وابن ابي اصيبعة ص 282 وبروكلمان 4/93-95 .

(16) بروكلمان 4/93-94 .

لابقراط ، كما له كتاب قوى الادوية المفردة .

14 ـ ماسرجيس (ماسرجويه) ـ طبيب سرياني عاش في أيام هارون الرشيد ويجيد النقل من السريانية إلى العربية . وله بالاضافة الى أعماله في الترجمة كتاب قوى الاطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها .

15 ـ عيسى بن ماسرجيس ـ كان مثل ابيه في حسن الترجمة ، ويعمل بالطب أيضاً . وله كتاب الالوان والروائح . وقد يكون هو ابو صهاربخت .

16 ـ شهدي الكرخي ـ من سريان الكرخ ببغداد . وكان ينقل من السريانية الى العربية .

17 ـ عبدالله بن علي ـ كان يحسن اللغة الفارسية ، وقد ترجم كتاب شارك (شرك) الهندي من الهندية الى العربية .

18 ـ سرجيوس الراسعين ويسمى أيضاً سرجس الراسي . وهو غير سرجيوس الراسعين المتوفى في الاسكندرية سنة 536 م فهذا غير اسلامي العهد وسرجيس الراسي الذي ذكره ابن ابي أصيبعة ص (281) ، والذي ورد ذكره ايضاً في رسالة حنين الى علي بن يحيى المنجم هو من جملة النقلة في العصر العباسي (ابن أبي أصيبعة ص 279) . وترجمات سرجيس الراسي جميعها الى السريانية ولم تكن بدرجة مقبولة فأعاد حنين بن اسحاق ترجمتها مرة أخرى الى السريانية . وهذه قائمة أعماله التي أشرنا إليها .

(1) تفسير تقدمة المعرفة لابقراط .

(2) تدبير الامراض الحادة لابقراط .

(3) كتاب دلائل علل العين .

(4) كتاب الاسطقسات .

(5) ك . في القوى الطبيعية .

(6) ك . النبض الكبير .

(7) ك . في قوى الاغذية .

(8) ك . في أيام البحران .

(9) ك . البحران .

(10) ك . في الكيموس .

(11) ك . في تركيب الادوية .

(12) ك . في الادوية التي يسهل وجودها .

(13) الجزء الثاني من كتاب الادوية المفردة .

(14) الست مقالات الاولى من كتاب حيلة البرء .

(15) ك . الصناعة الطبية .

(16) ك . الى اغلوقن في تداوي الامراض .

19 ـ ابن شهدي (شهدا) الكرخي ـ من سريان الكرخ . وكان يترجم الى السريانية ، ومن أعماله :

(1) ترجمة كتاب الفرق لجالينوس .

(2) كتاب الصناعة الطبية لجالينوس .

(3) كتاب في النبض لجالينوس .

20 ـ الحسين بن ابراهيم بن الحسن بن خورشيد الطبري الناتلي ـ عمل في الترجمة سنة 380 هـ / 999م . وله ترجمة مصححة لكتاب ديوسقريدس في الحشائش[17] .

21 ـ عيسى بن يحيى بن ابراهيم ـ من تلاميذ حنين بن اسحاق ، ومن المترجمين الكثيري الانتاج . شارك حنين في ترجمة كتاب طبيعة الانسان ، وكتاب الفصول ، وتقدمة المعرفة ، وكتاب الامراض الوافدة ، وكتاب الغذاء . وكل هذه الكتب منسوبة لابقراط . كما شارك في ترجمة كتاب الحشائش لديوسقريدس ، وكتاب اختلاف الاعضاء المتشابهة الاجزاء ، وكتاب اليرقان لجالينوس ، وكتاب العروق الضوارب

(17) المصدر السابق 122/4 .

هل يجري فيها الدم بالطبع أو لا لجالينوس[18] .

22 ـ يوسف الناقل ـ وكنيته ابو يعقوب ، واسم أبيه عيسى ، ويلقب بالناعس ، وهو طبيب ومترجم . اصله من الاحواز ، وتعلم الطب على عيسى بن صهاربخت .

23 ـ ثابت الناقل ـ لم يعمل كثيراً في الترجمة . من أعماله ترجمة كتاب الكيموسين المنسوب لجالينوس .

24 ـ يحيى بن سيار ـ ترجم رسالة جالينوس في النوم واليقظة[19] .

25 ـ ابراهيم بن الصلت ـ وكان يعرف اللغتين اليونانية والسريانية إضافة الى العربية : من أعماله : (بروكلمان 123/4)

(1) كتاب الاورام لجالينوس وقد ترجمه إلى العربية لاحمد بن موسى .

(2) كتاب في حيلة البرء لجالينوس ، وقد ترجمه الى السريانية .

(3) رسالة في صبي يصرع لجالينوس وقد ترجمه الى العربية والسريانية .

26 ـ عيسى بن اسحاق بن زرعة ـ كنيته ابو علي ، نصراني يعقوبي النحلة ، اشتغل بالفلسفة والطب والترجمة . نقل إلى العربية تفسير يحيى النحوي لكتاب منافع الاعضاء في جسم الانسان لجالينوس . توفي سنة 398 هـ / 1008م[20] .

27 ـ ابو يوسف الكاتب ـ ترجم كثيراً من كتب ابقراط إلى العربية .

28 ـ نظيف القس ـ يوناني الاصل . طبيب ومترجم ورجل دين . عمل في الترجمة كما مارس الطب في البيمارستان العضدي .

29 ـ عيسى بن علي ـ وله إضافة الى أعماله في الترجمة كتاب السموم ، وكتاب منافع الحيوان ، وهو أحد تلاميذ حنين بن اسحاق البارزين .

---

(18) المصدر السابق 118/4-119 .

(19) المصدر السابق 123/4 .

(20) المصدر السابق 122/4-123 .

30 ـ قيضا الرهاوي ـ كان يساعد حنين بن اسحاق في الترجمة حين تكثر أعمال حنين في بيت الحكمة .

31 ـ عيسى بن يحيى ابراهيم ـ من تلاميذ حنين بن اسحاق ، ومن المترجمين الكثيري الانتاج ، وجميع ما ترجمه كان إلى اللغة العربية ، ولبعض من كتب جالينوس بالتحديد من أعماله :

(1) كتاب الترياق ـ ترجمه لابي موسى بن عيسى الكاتب .

(2) تفسير عهد ابقراط .

(3) تفسير تقدمة المعرفة .

(4) تفسير كتاب القروح .

(5) تفسير كتاب الاخلاط ترجمه لاحمد بن موسى .

(6) كتاب في أوقات الامراض .

(7) نوادر تقدمة المعرفة ـ وقد اصلح هذه الترجمة اسحاق بن حنين .

(8) كتاب الفصد .

(9) كتاب في العروق الضوارب .

(10) كتاب قوى الادوية المسهلة .

(11) كتاب اختلاف الاعضاء المتشابهة الاجزاء .

(12) تفسير جالينوس لكتاب طبيعة الانسان لابقراط .

(13) كتاب في ان الطبيب الفاضل فيلسوف .

32 ـ فثيون الترجمان ـ كان ينقل من اليونانية والسريانية الى العربية ، ومعرفته بالعربية ضعيفة .

33 ـ منصور بن باناس ـ عمل في الترجمة من السريانية إلى العربية وبالعكس .

34 ـ عبد يشوع بن هرمز ـ هو مطران الموصل وصديق جبرائيل بن بختيشوع . ويترجم له الى السريانية .

35 ـ ابراهيم بن بكس ـ من أطباء بغداد المشهورين . لغته العربية سليمة ، وقواعدها صحيحة ، ونقله جيد ومرغوب فيه . عمل في البيمارستان العضدي ببغداد ، وفقد بصره في أواخر عمره .

36 ـ علي بن ابراهيم بن بكس ـ كان مثل أبيه يعمل طبيباً ومترجماً واشتغل معه بالبيمارستان العضدي .

37 ـ العباس بن سعيد الجوهري ـ ترجم كتاب السموم لشاناق الهندي من الفارسية إلى العربية بأمر الخليفة المأمون . وكان الكتاب في الاصل باللغة الهندية ، فكتبه ابو حاتم البلخي بالفارسية على تفسير منكة الهندي للكتاب .

38 ـ سعيد بن يعقوب الدمشقي[21] ـ كنيته ابو عثمان ، من المترجمين المجيدين . كتب أكثر أعماله لعلي بن عيسى الجراح (334 هـ / 946م) وزير المقتدر . وقد ولي امرة البيمارستان في بغداد ومكة والمدينة . من أعماله ترجمة كتاب البول لمغنس الحمصي[22] .

39 ـ ابن ناعمة ـ اسمه عبد المسيح بن عبدالله بن ناعمة الحمصي . من نساطرة حمص ، واستوطن بغداد في خلافة المعتصم (218-227 هـ / 833-842م) وترجم له كتاب اثولوجيا لفرفريوس الذي راجعه بعد ذلك الكندي .

40 ـ هلال بن ابي هلال الحمصي ـ من نساطرة حمص .

41 ـ عيسى بن اسيد ـ من سريان بغداد . تتلمذ على ثابت بن قرة وصار يترجم له .

42 ـ أيوب الرهاوي ـ عالم باللغة اليونانية إضافة الى لغته السريانية ، وكثير الانتاج في النقل من اليونانية الى السريانية . ويعتبر من حيث كثرة ترجماته الى هذه اللغة نداً

---

(21) المصدر السابق 119/4 .

(22) مغنس الحمصي ـ من اطباء مدرسة الاسكندرية بعد دفعة يحيى النحوي ، عاصر صدر الاسلام وكان يجيد ممارسة الصنعة (القفطي ص 322 ، بروكلمان 118/4) .

لحنين بن اسحاق ، إلا ان حنيناً لم يرض على لغته في تلك الترجمات فأعاد نقلها بقلمه الى السريانية أيضاً . كما يحتمل أن يكون ايوب الرهاوي إسبق من حنين في بدء نقل المؤلفات اليونانية الى السريانية وقد ذكر حنين ما ترجمه الرهاوي من مؤلفات جالينوس في رسالته الى المنجم التي مرّ ذكرها في موضوع أعمال جالينوس وهي :

(1) كتاب فيما وقع عن الاختلاف في التشريح .

(2) ك . الحيلة لحفظ الصحة .

(3) تفسير كتاب الفصول لابقراط .

(4) تفسير كتاب جراحات الرأس لابقراط .

(5) تفسير كتاب الابديميا لابقراط .

(6) ك . أوقات الامراض .

(7) ك . الاورام .

(8) ك . في المرة السوداء .

(9) ك . في رداءة التنفس .

(10) ك . نوادر تقدمة المعرفة .

(11) ك . الذبول .

(12) ك . في آراء ابقراط وافلاطون .

(13) ك . في سوء المزاج .

(14) ك . في تشريح الرحم .

(15) ك . فينكس .

(16) ك . الصناعة الطبية .

(17) المقالات السبع الاخيرة من كتاب النبض .

(18) كتاب في علاج التشريح .

(19) كتاب تشريح الحيوان الميت .

(20) كما لايوب الرهاوي كتاب في التفسرة .

43 ـ اصطفن بن باسيل ـ هو ابن باسيلوس المطران . رومي الاصل ، ويجيد اليونانية ويترجم منها إلى العربية . من أعماله :

(1) كتاب الامتلاء .

(2) كتاب المرة السوداء لجالينوس . وقد ترجمه لمحمد بن موسى .

(3) كتاب الذبول لجالينوس . ترجمه لمحمد بن موسى .

(4) كتاب الحاجة الى التنفس .

(5) كتاب حركة الرئة والصدر .ترجمه إلى العربية وأصلح الترجمة حنين بن أسحاق .

(6) كتاب في حركة العضل . ترجمه لمحمد بن موسى . واصلح الترجمة حنين .

(7) كتاب الاعشاب لديوسقريدس واصلح الترجمة حنين بن اسحاق .

44 ـ ابو زكريا بن عدي التكريتي ـ من اليعاقبة النصارى ومن تلاميذ ابي بشر متي بن يونس والفارابي . توفي سنة 363 هـ / 973م بعمر الواحدة والثمانين سنة . وله مترجمات في العلوم المنطقية اليونانية . وترجمة فيلوبونس على كتاب الترياق لجالينوس[23] .

45 ـ ابو بشر متي بن يونس ـ من أهل دير قنى او دير القديس مرماري المجاور لجنوب بغداد ، وإليه ينسب . كان أكبر المنطقيين في زمانه . توفي في بغداد سنة 328 هـ /940 م . وله ترجمة كتاب البرهان لارسطو الى السريانية . ونقل هذه الترجمة اسحاق بن حنين الى العربية .

---

(23) بروكلمان 4/120-121 .

46 ـ عبدالله بن علي ـ يحسن الفارسية وقد ترجم كتاب شاراك الهندي من هذه اللغة إلى العربية .

47 ـ موسى بن خالد الترجمان ـ ترجم الكتب الستة عشر لجالينوس من السريانية بقلم سرجيوس الراس عيني الى اللغة العربية .

48 ـ نظيف القس الرومي ـ من أطباء المستشفى العضدي ببغداد وكان يترجم من اليونانية الى العربية .

49 ـ يوحنا بن بختيشوع طبيب الخليفة المعتمد العباسي وكان يترجم من اليونانية إلى العربية .

50 ـ عيسى بن أسَيْد ـ تلميذ ثابت بن قرة ومساعده في الترجمة .

51 ـ موسى بن ابراهيم الحديثي ـ وقد ترجم كناش ابن سرابيون الى العربية .

(52) أبو الحسن بن البهلول ـ وقد ترجم كناش بن سرابيون الى العربية.

(24) سرياني من مواليد الطبرهاني الواقعة بين بغداد وسامراء، درس الطب في بغداد مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وله كتاب ثيم باسم كتاب الدلائل، وقد حققه الدكتور يوسف خبي ونشره معهد المخطوطات العربية بالكويت سنة ١٩٨٧.



الطب والاطباء في العصر العباسي

برزت اثناء مسيرة الطب العربي ظواهر علمية يمكن إعتبارها فواصل بين مراحل التطور المختلفة في تلك المسيرة ، ويحسن بنا على هذا الاساس ان نضع للطب العربي أربع مراحل :

المرحلة الاولى :

وتمتد فيها بين العصر الجاهلي ، وبداية ترجمة الكتب اليونانية والهندية إلى العربية في صدر الخلافة العباسية (ق 2 هـ /منتصف ق 9م) . وكان الاطباء في هذه المرحلة يعتمدون في ممارساتهم على العرف والتقليد في التشخيص والعلاج دون علم بتشريح الجسم وفسلجته ، أو تعليل ظواهره وأعراضه المَرضيّة .

المرحلة الثانية (مرحلة الترجمة)

وتمتد من بداية ترجمة الكتب الاعجمية الى بداية ظهور علماء الطب في مطلع القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي . وهي فترة ليست بالطويلة ، إذ لم تمتد أكثر من قرن ونصف . وكان الاطباء العرب فيها على أبواب المعرفة لا في رحابها ، وطلاب علم لا متخرجين فيه . إلا أنهم مع ذلك كانوا يمارسون الصنعة ويشعرون بلذة النجاح في تطبيقها . وكانت فئة المترجمين وعلى رأسهم حنين بن اسحاق (- 194 260هـ / 809-873م) في هذه المرحلة هم النجوم اللامعة بين العاملين في الحقل الطبي وارساء قواعده . فقد قدموا للعرب والانسانية بهذا الحقل ما لا يعادله فخراً أي من

أعمال الاطباء الآخرين . ولولا هم لم يكن يعرف الى أي مدى من الزمن كان سيتأخر وصول الطب العلمي الى العرب . وبالرغم من ان حنين بن اسحاق لم يكن ممارساً جاداً بقدر ما هو عالم ومترجم عظيم ، إلا أن وفرة أعماله في الترجمة وسعة اطلاعه على تآليف الاطباء وافكارهم ممن سبقوه من اليونانيين وغير اليونانيين ومن عاصروه من العرب ، جعلت منه شخصية مثالية للطبيب العالم لا تناظرها إلا شخصية ابقراط من حيث الامانة والورع ، وحب المعرفة ، والعطف على المرضاء والمحتاجين ، والاخلاص والصدق في تعليم الصنعة لمن يريد أن يتعلمها . وربما كان المترجمون قسطا بن لوقا وثابت بن قرة ، والكندي ، من ناحية الجدية في مثل حنين ، ولو أنهم كانوا على مراتب مختلفة في العلوم الطبية .

أما بعض المؤلفات الطبية التي ظهرت في هذه المرحلة ككتاب فردوس الحكمة لابن ربن الطبري (حوالي 236 هـ / 850م) ، وكتاب الجماع لابن فليتة احمد بن محمد بن علي (231 هـ / 845م) ، وكناش ابن اللجلاج ، فان هذه الكتب وأمثالها لم تكن قد وضعت عن تجربة علمية واسعة . وإن أكثر مادتها كانت منقولة عن الكتب اليونانية والهندية ، والاصلية منها هزيلة يخالطها الكثير من الاوهام واستعمال التعاويذ والتداوي بالاحجية . ونعرف على الاقل أن مؤلفيها لم يبرعوا في الممارسة بما يوازي شهرة كتبهم الضخمة ، وهذا ينطبق حتى على ابن ربن الطبري . وكان منهم من لم يمارس الطب إلا بالمناسبات ، أو لم يمارسه إطلاقاً كابن فليتة . على ان ذلك لا ينقص من قيمة كتبهم المذكورة لما فيها من أصول الطب الهندي والفارسي واليوناني ، وتباشير الطب العربي . وعلى هذا يصح جداً أن نسمي هذه المرحلة ، مرحلة الترجمة للاسباب التي مر ذكرها .

المرحلة الثالثة

هي مرحلة النضوج في الفكر الطبي وتأليف الكتب فيه ، وتبدأ من أول القرن الرابع هـ /القرن العاشر الميلادي . وبشائر قطوف هذا النضوج العلمي كان من عبقرية الرازي (240-320 هـ / 851-932م) ثم المجوسي (384هـ / 994م) وابن سينا (315-429 هـ / 937-1037م) .

وسوف نرى مما يلي ان هؤلاء الاطباء الثلاثة ليسوا من أعلام الطب العربي

وحسب ، بل من رواد الحضارة الانسانية عامة . وإنه لا يجوز أن يذكروا إلا الى جانب كبار أطباء اليونان الاوائل . ومنهم من يعتبر من أفذاذ علماء الطب على مدى التاريخ .

لمرحلة الرابعة

وهي مرحلة الركود في الفكر الطبي التي انتهت بالضمور العام في الفعاليات العلمية والبحث والتأليف . وبداية هذه المرحلة باهتة غير محددة . وقد تكون شرعت في القرن السادس الهجري/الثالث عشر الميلادي . اما ابن البيطار وابن النفيس اللذان بزغا في ظلمة القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي فنذكرهما كنادرتين ظهرتا في تلك المرحلة . وكان حين بدأت مرحلة الركود في الفكر الطبي العربي ، قد وصل طب العرب وعلومهم الأخرى الى أوروبا اللاتينية لتؤسس عليها دعائم حضارة هذا القرن . وإذ أن الفترة فيما بين وصول الطب العلمي الى العرب ويوم انحساره ونهاية أمره لا تزيد على خمسة قرون ، فإن الخلافة العباسية قد عاشت في كل أدوار ومراحل الطب العربي التي ذكرناها . وكانت أقصر تلك المراحل التي عاشتها هي المرحلة الأولى وأطولها هي المرحلة الأخيرة ، بينما لم تعش أي من الأقطار الاسلامية الأخرى المرحلتين الأولى والثانية في تلك المسيرة ، فوصل إليها الطب بحالة نضوجه ، وتمتعت بثماره ، ولم تزد عليه إلا شيئاً يسيراً من الطب الجراحي ومفردات الادوية . وعلى هذا فلا ضرورة أن نحور في مراحل الطب العربي التي ذكرناها ، أو نضع تقسيماً آخر عند الكلام عن مسيرة الطب في الأندلس أو مسيرته في مصر أو في ديار الشام بعد الحكم الأيوبي ، إذ أن الطب في الأقطار المذكورة ما هو إلا امتداد للطب العربي في العاصمة العباسية .

الطب والممارسة الطبية في بغداد

كان في فارس في مستهل الدولة العباسية عدد غير قليل من الأطباء الفرس بالاضافة الى الأطباء اليونانيين والهنود والسريان . وكانت هذه الطبقة الأخيرة في هذه الصنعة ، وخصوصاً من عمل منهم في جنديسابور . فلما أنشئت بغداد انتقل إليها عدد غير قليل من أولئك الأطباء ، كان أبرزهم البختيشوعيون وبعض الهنود . وفي ذلك الوقت كان الاسلام دين الدولة في فارس ، وكانت لغة القرآن لغة العلم والتأليف فيها ، ولم يبق ممن احتفظ باللغة الفارسية الا غير المتعلمين ، ومتعلمون قليلون ليس لكتبهم الا فئة خاصة وقليلة من القراء . على ان سيطرة اللغة العربية في لسان المتعلمين الفرس لم تمنع ان يتأثر الطب العربي بالطب الفارسي الذي تمازجه قواعد التنجيم والقوى السحرية ، وان يأخذ منه كثيراً من اسماء الادوية وطرائق المعالجة ، كما تأثر الطب العربي بالطب الهندي الذي يعني بالمواليد والطوالع ، والسموم بصفة خاصة . ومن المؤسف أن مترجمات الكتب الهندية لم يصل ما يكفي منها إلينا لنقدر مكانة الفكر الهندي في الطب العربي ، إلا اننا نعرف أن كلاً من ابن ربن الطبري والرازي قد اخذا عن كتب علماء الهند امثال سوسروتا وشاراك في كتابيهما فردوس الحكمة والحاوي في الطب . كما نعرف ان عدداً من الاطباء الهنود قد اشتغلوا في بلاط هارون الرشيد الى جانب الاطباء النساطرة الكبار ، كما عمل قسم منهم بترجمة كتبهم الى العربية ، وبذا نستطيع أن نحسب أن الفكر الهندي قد شارك الى حد ما في انشاء الثقافة العربية في الطب بالرغم من خلو مكتبات الاطباء العرب من كتب تلك الافكار . ويجوز أن يكون عدم وصول المترجمات الهندية الينا بسبب الشهرة الواسعة

التي حظيت بها كتب المعارف اليونانية ، فقلّ تداول المترجمات الهندية ثم اختفت نهائياً بمرور الزمن لتوقف تناقلها بين القراء .

وانتقل الى بغداد الناشئة ايضاً اطباء من دمشق بعد سقوط الدولة الاموية . وكان أكثرهم من الاروام والنساطرة السريان . وهكذا تجمع في بغداد خليط من الاطباء من مختلف القوميات والاديان والالوان . وكان النساطرة ابرزهم جميعاً وأوسعهم شهرة ، وأقدرهم في الممارسة . أما الاطباء العرب فكانوا قلة ومبتدئين في مهنتهم لا اساتذة فيها .

ومن الامور المتوقعة أن يكون الاطباء الاعاجم والاغارب هم المسيطرون على سوق الطبابة في بغداد الحديثة ، وأن تكون طبابة أهل البلد كاسدة كما رواها ابو الحارث اسد بن جاني ، وهو من أطباء بغداد يومئذ ، فكسد مرة وقل في دكانه عدد المرضى فلاحظ ذلك احد مراجعيه وقال له : (السنة وبئة ، والامراض فاشية ، وانت عالم ، ولك صبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن اين يأتي هذا الكساد ؟ - قال : اما واحدة فاني عندهم مسلم . وقد اعتقد القوم قبل ان اتطبب لا بل قبل ان اخلق ان المسلمين لا يفلحون في الطب . واسمي اسد وكان ينبغي أن يكون صليبياً او جبرائيل او يوحنا . وكنيتي ابو الحارث ، وكان يجب أن يكون ابو عيسى وابو زكريا وابو ابراهيم . وعلي رداء قطن أبيض ، وكان ينبغي أن يكون ردائي حريراً اسود ، ولفظي عربي ، وكان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهل جنديسابور)[1] .

ولا شك ان اطباء بغداد قد ازداد عددهم بعد شيوع ترجمات بيت الحكمة . ورغم أن العرب قد اندفعوا بجموح لدراسة الافكار اليونانية بتلك الكتب الا انهم لم يعتنقوا كل تلك الافكار ، فلم تستملهم قراءة الاساطير اليونانية أو تعلم النحت والرسم والتمثيل المسرحي ، ولا اي شيء يعارض التوحيد والشريعة الاسلامية . لقد تبنوا من علوم اليونان صنفين من المعارف هما الفلسفة والطب . أما الطب فحاجة لا يستطيع ان يستغني عنها الانسان ، ولم يعد العربي الذي طورته المدينة وأسباب الحياة فيها أن يكتفي بطبه البدائي ، فاندفع يدرس الطب اليوناني بهمة ولذة . وأما الفلسفة

---

(1) الجاحظ - البخلاء ، ص 102 .

فقد وجدت بيئة صالحة بين العرب ، وسبق أن تكلم المعتزلة بما في نحوها من الآراء . فالعرب كانت لهم سابقة بالفلسفة فلم تتعبهم تفاصيلها بل زادتهم تشوقاً لتدارسها بعمق . وكانت الفلسفة بالنسبة لليونانيين جزءاً لا يمكن إبعاده عن الطب ، كما لا يمكن ابعاد الطب عن الفلسفة ، فكان من يريد ان ينخرط في سلك الطب أن يدرس الفلسفة أيضاً ، فالطبيب لا بد أن يكون فيلسوفاً بنفس الوقت . وإلا فهو متطبب لا طبيب . وعلى هذا الرأي مشى من يريد أن يكون طبيباً . فكان أكثر الاطباء العرب وخصوصاً البارزين منهم ، يتعاطون الفلسفة بقدر ما يمارسون الطب .

وهناك فلاسفة من العرب كانوا يمارسون الطب نظرياً فقط دون التطبيق ، فيعملون بتدريسه للتلاميذ اكثر مما يعملون بممارسته على المرضى . والارجح أن كبير شيوخ بغداد في الطب ابا الفرج بن الطيب كان من هذه الفئة .

وكان أسلوب الممارسة الطبية في صدر الخلافة العباسية نموذجاً لما كان يعمل به في جنديسابور الذي يعتمد جله على (الاستفراغ) بالقيء ، والاسهال ، والحقن ، والفصد والحجامة ، والتعريق لتعديل سوائل الجسم واخلاطه . وهو اسلوب يوناني في الاصل ، ثم ادخل عليه شيء من التطويرات الفارسية والهندية .

أما الادوية التي استعملها اطباء بغداد بتلك الحقبة فكان أكثرها من نبت الارض ، وبعضها من مصادر حيوانية أو معدنية . وتعرف بأسماء فارسية أو يونانية . وقد بدأت محاولات الاطباء العرب في إبدال اسماء تلك الادوية بالعربية ثم زادت معلوماتهم في استعمالاتها بعد ترجمة كتاب ديوسقريدس في الحشائش من قبل مترجمي بيت الحكمة ببغداد .

وفي العلوم الجراحية مارس الاطباء بعض العمليات في هذا الفن بمستوى رفع الحصى من المثانة ، وقدح العين ، والتوليد العسر ، والختان ، والكي وما إلى ذلك . واعتبرت الجراحة بشكل عام أقل مستوى في الفكر من الطب الباطني .

وكان يتم علاج المريض في بيته عادة ، أو في حانوت طبيبه فكان ثمة صيدلاني الى جانب ذلك الحانوت لدق الادوية وتحضيرها بحسب الوصفة التي يحملها المريض من طبيبه . أما العلاجات اليدوية بغير العقاقير فيحيلها الطبيب الى زملائه المختصين بها وأكثر تلك العلاجات اليدوية هي الفصد والحجامة كما كانت تستطب

والمسهلات والمقيئات للاصحاء بقدر ما تستطب للمرضاء ، إن لم يكن أكثر من ذلك[2] ، وهذه احدى الفروق المهمة بين ممارسة الطب العربي بعد تطويره بحسب المفاهيم اليونانية وقبل ذلك . فالطب العربي على مدى ازدهاره فيما بين القرن الثالث والسادس الهجري كان طباً للاصحاء بقدر ما كان طباً للمرضاء . أو كما قال سنان بن ثابت بن قرة لعضد الدولة البويهي : (إن موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة الامراض)[3] وبمفهوم الطب الوقائي ذي القيمة الاعلى في دفع الامراض ، نحسب ان نمط التطبيب الذي ذكرناه كان من خصائص الطب العربي ، ولم يكن مارسه اليونانيون بسعة ، ولا غير اليونانيين ممن سبق العرب إلى معرفة صناعة الطب .

وأول مستشفى عرف في بغداد هو الذي شيده هارون الرشيد والذي أولى رئاسته الى ماسويه الخوزي ؟ باشراف طبيبه الخاص جبرائيل البختيشوعي[4] . والمستشفى المذكور صورة محسنة ومكبرة لبيمارستان جنديسابور . وبقيت بغداد ليس فيها إلا هذه المستشفى حتى حكم الخليفة المعتضد المتوفى سنة 289 هـ / 902م حين اسس مولاه وقائد جيشه بدر الحمامي[5] بيمارستانا باسمه في محلة المخرّم[6] . وتولى ظهور البيمارستانات بعد القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي . ولم ينسلخ القرن الرابع حتى كان في بغداد وحدها ما يزيد على الستة بيمارستانات . ولم يكن لهذا العدد من البيمارستانات نظير في اية مدينة في العالم قبل حلول القرن التاسع عشر .

كما صار للممارسة الطبية والعمل بالبيمارستانات صبغة انسانية مميزة أملتها التقاليد العربية والشريعة الاسلامية ، وخصوصاً في مجانية التطبيب والتعاطف على

---

(2) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ، ص 180 .

(3) المصدر السابق ، ص 308 .

(4) احمد عيسى ـ البيمارستان في الاسلام ، ص 178 .

(5) بدر الحمامي ـ ابو النجم بدر بن عبد الله مولى المعتضد بالله ، ينسب الى طير الحمام ، ويسمى أيضاً بدر الكبير . شارك بدر مع ابن طولون في إدارة شؤون مصر ، فلما قتل ابن طولون رجع الى بغداد وولاه الخليفة بلاد فارس كلها ، وهناك توفي سنة 311 هـ / 923م . وكان عبد صالحاً ويحب عمل الخير والاحسان (الزركلي 12/2 وفيه يذكر وفاته في بغدار) .

(6) المخرم ـ محلة كانت في رصافة بغداد . نسبت الى مخرم بن يزيد بن شريح بن مخرم بن مالك الذي كان يقطن موضعها في بدء ظهور الاسلام .

الفقراء والعجزة والمجانين . وكثرة المستشفيات في بغـداد تعطينـا فكرة رقميـة عن عدد أطباء بغداد . وقد ورد في اخبار حكم الخليفـة المقتدر (295-320 هـ / 908-932م) ان في بغداد وحدها ما يـزيد عـلى ستمايـة وثمانـين طبيباً[7] . ويحتمـل إن كان في أعمـاق فارس عدد كبير آخر من الاطبـاء ، بالاضـافة الى مـا يوجـد منهم في الاقطار العبـاسية الاخرى .

ولكي يطلع الحكام عـلى أعمال الاطبـاء ، ومعامـلاتهم للمرضى ، واخـلاصهم للصنعة ، وصدق ممارستهم فيها ، نصبوا عليهم (رئيساً) هو على الغـالب احد اطبـاء الخليفة الذين هم من المتقدمين في المهنة وممن يحسن ممارستها . ورئاسـة الاطباء تنـظيم انضباطي مهني كان معمولاً به عند اليونانيين حتى العهود البيزنطية[8] .

كما نصب الحكام العباسيون محتسباً على الاطباء . ويبدو ان هذه الوظيفـة كانت تخص الجانب الانساني والديني من صناعـة الطب ، أمـا وظيفة رئـاسة الاطبـاء فمهنية خالصة . وربما لم يعين الخليفة المعتضد صـديقه الحميم وفلكيـه ثابت بن قـرة[9] رئيساً لاطباء بغداد ، بل عين (غالباً)[10] في هذا المنصب لانه اقدر في ممارسة الطب من ابن قـرة . كما انـاط الخليفـة بـرئيس الاطبـاء لا المحتسب امتحـان الاطبـاء في معلومـاتهم الطبية ، ليمنع من يفشل في هذا الامتحان ، من ممارسة المهنة .

وقد وردت أخبار ممتعة في جلسات الامتحانات المذكورة ، يمكن الرجوع إليها في العيـون لابن ابي اصيبعة (ص 302) ويبـرز في هذه الامتحـانات اثنـان ، احدهمـا في حكم المقتـدر وكان الممتحن فيـه رئيس الاطباء سنـان بن ثابت بن قـرة[11] والامتحـان

---

(7) الدوميلي ـ العلوم عند العرب ، ص 135 .

(8) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ، ص 302 .

(9) مايرهوف ـ التراث اليوناني ، ص 72 .

(10) غالب طبيب المعتضد ـ اشتهر بخدمته للمعتضد بالله حتى لم يعرف اسمه الا بالنسبة إليه . وكان أولاً في خدمة الموفق طلحة بن المتوكل كما ارضعت زوجته أولاد المتوكل كلهم ، وكـان حظيـاً من طلحة . ثم خدم بعد ذلك المعتضد وتوفي بآمد . وأعقب ابناً هو ابو عثمان سعيد بن غالب المتوفى سنة 307 هـ / 919م والذي صار احد اطباء المعتضد بعد وفاة أبيه غالب .

(11) ابن أبي أصيبعة ص 302 ص

الثـاني في حكم المقتفي المتوفى سنـة 295 هـ / 908م وكـان الممتحن فيـه رئيس الاطبـاء امين الدولة بن التلميذ[12] .

وظهـر في عصر النهضة الفكـرية العبـاسي ، إضـافـة الى لقبي رئيس الاطبـاء ، والمحتسب ، لقب (الاستـاذ المتميـز)[13] ويـطلق عـلى من تبـرز اسمـاؤهم في هــذه الصناعة ، وعلى الاساتذة الاقدمين في تعليمها . وواضـح ان هذا اللقب عـرفي يخلعه ذوو المهنة على من يستحق هـذه المرتبـة المعنويـة الساميـة . وليس للقب دخل بـالامور الحكومية أو الادارية . واحسبه يقابل لقب Emeritus في التقليد الانكليزي .

ولما انتعشت حركة نقل الكتب اليونانية الى العربية فيما بـين النصفين من القـرن الثـاني والثالث الهجـري/الثامن والتـاسع الميـلادي ، وانتشرت حصيـلاتها من الكتب المترجمة كان في انتظارها حشد غفير من القراء وطلبة العلم ، ووجدوا فيهـا ما يمكن أن يتعلمـوه في الطب حـين يعز المعلمـون ومدارس التعليم . فصـار كثير من اطبـاء ذلك العصر ممن تعلم الطب على قـراءة الكتب ثم المرور بـالتجربـة الفاشلة والنـاجحة حتى استووا في معرفة الصنعة . ومنهم من تعلم الفصـد ومارسـه أولاً ثم وسع معلومـاته في الطب وصار بعد ذلك يمارسه بجرأة وثقة . وهناك فئة اخرى تتلمذت على كبار الاطباء السـريان وتخـرجت عليهم في الصنعة وبـرعوا بهـا . أما معـاهد التعليم النـظامي فقد ظهرت بوادرها بعد تأسيس البيمارستانات ، ووصلت ذروة تاريخها حين توفر للتدريس من هم بمستوى التعليم العالي . وطبيعة المهنة تستلزم أن يكون تعلمها الى جانب أسرّة المرضى ، ولذلـك كانت عمـوم البيمارستـانات بمقـام مدارس تعليميـة سواء كـان فيها صفوف تقليديـة لهذه الغـاية أو لم يكن ، أو كـان فيها طـالب واحد او عـدة طلاب . وتعليم الطب كان يومئذ بالطريقـة العملية (السـريريـة) بالاضـافة الى الامـالي وقراءة الكتب .

وإذ كان الاطباء اليونانيـون القادة علماء في النـظريات أكـثر مما كـانوا متمـرسين بالتجربة والتطبيق ، فإن الاطبّاء العرب الذين تأثروا بالفكر اليـوناني ، وخصـوصاً بمـا

---

(12) القفطي ، ص 340 ، ابن ابي أصيبعة ص 351-352 .

(13) مايرهوف ـ تراث الاسلام ، ص 74 .

ينسب الى ابقراط وجالينوس ، ركزوا على تطبيق تلك النظريات وتجربتها على المرضى بمختلف الظروف والأحوال ، فتمسكوا بما ثبت صلاحه للممارسة ونبذوا سواه ، أو طوروه الى الافضل والمفيد في الصنعة . وبذلك لم يبق من علوم اليونان في طبهم إلا الشيء المهم والاساسي .

وظهر علماء الطب العربي الاكابر فيما بعد القرن الثالث ، وظهرت تعليقاتهم النفيسة وشروحهم على الكتب اليونانية التي لم تتوفر في متونها الدقة او الوضوح ، بسبب التكرار أو الركاكة في التعابير . واستمرت تظهر تلك المؤلفات الدسمة بكثرة حتى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي .

وبالرغم من ان المؤلفين العرب في الطب قد اعتمدوا في بعض مواضيع كتبهم على المؤلفات اليونانية والفارسية والهندية فإن في مؤلفاتهم - أي مؤلفات العرب - الكثير من المبتكرات والاعمال الاصيلة التي لم يسبقهم الى معرفتها احد . بالاضافة الى انهم احسنوا تدوين المعارف وتوزيعها بحسب تنويع عناوين الكتب ، فتميزت مؤلفاتهم بالالتزام بموضوعية المادة العلمية التي هي قيد البحث او الكتاب . فكانت تلك المؤلفات هي الاولى من نوعها من هذه الوجهات ، على عكس المؤلفين اليونانيين الذين لم يحافظوا على تسلسل المادة ، ولا على ضرورة التوافق بين صنف المعلومات واسم الكتاب الذي يتضمنها .

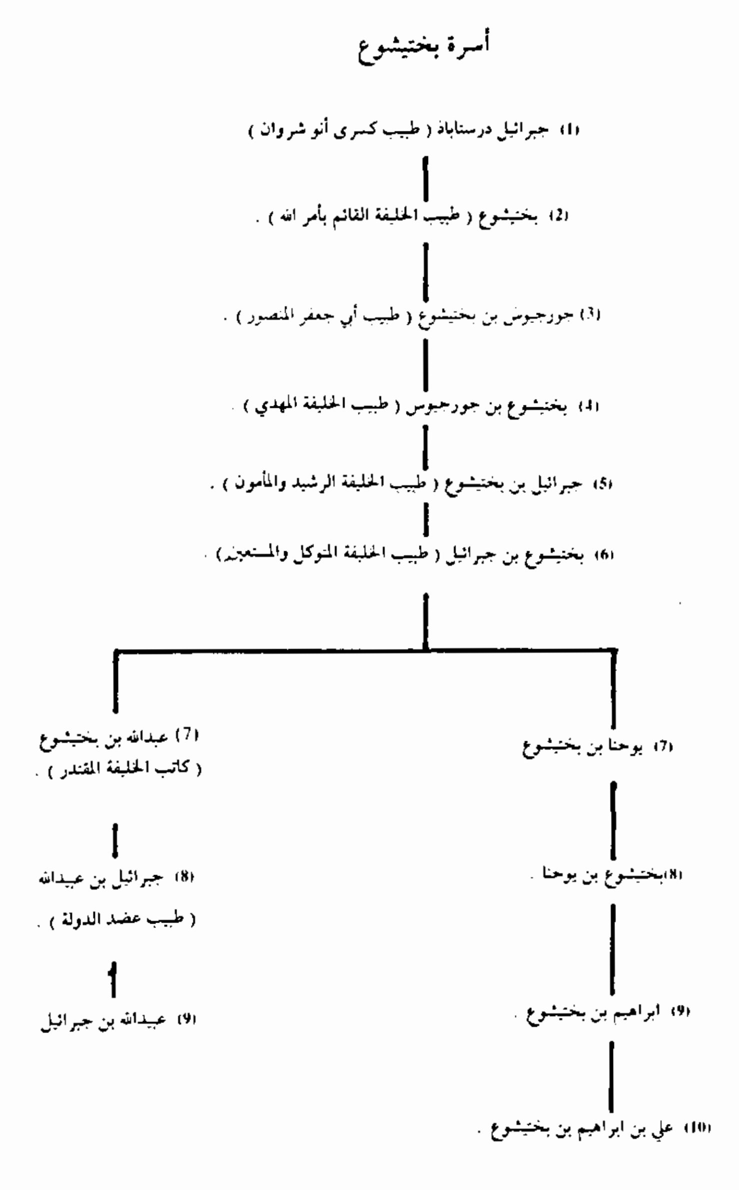
على أن هناك من الف في العلوم الطبية ودخل في قائمة الاطباء العرب ، بينما هم لم يعرفوا الطب إلا نظرياً ولم يمارسوه إلا لماماً ، أو لم يمارسوه إطلاقاً . ولم يصنعوا كتبهم إلا للتكسب منها ، أو ليفيد منها القراء كوجه من وجوه الخير والاحسان . ويعتبر كتاب فردوس الحكمة لابن ربن الطبري اول كتاب اسلوبي وضع بالعربية في العلوم الطبية ، ومن مفاخر عصر المؤلف في أعمال التأليف ، إلا أن الكتاب مع ذلك لا يثبت كون مؤلفه كان ممارساً جاداً ، ولا ان تطبيقاته كانت على مستوى كتابه ، أو حتى قريبة منه . ان المؤلف ابن ربن الطبري كان على أكثر الاحتمال من المؤلفين النظريين ، وإن ممارسته في الصنعة كانت محدودة جداً كما سنرى فيما يأتي عند الكلام عن هذه الشخصية . وهناك اطباء غير قليلين من صنف هذا المؤلف . وبصورة عامة ، ليس من السهل في كثير من الحالات ان نحكم من عدد مؤلفات الطبيب على

حقيقة مرتبته العلمية ، وسعة ممارسته في الصناعة ، وسيطرته في تطبيقها . وإذ كان أكثر اطباء ذلك العصر موسوعيين فقد كتبوا في الفلسفة وفي الجغرافية والتاريخ والفقه وعلم العدد والنجوم مثلما كتبوا في الطب . كما التفتوا الى التأليف فيما يخص عادات الناس وفي المتعارف فيما بينهم ، فألفوا في الخضاب لانه شائع الاستعمال بين عموم طبقات الناس من الرجال والنساء ، وكتبوا في الجواهر لانها كانت مبعث تجارة واسعة ومربحة ، وواسطة يتفاخر بها الامراء والجواري اكثر مما لعلاقتها بالاستعمالات الطبية . وربما كان أول كتاب بهذا الموضوع هو الذي صنعه يوحنا بن ماسويه دون أن يتطرق فيه ، ولو بالاشارة ، الى استعمال الاحجار في الطب . كذلك كتب كثيرون في شراب النبيذ ، وتنظيم الموائد ، والتعاويذ . والسحر وأحكام النجوم .

يعتبر تاريخ تأسيس بغداد يوم ميلاد الطب العربي . وبغداد ام الحضارة العربية في كل مكان . ولد فيها الطب ونشأ وازدهر ، وانتشر الى كل العالمين في مشارق الارض ومغاربها . والاطباء العرب على هذا الاساس ، أينما كانوا ، تلاميذه مدارس بغداد مباشرة أو عن طريق كتبها الموضوعة والمترجمة .

الطب والاطباء في العصر العباسي

أسرة بختيشوع



اسرة بختيشوع(*)

البختيشوعيون أول من دخل بغداد من اطباء جنديسابور ، ومارس فيها الصناعة على الطريقة العلمية .

ولا يعرف عن أصل أسرة بختيشوع أكثر من أنها من النساطرة السريان الذين ظهروا بجنديسابور في مطلع الخلافة العباسية (الثلث الأول من القرن الثاني الهجري) ويحتمل أن يكون اصلها البعيد عن احدى مدن سوريا أو شمال ما بين النهرين . والقسم الأول من الاسم (بخت) تعبير فارسي معناه (حظ) أو (عبد) ، والقسم الثاني (يشوع) تعبير سرياني يعني اسم المسيح . وعلى هذا فالارجح أن بختيشوع الأب الأكبر للاسرة قد ولد في بلاد فارس فاعطي اسماً خليطاً من لغة البلاد ومن لغة الاجداد . والجدير بالذكر أن كسرى انو شروان (ت ٥٧٩) قد استقدم لنفسه طبيباً من سوريا اسمه جبرائيل درستاياذ ، وقد يكون هذا هو جد البختيشوعيين الأعلى .

وأول من عرف من هذه الأسرة هو جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع ، وهو ايضاً أول من دخل بغداد منهم بطلب من الخليفة المنصور كما اسلفنا . ثم تعاقب افراد الأسرة على خدمة الخلفاء زمنا يقرب من الثلاثة قرون .

والمشهور عن البختيشوعيين أنهم تفرغوا الى الممارسة الطبية ، والبحث في علومها على غير مألوف الاطباء في ذلك الزمان الذين كانوا يجمعون مع الطب علوماً اخرى كالفلسفة والرياضيات والفلك والادب . كما اشتهرت هذه الاسرة بالفضيلة وعمل الخير والرحمة بالفقراء والتعاطف مع المرضاء . كذلك عرفت بارضاء الخلفاء على طريقتهم الخاصة ، فنالوا منهم أوفر الجزاء .

ويبدو من تكرار اسماء افراد العائلة ، تمسكهم بالتقاليد والتعصب لانسالهم وهوياتهم المتميزة . أما التغيير الذي طرأ على اسماء أواخر ابنائهم فقد يكون بتبدلات الظروف أو بالمصاهرة مع عوائل غير بختيشوعية ، وربما بدخولهم الاسلام .

(*) نقلنا بتصرف مخطط اسرة بختيشوع عن Ullmann-Mediz. Islam P.111

1 ـ جورجيوس بن جبرائيل[1]

كان جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع أشهر اطباء بيمارستان جنديسابور وأقدرهم في الصنعة التي كان يمارسها على الطريقة اليونانية ويتكلم في مواضيعها بالسريانية واليونانية . وكان له في البيمارستان عدد من المساعدين والتلاميذ كعيسى بن شهلاثا وابراهيم ، وسرجس وابنه بختيشوع بن جورجيوس ، يدربهم على مداواة المرضى . وحدث ان شكى الخليفة المنصور من سوء استمراء في معدته ، وعجز اطباؤه عن شفائه فاستدعي له جورجيوس سنة 148 هـ / 765م الى بغداد لمعالجته . وكان جورجيوس يومئذ طاعناً في السن ، فاعتذر عن الاستجابة لهذا التكليف ، فأخذوه عنوة . ولما صار في حضرة الخليفة بهيبته الوقورة وحسن تحدثه ، اعجب به الخليفة ووثق بطبه ، واعتمد على ادويته دون غيرها من أدوية الاطباء الآخرين ، حتى شفي من علته . فأكرمه المنصور وأجزل في وصله ، وصار طبيبه الخاص . ولما أصاب جورجيوس الوهن بفعل الشيخوخة استرخص الخليفة وقفل راجعاً الى أهله في جنديسابور وتوفي فيها بعد سنة 152 هـ / 769م . وأعقب ولداً هو بختيشوع ، تعلم على أبيه الصنعة ، وصار يساعده في البيمارستان .

يعتبر دخول جورجيوس بن بختيشوع الى بغداد الشرار الذي أوقد نهضة الطب عند العرب . وأكثر الاحتمال ان هذا الطبيب لفت نظر الخليفة المنصور إلى الاهتمام بموضوع الطب وترجمة كتبه الى العربية ليقرأها من يريد تعلم الصنعة ولجورجيوس من المؤلفات :

(1) الكناش ـ وهو أول الكتب الطبية التي ترجمت في بغداد الى العربية ، ترجمه حنين بن اسحاق العبادي ، ثم شرحه تلميذه ابو عيسى صهاربخت . ويحتوي الكتاب على

---

(1) اقرأ عن جورجيوس بن بختيشوع في الفهرست لابن النديم ص 296 ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ص 158-160 ، والعيون لابن أبي أصيبعة ص 183-186 ، وبروكلمان ـ تاريخ الادب العربي 261/4 .

قنواتي ـ المسيحية والحضارة العربية ص 151 .

Sezgin- Gas, 3/209, Leclerc, 1/968,

Ullmann-Mediz. Islam, P.108.

معلومات في أمراض المعدة ، وقروح الامعاء (الحاوي 112/5) والدبيلات والدماميل (ح 102/12) والامراض الحارة ، والحادة ، وحمى الدق ، والغب والخمسية ، وأمراض الطرق البولية (الحاوي/الجزء العاشر) وأمراض الرحم وتدبير الولادة العسرة (ح 35/9) ، وامراض الكبد والحبن الزقي والاستسقاء (ح 250,221,211,114,82/7) ، والحصبة (ح 16/17) ، وأوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا (ح 270/7، 293) ، والديابيطس (ح 210/10) وغير ذلك . والكتاب من مصادر الرازي الرئيسية في كتاب الحاوي كما رأينا ، وكان يشير إليه بكلمة جورجيوس . ولا شك انه يعني به كتاب الكناش لا كتاب الاخلاط ، كما يتضح من مضامين الكتاب .

(2) كتاب الاخلاط ـ وقد اخذ عنه الرازي في السدر ومعالجته بالاسهال وقطع القيفال (99/1) .

2 ـ بختيشوع بن جورجيوس[2]

كان بختيشوع مثل ابيه جورجيوس ، فاضلاً عالماً بصناعة الطب ويجيد ممارستها . تدرب على أبيه في بيمارستان جنديسابور ، وناب عنه في هذا البيمارستان عندما سافر الى بغداد لمعالجة الخليفة المنصور . ولما توفي جورجيوس بعد رجوعه الى جنديسابور خلفه بختيشوع في إدارة البيمارستان ، فكان خير خلف لخير سلف .

وحين مرض الخليفة موسى الهادي (169 - 170 هـ / 785-786م) استقدم بختيشوع الى بغداد لمعالجته[3] ، والحق بحاشيته ، وصار أخيراً من أقرب الاطباء اليه . وكانت الخيزران[4] ام موسى الهادي تفضل طبيبها الخاص ابا قريش عيسى على بختيشوع لاسباب سيجيء شرحها ، فغاظها ان لا يستشير ابنها الخليفة موسى الهادي

---

(2) اقرأ عن بختيشوع بن جورجيوس في الفهرست ص 296 وطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ص 63 ، وتاريخ الحكماء ص 100-101 ، والعيون ص 186-187 ابن صاعد ـ طبقات الامم ص 36وفيه يخلط بن بختيشوع وابيه جورجيوس .

(3) ابن ابي أصيبعة ص 187 .

(4) المصدر السابق .

ابا قريش ، وصارت من اجل ذلك تكايد بختيشوع وتوغر صدر الخليفة عليه . فهجر بختيشوع بغداد عائداً الى جنديسابور[5] ، الا انه بعد عام واحد (171 هـ / 787م) عاد الى بغداد بطلب من الخليفة هارون الرشيد ليكون طبيبه الخاص ، فصار من أقرب الاطباء إليه ، وأحد ندمائه المفضلين ، كما نصبه رئيساً على الاطباء[6] في بغداد .

توفي بختيشوع بن جورجيوس سنة 182 هـ / 798م ، وأعقب ولداً هو جبرائيل بن بختيشوع .

ولبختيشوع من التآليف كناش صغير بعنوان (التذكرة في الطب) فيه معلومات عن السل الزمن (الحاوي 116/5) وطرق الاستفراغ (ح 253/6) وخفقان القلب (ح 41/7) والاستسقاء (ح 235/7) وقروح الامعاء (ح 59/8) ونزول الطمث اثناء الحبل (ح 127/9) وعن حصى الطرق البولية (ح 204,133/10) وأوجاع الظهر والوركين (ح 252,92/11) وتداوي العصب المقطوع (ح 197/12) وعن الجدري (ح 26/17) وعن الحميات عامتها (ح 115,96/17) . ويشير الرازي في كتاب الحاوي الى هذا الكتاب باسم مؤلفه .

3 ـ جبرائيل بن بختيشوع[7]

هو حفيد رئيس الاسرة جورجيوس من ابنه بختيشوع . اشتغل اولاً في بيمارستان جنديسابور . ورشحه ابوه وهو في بغداد ، أن يكون طبيب جعفر بن يحيى البرمكي . ثم ما لبث حتى التحق بحاشية الخليفة هارون الرشيد وصار أكبر طبيب يعتمد عليه الخليفة . وحصل منه على مراتب ونعم لم يحصل على مثلها طبيب قبله . قال الرشيد يوماً لاصحابه : (كل من كانت له حاجة فليخاطب بها جبرائيل ، لاني

---

(5) المصدر السابق .

(6) المصدر السابق .

(7) اقرأ عن جبرائيل بن بختيشوع في تاريخ الحكماء ص 132-146 ، والعيون ص 187-201 وجراف 110/2

Sezgin, 3/226-227. Leclerc, 1/98.

افعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني)[8] . كما يـذكر إنـه قال عنـه ذات يوم : (صـلاح بدني وقوامه به ، وصـلاح المسلمين بي . فصـلاحهم بصلاحـه وبقائـه)[9] . وفي هذا أكثر ما يمكن أن يعبر به إنسان عن إعتماده وثقته بطبيبه .

ويروى ان جبرائيـل حصل عـلى ثقة الخليفـة هارون الـرشيد بـه ، وعلى المرتبة الكبيرة عنده ، بعد ان شفى جاريته التي كانت تشكـو من انبساط يـديها وعجـزها عن ردهمـا الى الوضـع الطبيعي . قـال جبرائيـل : (ان لم يسخط عليّ امـير المؤمنـين فلهـا عندي حيلة . فقال له الخليفة ، ما هي ؟ قال تخـرج الجاريـة الى هنا بحضـرة الجميع حتّى أعمل ما اريده . وتمهل عليّ ولا تعجل بالسخط . فأمر الرشيد بإحضار الجارية ، فخـرجت . وحين رآهـا جبرائيـل عدا اليهـا ونكس رأسـه ومسـك بـذيلهـا يـريـد ان يكشفهـا ، فانـزعجت الجاريـة . ومن شدة الحيـاء والانـزعـاج استـرسلت اعضـاؤهـا وبسطت يديها الى اسفل ومسكت ذيلها . فقال جبـرائيل قـد برأت يـا أمير المؤمنـين . فقال هارون الرشيد للجارية ابسطي يديك يمنة ويسرة ففعلت ذلك . وعجب الـرشيد وكل من كان بين يديه . ووصل جبرائيل بهدية سنية وعينه رئيس اطباء)[10] .

ويفسر جبرائيل للخليفة الحالة التي طرأت على الجارية ، ويعزيها الى تغييرات في الاخـلاط ادت الى اضطراب في أعصـاب الجاريـة ، وهي حالـة تدعى اليـوم بـالهـرع (الهستريا) . وقد يكون جبرائيل عرف الحالة كما تعرف اليوم ، وإلا لما التجأ بثقة الى تلك الحيلة من العلاج ليكشف عن الوهم الذي سيطر على عقل الجارية .

وتقـدم جبرائيـل خطوة اخـرى واسعة في طـريق الحظ ، حينما كـان مـع سيـده الخليفة هارون الرشيد بالرقة[11] . وكان الخليفة أكولا ويكثر شرب النبيذ ، فاتخم ذات يوم ، وغشي عليه في المستراح ، حتى لم يشك ولداه الامين والمأمون من انه قد مـات . وشاع بين العامة والخاصة والجنود والقادة خبـر عن وفاتـه . فاستـدعي طبيبه جبـرائيل

---

(8) ابن ابي أصيبعة ص 188 .

(9) المصدر السابق ص 192 .

(10) المصدر السابق ص 188 ، وابن القفطي ص 134-135

(11) المصدر السابق ص 194 .

على عجل ليستدرك ما يمكن عمله للخليفة . وبعد الفحص على نبضه قرر أن يفصده في الحال . وأمر الغلمان أن يثبتوه قاعداً . وأمر الحجام أن يجرب محاجه . فلما احتقنت المنطقة التي تحتها اعتبر جبرائيل ذلك علامة حسنة . ثم أمر الحجام أن يشرط المنطقة ولم يلبث الخليفة طويلاً حتى صحا من غيبوبته ، وعادت إليه حيويته[12] .

ونفهم من هذه الحكاية أن عملية الحجامة لم تكن من اختصاص الطبيب . بل كانت تقوم بها فئة أخرى هم الحجامون بتوصية من الطبيب المعالج . ولا يعقل أن لا يعرف الطبيب توضيع المحاجم وتشريط ما تحتها من الجلد ، بينما يجيد ذلك الحجامون والحلاقون وهم ادنى مرتبة في العلوم الطبية من الاطباء . والأرجح أن الأمر كله من قبيل العرف وتوزيع الأعمال الطبية بحسب نوعيها اليدوي وغير اليدوي . وكان الأطباء العرب في تلك الحقبة المبكرة بعد وصول الطب اليوناني إليهم متعصبين للسلوك المهني وتقاليده ، وإلى الالتزام بتوصيات ابقراط في تطبيق ممارسة الاختصاص . فيتفرغ الطبيب إلى نوع عمله في الطب حتى لو كان المريض من علية القوم أو أعلاهم ، كالخليفة .

وبدأ الحظ يعاكس جبرائيل لما فشل في معالجة هارون الرشيد حين مرض وهو بطوس[13] . ويلح الخليفة عليه في ايجاد علاج نافع له ، فيقول له جبرائيل (انه النهم في الجماع ، وقد نهيتك عنه فلم تمتنع ، كما طلبت منك الرجوع إلى بلدك بسبب المناخ الذي لا يوافقك فلم تفعل)[14] . فطرده الخليفة من حضرته على هذا الكلام وأمر بحبسه واستدعاء من هو اقدر منه ، واستقدم له طبيب فارسي فلم يقدر على شفائه أيضاً . اضافة إلى انه اتهم جبرائيل بسوء المعالجة التي طبقها على الخليفة . فزاد هذا من غضب الرشيد على جبرائيل ، وأمر بقتله ، إلا أن الفضل بن الربيع[15] تشفع له وابقى على حياته . وقد تسوفى هارون الرشيد بطوس بتلك الإصابة سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م .

---

(12) المصدر السابق .

(13) المصدر السابق ص 188-189 . وابن القفطي ص 140-141 .

(14) المصدر السابق .

ولما ولي محمد الامين الخلافة (193 هـ / 809م) ردّ الى جبرائيل اعتباره ومرتبته بين الاطباء . الا ان ذلك لم يدم اكثر من خمس سنين ، إذ مرض الخليفة المأمون فعجز جبرائيل عن شفائه وأرضائه ، فسخط عليه الخليفة وفرض عليه الاقامة في بيته . وعين مكانه ميخائيل ، وهو صهر جبرائيل وبغيضه . وصار الخليفة يكرمه ويقربه إليه كياداً لجبرائيل[16] .

وفي سنة 210 هـ / 825م مرض الخليفة المأمون ففشل ميخائيل في شفائه كما فشل غيره من الاطباء ، فاضطر الخليفة الى استدعاء جبرائيل لمعالجته . ولم تمض أيام كثيرة حتى شفي بادويته ، فأكرمه ورد له حريته ومرتبته وصار اذا خاطبه كناه بأبي عيسى[17] ، تكريماً لشخصه .

كان جبرائيل يمارس الطب بالطرق اليونانية ، ويهتم غاية الاهتمام بأفكار الاطباء اليونانيين ، ويطلب كتبهم في كل مكان ، وهو أول من اكتشف كفاءة حنين بن اسحاق العبادي في ترجمة مؤلفاتهم الى اللغة العربية والسريانية وكان ذلك بعد عودة حنين من ديار الروم والاسكندرية . فترجم لجبرائيل بعض كتب جالينوس الى اللغة السريانية كان منها السبع المقالات الاخيرة من كتاب الحميات ، وتفسير كتاب فصول ابقراط ، وكتاب الحث على تعلم الطب ، وكتاب القوى الطبيعية ، وكتباً في التشريح ، وقسماً من الكتاب المشهور عن اليونانيين باسم الفاعلات ؟ فادهشت هذه الترجمات جبرائيل لما فيها من جودة العبارة والسلامة اللغوية ، وصار يكيل له الثناء في مجالس العلماء ، ولا يخاطبه بـ (ياربن) حنين ، اي الاستاذ حنين . كما قال يوماً أنه يتوقع له أن يبز سرجيوس الراس عيني في الترجمة . وسرجيوس هذا أول من عنى بترجمة الكتب اليونانية الى اللغة السريانية . وكانت هذه الترجمات ما تزال الى ذلك اليوم الكتب الوحيدة بأيدي الاطباء المسلمين والسريان . كما كان جبرائيل كثير الاجتهاد في الفلسفة بالاضافة الى الطب ، ومتتبعاً للافكار اليونانية القديمة ، والمؤلفات

---

(15) المصدر السابق .

(16) المصدر السابق .

(17) ابن أبي اصيبعة ص 189 .

التي تبحث فيها . وقد بحث عن كتاب البرهان لجالينوس في كل مكان . وهذا الكتاب بخمسة عشر جزءاً في الفلسفة ، كما فيه شذرات طبية لاغنى لمثل جبرائيل من الاطلاع عليها ، فلم يعثر بعد طول عناء إلا على بعض من تلك الاجزاء فترجمها إليه أيوب الرهاوي الى السريانية ، ووجد حنين بن اسحاق بعض أقسام المقالات الاخرى في دمشق فترجمها الى السريانية أيضاً ، وبذلك حصل جبرائيل على كثير من كتاب البرهان .

يعتبر جبرائيل أكثر الاطباء الذين خدموا الخلفاء ثراءً . فقد حصل منهم نقداً ما يعادل ثمانية وثمانين مليوناً من الدراهم . وعاش في بيته وبين اتباعه عيشة لم يتمتع بمثلها احد غيره سوى الخلفاء .

توفي جبرائيل سنة 213 هـ / 828م ودفن بدير مار جرجيس بالمدائن حسب طلبه . وكان ابنه بختيشوع يوم وفاته بصحبة الخليفة المأمون بديار الروم . فلما رجع الى بغداد زار قبر أبيه وجمع الرهبان وأجرى لهم كل ما يحتاجونه من لباس وطعام .

ولجبرائيل من المؤلفات[18] :

(1) كتاب الباه ـ وربما كتب جبرائيل هذا الكتاب للخليفة هارون الرشيد، إذ كان دائم النصح له ان لا يكثر من الجماع ، فكان الكتاب احد تعليماته إليه بهذا الخصوص ، ومخطوطة الكتاب بمكتبة حكيم بحلب ؛ (بول سباط 8/1 رقم 11) .

(2) رسالة في الطعام والشراب ـ رفعها للخليفة المأمون. وكان هذا الخليفة ولوعاً بأنواع الطعام ، وهاوياً لمعرفة أنواع المآكل والنبيذ ، ومنافع كل منها ومضارها في حالتي الصحة والمرض . ومخطوطة الكتاب بمكتبة حكيم بحلب .

(3) كناش في الطب ـ أكثر الاحتمال ان هذا الكتاب هو الذي يشير إليه الرازي في كتاب الحاوي باسم جبرائيل . وينسب اليه معلومات عن اختلاف طبيعة الامعاء بسبب الكبد (الحاوي 60/8) وعن عسر البول (ح 171/10) والفواق (ح 179/5) وضخم الطحال (ح 299/7) .

---

(18) قائمة كتب جبرائيل بن بختيشوع في ابن ابي أصيبعة ص 201 وSezgin, 3/226-227

(4) كتاب في صناعة البخور ـ الفه للخليفة المأمون .

(5) رسالة مختصرة في الطب .

(6) صفات (وصفات) نافعة كتبها للخليفة المأمون (كتاني ـ الرباط) .

(7) ورم الخصى (الحاوي 243/10) .

(8) مقالة في العين (الجراح ـ حلب) ، بول سباط 8/1 رقم 12 .

4 ـ بختيشوع بن جبرائيل[19]

هو حفيد جورجيوس بن بختيشوع . كان رجلاً طيباً وعارفاً بنفسية مخدوميه . فحصل من الخلفاء ما لم يحصل على مثله طبيب آخر في زمانه . وكان من متعة أن يتنقل في محفة من الابنوس ومن حوله رجاله السود[20] . فلم يتهاون حساده من الوشاية به الى الخليفة . فصودرت املاكه وابعده الخليفة الواثق سنة 233 هـ / 847م الى جنديسابور . ولما عاد الى سامراء في أيام الخليفة المتوكل حسن حاله وصار طبيب الخليفة المفضل ، وأعلن الخليفة في مجلسه (ان بختيشوع منه كروحه من بدنه) وأغدق عليه الصلات السخية ، فصار يلبس كما يلبس الخليفة وتطاع له الكلمة كأنه أمير من أهل البيت ، ويمتلك عدداً من الخدم والعبيد ، ويسكن قصراً مكيفاً بالدفء في الشتاء والبرودة في الصيف فاستكثر الخليفة ذلك عليه ، وصادر املاكه وأبعده الى بغداد ، ثم استدعاه ليعالجه من قولنج اصابه ، ورد عليه كل ما اخذ منه . ثم ابعده مرة اخرى الى البصرة (البحرين ؟) بوشاية من الامير المنتصر بن الخليفة المتوكل . وبقي بختيشوع في منفاه الى ان استدعاه الخليفة المستعين بالله الى سامراء ، واعاد إليه ما صودر من ممتلكاته . وبقي بختيشوع بخدمته وخدمة من ولى بعده الخلافة حتى أيام الخليفة المهتدي بالله المتوفى سنة 256 هـ / 869م .

---

(19) اقرأ عن بختيشوع بن جبرائيل في تاريخ الحكماء ص 102-104 والعيون ص 201-209و Sezgin, 3/243. Leclerc, 1/99

Brockelmqnn. 1/626

(20) ترتون/اهل الذمة في الاسلام تعريب حسن حبشي ، مصر 1949 .

كان بختيشوع متدينا ويكثر من تلاوة الانجيل والتعبد الى الله . كما كان بنفس الوقت يستمتع بالفكاهة وسماع النكتة وفعل المزاح ولا سيما مع يوحنا بن ماسويه . قال له ذات يوم : انت يا أبا زكريا أخي من أبي فقال يوحنا للحاضرين . اشهدوا على إقراره فلا قاسمته ميراثه من ابيه ، فقال بختيشوع على الفور : ان اولاد الزنا لا يرثون[21] .

وكان بختيشوع بن جبرائيل اكثر معاصريه من الاطباء في ممارسة الطب بالقياس لا بالتجربة . ويعتمد بصفة خاصة على الوقاية من الامراض ، وعلى معالجتها باحدى طرق الاستفراغ وتعديل الاخلاط والامزجة . ومن أقواله المأثورة بهذا الصدد :

* الشرب على الجوع رديء . والاكل على الشبع اردأ .

* اكل القليل مما يضر اصلح من أكل الكثير مما ينفع .

ولابقراط حكمة مماثلة إذ قال :

* الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع .

توفي بختيشوع في سامراء سنة 256 هـ / 869م وله من المؤلفات :[22] :

(1) نبذة في الطب (ميلانو) .

(2) رسالة فيها نكات من تخفيات الرموز في الطب (طهران) .

(3) مختصر بحسب الامكان في علم الازمان والابدان (ميلانو) .

(4) نصائح الرهبان في الادوية المركبة (التيمورية) .

(5) رسالته التي املاها للمأمون في تدبير البدن جواباً على كتاب يسأل ذلك .

(6) كتاب في الحجامة على طريق المسألة والجواب .

---

(21) المصدر السابق ص 248 .

(22) قائمة كتب بختيشوع بن جبرائيل في Sezgin, 3/243

5 ـ عبيد الله بن بختيشوع[23]

معلوماتنا عن عبيد الله بن بختيشوع بن جبرائيل قليلة جداً . ويبدو انه كان أقل ابناء اسرة بختيشوع شأناً في الطب ، وفي ارضاء الخلفاء . عاش في خلافة المقتدر بالله (295-320 هـ / 908-932م) وعمل كاتباً في ديوانه . وتعثر حظه فطرده المقتدر من بلاطه ، وصادر أملاكه بعد وفاته ، واعقب عبيد الله ولداً في الصبا هو جبرائيل بن عبيد الله .

6 ـ جبرائيل بن عبيد الله[24]

هو حفيد بختيشوع بن جبرائيل ، وكنيته ابو عيسى . تعلم الطب . على يوسف الواسطي ومارسه في بيمارستان بغداد ، واشتهر بحسن مداراته للمرضى وممارسته الناجحة ، فصار من كبار اطباء البلاط العباسي ، ومعتمد الامراء والملوك في الاقطار المشرقية فاستدعاه عضد الدولة البويهي الى شيراز وقفل معه راجعاً الى بغداد ليلتحق بالبيمارستان العضدي ، وكانت نوبة عمله في هذا البيمارستان يومين وليلتين في الاسبوع . كذلك استدعاه الصاحب بن عباد الى الري وصارت بينهما صحة وتآلف . كما كان من مرضائه أيضاً ابن العميد في بغداد[25] ، وممهد الدولة المرواني في ميافارقين (402 هـ / 1011م) وحسام الدولة في الموصل ، وخسرو شاه في الديلم .

وكانت عيشة جبرائيل بن عبيد الله هنيئة مرفهة ، وخصوصاً بعد أن التحق بخدمة عضد الدولة ، فلما توفي هذا الملك خشي الدسائس عليه ، فانعزل عن مخالطة الناس وانقطع الى القراءة والكتابة . وقضى باقي حياته في ميافارقين وتوفي فيها سنة 396 هـ / 1005م ، وأعقب ولداً هو عبيد الله . ومؤلفات جبرائيل في الطب هي[26] :

(1) كتاب الكافي ـ أو الكناش الكبير بخمس مجلدات كتبه للصاحب بن عباد .

---

(23) اقرأ عن عبيد الله بن بختيشوع في العيون ص 209 وSezgin, 3/314

(24) اقرأ عن جبرائيل بن عبيد الله في المصدر السابق ص 209-214 .

(25) ابن أبي أصيبعة ص 211 .

(26) قائمة كتب جبرائيل بن عبد الله في العيون ص 214 وSezgin, 3/314 .

(2) الكناش الصغير (الجراح بحلب) .

(3) كتاب في عصب العين (الجراح بحلب) .

(4) مقالة في ان أفضل اسطقسات البدن هو الدم ـ كتبه للصاحب بن عباد عن سؤال بهذا الباب (مالك بحلب) .

(5) مقالة في الم الدماغ ـ كتبها لخسرو شاه ملك الديلم (الجراح بحلب) .

(6) كتاب في التاريخ اخذ فيه عن المؤرخ البيزنطي اندرونيقوس (روزنثال ـ علم التأريخ ص 113)

7 ـ عبيد الله بن جبرائيل[27]

هو حفيد عبيد الله بن بختيشوع ، وكنيته ابو سعيد ، ويظهر انه لم يمكث طويلاً ببغداد . وأقام في ميافارقين ومارس الطب فيها ، وصارت له مع ابن بطلان البغدادي يوم دخل هذه المدينة صداقة والفة . وكان مولعاً بالقراءة والكتابة ، فساعده إنعزاله في محيطه البعيد عن بغداد الصاخبة ان يكتب الكثير مما استفاده من تجاربه في ممارسة المهنة ، وان يتكلم في شؤونها وارتباطاتها بالعلوم الاخرى بحرية وانطلاق . فهاجم من يريد ان يحتفظ بالطب كواحد من صنوف الفلسفة . وحاول بجرأة ان يجعله من العلوم التطبيقية الصرفة ، ولا ارتباط له بالفلسفة إلا بما يدخل بمنطق الاستقراء والاستنتاج التي تتطلبها الفحوص السريرية والمتابعة والبحث العلمي . كما دعا الى دراسة الطب بالتجربة لا بالقراءة فقط ليجعله علماً تطبيقياً ويحرره من ولاية الفلاسفة عليه . وبهذا صار عبيد الله الى جانب ابن بطلان في رأيه المعارض لابن رضوان الذي يدعو الى قراءة الطب على الكتب لا على المعلمين . ومن ناحية اخرى صار ضمناً ضد من يكتب في الطب وهو ليس بطبيب .

---

(27) اقرأ عن عبيد الله بن جبرائيل في ابن أبي أصيبعة ص 214 وعبد الرقيب يوسف/ مجلة اللغة السريانية م 1977/3 ص 331-447و

Sezgin, 3/127,144,158.

توفي عبيد الله بن جبرائيل في ميا فارقين سنة 450 هـ / 1058م ، وأعقب ابناً هو سعيد بن عبيد الله . أما مؤلفاته فهي[28] :

(1) كتاب مناقب الاطباء .

(2) كتاب تذكرة الحاضر وزاد المسافر .

(3) كتاب الروضة الطبية ـ (الرباط ، الاسكوريال ، المتحف البريطاني) . وهو مختصر لخمسين مصطلحاً فلسفياً وطبياً . نشره بول سباط سنة 1927 بالقاهرة .

(4) كتاب التواصل في حفظ التناسل .

(5) مقالة في الاختلاف بين الالبان .

(6) مقالة في حركة النفس .

(7) كتاب نوادر المسائل ـ مقتضب من علم الاوائل في الطب .

(8) ك . في علم الحيوان وخواصه ومنافع أعضائه ـ والنسخة الموجودة بمكتبة مورغان بنيويورك محلاة بصور حيوانات مألوفة وأخرى خرافية .

(9) رسالة في الطب والاحداث النفسانية ـ وضعها للوزير محمد بن علي المعروف بابن مقلة . وقد شرح في هذا الكتاب رأيه فيما يخص الطب النفسي الذي اعتبره علماً تطبيقياً يخص الطب أكثر ما يخص الفلسفة كما كان المعتقد يومئذ . وكان من رأي عبيد الله أيضاً ان يعزل الطب عن الفلسفة ليكون علماً تطبيقياً ، ومن يمارسه فهو طبيب لا متطبب كما يدعي الفلاسفة . وقد طبع الكتاب سنة 1979 في بيروت على مخطوطة في مكتبة لايدن رقم 1332 .

8 ـ يوحنا بن بختيشوع[29]

خدم يوحنا بن بختيشوع الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل المتوفى سنة 247

---

(28) مؤلفات عبيد الله بن جبرائيل في العيون ص 214 .

(29) اقرأ عن يوحنا بن بختيشوع في العيون ص 276 Sezgin, 3/258

هـ / 861 م ونادمه وصار معتمده وطبيبه الخاص . وكان طلحة يسميه (مفرّج كـربي) ويجـزل له العـطاء . وكان يـوحنا يجيـد اليونـانية فنقـل بعضاً من الكتب اليـونانيـة الى السريانية ، وله من المؤلفات :

(1) فيما يحتاج إليه الطبيب من علم النجوم (نحاس بحلب) .

(2) كتاب تقويم الادوية فيما استخار من الاعشاب والاغذية (الرباط) .

9 ـ بختيشوع بن يوحنا[30]

هـو ابن الطبيب يـوحنا بن بختيشـوع . درس الطب عـلى أبيه والتحق بخـدمة الخليفة المقتدر ثم الراضي المتوفى سنة 329 هـ / 940م ، ونال منهما خير الجزاء وأوفره . ويوصف بختيشوع بن يوحنا بالذكاء والحذق ، وأكثر الاحتمال أنه توفي في أيام الخليفة الراشي . ولم يعثر له على مؤلفات .

---

(30) اقرأ عن بختيشوع بن يوحنا في تاريخ الحكماء ص 104 وفي العيون ص 277 .

الطب الهندي والاطباء الهنود في بغداد [1]

ذكرنا فيما تقدم ان جل الاطباء في بغداد منذ تأسيسها وحتى أيام الخليفة هارون الرشيد كانوا من السريان الذين درسوا الطب في جنديسابور . نذكر منهم الآن أبا جورجيوس جبرائيل وابنه جورجيوس بن جبرائيل طبيب ابي جعفر المنصور وتلامذ ه وبختيشوع بن جورجيوس ، وعيسى ابن شهلافا وابراهيم . ومنهم عيسى ابو قريش طبيب الخيزران زوج الخليفة المهدي وسهل الكوسج وابنه سابور بن سهل . ولا بد ان عدداً من الاطباء الفرس قد دخلوا الى بغداد بصحبة البرامكة الذين استوزرهم الخلفاء العباسيون حتى يوم نكبتهم على يد هارون الرشيد . أما الاطباء الهنود فالارجح أنهم لم يدخلوا بغداد إلا في أيام هذا الخليفة .

كان الاطباء في جنديسابور يومئذٍ خليطاً من الفرس والسريان والهنود . وكان السريان ابرزهم على وجه التأكيد ، وطبهم يوناني . وكذلك طب الاطباء الفرس . أما الاطباء الهنود فلهم طابع خاص في تطبيق الصنعة . يبرز فيه الخيال والمطاطية والاحساس الروحاني . ومع أنهم كالاطباء السريان ينسبون أكثر الامراض العامة الى اختلاف الاخلاط ويعالجونها بالاستفراغ الا انهم يلتفتون بنفس الوقت الى استخدام

(1) اقرأ عن هذا الموضوع في العيون لابن ابي أصيبعة ص 473-478 ، فردوس الحكمة لابن ربن الطبري ص 557-600 و

Encycloped. Britanica (1974)-Micro, Vol. 7,733 and Macro, Vol. 9, P. 824

Sezgin-Gas. 3/187-202

الادعية والرقي وحمل الاحجار السحرية ، كجانب مهم من جوانب التطبيب . وقد نظر المسلمون في أول الامر إلى هذا النوع من التداوي الذي لا تخلو بعض ظواهره فيما يشبه السحر الحرام الذي يدعو بنتائجه المدهشة الى المفاجأة والاعجاب . كما كان الهنود خبراء بعلم النجوم والطوالع والمواليد ويستخدمون معارفهم بهذه العلوم لاستطلاع حالة المريض في أيامه المقبلة والتطورات التي تمر بها أعراض المرض الى الافضل او الى الاسوأ . كذلك كان للهنود علوم وتجربة واسعة في السموم ومضاداتها . وجميع هذه المعارف غريبة على الاطباء السريان الذين يعتمدون على الطب اليوناني وقواعده حصراً .

ولا بد ان البرامكة كانت لهم معلومات عن تنطس الاطباء الهنود في مزاولة بعض اختصاصات الصناعة ، وإن طبهم يختلف في تفصيلاته عن طب مدارس سوريا ومدرسة جنديسابور التي هي في الاساس من أصول يونانية صرفة[2] ، ولذلك استدعوا بعض الاطباء الهنود الى بغداد ليعملوا إلى جانب الاطباء السريان في بلاط الخليفة هارون الرشيد . وربما فعلوا ذلك من باب الاهتمام الزائد بصحة الخليفة ، أو للحيطة على سلامة حياته من الغدر بالسم الذي كانت أخباره المفجعة يومئذ كثيرة على السنة الناس . فقدم بغداد كثير من الاطباء الهنود وهم يحملون الفكر الطبي الهندي ومؤلفات حكمائهم الكبار أمثال شاراك ، وشاناق ، وسوسروتا وصنجهل ، وبدان ، وجبهر ، وجودر ، وراي وغير هؤلاء . وقد ترجمت كتب هؤلاء الى العربية فكانت من اوائل الكتب الطبية التي نقلت الى هذه اللغة ويحتمل كثيراً أنها ظهرت بأيدي القراء قبل ظهور ترجمات حنين لكتب الطب اليونانية .

ويبدو أن المشعوذين والمتطفلين على الطب كان لهم بضاعة رائجة في بغداد الناشئة حين دخلها الهنود . وكان مألوفاً ان تباع الادوية على قارعة الطريق ، وتعرض مكشوفة باسم قاطع الزكام ، أو مبرىء الفالج ، أو قاتل الدود ، أو دواء لعسر البول ، أو العقم وأمثال ذلك . فقال الطبيب الهندي منكة الذي شاهد ذلك العرض وهو يمر في الخلد : (إذا كان في بغداد ما يدعي به هذا البائع فلماذا استدعاني الخليفة ، وابعدني عن أهلي وموطني ؟ وإذا كان الخليفة يعلم ان كل ذلك دجل

---

(2) ابن ابي أصيبعة ص 474 .

وكذب، فإن الشريعة تبيح قتل من يتلاعب بحياة الناس، فلماذا لا يتخلص من شرورهم ؟)[3] وقد يكون منكة قد نقل ما رآه الى الخليفة ليمنع عامة الناس من انتحال الصنعة . فإذا كان الخليفة قد عمل بما عرضه عليه منكة ، فيكون الطب قد بدأ في بغداد بداية حسنة ، وللاطباء الهنود يد مشكورة في ذلك .

على ان بالرغم من اسبقية الكتب الهندية في الترجمة الى العربية ، وما حمله الاطباء الهنود من أفكار وكتب في الطب الهندي ، وما عملوه في بغداد في الصنعة ، فأن الطب الهندي لم يسيطر على طبابة بغداد ، ولم يستقبله طلاب المعرفة بكثير من الترحاب والرغبة والاهتمام . وربما ادخله ابن ربن الطبري في كتابه فردوس الحكمة[4] لان هذا المؤلف قد نشأ في محيط فشا فيه الطب الهندي . أما أبو بكر الرازي فأخذ شيئاً عن الطب الهندي في كتابه الحاوي لانه جعل هذا الكتاب موسوعة في الممارسة الطبية قديمها وحديثها ، والعربية منها وغير العربية . ثم توقف الاطباء العرب بعد الرازي عن الاخذ من المؤلفات الهندية . وربما فعلوا ذلك لانهم بعد أن أطلعوا على الطب اليوناني رأوا أن الادعية والاحجبة اللذين يبرزان في الطب الهندي لا مكانة لهما في الطب الحقيقي . وهكذا لم يؤثر الطب الهندي في الافكار العربية إلا بقدر محدود ، وإلى فترة قصيرة من الزمن انتهت بحلول العقد الثاني من القرن الثالث الهجري . وهو الوقت الذي بدأت تظهر فيه الاعمال الاصيلة في الطب العربي وترجمة الكتب اليونانية . مع ذلك من الفائدة أن نوجه النظر الى بعض فقرات في الطب الهندي النظري والعملي التي وردت في الكتب العربية علماً بأن تلك الفقرات لا تكفي لان نعطي بها حكماً قاطعاً عن مدى تأثر الطب العربي بالطب الهندي . وسيبقى الحكم الصواب معلقاً طالما تبقى كامل أصول الكتب الهندية غير متوفرة للباحثين . ونذكر فيما يلي ما عرفناه عن الاطباء الهنود اصحاب الكتب التقليدية التي ترجمت إلى العربية ، وما أخذه الاطباء العرب عنها في الحقبة التي أشرنا إليها قبل قليل .

---

(3) المصدر السابق ص 475 .

(4) ابن ربن الطبري ـ فردوس الحكمة ص 579,578,573,567 .

1 ـ شاراك Caraka

من اطباء الهند قبل المسيحية ، ويعرفه العرب باسم شرك . وله موسوعة في الطب تعرف باسمه Caraka Samhita ذات طابع عملي في تشخيص الامراض وعلاجها ، وفي تطبيق القواعد الصحيحة بالامثال والحكم على غرار فصول ابقراط . ومما ورد فيها قوله : للجسم عشرة مسالك لاندفاع فضلاته هي البول ، والبراز ، والريح ، والعطاس ، والجشأ ، والسعال ، والبصاق ، والقيء ، والجماع ، وللعرق . وينصح شاراك بعدم إيقاف هذه الفضلات اذا تحركت للاندفاع من البدن ، كما ينصح بعدم صد الشهوة للطعام والحاجة الى النوم[5] .

ويصنف المؤلف الامراض على ثلاث مراتب (1) ما هي سريعة البرء (2) ما هي عسيرة البرء (3) التي يمسكها العلاج فلا يزيد المرض ولا يرجى منه شفاء[6] . ويبدع المؤلف أكثر من ذلك في قوله فيمن يرجى شفاؤه ، (أن يكون المريض مطيعاً لطبيبه ومحباً له ، ويكون شاباً ولا يكون هرماً فانياً ، ولا رغيب البطن ، ولا يكون مرضه حاداً ولا مزمناً)[7] . وكل هذه حقائق في الطب لا تزال حقائق ثابتة ، ويعمل بها في الممارسة الطبية الى هذا اليوم .

وقد ترجم عبد الله بن علي ، كتاب شاراك من الفارسية إلى العربية ، وأخذ عنه الرازي في تداوي اضطرابات المعدة (الحاوي 182/6،55/5) والقيء (ح 63/16،26/14) وفي الباه والجماع (305/10) وحصى المثانة (ح 103/10) ولسع العقرب (ح 239،238/21) والبواسير (ح 58/11) وعلاج الدبيلات بالدواء والبط (ح 72/12) . ويعتبر أصل الكتاب من المفقودات .

2 ـ شاناق [8] Canakya

من قدماء الاطباء الهنود (القرن الثالث ق . م) . وهو عالم وسياسي وملم

---

(5) المصدر السابق ص 567 .

(6) المصدر السابق ص 560 .

(7) المصدر السابق ص 560 .

(8) هناك اختلاف جذري بين ما ورد في التراثيات العربية وبين بحوث المستشرقين في تراجم بعض

بالطب . وقيل انه زرادشتي أو متأثر بهذا الدين[9] . من مؤلفاته :

1 ـ كتاب التدبير .

2 ـ كتاب في علم النجوم .

3 ـ كتاب البيطرة .

4 ـ كتاب منتحل الجوهر .

5 ـ كتاب الادب .

6 ـ كتاب السموم والترياق ـ أو كتاب السموم لشاناق[10] (الاسكوريال ، دار الكتب المصرية ، الظاهرية بدمشق ، قديس يوسف بيروت ، المتحف العراقي) وهو الكتاب الذي يهمنا بصفة خاصة ، ويحتوي على أربع مقالات . يذكر المؤلف في المقالة الاولى الهدف من تأليف الكتاب فيقول في ذلك ، إن الحكام يحتاجون إلى معرفة اسلحة غير منظورة بالاضافة الى أسلحة القتال التقليدية ، فوضع لهم هذا الكتاب ليستفيدوا منه بهذا الخصوص .

الاطباء الهنود ، فقد ذكر ابن النديم شاناق والحق بأسمه كتاب التدابير ، وكتاب الادب (الفهرست ص 316،305) وذكر طبيباً آخر باسم كنكة ونسب اليه اربعة كتب في المواليد والقرانات والاعمار (الفهرست ص 270) وذكر ابن القفطي نص ما كتبه ابن النديم عن كنكة ومؤلفاته (تأريخ الحكماء ص 265-267) . وذكرا ابن ابي أصيبعة كنكة بمثل ما كتبه القفطي عن هذا الطبيب وأضاف إليه كتاباً واحداً في الطب بأسم كناش . كما ذكر ابن ابي أصيبعة شاناق ونسب اليه كتاب السموم ، وكتابا بعلم النجوم ، وكتاب منتحل الجوهر وكتاب البيطرة (العيون ص 474) ونلاحظ ان ليس لكنكة ذكر في كتاب ابن القفطي أما المستشرقون فذكروا طبيباً هندياً باسم Canakya (والترجمة الحرفية هي كاناكيا وتلفظ هذه أيضاً هكذا شناكيا وشاناقيا ونسبوا اليه الكتب الاربعة التي نسبها ابن ابي أصيبعة الى شاناق ، كما نسبوا اليه كتابي التدبير والادب اللذين نسبهما ابن النديم الى شاناق . فهل كنكة هو شاناق نفسه ؟ والتفريق بينهما كان من صنع ابن النديم ؟

(9) Encycloped. Britanica Micro. 7/733.

(10) اقرأ عن كتاب السموم في مجلة المعهد اللغوي بدمشق 9 (1931) ص 483-488وبروكلمان 159/4 . وقد نشره مولر في :

Arabishe Quellen Zur Indischen Medizin in: ZDMG 68/1914 345-348.

ويبحث المؤلف في المقالة الثانية في علامات المواد المسمومة من المطاعم والمشارب والملابس ، والادوية ، والآلات وما إلى ذلك[11] .

وفي المقالة الثالثة وصف للسموم القاتلة وطريقة تحضيرها من موادها الاولى الحيوانية والنباتية .

وفي المقالة الرابعة التي ينتهي بها الكتاب ، علامات التسمم بأنواع السمائم وطريقة علاج حالاتها المرضية ، وقد ترجم أبو حاتم البلخي هذا الكتاب الى الفارسية بطلب من خالد بن يحيى البرمكي . وفي خلافة المأمون ترجمه العباس بن سعيد الجوهري من الفارسية إلى العربية . وقد حقق اوكست ملر الكتاب ونشره في ليبسك سنة 1880 .

3 ـ سوسروتا Susruta

من علماء الهند في القرن الثاني ق . م . وله موسوعة طبية باسمه Susruta Samhita بعشر مقالات في تشخيص الامراض وطرق معالجتها . وتعد ترجمتها العربية من المفقودات إلا بعض فقرات منها تقرؤها في فردوس الحكمة حيث يشير اليه ابن ربن الطبري باسم سسرد . قال فيها :

(إن حد الطب هو برء المرض وحفظ الصحة ومعرفة الدواء)[12] وفي هذا التعريف للطب إيجاز لا ينقصه ولا يزيد فيه شيء ، وقال في الاخلاط (ان في الدم تكمن الحياة فاذا جمد الدم كان من ذلك الموت ، وإن في المرة السوداء حرارة البدن والذكاء وجلاء البصر)[13] . ثم قسم سوسروتا الطب الى ثمانية أصناف ، هو الطب

---

(11) اغرب ما في المقالة الثانية ان المؤلف يشير الى ان بعض علماء الهند المتقدمين كانوا يغذون الاطفال من الجواري النفيسات بالسم تدريجاً ، فتتحمله ابدانهن ، فمن وطئهن مات . (كتاب شاناق في السموم تحقيق مولر ص 514) . أما ابن هبل البغدادي (المختارات 156/4) فقد ذكر ان حكاية الجارية السامة قد ورد ذكرها من قبل روفس الافسي فيما كتبه في السموم وواضح جداً إن هذا الطبيب اليوناني قد اخذ هذا الموضوع عن شاناق ، الهندي ، لانه ليس لهذا النوع من التسميم ذكر في الطب اليوناني قبل روفس .

(12) ابن ربن الطبري ص 558 .

(13) المصدر السابق ص 562 .

الاطفـالي لمعالجـة الاطفال والامهـات ، والميـلي لمعـالجـة العـين بـالاميـال والكحـل ، والمبضعي للمعـالجة بـالفصد ، والجسمي لمعـالجة سـائـر الجسم ، والتـريـاقي لعـلاج السمومات وعض الهوام المؤذية ، والباهي للعلاج بالباه ، والمشب لحفظ صحة الشباب وقوته ، والارواحي لمعالجة الحالات النفسية بالرقى[14] . ويفهم من هذا اهتمام الهنود بالطفل ، وبالسموم ومضاداتها ، وبالباه لاستفراغ الفاضل من المني . ويقـال إن الهنود لم يمارسوا الختان لان ذلك يضعف الغلمة وبالتالي يقلل من الباه[15] ، كما كان للتعاويذ والرقي مكانة واسعة في ممارسة الطب عند الهنود .

أمـا في الطب الجـراحي فقـال سـوسـروتـا ينبغي للطبيب أن يـروض يـده عـلى استعمال المباضع ، والكي ، والقطع ، والخياطة ، عـلى الجلود ، وعلى عـروق الماء في اوراق الشجر ، ويتعلم علاج العين على عيون الشاة حتى تستقيم حركات أصابعه قبل أن يعمل بها على الانسان[16] .

وقـد ترجم منكـة الهندي هـذا الكتاب الى العـربية بـطلب من خـالـد بن يحيى البـرمكي ، فأخـذ عنه ابن ربن الـطبري الـذي روج لما فيـه من الافكـار الـروحيـة ، واستعمـال التعاويـذ في تـداوي المـرضى ، ويجلب انتبـاهنـا أن الـرازي لم يـأخـذ عن سوسروتا الا باشارات عابرة ، وفيها يتفق مع الطب العلمي فقط .

أما كتب الطب الهندية الأخرى التي ترجمت إلى العربية فمفقودة ولا نعرف عنهـا ولا عن مؤلفيها قدراً مفيداً يستحق الذكر ، من تلك الكتب :

(1) كتاب سند ستاق ـ ومعناه كتاب صفوة النجـاح . وقد فسـره ابن دهن صاحب البيمارستان ببغداد .

(2) كتاب استنكر الجامع ـ تفسير ابن دهن .

(3) كتاب مختصر في العقاقير للهند .

---

(14) المصدر السابق ص 558 .

(15) الجاحظ ـ الحيوان 7/27-28، 213 .

(16) ابن ربن الطبري ص 560 .

(4) كتـاب المـواليـد الكبـير لصنجهل .

(5) كتاب بدان في علامات اربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج .

(6) كتاب علاجات الحبال للهند (في الهند ؟) .

(7) كتاب التوهم في الامراض والعلل لتوقشتل الهندي (ابن النـديم ص 303) أو لابي قبيل الهندي (ابن أبي أصيبعة 474) وقد يكون توقشتل هو ابو قبيل .

(8) كتاب توقشتل ـ وفيه مائة داء ومائة دواء .

(9) كتاب روسي الهندية في علاجات النساء .

(10) كتاب السكر للهند .

(11) كتاب اسماء عقاقير الهند ـ فسره منكة لاسحاق بن سليمان .

(12) كتاب رأي الهندي في اجناس الحيات وسمومها .

(13) كتـاب فيما اختلف فيـه الهند والـروم في الحار والبـارد وقـوى الادويـة وتفصيـل السنة .

(14) كتاب في علاج النسـاء ـ ومؤلفه مجهـول . وقد ذكـر ابن ربن الطبـري وصفات طبية هنديـة لتنقية وجـه المرأة ورفـع الكلف عنه ، ووصفـات تعين عـلى الاخصاب ، وأخـرى على حصـول التوأم ، ووصفـات لرطـوبـة الـرحم والسيـلان منـه ، وأخـرى لاصـلاح قوام المكتهـلات (ليصرن مثـل البكور)[17] . وقـد تكون هـذه الـوصفـات لصاحب كتاب في علاج النساء المذكور آنفاً .

(15) كتـاب المواليـد ـ ومؤلفه جـودر الهندي ، أحـد الحكماء والاطبـاء الافـاضـل في الهند .

مشاهير الاطباء الهنود في بغداد

دخل بغداد عدد من الاطباء الهنود بطلب من الخلفاء ، أو أنهم قدموها بأنفسهم

(17) ابن الطبري ص 591 .

وراء الكسب والجاه ، كان منهم بازيكر ، وسندباذ ، وقلبرقل[18] الذي استحسن العرب أن يسموه قل بن قل ، وصنجهل ، وباري ، ودهشنك ، وصالح بن بهلة ، وكنكة ، ومنكة وكان الثلاثة الاخيرون من أقرب الاطباء الهنود الى الخليفة الرشيد .

منكة الهندي

حكيم وطبيب مقتدر . قدم إلى بغداد بطلب من البرامكة ليداوي الخليفة هارون الرشيد . والارجح أنه كان في فارس أو جنديسابور بالتحديد قبل ان يدخل بغداد . وفي فارس تعلم اللغة الفارسية ، فنقل في أيام هارون الرشيد كتاب السموم لشاناق الى الفارسية ، وإذا كان هذا الكتاب قد ترجم من الهندية الى العربية كما يقول ابن ابي أصيبعة[19] ، فلا بد أن منكة قد تعلم هذه اللغة في بغداد . على أننا لا نعرف له كتاباً مترجماً إلى العربية .

وكان منكة كغيره من الاطباء الهنود يمارس الطب على الطوالع واستخارة النجوم لتوقيت العلاج ومعرفة ما تضمره الايام للمريض . قال ليحيى البرمكي حين اعتل قبيل نكبة الخليفة لآل برمك : أرى في الطالع اثراً والامر فيه قريب ، وأنت قسيم في المعرفة ، وربما كانت صورة النجم عقيمة لا نتاج لها ، ولكن الاخذ بالحزم أوفى لحظ الطالبين . ثم قال له : هي الصفراء مازجتها مائية البلغم ، ووصف له مسهلة بالاهليلج وماء الرمان[20] .

صالح بن بهلة

من الاطباء الهنود الذين برعوا في ممارسة الصنعة ، ونجحوا في ارضاء الخليفة هارون الرشيد ، فصار احد القائمين على مأكله ومشربه . كما عالج الامير ابراهيم بن صالح من مرض خطر وتشافى على يده ، فنال من الخليفة الصلات والتقدير . ويجلب انتباهنا أسمه الاول العربي . فقد يكون قد ولد في جنديسابور الاسلامية فأكتسب اسم صالح ، أو أنه اسلم في بغداد فخلع عليه هذا الاسم .

---

(18) لم يرد ذكر لكل من بازيكر ، وسندباذ ، وقلبرقل في كتاب طبقات ابن ابي أصيبعة . والذي ذكرهم من جملة اطباء الهند هو الجاحظ في البيان والتبيين (93/1) .

(19) ابن ابي أصيبعة ص 475 .

(20) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد 67/5-68 .

اسرة بني الطيفوري

1 ـ عبد الله الطيفوري[1]

عرف من هذه الاسرة ثلاثة أطباء خدموا في بلاط الخلافة العباسية ، من حكم المهدي (158-169 هـ / 775-785م) الى حكم المتوكل على الله (232-247هـ /847-861 م) . كان أولهم مؤسس الاسرة عبد الله الطيفوري الذي لا نعرف عنه أكثر من أنه كسكر (ديار) واسط[2] بجنوب ما بين النهرين . ويحتمل أن يكون أصله البعيد من طيفور اباد بفارس . وكانت لكنته سوادية واضحة . كما يحتمل ان اسمه منسوب الى صاحبه طيفور مولى (أو اخو) الخيزران زوج الخليفة المهدي[3] كما سيجيء ذكر ذلك . ولا نعرف أيضاً اين وعلى من درس عبد الله الطب . وقد يكون درسه في جنديسابور بطريقة مدرسية اي ليس بالتجربة الذاتية ، وذلك لما عرف عن سلوكه المهني المستقيم الذي اشتهرت به مدرسة جنديسابور .

ظهر عبد الله الطيفوري لاول مرة ، طبيباً في خدمة طيفور اخي الخيزران (أو

---

(1) اقرأ عن عبد الله الطيفوري في العيون لابن ابي أصيبعة ص 220 و

Lecrerc, 1/119

(2) واسط ـ مدينة انشأها الحجاج بن يوسف الثقفي في حوالي سنة 86 هـ 704م وصارت عاصمة العراق في العهد الاموي ، ثم تضاءل شأنها في العهد العباسي وتدهورت . وكان مكانها بين الكوفة والبصرة ، وليس لها أثر في الوقت الحاضر .

(3) ابن ابي اصيبعة ـ العيون ص 220 .

مـولاها) كـما ذكرنـا آنفاً وصحبـه ذات مرة عنـدما رافق طيفـور سيده الخليفـة وزوجه الخيزران الى فارس لمحاربة الثـائر سنقـار في الري . وكـان في خدمـة الحملة صيدلاني عنّين[4] اسمه عيسى . ولما لاحظت الخيزران انتفاخ بطنها طلبت من احدى جواريها ان تحمـل بولهـا ليفحصه اطبـاء المعسكر . وحدث ان مـرت الجارية بخيمـة عيسى وهـو يفحص فيها قوارير الناس . فعرضت عليه بول سيدتها الخيزران . فأنبأها ان صاحبـة البول حبلى بغلام[5] . فأثار هذا الخبر فرح المهدي وزوجته كـما أثار استغـرابهما لمعـرفة جنس الجنين . فأشار طيفور عـلى سيدتـه الخيزران ان تستشـير عبد الله الـطيفوري في هذا الامر . فلما فحص عبد الله البول تأكد منه على وجود الحمل[6] ، إلا أنـه انكر ان يعـرف اي طبيب يفحص البول او بـأي طريقـة أخرى ، جنس الجنـين قبل ولادتـه . وحدث أن وضعت الخيزران وهي في الري ولداً هـو موسى الهـادي . وحملت الخيزران مرة اخرى وعرف الصيدلاني عيسى ان الجنين ولد أيضاً ، فوضعت هارون الرشيد[7] . فزاد اعجاب المهدي بعيسى وبالـغ في إكرامـه وكناه (ابـا قريش) اي ابـا العرب[8] ، والحقه بحاشيته الى جانب كبار الاطباء كبختيشوع بن جورجيوس وعبد الله الطيفوري وغيرهما .

فلما توفي الخليفة المهدي وصعد ولي عهده موسى الهادي الى دست الخلافة عرف ان أبـا قريش الصيـدلاني لم يكن إلا دعياً ولا يعـرف شيئاً عن الـطب ، فـأرجعـه الى مراتب الخصيان . وقرب إليه بدلاً عنه عبد الله الطيفوري . وصار أخص الاطباء به ، وأكثر من ينال من كرمه . كما ارجع الى حاشيته بختيشوع الذي كـان يومئـذ مبعداً الى جنديسابور بإشارة من رجال الخيزران ، وقد مر ذكر ذلك قبلاً .

---

(4) المصدر السابق والصفحة .

(5) القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 430 .

(6) ابن ابي أصيبعة ص 220 .

(7) ينقل ابن ابي أصيبعة قصة حبل الخيزران والصيدلاني عيـى وكأن عيـى قد شخص الحبل ، وعين جنس الجنين بعلم ومعرفة ، بينما القفطي (تاريخ العلماء ص 430) يشير بصراحة ان الصدفة قد لعبت دورها في تشخيص الحبل ومعرفة جنس الجنين ، وإن ما قاله عيـى كـان من باب التفـاؤل وعلى سبيل التكسّب وليس غير ذلك .

(8) ابن أبي أصيبعة ص 215-216 .

ونستفيد من حكاية حبل الخيزران ثلاثة أمور مهمة . أولها ان عبد الله الطيفوري كان طبيباً قويم الاخلاق ومتمسكاً بالصدق والسلوك الحسن في ممارسة الصنعة ، إذ رفض رغم الحاح صديقه طيفور عليه ان يقول ما قاله الصيدلاني عن معرفة جنس الجنين في بطن الخيزران ، وأصر ان لا يقول اكثر مما يعرف . وثاني الامور التي تفيدنا بها هذه الحكاية ، هو ان الاطباء في ذلك الزمان كانوا يعرفون ، أو يدعون معرفة وجود الحبل من فحص بول الحبلى[9] . أما معرفة جنس الجنين فلم يعرف إن كانت هناك محاولة في هذا الاتجاه .

أما ثالث المدلولات من تلك القصة فهي ان الصيدلاني كان يومئذ هو الذي يعمل التحاليل في المختبرات السريرية ، بالاضافة إلى أعماله في دق العقاقير وتحضير الادوية .

2 ـ زكريا بن عبد الله الطيفوري[10]

هو الطبيب الثاني من أسرة الطيفوري . خدم الخليفة المعتصم (218-227 هـ /833-842 م) ورافق حملة قائده الافشين[11] لمحاربة بابك الخرمي[12] . ويروى ان زكريا اقترح على الافشين في هذه الحملة ان يمتحن الصيدلانيين ليبعد عن الجيش المنتحلين منهم لهذه الصنعة . وقال له : ان يوسف لقوة الكيماوي قال يوماً للخليفة

---

(9) ابن هبل ـ المختارات 177/1 .

(10) اقرأ عن زكريا الطيفوري في العيون لابن ابي أصيبعة ص 224 و

Leclerc, 1/119-120

(11) الافشين ـ اسمه حيدر بن كاوس . اصله من تركستان الروسية . دخل اولاً في خدمة المأمون ثم انتقل الى خدمة المعتصم ، وصار قائد جيشه لمحاربة بابك الخرمي سنة 220 هـ / 835م ، فأكرمه كثيراً لنجاحه في هذه المهمة كما حارب في معركة عمورية ضد الروم . واتهم الافشين أخيراً بالزندقة والتآمر على الخلافة ، فعزله المعتصم وسجنه وتوفي في حبسه سنة 226 هـ / 840م . وخلفه على الجيش زوج أخته اشناس التركي .

(12) بابك الخرمي ـ من أصحاب المذاهب المنحرفة . ثار في أمارة المأمون بمرو وفي خلافته ببغداد . وكانت وصية المأمون لاخيه المعتصم ان يقضي على مذهب بابك الخرمي بتناسخ الارواح والاباحة الجنسية . وأخيراً وجه المعتصم قائده الافشين لمحاربة بابك فقبض عليه وجاء به الى سامراء حيث قتل وصلب .

المأمون : (ان الصيدلاني لا يطلب انسان منه شيئاً من الاشياء ، كان عنده ام لم يكن ، الا اخبره بأنه عنده ، ودفع إليه شيئاً من الاشياء التي عنده ، وقال له هذا الذي طلبته) وأشار زكريا الطيفوري على الافشين : أن توضع اسماء ادوية لا وجود لها . وتوجه الطلبات الى الصيادلة ، فلما فعل ذلك أنكرها بعضهم وبعضهم ادعى وجودها ومعرفتها . واخذ الدراهم ودفع للمشتري شيئاً من حانوته فأمر الافشين بطرد الصيادلة الذين ادعوا معرفة الدواء ، من المعسكر . وأباح دم من يتسلل اليه للاتجار بالصيدلة فيه[13] . وكتب للمعتصم ليبعث اليه بصيادلة تتوفر فيهم الامانة والصدق .

3 ـ اسرائيل بن زكريا الطيفوري[14]

هو حفيد عبد الله الطيفوري : خدم الفتح بن خاقان[15] وزير الخليفة المتوكل (232-247 هـ / 847-861م) ونادمه ، ثم التحق بحاشية الخليفة بتوصية من ابن خاقان ، وصارت له منزلة مرموقة من الناس ، وممن لا يستغني عن طبهم الخليفة ، أمثال بختيشوع وحنين بن اسحاق .

---

(13) ابن ابي اصيبعة ص 224-335 .

(14) اقرأ عن اسرائيل بن زكريا الطيفوري في العيون لابن ابي أصيبعة ص 252 و

Leclerc, 1/120

(15) الفتح بن خاقان : ابو محمد الفتح بن خاقان . وزير ومشاور الخليفة المتوكل حتى وفاته . كان يجيد الحساب ومعروفاً بالخلق الحسن والكرم توفي قتيلاً مع سيده الخليفة سنة 247 هـ / 861م .

اسرة ماسويه

هذه اسرة طبية اخرى لا نعرف عن ارومتها قدراً وافياً . واسم ماسويه من نغمة الاسماء التي كانت شائعة في فارس ابان دخول المسلمين اليها ، استعمل هذه الاسماء كل من المجوس (برزويه) واليهود (ماسرجويه) والنصارى (بختويه) والمسلمون (سيبويه) على السواء . ولم يعرف الاسم في ديار سورية أو جزيرة ما بين النهرين . وعلى هذا فالارجح ان ماسويه مؤسس الاسرة قد ولد في فارس ، أما أبوه النسطوري ؟ الذي لا يعرف اسمه ، فقد يكون جاءها من احدى مدن سوريا هارباً من مطاردة البيزنطيين لمن ينتحل مذهب النسطوري ، فولد له فيها ابنه ماسويه .

1 ـ ماسويه الخوزي[1]

اسمه جورجيوس[2] ، وكنيته ابو يوحنا ، وربما يكون (ماسويه) لقبه وقد غلب على اسمه فلا يعرف إلا به . واصله من خوزستان واليها ينسب باسم الخوزي (مختصر خوزستاني) . دخل جنديسابور طلباً للرزق فيها . وكان في هذه المدينة يومئذ

(1) اقرأ عن ماسويه في الفهرست لابن النديم 295-296 ، وطبقات ابن جلجل 65-66 ، والقفطي 380-391 ، ومختصر الدول لابن العبري ص 227 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 242-244 وكرسي المشرق لماري 80،78 وكرسي المشرق لابن متي ص 72،66ونصارى بغداد لبابو اسحاق 177-179 ويطلق على الجماعة من الخوز اسم (الخوزيّة) احياناً وقد وردت هذه التسمية في كتاب الحاوي للرازي فحسبها بعض القراء انها اشارة الى إمرأة من الخوز مجهولة الاسم .

(2) كتاب الجواهر وصفاتها ـ تحقيق عماد عبد السلام ، الهامش رقم 5 عن ماري ـ بطاركة المشرق 77 .

عدد كبير من نساطرة سوريا ، فمدوا له يد المساعدة والحقوه ببيمارستان المدينة يدق العقاقير في صيدليتها ليستحضر منها الادوية[3] . وكان أمياً لا يعرف حتى قراءة لغته السريانية . كما كان لا يعرف العربية ، لكنه كان نبيهاً وذكياً فتعلم شيئاً من الطب ، وخصوصاً في أمراض العين على جبرائيل بن بختيشوع . وكان جبرائيل يعطف عليه ويبغي تعليمه الصنعة ، وزوجه من جارية صقلبية[4] اسمها (رسالة) اشتراها له من داود بن سرابيون بثمانماية درهم[5] ، فأنجبت له ولدين هما يوحنا وميخائيل . فتولى جبرائيل الانفاق عليهما ، والحقهما بالمعلمين ، والاشراف على تربيتهما[6] . فلما هاجر جبرائيل الى بغداد لخدمة جعفر البرمكي والخليفة الرشيد ، وأصاب منهما المال الوفير والجاه العريض ، اغتابه ماسويه غيرة وحسداً . وسمع ذلك جبرائيل ، فأوعز الى ادارة البيمارستان بطرده منها[7] بعد ان خدم فيها ثلاثين سنة . فشد ماسويه الرحال إلى بغداد وقد ناهز الخمسين من عمره ، ليسترضي جبرائيل ، إلا ان هذا رفض استقباله وتعالى عن قبول اعتذاره[8] . فلم ير بداً إلا أن يرجع الى جنديسابور وقصد الكنيسة ليستجدي من كاهنها أجور السفر إلى بلده[9] . فنصحه الكاهن أن يمارس الطب الذي يعرفه ، وزوده بصندوق فيه أدوات الكحل وعقاقيره ، وأقعده عند قصر الفضل بن الربيع[10] ، وزير الخليفة هارون الرشيد ، وساعد الحظ ماسويه فعالج حاجب الفضل من رمد فشفي منه[11] . وهنا دق جرس السعد للمتشرد ماسويه فحظي برعاية ابن

---

(3) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 242 .

(4) الصقالبة ـ أقوام سلافية قطنت بين جبال الاورال والبحر الادرياتيكي ، منهم الروس والبولونيون والصرب واليوغسلاف . وصار منهم المرتزقة في الجيوش الاسلامية في المشرق والمغرب .

(5) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 242 .

(6) بطاركة كرسي المشرق ص 75 .

(7) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 242 .

(8) المصدر السابق .

(9) بابو اسحاق ـ نصارى بغداد ص 178 .

(10) الفضل بن الربيع ـ سياسي وأديب وزر لهارون الرشيد ، وخاصم البرامكة وساهم في نكبتهم . ثم وزر للامين وقاوم حركة المأمون ولما ظفر هذا به بعد مقتل الامين عفى عنه توفي ببغداد مهملاً سنة 209 هـ / 824م .

(11) ابن ابي أصيبعة ص 242-244 .

الربيع وصار طبيبه ثم صار أخيراً من متطببي حاشية الخليفة الرشيد[12] ، وطبيب اخته (بانو) إلى جانب جبرائيل بن بختيشوع غريمه الذي أوعز بطرده من بيمارستان جنديسابور . ومن الواضح ان حظ ماسويه كان أكثر من علمه ، فلم يترك وهو الامي أثراً مكتوباً في الطب .

توفي ماسويه في خلافة المأمون (198-218 هـ / 813-833م) وعقب له ولدان هما يوحنا بن ماسويه وهو الاكبر والاشهر من أعضاء هذه الاسرة ، وميخائيل بن ماسويه .

2 ـ يوحنا بن ماسويه[13]

يكنى يوحنا بن ماسويه بأبي زكريا ، وهو أشهر واحد من اسرة ماسويه ، وهو الذي خلد اسمها لاعماله الجليلة في صناعة الطب . فهو من مشاهير اطباء بغداد وسامراء في النصف الاول من القرن الثاني الهجري ، ومن أكثرهم حظوة من خلفائها

---

(12) المصدر السابق .

(13) اقرأ عن يوحنا بن ماسويه في الفهرست لابن النديم ص 295-296 وطبقات ابن جلجل ص 65-66 ، وطبقات ابن صاعد ص 36 ، وتاريخ الحكماء للقفطي ص 380-391 ، ومختصر الدول لابن العبري ص 227-228 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 246-254 ، وبطاركة المشرق لعمرو بن متى ص 72,66 . وبطاركة المشرق لماري بن سليمان ص 80,78 ونصارى بغداد لبابو اسحاق ص 179-183 ، وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ج 6/ص 155 . وهدية العارفين البغدادي 515/2-516 . والاعلام للزركلي 279/9 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 263/13

Brockelmann 1/232

Campbell-Arab Medicine, 1/60-61

Leclerc, 1/103, Sezgin, 3/231-232

Ullmann-Meiz. Islam,P.112-115

والمخطوطات العربية لشيخو 16 ، فهرس المخطوطات المصورة 158/2, 173, 174, 192, 193 ومجلة معهد المخطوطات لصلاح الدين المنجد 268/5 والحكمة ـ القدس 25/5 ، وحنا مرهج ـ العروة عدد تموز 1936 ص 108 ,109والكلمة بحلب ـ يوسف شملت 13 :33:34 .

ويدعي بأبو اسحاق (نصارى بغداد ص 179) ان خوزا التي ولد فيها ابن ماسويه هي احد قرى نينوي ، ولم يشر الى المصدر الذي استقى منه ذلك . ولا يذكر الحموي في معجمه الاخوز فارس التي يسميها ايضاً الاحواز والاهواز .

المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

ولُد ابن ماسويه في جنديسابور[14] ، يوم كان أبوه يعمل في بيمارستانها . وكانت أمه صقلبية كما ذكرنا ذلك فيما سبق ، وتعلم اللغة السريانية والعربية فلم يجد صعوبة في دراسة العلوم الطبية المكتوبة بهاتين اللغتين . وكان بنفس الوقت يقرأ الطب على أساتذة بيمارستان جنديسابور ، وتفنن في ممارسته . وأغرته شهرة بغداد وما يصيبه الاطباء فيها من جاه وثروة ، فارتحل اليها . وكان أبوه ماسويه في ذلك الوقت في خدمة حكامها ، فساعد ابنه يوحنا على أن يتغلغل بين عوائل بغداد ، ويتزوج ابنة عبد الله الطيفوري الطبيب[15] . ولتدين ابن ماسويه صار شماساً في خدمة الكنيسة[16] ، واستمر يصعد في المراتب الاجتماعية والحكومية حتى وصل الى بلاط الخليفة المأمون واصبح في سنة 215 هـ / 830م رئيساً لبيت الحكمة ودائرة الترجمة فيها[17] . وهو أول واحد يشغل هذا المنصب .

وكان ابن ماسويه شغوفاً بقراءة المخطوطات في العلوم الطبية عامةً ، وكتب التشريح بصفة خاصة ، كما عمل بتشريح القردة[18] ليعرف منها ما يدعم آراءه عند التعليق على آراء جالينوس في هذا الموضوع . وتكونت لديه معلومات واسعة في خلق الانسان مقارنة بتشريح تلك الحيوانات ، وصار يناقش هذه المواضيع في مجلسه الذي كان من اشهر مجالس العلم في بغداد ، فيؤمه أكابر العلماء والاطباء وطلاب المعرفة ، كان منهم بختيشوع ابن جورجيوس وحنين بن اسحاق المترجم الاشهر ، وكثيرون غيرهما . وقد اسكرت ابن ماسويه منزلته العلمية فكان يتعالى على اترابه شأن أكثر المتخرجين في مدرسة جنديسابور الذين لا يرون في غيرهم ما يمكن ان يجعلهم أقراناً لهم او انداداً ، فيركبه الغضب ويزل لسانه بمرذول الكلام . وطرده لتلميذه حنين بن اسحاق حدث مشهور سيجيء ذكره في ترجمة حنين ، وسيبقى هذا الحادث ملتصقاً

---

(14) ابن ابي أصيبعة ص 294 .

(15) القفطي ص 390 ، ابن ابي أصيبعة ص 252 .

(16) ابن ابي أصيبعة ص 294 .

(17) المصدر السابق ص 246 .

(18) المصدر السابق ص 250 . وفيها يذكر ان ليوحنا قردة اسمها حماحم .

بترجمة ابن ماسويه ما يذكره الكتاب على مرور الزمن . ومع كل ذلك فإن ابن ماسويه كان خفيف الظل ، وصاحب نكتة بارعة ، ويلهو بالسفاهة اذا اقتضى الامر ، كما كان يحب تعدد الجواري[19] على غير عادة الشمامسة وسدنة الكنائس . وكان أيضاً كثير المقالب مع زملائه ومع المرضى .

(دخل على ابن ماسويه قسيس من الكنيسة التي يتردد اليها وقال له : قد فسدت عليّ معدتي ، فقال له يوحنا استعمل جوارشن الخوزي ، فقال له قد فعلت . قال فاستعمل الكموني ، قال استعملت منه أرطلاً . فأمره باستعمال الفدانيقون ، فقال : قد شربت منه جرة . قال له : إستعمل المروسيا ، قال له فعلت وأكثرت . فغضب يوحنا وقال له : ان اردت ان تبرأ فاسلم : فإن الاسلام يصلح المعدة)[20] .

ويبدو ان ابن ماسويه لم يكن سعيداً في بيته ، إذ كان يشكو مرّ الشكوى من زوجته (ابنة الطيفوري) لبلادة في ذهنها ، ومن ابنه ماسويه الصغير لرعونته وسوء تصرفاته . قال عن ابنه في مجلسه ذات يوم : (لولا فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرحت ابني حياً مثل ما كان جالينوس يشرح الناس والقرود)[21] . وحدث بعد ذلك أن مرض ابنه ماسويه الصغير ، ففصده ابوه يوحنا بالرغم من معارضة جده الطيفوري ، ومعارضة أخويه زكريا ودانيال . وتوفي ماسويه الصغير اثر هذه المعالجة ، فاتهم ابن ماسويه بقتل ابنه متعمداً[22] .

وهناك حادث آخر يعرض ابن ماسويه الى الاتهام باستغلال مهنته لقتل المرضاء ، إذ روى احد الكتاب ان ابن ماسويه قد تباطأ متعمداً بمعالجة الخليفة المأمون في طرطوس فسبب وفاته[23] . على انه لم يرد مثل هذا الاتهام في أي مصدر آخر .

وعرف يوحنا بن ماسويه مترجماً كما عرف طبيباً . ومفردات كتبه تبدو من عناوينها وكأنها من صنع يده ، لا ترجمة لكتب غيره من المؤلفين . والارجح أنه لم يكن

---

(19) المصدر السابق ص 249 ، القفطي ص 387 .

(20) ابن ابي أصيبعة ص 247 ، القفطي 386 .

(21) القفطي ص 390، 391 ، ابن ابي أصيبعة ص 252 .

(22) المصدر السابق ص 391 ابن ابي أصيبعة ص 252 .

(23) ابن اصيبعة ص 294 .

يعرف اليونانية أو لم يكن يحسنها على ما تقتضيه الدقة العلمية في الترجمة ، فكان يستعين بحنين بن اسحاق ويطلب منه بصريح العبارة القيام بترجمة بعض الكتب اليونانية[24] . وهو بأي حال يجيد اللغة العربية ويحسن صياغة العبارة بها ، وربما يكون من هذه الناحية بمستوى حنين ان لم يكن يفضله في بعض مؤلفاته . كما يبدو من سيرة حياته ومضامين مؤلفاته إنه كان طبيباً ناجحاً . أما رئاسته لبيت الحكمة وعلى أعمال الترجمة فيها فكانت على الاكثر ادارية أكثر مما كانت تدخل في أعمال الترجمة . والجدير بالذكر أيضاً ان كثيراً من كتب ابن ماسويه كانت بكراً بعناوينها ومضامينها ، ثم خطا على مجراها المؤلفون العرب بعد ذلك . فكتاب المالينخوليا ، والجذام ، وكتاب العين ، وكتاب الجواهر ، والمرة السوداء ، وكتاب السدر والدوار ، وكتاب محنة الاطباء ، والصوت والبحة ، أمثلة على كتابات ابن ماسويه في الاختصاصات الطبية الدقيقة التي لم يألفها العرب قبله .

توفي يوحنا بن ماسويه في سامراء سنة 243 هـ / 857م ، اثناء خلافة المتوكل على الله ، ومن اشهر تلاميذه حنين بن اسحاق العبادي . أما الكتب التي تنسب اليه فهي[25] :

(1) كتاب العين ـ ويعرف بدغل العين ، أو كتاب معرفة العين وطبقاتها . وهو أول كتاب عربي وضع بهذا الموضوع . وقد ترجمه قسطنطين الافريقي المتوفى سنة 481

(24) كتب ابن ماسويه الى حنين بن اسحاق : (وقد بعثت اليك يا بني بالنوادر (يقصد كتاب النوادر) التي طالبتني بها فكن بها سعيداً ، وعليها ضنيناً وبنتائجها عامة ، فقد رأيتك أهلاً للحكمة ، مكاناً للاختصاص . . ولا تدع يا بني إتمام ما فرحت به نفسي من نفع هذه العامة بالكتاب الجليل الخطر ، العظيم النفع ، الذي حاولت ترجمته الى اللسان العربي ، الذي وضعه المؤيد بالله الراسخ في الحكمة جالينوس الفاضل الذي وسمه بكتاب حيلة البرء ، فما اسعد الاطباء به ، واجل فائدته لديهم (كتاب النوادر الطبية لابن ماسويه ، تحقيق سباط 1934 ، ص 3) وفي هذا الكتاب يظهر ان ابن ماسويه يعتمد على حنين بن اسحاق في ترجمة الكتب اليونانية الى العربية .

(25) قائمة مؤلفات يوحنا بن ماسويه في طبقات ابن جلجل ص 69 ، وتاريخ الحكماء للقفطي ص 249 ، وابن ابي أصيبعة ص 255 و

Sezgin, 3/233-236

هـ /1087 م الى اللاتينية وانتحله لنفسه ، ومخطوطته في مكتبة تيمور بالقاهرة ، وجراح بحلب .

(2) نوادر الطب أو الفصول الحكمية والنوادر الطبية ـ كتبه المؤلف بناء على طلب من تلميذه حنين بن اسحاق ويحتوي على مئة واثنين وثلاثين فصلاً (حكمة) على غرار حكم ابقراط في كتاب الفصول إلا أنها أقصر منها بكثير ، فقد لا تتجاوز الواحدة منها بضعة سطور (مكتبة الاسكوريال ، ومدريد ، ولايدن ، والازهر) وقد نشرها الاب سباط في القاهرة سنة 1934 .

(3) كتاب الحميات ـ ويتضمن معلومات في أمراض الاذن (الرازي ـ الحاوي 91-90/3) وأسباب الصداع وعلاجه (الحاوي 70/5) وأعراض الدق وعلاجه (ح 202/6) ويرقان الكبد والمرارة والسموم وغيرها (ح 287-152,151/7) والحمى المطبقة (ح 79-73/15) ومخطوطته في رامبور والتيمورية .

(4) معرفة محنة الكحالين (لينغراد والتيمورية) .

(5) الكناش المشجر ـ وفيه معلومات عن أورام الكلى وفحصها ومداواتها (الحاوي 76-75/10) وأسباب عرق النسا وعلاجها (ح 184/77) ومخطوطته في رامبور وبانكيبور .

(6) كتاب جواهر الطيب المفردة باسمائها وصفاتها ومعدنها ـ ويبحث في أنواع العطور وكيفية استخراجها من مواطن وجودها (جامعة القاهرة) .

(7) كتاب إصلاح الادوية المسهلة ـ وفيه معلومات عن الادوية التي تفيد القيء ، واليرقان (الحاوي 109/7,109/6,234/5) وعلاج عرق النسا ، وأوجاع المفاصل المتولدة من البلغم اللزج (ح 105/20) ودواء اللثة (الحاوي 133/20) والاطعمة التي تجلو المعدة والمثانة والكلية والكبد والطحال (ح 206/20) وعلاج العطش البلغمي (الحاوي 217/20) ومعالجة البلغم اللزج (ح 338,326,322,304/20) وفضائل اكل الرمان لمعالجة الاسهال ، والقيء بسبب المعدة ، والخمار ، والكبد الحارة في النساء الحوامل ، ولدر البول ، والشوصة (ح 551,538/20) والزنجبيل للهضم والباه ، وكحلة للعين (ح 572-571/20) ونفع الزبد للنزلة الصدرية والسعال والاورام

السوداوية والبلغمية (ح 606/20) والنانخون (الكمون) لـدر البول والـطمث وإزالة المغس البلغمي ، وتسخـين الكبد والمعـدة (ح 606/21) . ومخطوطـة الكتـاب بمكتبـة البندقية .

(8) كتـاب خواص الاغـذية والبقـول والفواكـه واللحوم والالبـان وأعضاء الحيـوان والافاويه (مدريد) .

(9) كتاب ماء الشعير (القاهرة ، الجزائر) . وقد نشره بول سباط 1939 [26] .

(10) كتاب الازمنة (اسعد ، بلدية الاسكندرية) .

(11) كتاب الجواهر وصفاتها (التيمورية بالقاهرة) .

(12) ذكر الخواص المختبرة على ترتيب العلل (أيا صوفيا) .

(13) المنجح في التداوي من صنوف الامراض والشكاوي ـ قال عنه الرازي أنه كتاب غـريب ، فيه معلومـات عن تداوي الخفقـان الحار (الحـاوي 31/7) وعـلاج الامعـاء بـالحقن (ح 132،57/8) واطعمة المصـابين بـالكلى والمثـانـة (ح 27/10) والعنـة (ح 131/10) . ومـا يدفـع وجع المفـاصل (ح 161/11) ومـداراة حـالات الجـدري (ح 9،8/13) .

(14) البستان وقاعدة الحكمة وشمس الادب (التيمورية) .

(15) رسالة في العين (حكيم بحلب) .

(16) كتـاب في الاغذيـة ـ وفيه معلومـات عن منافـع بعض الاغذيـة وتداوي الـريح الغليـظة بالبـطن (الحاوي 161/5) والامسـاك (ح 123/6) ومخطوطتـه بمكتبة بـاسـل بحلب .

(17) كتاب في الاشربة (باسل بحلب) .

(18) كتاب في الفصد والحجامة (الجراح بحلب) .

(19) كتاب في الجذام (الجراح بحلب) .

---

(26) ولابقراط كتاب في ماء الشعير Ullmann-Medz. Islam. P.29 .

(20) كتاب في البلغم (دار الكتب المصرية) .

(21) كتاب علاج النساء اللاتي لا يحبلن ـ وفيه بحث عن اسقاط المشيمة المحتبسة في الرحم (الحاوي 156،135،134/9) ومداراة المخاض بالدواء (ح 157،156/9) .

(22) كتاب المالينخوليا وأسبابها وعلاماتها وعلاجها (حكيم بحلب) .

(23) كتاب في الصداع وعلله وأدويته ـ وفي هذا الكتاب أيضاً علاج لاورام المعدة (ح 70/5) ومخطوطته بمكتبة حكيم بحلب .

(24) كتاب السموم وعلاجها ـ ويأخذ فيه ابن ماسويه في سم الافعى عن كناش اهرن (الحاوي 393/19) ومخطوطته بمكتبة حكيم بحلب .

(25) كتاب التشريح (حكيم بحلب) .

(26) كتاب دفع مضار الادوية (برلين) .

(27) الجامع او جامع الطب مما اجتمع عليه اطباء فارس والروم ـ وفيه علاجات لنفث الدم (الحاوي 4/59-60) والفواق (ح 175/5) والقيء ، والاسهال (ح 223/5-228) وعلاج للسمنة (ح 255/6) والهزال (ح7 /285) وصلابة الشدي (ح 17/7) والخفقان في السوداء (ح 39،38/7) وعلاج للكبد واليرقان (ح 101/7) والاستسقاء والحبن (ح 241،219/7) والقولنج ودور الطمث المحتبس بسبب غلظ الدم (ح 179/9) وخروج المعدة (ح 186/9) .

(28) كتاب تركيب العين وعللها وأدويتها (حكيم بحلب) .

(29) كتاب الكمال والتمام ـ وفيه معلومات عن رطوبة الفم وأدويتها (الحاوي 170،169/2) وأدوية العين (ح 152/2) وأدوية الرعاف (ح 154/3) وفي المغص وأوجاع المعدة والقولنج وعلاماتها وعلاجها (ح 131،72،69،30/8) وفي أمراض الرحم ـ والحيض (ح 195،179/9) وأمراض الكلى (ح 48،27/10) وفي الجماع (ح 322،321/10) وفي ديدان البطن وأدويتها (ح 21،10/11) للمقعدة (ح 43/11) والحدبة (ح 93/11) وعرق النسا والركبة (ح 209،177،164،161/11) اورام المستسقين (ح 30/12) ، والورك (ح 89/12) ومعالجة الدبيلة (ح 100/12)

والخنازير (ح 140/12) وإيقاف الدم من الجروح (ح 230/12) ومعالجة الحروق (ح 123/13) والمفاصل الزائلة (ح 250/13) والغشى (ح 58/14) ومداراة الحميات (ح 144,118,72/15) ومعالجة أظفار الاصابع (ح 70/17) .

(30) كتاب الكامل في الادوية المقيئة ـ وفيه معلومات عن تداوي القصبة الهوائية (الحاوي 281,280,279/3) وتداوي الغشى (ح 233/10) والدم المتجمد في المثانة (ح 407/19) .

(31) كتاب الاسهال ـ وفيه معلومات في تداوي المعدة (الحاوي 117/5-118) والاسهال وأسبابه (ح 78,48/8 و208/16) ، ومنعه اذا افرط .

(32) كتاب السدر والدوار ـ وكان من مصادر الرازي في كتاب الحاوي بهذا المرض .

(33) كتاب في مضار الاغذية .

(34) كتاب في شراب الفاكهة ـ وفيه علاج الهيضة بشراب الفاكهة (الحاوي 227/5) .

(35) كتاب الرحم .

(36) كتاب في وجع المفاصل ـ وفيه أدوية لوجع المفاصل (الحاوي 229/11) .

(37) كتاب محنة الطبيب[27] (امتحان الطبيب) ـ ومما فيه إشارات إلى حالات نبض

---

(27) نفهم استطراداً ان كلمة محنة تعني الامتحان والتقويم الذي نعمل به اليوم في نهاية السنوات الدراسية . والواقع ان معنى (محنة) في اسماء الكتب الطبية ليس كذلك على وجه التمام . وقد ذكرنا لجالينوس كتاباً باسم (محنة افضل الاطباء) خصصه لعامة الناس ليعرفوا من يستشيرون من الاطباء الذين يعتمد على معرفتهم بالصنعة وكتابي (ابن ماسويه في محنة الطبيب ومحنة الكحالين ، قد يكون وضعها المؤلف على نفس اسلوب كتاب جالينوس وهدفه في كتابه محنة افضل الاطباء . وفي هذه الكتب الثلاثة ذكر لصفات الطبيب الحاذق ، وما يجب أن يكون عليه من القيافة اللائقة وحلاوة اللسان ، ومعرفة بطب الاوائل ونظرياتهم في فنون الصنعة وتطبيقاتها . وسوف ترى أن للرازي كتاباً باسم محنة الاطباء أيضاً . وفي مضمون هذا الكتاب يقترب المؤلف كثيراً من جعل المحنة بمعنى الامتحان ، لاختبار معلومات الطبيب النظرية والعلمية .

المحموم (الحاوي 38/17) وبوله (ح 860/19) كجزء من مواد الامتحان .

(38) المسائل ـ وفيه علاج للعطش من البلغم المالح (الحاوي 243/5) وتأثير الرطوبة على الصحة (ح 213/15) وأزمان الامراض (ح 307/16) .

(39) كتاب الابدال (أبدال الادوية) وقد كتبه لحنين بن اسحاق بطلب منه .

(40) كتاب الديباج .

(41) كتاب السر الكامل .

(42) كتاب الطبيخ ـ وهو أول كتاب من نوعه باللغة العربية . ثم كتب في هذا الموضوع بعد ذلك كل من احمد بن الطيب السرخسي (منتصف القرن الثالث الهجري) وابن الداية (آخر القرن الثالث الهجري) وابن مسكويه (منتصف القرن الخامس) ومحمد بن الحسن الكاتب البغدادي (منتصف القرن السابع) .

(43) كتاب البصيرة .

(44) كتاب الجواهر وصفاتها وفي أي بلد هي (التيمورية) وقد حققه ونشره الدكتور عماد عبد السلام في بغداد سنة 1976 .

(45) لم امتنع الاطباء من علاج الحوامل في بعض شهور حملهن .

(46) كتاب مجسة العروق ، ويعرف بكتاب الرجحان .

(47) كتاب المعدة .

(48) كتاب القولنج .

(49) كتاب في ترتيب سقي الادوية المسهلة بحسب الازمنة وحسب الامزجة .

(50) كتاب في دخول الحمام .

(51) كتاب في السواك والسنونات .

(52) كتاب الحيلة للبرء[28] .

---

(28) لجالينوس كتاب باسم حيلة البرء . وكان ابن ماسويه قد طلب من حنين بن اسحاق ان يترجمه الى

(53) كتاب الصوت والبحة (حكيم بحلب) .

(54) كتاب تدبير الاصحاء ـ وهو في الوقاية الصحية .

(55) كتاب الجنين .

(56) كتاب تركيب خلق الانسان وأجزائه ، وعدد اعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه . وقد الفه للخليفة المأمون .

(57) محنة الكحالين ـ رسالة صغيرة تبدو منسوبة اليه وليست من عمله . (مكتبة لينينغراد وتيمور باشا) .

3 ـ ميخائيل بن ماسويه[29]

هو اخو يوحنا بن ماسويه . برع في ممارسة الصناعة على الطريقة اليونانية ، وفي معرفة الادوية وصيدليتها ، فاعتمده الخليفة المأمون طبيباً خاصاً به ، فلا يتناول دواء إلا من صنع يده ، وصار لا يثق بالاطباء الآخرين الا بعد استشارته[30] ، وكان يجله ولا يخاطبه الا بكنيته[31] . كما كان طبيباً محترماً من لدن اطباء بغداد ، وشهيراً بممارسة الصنعة فيما بين الناس[32] ، ومحبوباً منهم لما كان عليه من علو النفس والتعاطف مع المرضى وجودة المعالجة . ويبدو انه لم يهتم بتسجيل خبرته في المهنة إذ لم يعثر على كتاب من عمله ، وجل معلوماته تعتمد على الطب القديم .

= العربية (ابن ماسويه ـ النوادر الطبية (مطبوع) ص 33) فهل كتاب حيلة البرء لابن ماسويه تعليق على كتاب جالينوس أو تكملة عليه ؟ او هو كتاب بمضمون جديد ؟ ويعد الكتاب من المفقودات .

(29) اقرأ عن ميخائيل بن ماسويه في أخبار الحكماء ص 328-330 ، والعيون ص 255-256 ونصارى بغداد ص 183 .

(30) ابن ابي أصيبعة ص 356 .

(31) المصدر السابق .

(32) المصدر السابق ، ومعلوف ـ الاسر العربية في الطب ص 6-9 .

الاطباء العباديون

1 ـ ابو حنين اسحاق العبادي

معلوماتنا عن اسحاق العبادي قليلة جداً ، ولا يصح ان يركن اليها . ولـولا ما نعرفه عن ابنه حنين لما عرفنا شيئاً عنه .

ينتمي ابو حنين لقبـائل العبـاد العربيـة التي استوطنت ديـار الحيرة[1] اثنـاءحكم اللخميين فيها ، ثم تنصرت وانتحلت المذهب النسطوري . وبحكم موقـع الحيرة من الديار الفارسية ، واتصالاتها بالفرس طيلة تحالفها معهم صار العباديون يفهمون اللغـة الفارسية وربما يتكلمون بها في معاملات السوق والتجـارة . اما لغتهم فكـانت العربيـة

(1) الحيرة عاصمة اللخميين المناذرة . على بعد أربع كيلومترات من الكوفة . وتاريخها الاول قديم ربما ينسحب الى حكم نبوخذ نصر (القرن السادس ق . م) ، واسمها بالسريانية حرتا ، وبالعبرانية حاصير ، والاسمان بمعنى المخيم . تنصر حكامها وأقاموا فيها الاديرة منذ القرن الخامس الميلادي وهو القرن الذي ولد فيه المذهب النسطوري فاعتنقه سكان الحيرة العباديون . واشتهرت الحيـرة بسبق المعرفة بالكتابة التي كان حرفها (على اكثر الاحتمال) نبطيـاً مطوراً . ومنهـا انتشرت هـذه المعرفة الى داخل الجزيرة العربية كما عرف أهلها بصناعة الصيرفة ، والصيـدلة وشيء من الـطب لاتصالاتهم بالفرس . هاجمها خالد بن الوليد سنة 12 هـ / 632م فخضعت له صلحاً . وبقي أهلها على ديانتهم النصرانية . وبعد إنشاء مدينة الكوفة تدهورت الحيرة عمرانياً واجتماعياً حتى اختفت معالمها نهائياً . (اقرأ الحيرة المدنية والدولة ليوسف غنيمة ، ودائرة المعارف الاسلاميـة 8/161-162 وراجع ايضاً قراءة صفحة 259 في هذا الكتاب .

والسـريـانيـة . كـما كـان الكثـير منهم يتعـاطى الصيـرفـة لتبـديـل العملة (الفلوس) الفارسية والبيزنطية بالعربية . وكان ابو حنين يمتهن الصيدلة في الحيرة[2] ، ويدق المواد العقاقيرية لتحضير الأدويـة منها بحسب وصفـات الأطباء . وفي تصـورنا ان الـطب في الحيرة ، لاتصالات هذه المدينة بالفرس وقربها من الغساسنة المتعاهدة مع البيزنطيـين ، كـان خليطاً من الـطب العربي والفـارسي ، وربما البيـزنطي (اليـونـاني) أيضـاً . ومن المحتمل ان أبا حنين كان يعمـل صيدلانيـاً بمعية احـد الأطباء هنـاك ، كما يحتمـل انه مارس التطبيب بالاضافـة الى الأعمال الصيـدلانية . والجمـع بين الصنـاعتين مـألوف يومئذ . ولا بد ان ابنه حنيناً كان يكثر من التردد على دكان ابيه ، فتولـدت فيه الـرغبة لدراسة العلوم الطبية ، فشد الرحال الى بغداد حيث وجد فيها ما يبتغيه .

2 ـ حنين بن اسحاق العبادي[3]

يكنى ابن اسحـاق العبادي بـأبي زيد . وهـو من أطبـاء اوائـل العصر العبـاسي الزاهر ، وأشهر المترجمين فيه ، والمتميز عليهم جميعاً في السلوك واللغة والعلم .

---

(2) القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 174 .

(3) اقرأ عن حنين في فهرست ابن النديم ص 250-253 ، صوان الحكمة للسجستـاني ص 112-113 ، وطبقات ابن جلجل ص 68-72 ، وأخبار ابن القفطي ص 171-177 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 257-274 . وفيه تقرأ العبادي بفتح العين وتخفيف الباء . أما الفيروز بادي فيقرأها بالكسر . وابن خلكان ج 1/ص 209-210 ، وتاريخ حكماء الاسلام ص 16 ويذكر فيه انه بغدادي المولد وشـامي النشأة والثقافة . وفي مجلة المجمع العلمي الدمشقي 277/22 يذكر اغناطيوس افرام الاول ان حنيناً تعلم في بلاد الروم لا في بلاد الشام . والوافي بالوفيات للصفدي ج 11/ص 155 ، كتاب الوفيات لابن قنفذ تحقيق عادل نويهض ص 182 هامش (1)ومروج الذهب للمسعودي ج 7/ص 180-186 ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ص 250-253 ، والبـداية والنهـاية لابن كثـير ج 11/ص 32 ، والمنتظم لابن الجوزي 24/2 ، وكشف الـظنون لحـاج خليفة ص 217 ,1468 ,1513 ,1783 ,1989 . والمخطوطات العربية لشيخو ص 92وعقود الجوهر لجميل العظم ص 94-99 . وتاريخ الادب العربي لبروكلمان ج 4/ص 103-115 ، ودائرة المعارف الاسلامية ج 18/ص 135-136 ، والاعلام للزركلي ج 2/ص 112 .

Campbell-Arab Medicine, 1/61-63.

Leclerc, 1/168-172. Sezgin, 3/247-256.

Brockelmann, 1/205-206

كان حنين منذ صغره نبيهاً متطلعاً لتعلم صناعة الطب ، وهي المهنة الفتية التي بدأت تلقى رواجاً وحماساً من كل طبقات الناس في صدر الخلافة العباسية . فالتحق بمجلس يوحنا بن ماسويه الذي كان يومئذ اشهر وأعمر مجالس التعليم ببغداد ، وخصوصاً في العلوم الطبية . كما كان يوحنا يومئذ من اعلام الطب ، وذا حظوة لدى الخليفة المأمون (198-218 هـ / 813-833م) ورئيساً لبيت الحكمة . وبدأ حنين يقرأ على ابن ماسويه كتاب الفرق (الهيراسيس) لجالينوس ، وهو الكتاب الذي ينصح مؤلفه ان يقرأه المبتدئون في الطب . ويبحث الكتاب في فرق العلماء التي تختلف في آرائها الطبية بالتجربة والقياس والحيل . وإذ كان حنين محباً بعمق لمعرفة أسرار الصنعة ، وتعليل الاعراض الطبية ، وتدارس المنقولات بالمناقشة لا بالتلقين ، فقد كان كثير المحاججة مع استاذه ابن ماسويه المعروف بتعاليه وتفاخره بعمله ، وبخاصة على أهل الحيرة الذين لا يرى فيهم من الكفاءة غير القيام بأعمال الصيرفة ، وإنهم دون المقدرة على فهم العلوم الطبية . فاستاء من حنين وطرده من مجلسه بحجة عدم لياقته لتعلم الصنعة ، وإنه اصلح (لبيع الفلوس في الطريق)[4] التي هي من أعمال أهل الحيرة . فغادر حنين مجلس ابن ماسويه وفي صدره الى جانب الالم من الاهانة التي لحقته من ابن ماسويه ، تصميم على دراسة اللغة اليونانية من منابعها العليا ليكشف بنفسه عن اسرار الصناعة الطبية المكتوبة بتلك اللغة ، ودراسة اللغة العربية التي قدر لها مقدماً أن تكون لغة العلوم بكل صنوفها . وكانت مدرسة جنديسابور ابان نشأة حنين منار الثقافة اليونانية وخصوصاً في الطب الذي جاء به النساطرة الهاربون من اضطهاد الكنيسة البيزنطية للمذهب النسطوري . كما كان ما يزال فيها بيمارستان يعمل فيه أطباء بارعون من الهنود والفرس والسريان واليونانيين . فشد حنين الرحال الى جنديسابور وهناك تعلم الفارسية وشيئاً من الطب[5] ، ثم عرج

---

(4) القفطي ص 174 .

(5) ان تسلسل اسفار حنين في المشرق وبلاد الروم غير واضحة في كتب التراث والذي يتفق مع اخبار صاحب الترجمة هو أن سفره الى فارس كان أول تلك السفرات ، وذلك لقربها من بغداد وسهولة الوصول إليها . والارجح انه تعلم في فارس شيئاً من الطب . ولا بد أن يكون ذلك في جنديسابور . وربما دخل هذه المدنية بعد ان دخل البصرة .

على البصرة وتعلم فيها العربية[6] الاصيلة على تلامذة الخليل بن احمد الفراهيدي[7] .
ويقال ان حنيناً هو الذي ادخل كتاب (العين) للفراهيدي الى بغداد[8] . ثم تحول الى بلاد الروم وطاف بين ديارها ، وديار سوريا ومصر ودخل الاسكندرية ، وفيها اتقن اليونانية على اليونانيين ، ودرس على اساتذتهم علوم الحكمة والطب[9] . واطلع على تراثيات ابقراط وارسطو وكتب جالينوس وديوسقريدس وروفس وسورانس وترجمات سرجيوس الراس عيني ويحيى النحوي وغيرهم . ورجع حنين الى بغداد في حدود سنة 211 هـ / 826م (خلافة المأمون) حاملاً معه نفائس المخطوطات اليونانية ، ومزوداً بلغتها وعلومها . وبدأ يترجم الكتب التي بين يديه ، فأعجب بترجماته أشهر اطباء بغداد يومئذ ورئيس أطباء بلاط الخليفة ، الا وهو جبرائيل بن بختيشوع الذي لم يكن يجيد غير لغة ملته السريانية ، ولم يكتب افكاره إلا بها . فصار حنين يترجم له من كتب جالينوس الى السريانية ، وكان أولها كتاب التشريح . وكانت ترجمة حنين صحيحة العبارة دقيقة التعبير . فأعجب جبرائيل بشخصيته وعلمه ولغته ايما إعجاب ، وصار لا يخاطبه إلا بقوله (ياربن حنين)[10] ومعنى ربن : العالم المعلم أو مثل ذلك .
وقال عنه انه سيفوق سرجيوس الراس عيني في الترجمة . وسرجيوس هذا أول من ترجم جوامع جالينوس الى السريانية . ولما اطلع يوحنا بن ماسويه على مترجمات حنين الى العربية استحسنها وأعجب بها . وعاد حنين الى مجلس ابن ماسويه ليستزيد من معارفه في الطب . كما صار يترجم له من كتب جالينوس . ولما سمع علماء بغداد وامراؤها بكفاءة حنين العلمية ، ورويت أخباره في مجلس الخليفة ، ادخله المأمون الى الحاشية الطبية في بلاطه . وقد قيل في أخبار المأمون أنه رأى فيما يرى النائم شيخاً بهي

---

(6) المصدر السابق .

(7) الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ بصري . من كبار النحاة واللغويين العرب وينسب اليه وضع علم العروض . وله أول معجم بالعربية واسمه (العين) ويذكر ابن جلجل ان حنيناً تعلم العربية على الفراهيدي ، وهذا لا يصح تاريخيا . لان الفراهيدي توفي سنة 175 هـ / 791م ، اي قبل أن يكون حنين قد جاء الى الدنيا .

(8) القفطي ص 171 .

(9) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 259 .

(10) المصدر السابق .

الطلعة قال إنه ارسطوطاليس ، وأنه قال له : ان الحسن فيما استحسنته العقول . فأعتبر المأمون هذه الحكمة إشارة الى أن يدرس علوم الاقدمين ، فأخرج الحجاج بن مطر ، ويحيى بن البطريق وسلما ، إلى ملك الروم ليحملوا منه المخطوطات الى بيت الحكمة ، ولما حصلوا عليها كلف الخليفة حنيناً أن يتولى ترجمتها إلى العربية[11] .

ولم تكن ترجمة الكتب آنذاك حدثاً جديداً ، فقد عرفت في بغداد قبل تأسيس بيت الحكمة كما ذكرنا سابقاً ، إلا أن حنيناً جعل للترجمة حركة متميزة ، وقواعد في نقل التعابير والمصطلحات الطبية إلى ما يقابلها بالعربية ، فصارت الترجمة بفعل حنين فناً أو نحو ذلك .

وبالرغم من توفر بعض الكتب العربية التي تبحث في خلق أعضاء جسم الانسان وأسمائها ووظائفها[12] ، إلا أن حنيناً لم يعتمد كلياً على تلك الكتب بل كان يختار من مفردات اللغة ما يحقق غرضه من مفهوم التعبير اليوناني . أما المصطلحات الاعجمية التي رأى حنين بحسه الفني واللغوي ، ان استعاضتها بملفوظ عربي يضعف من مركزها العلمي ، أو ينقص من جمالها في التعبير ، فقد أبقى عليها ورسمها بحروف عربية لتقرأ كما تلفظ باليونانية . والامثلة على ذلك في كتبه كثيرة .

وكان حنين متقصياً للمصادر ، وباحثاً عن المخطوطات لا يعرف الكلل ولا الملل . قال عن كتاب البرهان لجالينوس انه بحث عنه بحثاً دقيقاً ، (وجبت في طلبه

---

(11) ذكر القفطي ان الخليفة المتوكل هو الذي اناط بحنين رئاسة الترجمة في بيت الحكمة وقال في ذلك : (واختير للترجمة والمؤتمن عليها . وكان المتخير له المتوكل على الله (تاريخ الحكماء ص 171) .

(12) إهتم اللغويون العرب باسماء أعضاء جسم الانسان بقدر ما إهتموا بمعرفة طبيعة الحيوان وتركيب جسمه . فكتبوا عن النحل ، والجراد ، والوحوش والابل والخيل . كما وضعوا كتباً عديدة عن جسم الانسان . وكلها مؤلفات يغلب عليها الطابع الادبي لا العلمي ، وبعنوان واحد هو (خلق الانسان) . وكان أولها جميعاً كتاب النضر بن شميل المتوفى سنة 204 هـ / 819م ومنها كتاب للاصمعي (213 هـ / 848م) ولمحمد بن حبيب (245هـ / 859م) ولابي حاتم السجستاني (255 هـ /869 م) وكان هؤلاء من معاصري حنين بن اسحاق العبادي المتوفى سنة 259هـ / 869م كما الف في (خلق الانسان) كثيرون آخرون جاءوا بعد وفاة حنين كان منهم ثابت بن ابي ثابت ومعاصره ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 276 هـ / 889م وغيرهما .

ارجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى أن وصلت إلى الاسكندرية ، لكنني لم أعثر الا بما يقرب من نصفه في دمشق)[13] .

وكان حنين حريصاً على أن يترجم النسخة التي لا يصل اليها الشك في أصالتها ، والخالية من التصحيف والانتحال . وقال في ذلك : أنه يود على الدوام لو يشتغل بالترجمة على ثلاث نسخ يونانية من الكتاب المنقول ، على الاقل ، ليتسنى له المقابلة بينها واستخراج الاصل الصحيح منها[14] . وهذا هو الاسلوب الصحيح في البحث والتحقيق .

والترجمة التي يعملها حنين تعبيرية لا حرفية كما كان يفعل بعض من المترجمين ، فيهتم بنقل المعنى لا بترجمة الكلمات . كما كانت أكثر أعماله في ترجمة الكتب الطبية ، على عكس ابنه اسحق ، الذي كانت أكثر ترجماته لكتب الفلسفة .

ولتنطس حنين بن اسحاق بفن الترجمة ، وكثرة ما كان يترجم من الكتب اليونانية الى العربية ، أولاه الخليفة المأمون رئاسة بيت الحكمة ، ورعاية خاصة ، ومرتباً خاصاً لم ينلها غيره من المترجمين . وقد روي ان المأمون كان يدفع لحنين ذهباً بقدر ما تزن مترجماته[15] . ويذهب المولعون باختراع الروايات الغريبة الى أن حنيناً كان يكتب على ورق سميك وبحروف كبيرة واسطر متباعدة ليزيد من وزن مترجماته[16] . ويذكر أن اولاد موسى بن شاكر كانوا يدفعون له خمسماية ديناراً في كل شهر عما يترجمه لهم من الكتب (ابن أبي أصيبعة ص 260) .

. ولكثرة أعمال حنين في الترجمة ، كان ينقل الكتب اليونانية إلى السريانية ليجعلها في متناول من يفضل قراءتها بهذه اللغة ، وهم كثرة . ثم يدفع بهذه الى معاونيه في بيت الحكمة لينقلوها إلى العربية . أو ينقلها بقلمه الى هذه اللغة . ولا تصدر المترجمات عن بيت الحكمة بأي حال ، الا بعد ان يطلع عليها حنين[17] ،

(13) توماس اونولد ـ تراث الاسلام ص 457 .

(14) المصدر السابق .

(15) ابن ابي أصيبعة ص 260 .

(16) خير الله ـ الطب العربي ص 55 ، ابن ابي أصيبعة ص 260 .

(17) القفطي ص 171 ، ابن النديم ص 289 .

ليعمل فيها ما يراه مناسباً أو ضرورياً من تعديل أو إزادة او انقاص . لذلك لم يكن من غير المحتمل أن تصدر بعض المترجمات باسم حنين ولو أنها كانت من أعمال مُترجمين آخرين في بيت الحكمة ، كحبيش أو غيره . أو أن النساخ يصحفون اسم حبيش الى حنين لتقارب رسم الاسمين بالحروف ولجودة النقل التي لا يصل إليها كما يظنون ، إلا حنين[18] .

وكان حنين بالرغم من أعماله الكثيرة في بيت الحكمة ، يجيد ممارسة الطب والكحالة ، ويلبي بإهتمام طلبات المرضى ويحسن مداراتهم . وكان أيضاً ينظم الشعر ويناظر الادباء ، ويسهر الليل في القراءة والكتابة واستقصاء الحقائق العلمية . وهو القائل : الليل نهار الاديب . وكان إضافة الى كل ذلك متواضعاً وصادقاً ، ومخلصاً لصنعته ومرضائه ، وكريم النفس واليد ، ومتمسكاً بفرائض شريعته حتى قلد زناراً يتمنطق به[19] ، وهو شارة الشمامسة ورجال الكنائس .

ويروى ان الخليفة المتوكل (232-247 هـ / 847-861م) طلب من حنين أن يستحضر له سماً يقتل به عدواً له . فاعتذر حنين محتجاً بتعاليم شريعة دينه والاخلاق التي تفرضها عليه الصنعة في تجنب الاضرار بصحة الناس . ويقال ان الخليفة هدده بالحبس إن هو لم يصنع له ذلك السم ، وإنه حبسه عاماً كاملاً لانه رفض الطاعة لامره . واكثر الاحتمال أنه كان قد ترجم كتاب العهد لابقراط او قرأه على الاقل فتمسك بموقفه الحازم .

ويذكر أيضاً ان الخليفة فعل ذلك ليختبر حنيناً في موقفه من أعدائه ، اي اعداء الخليفة فيما لو توسلوا إليه أو هددوه لقتل سيده الخليفة بالسم[20] . ولما تأكد المتوكل من إخلاص حنين له ولفنه وصموده أمام الوعيد بالتنكيل والقتل ، أكرمه ورفع مرتبته بين الاطباء ، وقلده أمور الترجمة ببيت الحكمة[21] .

وتزايد حساد حنين من زملائه وأقربائه بسبب ما وصل اليه من مرتبة عالية في

---

(18) المصدر السابق .

(19) ابن جلجل ـ الطبقات ص 69 .

(20) القفطي ص 174 ، وابن ابي أصيبعة ص 261 .

(21) ابن جلجل ص 69 .

الطب ومنزلة دانية من الخليفة المتوكل . فدبر له اسرائيل بن زكريا الطيفوري وبختيشوع بن جبرائيل المكايد ، وافتعلوا ما يوغر صدر الخليفة عليه . فأبعده الخليفة عن مجلسه ، ثم حبسه وأمر السجان بضربه وتعذيبه[22] ، وأباح منقولاته ، ومزق كتبه ، وصادر ممتلكاته[23] . وكان سبب كل ذلك على ما يروى : ان ثمة نقاشاً وقع بين اسرائيل الطيفوري وحنين في حضرة الخليفة المتوكل عن ضرر الشمس على المخمور[24] . فلما مال الخليفة الى رأي حنين اضمر الطيفوري له الضغينة ليردها له بالكيد والدس . كما يروى ان بختيشوع المتدين ، دفع حنيناً بطريقة ما الى أن يبصق على ايقونة فيها صورة المسيح تحمله امه العذراء ، فشكى بختيشوع الى الخليفة ما حدث ، كدليل على زندقة حنين وتمرده على العرف وكفره بالدين[25] . ويظن أن المتوكل أراد ارضاء النصارى لسبب ما ، فعمل ما عمل بحنين .

وسجل حنين مشاعره في تلك النكبة التي مر بها فقال :

(إنه لحقني من أعدائي ومضطهدي ، الكافرين بنعمتي ، الحاقدين لحقي ، الظالمين لي ، المعتدين عليّ ، ومن اشغلني عن مهماتي وأكثر ذلك أهلي وأقربائي ، فإنهم أول شروري وابتداء محنتي . ثم من بعدهم الذين علمتهم وأقرأتهم واحسنت اليهم وأوقرتهم وفضلتهم على جماعة أهل البلد من أهل الصناعة ، وقربت إليهم علوم الفاضل جالينوس ، فكافؤوني عوض المحاسن مساوىء . . . الخ)[26] .

وحدث ان مرض الخليفة المتوكل فاستدعى لمعالجته حنيناً ، فأحسن مداواته ومداراته حتى ابل من مرضه[27] ، فأسبغ الخليفة رضاه على حنين وأعاده الى سابق منزلته عنده مكرماً معززاً . على أن حنيناً على ما يفهم من الاحداث بقي يذكر نكبته والحيف والتعذيب الذي أصابه بمرارة وحسرة . بل قيل انه مات غماً بسببها ، كما قيل

---

(22) ابن ابي أصيبعة ص 268 .

(23) المصدر السابق .

(24) المصدر السابق ص 263 ، وابن جلجل ص 70 .

(25) كامل ما كتبه حنين عن مأساته في السجن في العيون لابن ابي أصيبعة ص 266 .

(26) المصدر السابق ص 264-271 .

(27) المصدر السابق .

انه تجرع سماً ليتخلص من أفكاره المؤلمة عن احداث تلك النكبة[28] ، وكان ذلك في خلافة المعتمد على الله سنة 264 هـ / 877م وهو إذ ذاك بعمر السبعين سنة .

لقد كان حنين مثال العالم المتتبع ، يطلب العلم في كل مكان ، ويكثر التجوال والسفر في الحصول عليه[29] . وهذا هو شأن العلماء الحقيقيين امثال ابقراط وجالينوس وديوسقريدس العين زربي وابن الرومية ، وعبد اللطيف البغدادي وكثيرين من أمثالهم . كما أن العصر الذي ظهر فيه حنين كان فريداً في بابه ، فقد كان الخليفة المأمون من أكبر أنصار التعليم والترجمة ، وأكثرهم تشجيعاً للعلماء على البحث والتأليف . ولم يكن ينافس حنيناً احد من العلماء الذين يقربون من مرتبته العلمية الا اربعة هم : ابن ربن الطبري وهو دون شك ادنى منه في ممارسة الصنعة ، والطيفوري وهو ادنى منه ثقافة وعلماً باللغات . وثابت بن قرة وهو فلكي أكثر مما هو طبيب . وابن ماسويه وكان قد قارب نهاية عمره . بالاضافة الى أن حنيناً كان دون مدافع اقدرهم جميعاً على الترجمة من اليونانية والسريانية الى العربية وانشطهم في نشر المعارف الطبية .

قال المستشرق لاكلير L.Leclerc[30] عن حنين : أنه ابرز شخصية في القرن ؛

---

(28) ابن جلجل ص 70 .

(29) يذكر كاميل في كتابه (الطب العربي 1/34-35) عن اوسيبيوس زينوت (لندن 1773 م) ان عالمين من المسلمين باسم (ابو الفدا) و(ابو زيد) قد ساحا في أقطار اسيا في سنة 851 م ليطلعا على طبيعة ومناخ تلك البلاد وما يأكله ويشربه سكانها ، والادوية التي يستعملونها ، ووضعا رسالة نقلت الى الانكليزية بعنوان Ancient Account of India and China ورد فيها ذكر للعنبر والمسك وجوز الهند وغيرها مما يدخل في الاستعمالات الطبية . ومع أن كامبل ينقل هذا الخبر بحذر ولا يؤكد على أن أبازيد المذكور هو ابو زيد حنين بن اسحاق العبادي ، إلا أنه يشير بنفس الوقت الى أن حنيناً العبادي (260 هـ / 873م) قد عاش في نفس التاريخ الذي عاش فيه ابو زيد صاحب الرسالة التي يتكلم عنها . وكون أن الباحث اوسيبيوس زينوت قال : ان السائحين كانا من علماء المسلمين فهذا لا ينفي احتمال أن يكون قد قصد ان ابا زيد حنيناً بن اسحاق هو نفسه ابو زيد الذي كان مع ابي الفدا . فان كافة أقوام الاقطار الاسلامية كانوا يدعون بالمسلمين خطأ مثلما كان بعض المسلمين يدعون كل الاقوام غير المسلمة بالكفار حتى لو كانوا من النصارى او اليهود او الصابئة . كما أن الكتاب الاوائل مثل البيهقي والشهرزوري وابي سليمان المنطقي يتكلمون من فلاسفة النصارى باسم فلاسفة الاسلام .

(30) لاكلير .Leclerc (1846-1893م) طبيب فرنسي اهتم بدراسة أصول اللغات والطب العربي .

التـاسع الميـلادي ، وأكبر العقـول المتحلية بـاسمى الاخلاق . وإذا لم يكن هـو الذي خلق النهضة في المشرق فليس من مخلوق عمل أكثر منه في سبيل العلم .

وقال مايرهوف[31] : ان حنيناً من أكبر رجال التاريـخ ذكاء ، واحسنهم خلقـاً . وربما كان أكبر شخصية انجبها القرن الثالث الهجري . وشهادة هذين العـالمين جـديرة بالذكر في هذا المقام .

توفي حنين سنة 264 هـ / 877 م بسامراء وقد ناهز السبعين سنة . وأعقب ولدين هما اسحاق وداود . والاول هو الاكثر شهرة وعلماً .

أعمال حنين في التأليف والترجمة[32]

اشتهـر حنين بـأعمال التـرجمة أكـثر مما عـرف بتأليف الكتب . وقـد بلغ مجموع أعماله ما يقارب المائة واربعين كتاباً . وكانت أكثر مؤلفاته باللغة العربية ، بينما كـانت أكثر مترجماته إلى اللغة السريانية لرواج هذه اللغـة يومـذاك . كما كـان كثيراً مـا يترجم الكتاب الى اللغتين المذكورتـين . وبعض مترجمـاته من نـوع خاص في التـرجمة لم يكن مألوفاً قبله إلا لدى بعض الاسكندرانيين المتأخرين . إذ كان يترجم بعض الكتب بنقل مضـامينها عـلى طريقـة السؤال والجـواب ليفسر مـا فيهـا من إبهـام وقلة وضـوح وهي الـطريقة التي ابتكـرها انقـلاوس الاسكندراني . أمـا الترجمـات التي صنعها بـالطريقـة

= ويعد اقدم المستشرقين بهذا الموضوع . وله آثار كثيرة فيه . منها كشف الـرموز في شـرح العقاقـير والاعشاب للجزائري وتاريخ الطب العـربي بجزءين . كـما ترجم الى الفـرنسـية قسـماً من كتاب التصـريف للزهراوي . وحقق رسـالة الجـدري والحصبة للرازي ، وكتـاب مفردات ابن البيـطار واثبت له اصالة الكثير من عقاقيرها التي لم ترد اسماؤها في الكتب اليونانية .

(31) ماكس مايرهوف (1874-1945) طبيب الماني . دخل مصر سنة 1900ومارس فيها الطب بالمجان . وكان اختصاصه في أمراض العين . ودرس في مصر اللغات وطب العرب . وتوفي بالقاهرة . وله كتب كثيرة منها تحقيق العشر مقالات في العين لحنين بن اسحاق وكتاب المرشد في الكحل للغافقي وغير ذلك كثير .

(3[illegible]) قائمة مؤلفات وترجمات حنين بن اسحاق في العيون لابن ابي أصيبعة ص 271-274 وتاريخ الحكماء [illegible] ص 120-132 . وفي رسالة حنين الى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس [illegible] وبعض ما لم يترجم [illegible] Sezgin, 3, [illegible]

Ullmann-Mediz [illegible], P.115-119.

المألوفة فليس من السهل في بعضها التفريق بين المؤلف والمترجم . وقد وقع في هذا الخطأ حتى ابن النديم المتوفى سنة 260 هـ / 872م وهو أقرب المؤرخين الى حياة حنين بن اسحاق .

وهناك أمر آخر يخص اسماء كتب حنين ، ذلك كثيراً ما يذكر الكتاب باسم ، ثم يذكره مؤرخ ثان باسم آخر . فتتعدد اسماء كتبه بتعدد الرواة وبذلك يحسب الكتاب الواحد بكتابين . وإذ أن كثيراً من مثل هذه الكتب تعد من المفقودات فلا يمكن حالياً تصحيح الخطأ المذكور . وهذه الملاحظة تنطبق على كثير من كتب التراث الطبية وغير الطبية . وسوف لا يفوت على القارىء إدراك ما اشرنا اليه عند الكلام عن مفردات كتب حنين الآتية :

(1) كتاب مسائل حنين ـ هذا أشهر كتب حنين ، وربما أهمها جميعاً . قال عنه ابن أبي أصيبعة : وهو المدخل الى صناعة الطب ، لانه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى المبادىء والاوائل لهذا العلم . وقد ذكر بعض الكتاب المتأخرين هذا الكتاب باسم : المدخل الى صناعة الطب . كما ذكره بعض الكتاب باسم كتاب المسائل في الطب للمتعلمين . وقيل أيضاً إن هذا هو عنوان كتاب آخر من صنع حنين وأنه ليس بكتاب المسائل الذي نتكلم عنه .

وربما كان كتاب المسائل لحنين أكثر كتاب حظي باهتمام الاطباء العرب قبل ظهور كتاب القانون لابن سينا الذي صدر بعد نحو قرن من وفاة حنين . كما صار الكتاب من المقررات الدراسية لطلاب الطب ، ومن الكتب الرئيسة التي يسأل منها في امتحان المتخرجين في الصنعة ، ومن يمارسها . وكان أول من التفت الى كتاب مسائل حنين بإهتمام هو الطبيب أبو بكر محمد بن خليل الرقي المتوفى سنة 406 هـ / 1015م ، ثم شرحه تلميذ ابن سينا ابو القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد النيسابوري المتوفى سنة 460 هـ / 1068م ، وهذه المخطوطة بمكتبة برلين ، وقونية ، وميونخ ، وأيا صوفيا ولايدن . وشرحه أيضاً أمين الدولة بن التلميذ (ت 560 هـ / 1168م) ومخطوطته بمكتبة بودليانا . كما شرحه ابو سهل سعيد بن عبد العزيز النيلي النيسابوري ومخطوطته في أيا صوفيا ، وابن المنفاخ أحمد بن علوان المتوفى سنة 652 هـ / 1254م ومخطوطته بباريس . كما شرحه أيضاً ابو سعيد اليمامي ، وعبد اللطيف البغدادى المتوفي سنة

629 هـ / 1241م ، وابن النفيس المتوفى سنة 687هـ / 1288ومخطوطة هذا الشرح في لايدن .

ولسعة هذا الكتاب المهم وضعت له مختصرات منها : كتاب حاصل المحصول لابراهيم بن محمد التبريزي ، وكتاب أختصار كتاب المسائل لمحمد بن يوسف المقبلي .

من جهة اخرى نقد احمد بن الطيب السرخسي المتوفى سنة 286 هـ / 899م كتاب المسائل لحنين في كتابه (المدخل الى صناعة الطب) ، كما نقده ابن رضوان المصري المتوفى سنة 460 هـ / 1068م بكتاب عنوانه (اغلوطات حنين) وانبرى ابن بطلان البغدادي المتوفى بحدود سنة 455 هـ / 1063م بالرد على ابن رضوان مدافعاً عن حنين . كما رد عليه ابو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي المتوفى سنة 539 هـ /1144 م بكتاب عنوانه (الانتصار لحنين بن اسحاق من ابن رضوان) .

وضع حنين الاصول الاولى لكتاب المسائل ، وأتم الكتاب بعد وفاته تلميذه وابنُ لُخته حبيش الاعسم وأضاف عليه مقالتين في الترياق أخذ مضامينها عن كتب جالينوس[40] . ولذلك ورد اسم الكتاب أيضاً بعنوان : المسائل لحنين مع زيادات لحبيش .

نقل مرقص الصقلي كتاب المسائل الى اللغة اللاتينية في النصف الاول من القرن الثاني عشر . ونقله روفينو الايطالي الى نفس اللغة وطبع بها في البندقية سنة 1487 م ، وفي لايبزج سنة 1497 م . ثم ترجم الى العبرية . ومخطوطته بالصيغة الاخيرة في مكتبة شتاينشنايدر . كما ترجم الكتاب أيضاً إلى الانكليزية . ومخطوطة الكتاب الاصل باسم المدخل الى الطب في الاسكوريال ، وباسم مسائل في الطب للمتعلمين في برلين وبودليانا ، والمتحف البريطاني ، وأيا صوفيا ، وطلعت بمصر . ومخطوطته باسم كتاب المسائل مع زيادات لحبيش في غوته ، وبودليانا ، توبنجن ، وسراي باستنبول . وعلى الكتاب شرح لمجهول على مخطوطة في المتحف البريطاني ، والقديس يوسف ببيروت .

(2) كتاب تركيب العين وعلاجها على رأي أبقراط وجالينوس بعشر مقالات وضع حنين أبوابه في أوقات متباينة استغرقت ثلاثين عاماً ، ثم جمعها في هذا الكتاب بطلب من حبيش وسواه . ومضامين الكتاب هي :

(1) طبيعة العين وتركيبها (2) طبيعة الدماغ ومنافعه (3) العصب الباصر والروح الباصر (4) ما يلزم لحفظ الصحة (5) أسباب الاعراض في العين (6) علامات أمراض العين (7) قوى الادوية عامة (8) اجناس الادوية التي تخص العين (9) تداوي أمراض العين (10) الادوية المركبة الموافقة لعلل العين .

ويذكر أن حنيناً أضاف الى الكتاب عقب إتمامه مقالة في تداوي العين بالحديد . وقد ترجم قسطنطين الافريقي المتوفى سنة 480 هـ / 1087م هذا الكتاب الى اللاتينية باسم أمراض العين ونسبه الى نفسه وصارت ترجمته هذه من الكتب المتداولة في مدرسة سالرنو ومنها وصل الى داخل أوربا اللاتينية .

مخطوطة من كتاب تركيب العين في اثينة ، والمتحف البريطاني ، ولايدن ، ودار الكتب المصرية . ومخطوطة لمختصر من الكتاب في توبنجن . ونشر الاصل ماكس مايرهوف بالقاهرة سنة 1928 م بعنوان عشر مقالات في العين .

(3) كتاب العين ، أو كتاب المسائل في العين ـ يضم مائتين وسبعة أسئلة وجوابها في تركيب العين ومداواة أمراضها . وضعه لولديه داود واسحاق . مخطوطته بمكتبة دار الكتب المصرية ، والتيمورية ، ليننغراد ، وصائب بأنقرة .

(4) من كلام جمعه حنين بن اسحاق لارسطوطاليس في ان الدواء ليس بجسم (دار الكتب المصرية ، وخياط بحلب) .

(5) كتاب الاغذية ـ وكان احد مصادر الرازي في كتاب الحاوي 170/20 (بنكبور) .

(6) رسالة في تدبير الصحة بالمأكل والمشرب ـ أخذ عنه الرازي في الهضم في المعدة (الحاوي 5/118-120 و17/6) وفي علامات رجوع المرض (ح 145/3و58/5) ومخطوطته في سناء بطهران ، وحكيم بحلب .

(7) كلام في حفظ الاسنان واستصلاحها ـ وكان هذا الكتاب من مصادر الرازي بهذا الموضوع (الحاوي 58/5,145/3 وغيرها) وقد يكون هذا الكتاب أول ما كتب في طب الاسنان .

(8) كتاب الفوائد في تنويع الموائد (الآصفية وبنكيبور) .

(9) معاني استخرجها حنين بن اسحاق من كتب ابقراط وجالينوس في البول ـ وضعها على طريقة المسألة والجواب . اخذ عنها الرازي بهذا الموضوع (الحاوي 27/10) ومخطوطته بمكتبة ملي بطهران .

(10) رسالة النكاح .

(11) كتاب الكرمة ـ (ايا صوفيا ، وأحمد الثالث ، والتيمورية بدار الكتب المصرية) .

(12) جوامع معاني الخمس مقالات من كتاب جالينوس في قوى الادوية المفردة وضعها على طريقة المسألة والجواب Sezgin, 3/253-254

(13) اختصار كتاب جالينوس في الادوية المفردة ـ اختصره حنين بالسريانية ، ونقل منه الجزء الاول وهو بخمس مقالات الى العربية لعلي بن يحيى المنجم . والكتاب باحدى عشرة مقالة (احمد الثالث ، وسراي باستانبول ، وفي نور عثمانية ترجمة بالسريانية) .

(14) كتاب اختلاف الاعضاء لجالينوس ـ ترجمة حنين إلى العربية (استانبول) .

(15) اختيار ادوية علل العين .

(16) كتاب النبض لجالينوس ـ ست مقالات . ترجمة حنين الى السريانية ثم إلى العربية لمحمد بن موسى .

(17) كتاب تركيب الادوية لجالينوس ـ أو كتاب الادوية المركبة . وهو الكتاب الذي قسمه الاسكندرانيون إلى : (1) كتاب قاطاجانس بسبع مقالات (2) كتاب الميامر بعشر مقالات . ويبحث الكتاب الاول في تركيب الادوية بحسب أجناسها (الاسكوريال ، وباريس) . أما أصل الكتاب فقد ترجمه حنين الى السريانية ليوحنا بن ماسويه . وقد اخذ عنه الرازي في علل الصدر (الحاوي 4/17-18) ومعالجة النقرس (ح 11/166-178) ، والزق من البواسير (ح 11/44) وجراحات العصب

(ح 190،174،159/11) وايقـاف الـزق الـدمـوي (ح 193/12) وتـداوي القـروح (57/13) والحـروق بـالنـار (ح 111/13) واستعمـال بعض الادويـة المفـردة (ح 547،92،71/20) ومخطوطته بالاسكوريال وباريس . ويبحث الكتاب الثاني (الميـاس) بتركيب الادوية بحسب الاعضاء الآلمة ، وقـد اخذ عنـه الرازي في معـالجة آلام الاذن (الحاوي 93،47،10،7/3) وإيقاف الرعاف (ح 83/6) ومعـالجة البـطنة (ح 180/6) وتـداوي الاسهال (ح 207/6) وامـراض الكبد (ح 115،55/7) واليـرقان (الحـاوي 163،159/7 و164) والاستسقـاء (ح 230/7) وصـلابـة الـطحـال (ح 312،277/7) وتـداوي قروح المعى (ح 86،46،45،8/8) والقـولنـج (ح 171،144،109/8) وانتفـاخ البطن بالمرة السوداء (ح 165/8) وخـروج المقعدة (ح 188/9) وورم الكليـة والمثانـة (ح 40،39،7/10) ومعـرفـة أحـوال البـول (ح 43/10) وأدويـة تفتيت الحصى (ح 142،93/10) وعلل المعـدة (ح 30،29/11 ، 82) وعلاج النقـرس ، وعرق النسـاء وآلام المفـاصل (ح 273،223،98/11) والـدبيلات البـاطنة (ح 107،51/12) واورام الابـطين والاربتـين والعنق (ح 123،121/12) وخـراج الاذن (ح 150/12) ومخـطوطتـه بمكتبـة باريس ، وأحمد الثالث، والاسكوريال .

(18) في مراتب قراءة كتب جالينوس ـ مقالة واحدة : ترجمهـا لاحمد بن مـوسى بالعربية .

(19) تفسير كتاب الادوية المسهلة ـ أصل الكتـاب لجالينـوس ، وترجمـه وفسره حنين لابي جعفر محمد بن موسى .

(20) اساس الطب (رامبور ، والآصفية) .

(21) أسبـاب الامراض لجـالينـوس ـ تـرجمـه حنـين الى العـربيـة (دار الكتب المصرية التيمـورية ، القـديس يوسف ببيـروت) وقد طبـع الكتاب سنـة 1902 في مجلة الطبيب البيروتية .

(22) كتاب الامزجـة لجالينـوس ـ وهو احـد الجوامـع الستة عشر التي صنعهـا الاسكندرانيون من كتب جالينوس . ترجمه حنين إلى العربية ، ولانه لم يعـثر عليه فقـد يكون نفس الكتاب السابق .

(23) كتاب تدبير المشايخ وضعه بالسريانية وقد دكره ابن موار في كتابه بهذا الاسم .

(24) الاهوية والمياه والبلدان لابقراط ـ وسمى الكتاب أيضاً الاهوية والبلدان ، وكتاب الامواه والماء والمساكن . وهو من مؤلفات ابقراط وتفسير جالينوس . ترجمه حبيش بن الاعسم الى العربية عن ترجمة حنين للكتاب بالسريانية ، وطبعه شبلي شميل في القاهرة سنة 1885 م .

(25) كتاب الاخلاط لابقراط ـ ترجمه حنين الى السريانية (القديس يوسف ببيروت) .

(26) ثمار تفسير جالينوس لكتاب الفصول لابقراط ـ وهو سبع مقالات على طريقة المسألة والجواب. نقل حنين المقالات الاربع الاولى الى السريانية ، ثم من هذه إلى العربية . أما المقالات الثلاث الاخيرة فنقلها الى السريانية فقط ، ونقلها عيسى بن صهاربخت الى العربية (الفاتيكان ، رامبور ، شتانيشنايدر) وقد طبع بكلكتا سنة 1832 .

(27) كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة ـ ترجمها حنين الى السريانية باسم جوامع كتب جالينوس في كتب ابقراط الصحية وغير الصحية وقدمها لتلميذه عيسى بن علي .

(28) مقالة في كون الجنين ـ جمعها حنين من أقاويل جالينوس وابقراط في هذا الموضوع .

(29) كتاب منافع الاعضاء ـ هذا الكتاب لجالينوس . ترجمه حبيش الى العربية وأصلح الترجمة حنين . كما ترجم منتخبات من تفسير يحيى النحوي لنفس الكتاب إلى العربية .

(30) المولدون لسبعة اشهر ـ الكتاب لجالينوس وترجمه حنين بالعربية . وربما كانت الترجمة لتفسير جالينوس لبعض كتاب الجنين لابقراط . وقد نشره الاب يوسف حبي سنة 1978 م .

(31) النبض الصغير لجالينوس ـ ترجمه حنين الى العربية ، أو كانت الترجمة لتفسير يوحنا النحوي للكتاب .

(32) كتاب النبض الكبير لجالينوس ـ وهو سبع عشرة مقالة . نقل حبيش ست عشرة منها إلى العربية ، ونقل حنين مقالة واحدة . وربما كان هذا النقل لكتاب : منتخبات من تفسير يوحنا النحوي للنبض الكبير لا من كتاب النبض الكبير لجالينوس مباشرة .

(33) كتاب النبض للمتعلمين لجالينوس (جاريت والمجلس بطهران) .

(34) كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء .

(35) جوامع مقالات جالينوس في التدبير الملطف (أيا صوفيا) وهو مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية ليوحنا بن ماسويه ، وإلى العربية لاسحاق بن سليمان .

(36) الرسالة الطبية ـ وضعها القس اهرن بن أعين بالسريانية وترجمها الى العربية ماسرجويه البصري في حكم الامويين . كما ترجمها ابن ماسويه وحنين معاً (الدوميلي ـ العلم عند العرب ص 135) والرسالة هي الكتاب الذي نعرفه بأسم كناش أهرن .

(37) رسالة باللغة السريانية الى سلمويه بن بنان عما سأله من ترجمة مقالة جالينوس عن العادات .

(38) رسالة قبرية لابقراط ـ ترجمها حنين الى العربية وطبعت في لكنو بالهند سنة 1284 هـ .

(39) كتاب البول لجالينوس ـ ثلاث مقالات نقلها حنين إلى العربية .

(40) كتاب الصناعة لجالينوس ـ ويسمى أيضاً الصناعة الصغيرة ، ترجمه حنين الى العربية لمحمد بن موسى ، والى السريانية لداود المتطبب .

(41) كلام جمعه حنين بن اسحاق من ارسطو طاليس في ان الضوء ليس بجسم (جامعة القديس يوسف ببيروت) طبعها وترجمها الى الفرنسية الاب لويس

شيخو سنة 1897 م . كما نشرها بروفر ومايرهوف بالالمانية في مجلة دراسات اسلامية سنة 1911 م .

(42) ثمار تفسير جالينوس لكتاب تقدمة المعرفة لابقراط وترجمه حنين الى العربية .

(43) كتاب الاعضاء الآلمة لجالينوس ـ ويسمى أيضاً كتاب تعرف الاعضاء الباطنة (دار الكتب المصرية ـ تيمورية ، وطلعت ، ودحداح والاسكوريال وميونخ وادبرة) وقد اخذ عنه الرازي في كثير من أجزاء كتاب الحاوي .

(44) اوجاع النساء لابقراط ـ ترجمه حنين الى العربية .

(45) كتاب في علامات البحران لجالينوس ـ نقله سرجيس الى السريانية واصلح الترجمة حنين ليوحنا بن ماسويه (جار الله باستنبول) .

(46) كتاب في التأني لشفاء الامراض ـ قيل ان أصل الكتاب لجالينوس وقيل لغلوقين وترجمه حنين الى العربية (جار الله ، ورامبور ، والمجلس بطهران وأيا صوفيا) .

(47) كتاب تركيب الادوية بحسب المواضع الآلمة ـ عشر مقالات من تأليف جالينوس وترجمه حنين الى العربية (احمد الثالث باستنبول) .

(48) كتاب تسمية الاعضاء على ما رتبه جالينوس .

(49) كتاب التشريح لجالينوس ـ ترجمه حبيش واصلح الترجمة حنين ونشر مع تعليقات عليه في ليبزج سنة 1906 م من قبل ماكس سيمون .

(50) كتاب الترياق .

(51) كتاب السبعين مقالة لاورباسيوس ـ نقلها حنين بالاشتراك مع عيسى بن يحيى الى السريانية .

(52) تفسير كتاب حفظ الصحة لروفس الافسسي .

(53) تفسير كتاب النفخ لابقراط .

(54) ثمار تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في تدبير الامراض الحادة ترجمها حنين إلى العربية والسريانية (أيا صوفيا) .

(55) ثمار تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في جراحات الراس - مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية .

(56) ثمار تفسير جالينوس لكتاب قاطيطريون لابقراط - ترجمه حنين الى العربية على طريقة المسألة والجواب ورفعه الى محمد بن موسى . والكتاب بثلاث مقالات في المواضيع الجراحية . ويسمى أيضاً حانوت الاطباء . ولحنين أيضاً ترجمة سريانية للكتاب .

(57) ثمار كتاب ابقراط في المولودين لثمانية اشهر - قيل انه لابقراط وقيل لجالينوس . ترجمه حنين لام ولد المتوكل (ميونخ ، وباريس والاسكوريال) ونشره يوسف حبي في بغداد سنة 1978 م .

(58) جوامع الاسكندرانيين الستة عشر لكتب جالينوس (رامبور ومغنسيا بالاناضول) .

(59) كتاب جالينوس في ان الطبيب يجب أن يكون فيلسوفاً - ترجمه حنين على طريقة المسألة والجواب العربية لاسحاق بن سليمان ، والى السريانية لابنه اسحاق بن حنين .

(60) كتاب المني لجالينوس - ترجمه حنين الى السريانية على طريقة المسألة والجواب .

(61) كتاب حركة الصدر لجالينوس - ترجمه اصطيفان بن باسيل الى العربية واصلح الترجمة حنين بن اسحاق .

(62) كتاب حركة العضل - ترجمه اصطيفان بن باسيل الى العربية واصلح الترجمة حنين .

(63) كتاب الحقن لسورانس - ترجمه حنين بن اسحاق الى العربية ، وقيل ان الذي ترجمه هو اسطاث اما حنين فأصلح الترجمة .

(64) حـل بعض شكوك جـاسيوس الاسكنـدراني على كتـاب الاعضـاء الآلمـة لجالينوس .

(65) كتاب حيلة البرء لجالينوس ـ أربع عشرة مقالة نقلهـا حبيش إلى العربيـة واصلح حنين المقالات الست الاول .

(66) كتـاب خـواص الاحجـار ـ يحتمـل أن يكـون هـذا الكتـاب من تـأليف حنين ، كما يحتمل أن يكون كتاباً لارسطو ؟ بهذا العنوان . والمعروف ان ليس لارسطو كتاب في الاحجار وقد يكون منحولاً عليهما .

(67) كتاب رداءة التنفس لجالينوس ـ بثلاث مقالات نقلها حنين لولده اسحاق (القفطي ص 130) .

(68) مقـالة في الـدغدغـة ـ تبحث في علل وعـوارض الـدغـدغـة في قسم من عضلات الجسم بفعل الاحتكاك والفرك (أيا صوفيا والمجلس بطهران) .

(69) كتاب طبيعة الانسـان لابقراط ـ ثـلاث مقالات ـ تـرجم حنين النص الى السريانية ونقل عيسى بن يحيى النص السرياني إلى العربية .

(70) كتاب علل النَفَس لجالينوس ـ ترجمه اصطيفـان بن باسيـل إلى العربيـة ، وأصلح حنين الترجمة (رفاعي 384/1) .

(71) كتـاب ثبت الكتب التي لم يذكـرها جالينوس في فهـرست كتبه ـ وصف فيها جميع ما وجد لجالينوس من الكتب التي لا يشك في تبعيتها إليه . وقال فيه : إن جالينوس قد صنفها بعد وضعه الفهرست لكتبه (أيا صوفيا) .

(72) كتاب في الفرق بـين الغذاء والـدواء المسهل ـ وضعـه بالعـربية للخليفـة المعتمد بثلاث مقالات .

(73) كتـاب قوى الاغـذية ـ وهـو جوامـع الخمس مقـالات الاولى من كتـاب جالينوس في قوى الاغذية ـ وضعه على طريق المسألة والجواب (نور عثمانية) .

(74) كتاب في طبائع الاغذية وتدبير الابدان .

(75) كتاب في اللبن .

(76) مقالة في الصرع .

(77) كتاب فرق الطب لجالينوس ـ ترجمه حنين إلى العربية (طهران وجاريت) وحققه ونشره محمد سليم سالم في القاهرة سنة 1977 م .

(78) كتاب الصناعة الطبية لجالينوس ـ ترجمه حنين الى العربية (طهران وجاريت) .

(79) جوامع جالينوس في أسرار النساء (دانشكاه بطهران) .

(80) كتاب تقدمة المعرفة ـ أصل هذا الكتاب لابقراط وفسره جالينوس . وترجم حنين النص اليوناني لابقراط الى العربية . أما تفسير جالينوس فترجمه عيسى بن يحيى . والكتاب بثلاث مقالات تتضمن تعريف العلامات التي يفيد منها الطبيب الفاحص على أحوال المريض المقبلة وتطورها الى الاحسن أو الاردأ (باريس وأيا صوفيا ، وشتاينشتايدر وبلدية الاسكندرية) . وفي مكتبة باريس مخطوطة منه بشرح ابن ابي صادق النيسابوري ، ومخطوطة أخرى منه بشرح الدخوار الدمشقي بمكتبة أيا صوفيا وبودليانا . وقد ترجمت الصيغ العربية لكتاب تقدمة المعرفة الى اللاتينية بقلم قسطنطين الافريقي (480 هـ / 1087م) وطبعت ترجمة حنين في النجف سنة 1357 هـ /1938 م باعتناء المحامي صادق كمونة .

(81) كتاب امتحان الاطباء[33] ترجمه حنين الى العربية لمحمد بن عيسى والى السريانية لبختيشوع بن جبرائيل .

---

(33) يعد كتاب امتحان الاطباء من كتب حنين المفقودة . فاذا كان مضمونه في امتحان الاطباء فهو ثاني كتاب في العربية بهذا المضمون . وكان الاول لابن ماسويه بعنوان : محنة الطبيب . وإذ ان الطب في عصر حنين بن اسحاق كان ما يزال في بداية نشأته فليس هناك ، على اكثر الاحتمال ، تنظيم حكومي أو من مستويات علمية لامتحان الاطباء عند التخرج ، او الاطباء الذين يخضعون في تطبيب المرضى . ولذلك نعتقد ان مضمون هذا الكتاب ليس أكثر من ذكر ما يجب أن يكون عليه الطبيب من اللياقة الجيدة والمعرفة بالطب وحسن المعاملة مع المرضى ، والفات انظار الناس الى هذه الصفات عند اختيار الطبيب الذي يريدون استشارته .

(82) كتاب المعدة ـ اخذ عنه الرازي في وقاية المعدة من الفساد (الحاوي 59/5) ، وعلاج آلامها (ح 78،77/5) وأسباب الحسّ بالجوع الشديد (ح 184/5) والغثى (ح 208/5) وإثارة القيء (ح 159،146/5) وتداوي الخفقان بسبب اضطراب المعدة (ح 271/7-280) والقولنج الصفراوي (ح 212،207،172،132/8) ومكافحة الديدان في الامعاء (ح 11/11) .

(83) كناش اختصره من كناش يوسف ؟

(84) كتاب اختلاف الاعضاء لجالينوس . ترجمه حنين الى العربية (استانبول) . .

(85) تفسير كتاب الابيديميا لجالينوس ـ الارجح أن هذا الكتاب لابقراط ، وإن حنيناً ترجم تفسير جالينوس للكتاب (برلين ، ودمشق العمومية والآصفية وكوبربلن) .

(86) ابدال الادوية المفردة ـ يحتمل أن يكون هذا الكتاب لبديغوريوس ، وترجمه حنين الى العربية (أيا صوفيا) .

(87) آلات الغذاء وتدبيره وأمر الدواء المسهل ـ اخذ عنه الرازي في اجتذاب الاخلاط بالادوية (ح 134/16) ومخطوطته بمكتبة ملي وفي مكتبة حكيم بحلب نسخة باسم تشريح آلات الغذاء .

(88) مسائل الامراض الحادة ـ اخذ عنه الرازي في تأثير الخمور المائية والعتيقة على الاعصاب (الحاوي 78/21) .

(89) مسائل في البول ـ إنتزعها من كتاب الابيديميا لابقراط .

(90) الاقرباذين ـ اخذ عنه الرازي في علاج عضة الكلب (الحاوي 43/10) وسلس البول (ح 199/10) وسيلان المني (ح 10 /265) وحالة السمنة (ح 244/6) وحالات الاستسقاء المتقدمة (ح 206/7) وبرودة الطحال وآلامه (ح 297/7) وضعف المعدة وانطلاقها (ح 81/5) .

(91) كتاب في الفصد ـ اخذ عنه الرازي في معالجة البلغم (الحاوي 97/6) .

(92) كتاب علاج الجرب .

(93) مقالات حنين بن اسحاق الفها لابي جعفر محمد بن موسى . جمع فيها ما قاله جالينوس في تدبير الناقة في جامع كتبه ذكر نفس الكتاب الذي اسمه تدبير الناقة المذكور في هذه القائمة .

(94) تحفة الالباء وذخيرة الاطباء (الرباط) .

(95) جعل مقالات جالينوس في اصناف الجلاس الخارق عن العادة الطبيعية على طريقة التقاسيم (الازهر بالقاهرة) .

(96) كتاب الحميات (حكيم بحلب وجار الله) .

(97) كتاب في افكار الفلاسفة في الباه ـ ويبحث في الشهوة الجنسية وعلاقتها بطبيعة وكمية المني ومعرفة اسباب مخالفتها وعلاجها . وقد اخذ عنه الرازي (الحاوي 297,295,263/10) .

(98) كتاب في تدبير المستسقين ـ وقد اخذ عنه الرازي (الحاوي 257/7) ومخطوطته بمكتبة حكيم بحلب .

(99) كتاب تدبير السوداويين (حكيم بحلب) .

(100) مقالة في الاجل (حكيم بحلب) .

(101) كتاب اختيار الادوية ـ اخذ عنه الرازي في أدوية ظفرة العين والجرب واستعمال المسهلات (الحاوي 88,87/6) وعلاج السوداء (ح 127/6) والسلع والعقد في الثدي (ح 5/7) ومعالجة الاضطرابات المعوية (ح 80/8) وأدوية لعسر الولادة (ح 133/9) والفتوق (ح 225/11) والعروق الموق (ح 293/11) ولسعة العقرب (ح19 / 271) ولدغ الحية (ح 635/21,331/19) .

(102) كتاب الترياق ـ اخذ عنه الرازي في الادوية التي تنقي الكبد والصدر والبطن والمعدة (الحاوي 239/21) ومعالجة القولنج بالادوية (ح 275/21) وحل الدم الجامد (ح 496/21) .

(103) تـدبير من غلب عليـه اليبس ـ اخذ عنـه الرازي في تـدبـير المـدقـوقـين (الحاوي 286,274,238/6) .

(104) في تـدبير النـاقـة ـ اخـذ عنـه الـرازي في مـداراة المهـزولـين (الحـاوي 247/6) .

(105) مقالة في الدلائل ـ وهي في أعراض وعلامـات الامراض وتشخيصهـا ، اخـذ عنه الـرازي في لون اللسـان وعلاقتـه بعلل المعدة (الحـاوي 75/5) وفي انسداد مجـاري المرة (ح 155/7) واحمـرار البول في الـطحـال الـدمـوي (ح 289/7) وعـلاج الحميـات بـالغـــذاء (ح 47,44/14) ودلائـل الغـائط المنتن (ح 249/14) وخـطورة الحميات (ح 309/16-310) وعلاقـة النبض بذلـك (ح 314/16) وأعراض البحـران وأدواره وأيـامــه (ح 243/17 و22/18) وفي صــفــات الــبــول ودلائــلـه (ح 135,130,123/19) .

(106) كتاب في البيطرة .

(107) مقالة في الحمّام (حكيم بحلب) .

(108) مقالة في تولد الحصـاة ـ وقد اخـذ عنه الـرازي في أن الحصاة في صغـار الاعمار تتولد في المثانة ، أما في الكبار فتتولد في الكلى (الحـاوي 124/10) ومخطوطتـه بمكتبة حكيم بحلب .

(109) مقالة في دق النفاس (حكيم بحلب) .

(110) مقالة في قرص العود (حكيم بحلب) .

(111) مقالة في قرص العود ، كتبها لزميله الطيفوري (حكيم بحلب) .

(112) مقالة في قرص البنفسج (حكيم بحلب) .

(113) كتاب في البقول وخواصها (حكيم بحلب) .

(114) مقالة في الفواكه ومنافعها (حكيم بحلب) .

(115) رسالة في منافع لحم الطيور Sezgin, 3/255

(116) كتاب اصلاح الجبن ومنافعه وما يستعمل منه (طلعت بالقاهرة) .

(117) معرفة قوة الابدان (الآصفية ، وحكيم بحلب) .

(118) رسائل حنين ؟

(119) ترجمة كتاب الحشائش لديوسقريدس الى السريانية .

(120) كتاب فيما وقع من الاختلاف في التشريح لجالينوس ـ مقالتان . ترجمه ايوب الرهاوي الى السريانية ، وأعاد حنين الترجمة الى نفس اللغة ليوحنا بن ماسويه .

(121) كتاب تشريح الحيوان الميت لجالينوس ـ مقالة واحدة ، ترجمها ايوب الرهاوي الى السريانية وأعاد حنين الترجمة بقلمه .

(122) كتاب تشريح الحيوان الحي لجالينوس ـ مقالتان . ترجمها أيوب الرهاوي الى السريانية وأعاد حنين الترجمة بقلمه .

(123) كتاب ابقراط في التشريح لجالينوس ـ خمس مقالات . ترجمها حنين ا السريانية بعد أن ترجمه ايوب الرهاوي الى نفس اللغة .

(124) كتاب في علم ارستراتس في التشريح لجالينوس ـ ثلاث مقالات ترجمه حنين الى السريانية .

(125) كتاب في تشريح العين لجالينوس ـ ترجمه ايوب الرهاوي الى السريانية ، ولخصه حنين ليوحنا بن ماسويه .

(126) كتاب في حركة العضل لجالينوس ـ مقالتان . ترجمها حنين الى السريانية .

(127) كتاب في آلة الشم لجالينوس ـ مقالة واحدة . ترجمها حنين الى السريانية .

(128) كتاب في الحركات المعتاضة المجهولة لجالينوس ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية ، ثم إلى العربية لمحمد بن موسى .

(129) كتاب في خصب البدن لجالينوس ـ مقالة صغيرة ترجمها حنين الى السريانية .

(130) كتاب في أوقات الامراض لجالينوس ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية .

(131) كتاب في الامتلاء لجالينوس ـ مقالة واحدة ترجمها حنين لبختيشوع بالسريانية .

(132) كتاب في اجزاء الطب ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية لعلي المعروف بالفيوم .

(133) كتاب في الفصد لجالينوس ـ ثلاث مقالات ترجم حنين المقالة الثانية لعيسى (بن علي ؟) .

(134) كتاب في الذبول ـ ترجمه حنين الى السريانية .

(135) كتاب في الادوية التي يسهل وجودها ـ مقالتان . ترجمه حنين لبختيشوع بن جبرائيل .

(136) في التجربة الطبية لجالينوس ـ مقالة واحدة ترجمها حنين الى السريانية لبختيشوع كما ترجمه حبيش من السريانية الى العربية ، وقد طبع المستشرق ولسر الكتاب باكسفورد سنة 1944 م .

(137) كتاب في الحث على تعميم الطب ـ مقالة واحدة . ترجمه حنين الى السريانية لجبرائيل بن بختيشوع .

(138) كتاب في الفلاحة ؟

(139) رسالة الى علي بن يحيى المنجم في ما ترجم وما لم يترجم من أعمال جالينوس . وقد وضعها وهو بعمر الثامنة والاربعين ويحتمل أن يكون حنين قد زاد عليها بعد ذلك ، كما يحتمل أن تكون هذه الزيادة من عمل المنجم أو غيره . وقد نشرها بريجستراس سنة 1932 م .

3 ـ اسحاق بن حنين[34]

هـو اسحاق بن حنـين بن اسحاق العبـادي ، وكنيته ابـو يعقوب . تتلمـذ عـلى أبيه ، واشتغل معه في الترجمة ببيت الحكمة . وكـان يجيد اللغـة السريـانية واليـونانيـة بـالاضافـة الى العربيـة ، وربما كـان يفوق أبـاه في سبك العبـارة[35] ، إلا أن مترجمـاته لكتب الطب كانت أقـل مما عمـل في العلوم الاخرى ، ويصعّب معـرفة متـرجماتـه من مترجمات أبيه لاسباب تقدم ذكرها .

وكـان اسحاق واسـع المعرفـة ورياضي الـروح ، وله نـوادر مستملحة ، ويحفظ الشعر وينظمـه . اختص بصحبة القـاسم بن عبيد الله وزيـر المعتضد المتـوفى سنة 289 هـ /892 م ، ونـادم الخليفة المكتفي بـالله المتوفى سنـة 295هـ / 908م . وشـاع أنـه اسلم في شيخوخته[36] . وقد عمر ثلاثاً وثمـانين سنـة ، وتوفي في خـلافة المقتـدر بالله سنة 298 هـ / 911م وهو يعاني من مرض الفالج[37] .

وكـانت أكثر أعمـال اسحاق بن حنـين ، عـلى عكس أبيـه ، في تـرجمـة الكتب اليونانية الفلسفية ، وأقلها في الطب . على أنه شـارك أباه في كثير من ترجمـاته الـطبية التي نشرت باسم ابيه . وله عدا ذلك مؤلفات في الطب وتعليقات وشروح عـلى أفكار العلماء اليونان واختصارات لكتبهم ، ومؤلفاته هي[38] : .

(1) تـاريخ الاطبـاء ـ يعد هـذا الكتاب أقـدم ما كتب بـالعربيـة في تراجم الاطبـاء

---

(34) اقرأ عن اسحاق بن حنين في الفهرست لابن النديم (طهران) ص 256 . وتاريخ الحكماء للقفطي ص 80 ، والعيون لابن ابي اصيبعة ص 274 والوفيات لابن خلكان 85/1 ، ونصارى بغداد لبابـو اسحـاق ص 194-198 وتاريـخ الادب العربي لبـروكلمان 115/4-117 ، وتـاريخ حكـماء الاسـلام للبيهقي ص 18-19 ويوسف حبي مجلة مجمع اللغة السريـانية 1977/3 ، ص 123-145 ، Leclerc, 1/153-154, Sezgin, 3/267 .

(35) ابن النديم ـ الفهرست ص 256 .

(36) البيهقي ص 19 .

(37) ابْن ابي أصيبعة ص 274 .

(38) قائمة كتب اسحاق بن حنين لابن ابي اصيبعة ص 275 و Sezgin, 3/266

اليونانيين القدماء . افاد منه ابن النديم في وضع كتابه الفهرست[39] ، وكذلك ابن جلجل في كتابه طبقات الاطباء . حقق مخطوطة الكتاب وترجمها الى الانكليزية فرانس روزنثال ونشرها في مجلة Oriens, Vol. 7, P.55-80 .

(2) كتاب الادوية المفردة على الحروف ـ ترجمه الى اللاتينية نقولا الدمشقي ، وطبع سنة 1841 م .

(3) كتاب الترياق Sezgin, 3/268 ـ أخذ عنه الرازي في معالجة القولنج (الحاوي 181-180/8) ، ومعالجة الجدري والحصبة (ح 15/17) .

(4) كتاب معرفة البول (دانشكاه بطهران ـ Sezgin, 3/268) .

(5) كتاب المختصر في الطب (كمبرج) .

(6) الرسالة الصافية في أدوية النسيان .

(7) كتاب الادوية الموجودة بكل مكان (نحاس بحلب) .

(8) كتاب الادوية المسهلة .

(9) اصلاح جوامع الاسكندرانيين لشرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط ـ ترجمة اسحاق واصلح الترجمة ثابت بن قرة .

(10) كتاب في النبض على جهة التقاسيم .

(11) كتاب صناعة العلاج بالحديد .

(12) ترجمة وصية ابقراط .

(13) كتاب المجسطي لبطليموس ـ ترجمة اسحاق ، واصلح الترجمة ثابت بن قرة (بروكلمان ـ الادب العربي 117/4) .

(14) كتاب الأصول لاقليدس ـ ترجمه اسحاق واصلح الترجمة ثابت بن قرة (بروكلمان ـ الأدب العربي (117/4) .

---

(39) اقرأ مقدمة كتاب الطبقات لابن جلجل بتحقيق فؤاد سيد .

(15) كتاب المناظر لاقليدس ـ ترجمة اسحاق واصلح الترجمة ثابت بن قرة (بروكلمان ـ تاريخ الادب العربي 117/4) .

(16) كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم . وقد اختصره محمد بن علي بن ابراهيم الانصاري وحققه الدكتور عبد الرحمن بدوي (منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت 1985 م .

(17) كتاب الحيلة لحفظ الصحة لجالينوس ـ ترجمة اسحاق الى العربية لعلي بن يحيى .

(18) ترجمة النصف الاخير من كتاب في اجزاء الطب لجالينوس .

(19) ترجمة كتاب أفكار ارستراتوس في مداواة الامراض ـ نقله إلى اللغة السريانية لبختيشوع .

(20) ترجمة كتاب في آلات الشم لجالينوس ، إلى العربية .

(21) ترجمة كتاب في مراتب قراءة كتب جالينوس الى العربية لاحمد بن موسى .

(22) جوامع كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة ـ وقد ترجمها الى العربية .

(23) ترجمة كتاب النبات لنقولا الدمشقي (القرن الاول ق . م) المنسوب وهما الى ارسطو (سارتون 279/3) .

(24) كناش الخف الاقرباذين (بودليانا) .

4 ـ حبيش الاعسم[40]

هو حبيش بن الحسن المعروف بالاعسم ليبس في ساعده . ولد بدمشق وينسب إليها . وهو ابن اخت حنين بن اسحاق وعليه تعلم الترجمة وصار واحداً من مساعديه

---

(40) اقرأ عن حبيش في الفهرست لابن النديم (طهران) ص 255 وتاريخ الحكماء للقفطي ص 177 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 276 وحكماء الاسلام للبيهقي ص 19-20 ، والقاموس الاسلامي لعطية الله 34/2 . والادب العربي لبروكلمان Sezgin, 3/266, Leclerc, 1/154 وحبيش ليس من اسرة العباديين نسباً ، إلا أن علاقته الوثيقة بها ، فضلاً القربى التي تربطها تبرر أن نذكره من أفراد هذه الاسرة على قدر ما يقتضي الامر في وضع هذا الفصل من الكتاب .

الاكفاء في الترجمة الى اللغة العربية في بيت الحكمة ببغداد[41] . وكان ذكياً فطناً إلا أن خاله يرى انه لا يتعب نفسه في العمل ، وكان باستطاعته أن يكون أعلى مرتبة بالترجمة وأكثر إنتاجاً فيها[42] . وربما الهته عن ذلك المخالطات الاجتماعية بمجالس الخلفاء ، فقد كان بخدمة هؤلاء حتى حكم المقتدر بالله المتوفي سنة 320 هـ / 932م .

شارك حبيش في ترجمة الكثير من أعمال حنين الى اللغة العربية إلا أن أغلب أعماله نسبت الى خاله من غير ذكر اسمه فيها ، وذلك لجودتها وحسن عبارتها التي لا ترقى أليها كفاءة حبيش على تقدير بعض النساخ . كما أن تقارب رسم اسميهما يجعل الخلط فيما بينهما سهلاً[43] ، وحنين اشهر من حبيش وأكثر منه في البال . وكتب حبيش هي[44] :

(1) اصلاح الادوية المسهلة (دانشكاه والمجلس بطهران) .

(2) مقالة في النبض (فارس بحلب) .

(3) كتاب الادوية المفردة (Sezgin, 3/266)

(4) كتاب الاغذية (حكيم بحلب) .

(5) كتاب الاستسقاء (حكيم بحلب) .

(6) ترجمة عهد ابقراط (شتاينشنايدر ، بروكلمان 117/4) .

(7 .) الاقرباذين (Sezgin, 3/266)

---

(41) القفطي ص 177 وابن ابي أصيبعة ص 276 .

(42) المصدر السابق .

(43) ان كثيراً مما نقله حبيش الى العربية نسب الى حنين . قال القفطي : (يرى الجهال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبيش ، فيظن الغر منهم ان الناسخ اخطأ في الاسم ويغلب على ظنه انه (حنين) لتقارب رسم الاسمين فكتبه تصحيفاً ، فيكشطه ويجعله حنيناً (القفطي ص 177) .

(44) لم يذكر اي من ابن النديم والقفطي من كتب حبيش الا زياداته على كتاب المسائل لحنين . وأول من نشر كتب حبيش الاخرى هو ابن ابي أصيبعة . وفي رسالة حنين بن اسحاق الى عيسى بن يحيى عن كتب جالينوس ذكر للكثير من أعمال حبيش في الترجمة .

(8) ترجمة تفسير جالينوس لكتاب الماء والهواء لابقراط (في شتاينشنايدر ، باسم كتاب الماء لابقراط) .

(9) إتمام كتاب مسائل حنين والمقالتين في الترياق اللتين اضافهما إليه .

(10) كتاب الحشائش لديوسقريدس (شتاينشايدر ، وبروكلمان 118/4)[45] .

ومن مؤلفات جالينوس نقل حبيش الى العربية الكتب الآتية :

(11) كتاب الحيلة لحفظ الصحة . ترجمه لمحمد بن موسى .

(12) كتاب تراسبولس في حفظ الصحة ، ترجمه لمحمد بن موسى .

(13) تفسير عهد ابقراط ، ترجمه لاحمد بن موسى .

(14) تفسير كتاب قاطيطريون لابقراط . ترجمه لمحمد بن موسى .

(15) كتاب تشريح الحيوان الميت .

(16) كتاب الاورام .

(17) كتاب في الاسباب المتصلة بالمرض الفاعلة له .

(18) كتاب قوى الادوية . ترجمه لمحمد بن موسى .

(19) كتاب في الكيموس . ترجمه لاحمد بن موسى .

(20) كتاب تركيب الادوية . ترجمه حنين الى السريانية ومن هذه اللغة ترجمه حبيش الى العربية لمحمد بن موسى .

(21) كتاب الحاجة الى النبض .

(22) كتاب النبض الكبير .

(23) كتاب في العضل . ترجمه حبيش لمحمد بن موسى .

---

(45) الارجح ان حبيشاً لم يترجم كتاب ديوسقريدس بل شارك حنيناً في اصلاح الترجمة التي عملها اصطيفان بن باسيل للكتاب المذكور .

(24) كتاب علل الاعضاء .

(25) كتاب تشريح الحيوان الحي .

(26) كتاب الحث على تعميم الطب .

(27) كتاب في الاسماء الطبية .

(28) كتاب العلل والاعراض .

(29) كتاب حركة الصدر والرئة . ترجمه الى السريانية ليوحنا بن ماسويه عن ترجمة اصطفن بن باسيل لهذا الكتاب الى العربية .

(30) كتاب في الصوت ـ ترجمه ليوحنا بن ماسويه من ترجمة حنين لهذا الكتاب .

(31) كتاب في آراء ابقراط وافلاطون .

(32) كتاب الادوية المفردة ، ترجمه لاحمد بن موسى .

(33) كتاب في تشريح الرحم .

(34) في علم ارستراتس بعلم التشريح .

(35) كتاب في خصب البدن . ترجمه لمحمد بن موسى .

(36) ترجمة كتاب التشريح الكبير لجالينوس .

5 ـ حكيم بن حنين[46]

معلوماتنا عن حكيم بن حنين جد قليلة ويبدو أنه كان مهتماً بأمراض العين وتداويها . وقد اخذ عنه الرازي في علاج شعيرة العين (الحاوي 80/21,207/20) وأوجاع العين والحكة في المآق والاجفان (ح 143/21,411/20) وإزالة الغشاوة (ح 33/21) وعلاج اورام العين (ح 335/21,317/21) . ومع ذلك فهناك ثمة ارتياب من أن يكون حكيم هذا هو ابن حنين بن اسحاق العبادي ، والمعروف ان لحنين ولدين هما اسحاق وداوود لا أكثر .

---

(46) اقرأ عن حكيم بن حنين في Sezgin, 3/270 Leclerc, 1/273

ابن ربن الطبري(1)

هو ابو الحسن علي بن سهل ربن الطبري . ولد بمرو في طبرستان بين عامي 154 و164 هـ / 770-780م الموافق لخلافة ابي جعفر المنصور ـ أوائل خلافة ابنه المهدي من أسرة معروفة بالعلم والتدين ، وبمركزها لدى ولاة الامور في تلك الاقطار الاسلامية . وجاء في سيرته الذاتية بكتابه (الدين والدولة) ، ان أباه سهلا ، كان رجلاً فاضلاً ومتبحراً بدين النصرانية ، ويمارس التنجيم والطب والحساب ، ولقب على هذا بـ (ربن) أي المعلم أو الاستاذ(2) . وذكر القفطي واهماً ان الاب سهلاً كان يهودياً(3) ، على اعتبار ان مصطلح (ربن او ربّاي راباي)(4) تستعمله تلك الملة لرجال الدين

---

(1) اقرأ عن علي بن سهل الطبري في الفهرست لابن النديم ص 296 ويذكره باسم ربل ، وتاريخ حكماء الاسلام للبيهقي ص 22 ، وأخبار الحكماء للقفطي ص 187 ،231 وعيون الانباء لابن ابي اصيبعة ص 414 ، والوافي بالوفيات للصفدي 76/12 ، وهدية العارفين للبغدادي 669/1 ، والاعلام للزركلي 99/15 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ص 106 ، ومقدمة كتاب فردوس الحكمة لصاحب الترجمة بتحقيق صديقي 1938 Sezgin, 3/236-240 واقرأ العروة تموز 1936ص 38-31 لسامي حداد ، ولحنا مرهج بنفس العدد والسنة ص 108 ، وكنوز الاجداد لكرد علي ص 71-72 ، والمخطوطات العربية لشيخو ص 148-149 . واقرأ أيضاً مقدمة كتاب الدين والدولة لابن ربن بقلم عادل نويهض .

وLeclerc-Medecine Arabe, 1/292-293

(2) مقدمة محمد الصديقي في كتاب فردوس الحكمة صفحة .

(3) القفطي ص 296 ، ابن ابي أصيبعة ص 414 .

(4) ومما يدل على ان استعمال لقب (ربن) لا ينحصر على لسان اليهود وتقاليدهم هو ان هذا اللقب =

عندهم . وذكر ابن أبي أصيبعة انه ـ اي سهل ربن الطبري ـ عمل في الترجمة ، ويظن أنه أول من ترجم كتاب المجسطي في الفلك لبطليموس[5] ، وهو لا شك واهم .

ونشأ علي بن ربن الطبري على دين أبيه ، وكان مثله شغوفاً بمعرفة العلوم ، فدرس عليه الطب والتنجيم والهندسة وكذلك فقه الدين المسيحي . كما تعلم اللغة العربية والسريانية وربما شيئاً من اليونانية والهندية والعبرية بالاضافة إلى اللغة الفارسية .

وكانت بغداد يومئذ قبلة الانظار ، ومعقل العلماء ، فشد الرحال إليها ليطلع على ذخائرها من الكتب العربية واليونانية والهندسية . فاذهله ما وجد فيها من نفائس المخطوطات وخصوصاً في العلوم الطبية . وسيطرت عليه إذ ذاك فكرة وضع كتاب في هذه الصناعة يبسط فيه المادة العلمية ، ويسهل فهمها على طلاب المعرفة . ولم يكن هناك يومئذ كتاب طبي مبتكر بالعربية ، إذ كانت الكتب الطبية المتداولة القليلة مترجمة عن اليونانية ، وغير موسوعية ، فشرع ابن ربن في تأليف كتابه (فردوس الحكمة) إلا أنه لم يكمله في بغداد ، فقد اضطر ان يعود الى موطنه في طبرستان وهناك صار يمارس الصنعة ويعلمها للناس[6] . وربما كان من طلابه في تلك الفترة ابو بكر الرازي[7] الذي هو الآخر من مواطني الري ، كما كان ابن ربن بنفس الوقت يخدم في دواوين الادارة لامراء تلك البلاد ، ويحرر ايضاً في كتابه فردوس الحكمة .

ثم استدعي ابن ربن الى سامراء لينضم الى اطباء الخليفة ، والارجح ان ذلك كان في حكم المعتصم . فلما تولى المتوكل الخلافة سنة 232 هـ / 847م طلب منه ان يعتنق الاسلام ففعل[8] ، وأكمل اثناء خدمته للمتوكل (235 هـ / 850م) كتابه

= قد سلخ على حنين بن اسحاق العبادي ايضاً (العيون لابن ابي أصيبعة ص 259) .

(5) القفطي ص 187 .

(6) مقدمة كتاب فردوس الحكمة (ت . صديقي) صفحة (ط) ، والقفطي ص 231 .

(7) يستبعد ان يكون الرازي المولود سنة 227 هـ في عمر يدرك العلوم ليدرس على ابن ربن الطبري المتوفى في حوالي سنة 247 هـ / 861م . وقد وقع في هذا الخطأ كثير من الكتاب .

(8) يذكر ابن ابي أصيبعة (العيون ص 414) وكذلك القفطي (تاريخ الحكماء ص 231) انه اسلم على يد الخليفة المعتصم . أما ما اوردناه فمنقول عن مقدمة كتاب فردوس الحكمة صفحة (ط) .

فردوس الحكمة[9] . وفي رواية اخرى ان ابن ربن كان يعمل في طبرستان كاتباً لدى الامير الفارسي مازيار بن قارن . فلما قتل هذا على يد قادة جيش الخليفة المعتصم هاجر ابن ربن الى بغداد سنة 227 هـ / 841م واشتغل كاتباً في ديوان الخليفة المعتصم وبقي في هذه الوظيفة حتى خلافة المتوكل[10] . وفي زمانه اسلم كما ذكرنا سابقاً . ولا فرق جوهري بين الروايتين .

ولاشتغال ابن ربن الطبري في دواوين الادارة والمال في كل من طبرستان وسامراء ، قيل أنه لم يكن متفرغاً لمزاولة المهنة ، وربما لم يمارسها بإهتمام وجدية للتكسب منها ، أو كانت كتاباته فيها من قبيل الهواية ولنفع الناس بقراءتها[11] . وفعلاً كانت لكتبه سوق رائجة بين الناس عامة لا الاطباء حصراً .

عاصر ابن ربن الطبري ، ابن الطيفوري ، وزامل بعض مشاهير الاطباء في بلاط المتوكل مثل يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق وبختيشوع بن جبرائيل . ولا بد أن كانت بينه وبينهم علاقة واحداث ، إلا أننا لا نجد في التراثيات ما يشير الى تلك العلاقة او بعض وقائعها . ولا نشك انه استعان بلغة حنين وتلامذته في وضع تعابير ومصطلحات كتبه الطبية . واللغة العربية في كتابات ابن ربن الطبري ، بأي حال ، سليمة القواعد وعباراتها حسنة . كما الف ابن ربن الطبري بالسريانية ، ولم نعرف انه كتب بلغة قومه الفارسية . وكانت له ايضاً نظرة في الفلسفة بالاضافة الى الادب . وله حكم لا تبتعد عن المبادىء الطبية ، منها[12] :

- الطبيب الجاهل مستحث الموت .

---

(9) مقدمة محمد الصديقي في كتاب فردوس الحكمة صفحة (ط) .

(10) المصدر السابق صفحة (هـ)، وبروكلمان ـ الادب العربي 262/4) .

(11) محمد الصديقي ص (ب) .

ولقد كانت الكتابة بالمواضيع الطبية والتأليف فيها من الهوايات المألوفة بين الكتاب العرب عامة . فكتب فيها الفقهاء والادباء والمؤرخون والفلاسفة . وربما أعتبروا المساهمة في نفع الناس بهذه الطريقة من باب الاحسان وعمل الخير . ولا حاجة أن نؤكد ان اولئك الكتاب لم يمارسوا الصنعة أكثر من اعطاء النصيحة التي يعتمدونها عن الكتب لا من التجربة الشخصية .

(12) ابن ابي أصيبعة ص 414 .

● طول التجارب زيادة في العقل .

● المتكلف يورث الخسارة .

● شر القول ما نقض بعضه بعضاً .

توفي ابن ربن الطبري بعد خلافة المتوكل المتوفى سنة 236 هـ / 861م ، واختلف المؤرخون في عدد مؤلفاته ، وفي اسمائها . واعتقد البعض أن قسماً منها منحول عليه ، وأهمل البعض الآخر ذكر قسم آخر من مؤلفاته حتى اشهرها وهو كتاب فردوس الحكمة في الطب[13] . وكتبه المعروفة هي :

(1) كتاب فردوس الحكمة في الطب ، وهو بصيغتين عربية وسريانية[14] ، ومخطوطته العربية في مكتبة (رامبور وبرلين ودانشكاه بطهران وأيا صوفيا) ويعرف أيضاً باسم بحر المنافع وشمس الآداب .

(2) كتاب حفظ الصحة (بودليانا) .

(3) كتاب منافع الاطعمة والاشربة والعقاقير[15] (باسل بحلب) .

(4) كتاب الحضرة ، وقد يكون كتاب فردوس الحكمة نفسه .

(5) كتاب الحجامة (باسل بحلب) .

(6) كتاب في الرقى (الادعية) .

(7) كتاب الايضاح من السمن والهزال ، وتهيج الباه وإبطاله وجميع فنونه ـ ورد ذكره في فردوس الحكمة ص 113 .

(8) كتاب الدين والدولة (مانجستر) . حققه عادل نويهض ونشره سنة 1977م ، وسبق ونشرته مجلة المقتطف .

---

(13) مقدمة محمد الصديقي في كتاب فردوس الحكمة صفحة (ي) .

(14) المصدر السابق صفحة : (يج) .

(15) هذا هو عنوان الكتاب في فهرست ابن النديم ، والعيون لابن ابي أصيبعة . أما في مقدمة كتاب فردوس الحكمة التي وصفها محقق الكتاب محمد الصديقي فقد ورد ذكر الكتاب باسم (منافع الادوية والاطعمة والعقاقير) والمحقق المذكور ثقة في تاريخ العلوم الاسلامية .

(9) كتاب اللؤلؤة (أيا صوفيا) ويعتقد مايرهوف انه كتاب فردوس الحكمة ذاته[16] .

(10) كتاب الجوهرة .

(11) كتاب الامثال والادب على مذهب الفرس والروم والعرب .

(12) كتاب ارفاق الحياة .

(13) كتاب تحفة الملوك .

كتاب فردوس الحكمة في الطب

هذا اشهر كتب ابن ربن الطبري عموماً . وهو أول كتاب مؤلف ـ لا مترجم ـ وضع بالعربية في الطب . فلم يكن صدرت الى ذلك اليوم باستثناء الرسالة الهارونية لمسيح الدمشقي ، إلا رسائل تختص بموضوع طبي واحد ، كالقواعد الصحية في تناول الطعام والشراب ، واستطباب الحجامة أو دخول الحمام أو ما يخص العلاقة الجنسية ونحو ذلك . أما الكتب النموذجية أو الكتب التقليدية التي تلتزم ببحث كل فروع الطب ، فكانت يونانية مترجمة ، أو هندية أو فارسية . ولذلك يمكن إعتبار كتاب فردوس الحكمة بداية مرحلة في اسلوب كتابة الطب عند العرب ، ويساعد على معرفة الاصالة في الكتب التي تلت فردوس الحكمة .

وكتاب فردوس الحكمة موضوع بأسلوب الكتب التقليدية من حيث التبويب والتنظيم كما ذكرنا ، إلا أنه لا يخلو من التداخل فيها بين مواضيعه وتكرارها ، وحشر بعضها في غير مكاناتها . كما لم يكرس ابن ربن كتاب فردوس الحكمة للعلوم الطبية وحدها ، بل ادخل فيها الكثير من العلوم الطبيعية ، والفلك ، وطبائع البشر ، ومعلومات عن الحيوانات والزواحف والسموم ونحو ذلك . ولا يخلو الكتاب أيضاً من بعض المواضيع في الشعوذة والتداوي بالرقى والادعية والصلوات . وقد كتبه المؤلف بصيغتين عربية وسريانية ، وقال أنه فعل ذلك حتى لا ينحل الكتاب على غيره[17] .

---

(16) يعتقد محمد الصديقي أن كناش الحضرة هو كتاب فردوس الحكمة ، لا كتاب آخر . كما ذكر ابن ربن ان الاسم الثاني لكتاب فردوس الحكمة هو بحر المنافع (مقدمة كتاب فردوس الحكمة صفحة (يا وصفحة ٨) .

(17) ابن ربن الطبري ـ فردوس الحكمة ص 8 .

اخـذ ابن ربن الـطبـري في كتـاب فـردوس الحكمـة عن ابقـراط ، وأرسـطو ، وديموقريطس وديوسقريدس ، وجالينوس ، وبولس وغيرهم . كما اخذ لقـطات فلسفية من آراء فيثاغورس . وأخـذ أيضـاً من مؤلفـات الهنـود أمثـال كتـاب سـوسـروتـا ، وشاراك[18] ، وعن معاصريه كابن ماسويه ، وحنين بن اسحاق وغيـرهما . وإذ أن ابن ربن الطبري قد توفي بعد وفاة الخليفة المتوكل الذي ترجم في زمانه كتاب ديوسقريدس في الاعشـاب والادوية ، وإن المصـطلحات الفنيـة التي ادخلهـا ابن ربن الـطبـري في فـردوس الحكمة هي نفس المصـطلحات التي استعملهـا مترجمـو بيت الحكمـة للكتب اليونانية ، فأكـثر الاحتمال ان ابن ربن الـطبري كـان يأخـذ عن كتاب ديـوسقريـدس بصيغته العربية . وإذا كان ابن ربن الطبري قد فعل ذلك فهذا لا يقلل من الاحتمال المذكور ، كما لا يؤكد انه اخذ عن كتاب ديوسقريدس بالصيغة اليونانية .

وأخذ الطبري ايضاً عن كتب لمؤلفين مجهولين منها كتـاب في العين ؟ وكتـاب في طبائع الحيوان ؟ وكتاب السمن والهزال وتهيج الباه ، وكتاب في الفـلاحة . ولا يحتمـل طبعاً أن يكون هذا الكتاب الاخير هو نفس كتاب الفلاحة لابن وحشية النبطي ، لان هذا الكتاب قد الف في سنة 292 هـ / 904م اي بعد كتاب فـردوس الحكمة بمـا يزيـد على الخمسين سنة . ويعتقد الباحثون أن الكتاب المذكور هو الذي يعرفه الفرس باسم كتاب بذر نامه ، أي كتـاب الزرع . ومؤلفـه عالم رومي اسمـه قسطوس ابن اسكـورا سكتيه ؟ وهكذا ايضاً لا يصح أن نجزم أن كتاب العـين الذي اخـذ عنه ابن الـطبري هو كتاب العشر مقالات في العين لحنـين بن اسحاق ، ولا كتـاب أمراض العـين لابن مـاسويـه . وبالجملة فـإن كتاب فـردوس الحكمة مـوسوعـة مفيدة في الـطب والمعارف الاخـرى ذات العلاقـة به . اخـذ عنه الـرازي في كتاب الحـاوي في الطب . كـما قلد أسلوب تصنيفه وتبويبـه علي بن العبـاس المجوسي وابن سينـا . وبقى الكتاب المـرجع العربي الوحيد للقراء والممارسين في الطب حتى صدرت كتب الرازي بعد ما يزيـد على النصف قرن من كتاب فردوس الحكمة . كما قيل أن الكتاب كان بالاضافة الى مكانـه الرفيع لدى الاطباء الكبار فلم يكن يفارق الكثير من العلماء في غير الطب . فقد رُوي ان ابن جرير الطبري[19] لم يكن ينسى أن يكون هذا الكتاب معه في حله وترحاله .

---

(18) المصدر السـابق ، المقدمة صفحة (يه) .

(19) ابن جرير الطبري ـ هو ابو جعفر محمد . مؤرخ ومفسر من أهـل طبرستـان . تنقل بـين فارس=

مخطوطة فردوس الحكمة بمكتبة برلين والمتحف البريطاني ورامبور وأيا صوفيا ودانشكاه وغيرها ، وطبع الكتاب في برلين سنة 1928 م بتحقيق محمد الصديقي . ويضم الكتاب سبعة أنواع (أقسام) بثلاثين مقالة في المواضيع الطبية ، والمقالات بثلاثمائة وستين باباً[20] .

النوع الاول ـ جعله المؤلف مقدمة في فلسفة محتويات الكتاب ، وفي العناصر الطبيعية الاول ، والطبائع الاربع ، وفي الكون وما فيه من أفلاك وحيوانات .

النوع الثاني ـ في تكوين الجنين وأطوار نموه ، وإسقاط الحبل ، وتسهيل الولادة ، وتربية الاطفال ، ويشير المؤلف في هذا الفصل الى فحص المرأة عن قابليتها للحبل بواسطة تبخير الاعضاء الانثوية . فاذا صعدت روائح المواد المستعملة الى انف المرأة اعتبرت هذه خصبة وذات قدرة على الحبل والانتاج . وقد اخذ ابن ربن الطبري هذه الفكرة عن ابقراط ، وانحدرت عنه الى المؤلفين العرب الذين جاءوا بعده . كما ذكر المؤلف ان اشهر الحبل الفردية الرقم أفضل من الاشهر الزوجية الرقم ، وان الجنين الذي يولد في الشهر السابع أو التاسع تكتب له الحياة ، أما الذي يولد في الشهر الثامن فلا يعيش بعد الولادة . واعتبر الشهر التاسع مجموع ثلاثة أرقام فردية هي 3 +3 +3 ، وان الشهر السابع هو مجموع ثلاثة أرقام فردية أيضاً هي 1 + 3 + 3 .

النوع الثالث ـ كرس المؤلف هذا القسم من الكتاب للاغتذاء ، ومقدار ما يجب أن يؤخذ من الأغذية ، وقواها وما يتولد منها ، وترتيب تناولها .

النوع الرابع ـ في الاخلاط الاربعة اذا فسدت والامراض وأعراضها وعلاماتها ، وأمراض الدماغ بأنواعها ، وفي تركيب أعضاء الرأس وأمراضها ، والفالج ، والكزاز ، وأمراض الصدر ، والمعدة والكبد ، والاستسقاء ومداواته ، وأمراض

= والعراق وسوريا ومصر واستقر في بغداد وتوفي بها سنة 311 هـ / 923م . وله كتاب اخبار الرسل والملوك في التاريخ المعروف بتاريخ الطبري ، وكتاب جامع البيان في تفسير القرآن . وفي الكتاب الاول يذكر ان ابن ربن الطبري نصراني (ص 21276) .

(20) تفاصيل فهرست الكتاب في صدر كتاب فردوس الحكمة ، ت محمد الصديقي .

القلب ، ونفث الدم ، وأمراض المرار واليرقان ، والامعاء ، والمثانة والكلية ، والمقعدة ، وبلرحم ، وأنواع الحميات ، والبحرانات ، ووجع المفاصل ، والاورام وعلاماتها وتداويها ، واستطباب الفصد ، وفحص البول .

النوع الخامس - في المذاقات والالوان .

النوع السادس - في الحبوب ، والبقول ، والالبان ، والاجبان ، ولحوم السمك ، وقوى الدهون ، والاشربة وأنواع المربيات ، والادوية المفردة ، والادوية المسهلة . وفي هذا القسم مقالة في منافع الحيوانات الاليفة ، وغير الاليفة والطيور وأجناسها ، والسمك والزواحف . وفيه أيضاً مقالة في السموم وعلامات التسمم وعلاجها بالترياقات .

النوع السابع - ويبحث في البلدان والمياه والرياح ، والحياة في المدن ، وفي الكواكب وحركاتها وعلاقة ذلك بصحة البشر .

وفي هذا القسم من الكتاب مقالة قيمة في الطب الهندي يقول في بعض أبوابها : (ان الذي يصلح من التلاميذ للطب من كان حسيناً ذاهناً ، ومن يكون وقوراً ورحيماً جواداً ، وصبوراً على التعب - فردوس الحكمة ص 558-559) .

الكندي[1]

اسم الكندي يعقوب وكنيته ابو يوسف . وهو ابن اسحاق بن الصباح الذي يرتفع نسبه الى الصحابي الجليل الاشعث بن قيس ، احد رؤساء قبائل كندة[2] . وقد

---

(1) اقرأ عن الكندي في الفهرست لابن النديم ص 255-291 ، وطبقات الاطباء لابن جلجل ص 73-74 ، وصوان الحكمة للسجستاني ص 113 ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ص 366-378 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 285-293 ، ومختصر الدول لابن العبري ص 256 ، وتاريخ الحكماء للبيهقي ص 41-42 ، وسرح العيون لابن نباتة ص 231-234 ، ولسان الميزان لابن حجر 305/6-307 ، المرزباني ص 507 ، وآداب اللغة لجرجي زيدان 212/2 ، ومروج الذهب للمسعودي 176/8 وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص 1-12 ، وعقود الجوهر لجميل العظم ص 88-108 . وهدية العارفين للبغدادي 537/2-544 ، والخالدون العرب لطوقان ص 37-46 ، وتراث العرب لطوقان ص 137-147 ، وفيلسوف العرب للازميري بترجمة العزاوي ، ومجاني الادب لشيخو 307/4 وفيه قال : ان الكندي نصراني (كذا) على عادته فيما فعله لكثير من الجاهليين وبعض علماء الاسلام . وقد رد عليه الاب انستاس الكرملي في مجلة لغة العرب وأظهر تحريفه للنصوص وأثبت بما لا يقبل الشك من أن الكندي مسلم من أسرة عريقة في النسب .

واقرأ عن الكندي ايضاً في مجلة الازهر لعبد الحميد البيومي م 223/11-227 ، وفي الازهر ايضاً لابي ريدة م 173/20-199 . 381-387 ، وفي الرسالة لاحمد فؤاد الاهواني م 16-51-53 ، وفي العرفان ليحيى الهاشمي م 169/34-171 ، وفي الكتاب لاحمد فؤاد الاهواني ايضاً م 399/6-405 وفي مجلة كلية الآداب لمصطفى عبد الرازق 107/1-148 ، وفي المقتطف لاحمد متولي م 318/85-326 ، وفي اهلال لاحمد الحنفي م 50/65-52 والاعلام للزركلي 255/9-256 .

Leclerc, 1/160-168, Brockelmann, 1/209

Sezgin, 3/244-247

ولي اسحاق الكندي الكوفة في خلافتي المهدي العباسي وهارون الرشيد . وولد ابنه يعقوب في واسط أو البصرة ثم انتقل الى بغداد ودرس فيها الفلسفة وعلم الفلك والهندسة والطب[3] . كما تعلم فيها الضرب على آلات الطرب . إلا أن شهرته في الفلسفة اضحت هي الغالبة ، ووصل بها القمة فلقب فيلسوف الاسلام[4] . وضمه الخليفة المأمون (198-218 هـ / 813-833م) إلى رجال بلاطه من العلماء المتميزين ، والاطباء ، والمنجمين ، والمفسرين . وبقي في كنف الخلافة حتى أيام المتوكل على الله ، وتوفي في سنة 257 هـ /870 م .

وللكندي أقوال مأثورة وردت في وصيته لابنه . قال (الاب رب ، والاخ فخ ، والعم غم ، والخال وبال ، والولد كمد ، والاقارب عقارب ، وقول لا يصرف البلا ، وقول نعم يزيل النعم)[5] . وقد فسر بعض الظرفاء هذه المقولة على طبيعة البخل في الكندي ، وقد يكون ذلك افتراء وانتحال عليه .

وللكندي مصنفات جليلة في علوم الفلسفة والطبيعيات ، ذكر له ابن النديم في كتاب الفهرست ما يزيد على المايتين والخمسين كتاباً ، كان فيها إثنان وعشرون في الطب . كما عرف الكندي بتمكنه في الترجمة ، واعتبر هو وحنين وثابت بن قرة من حيث جودة النقل بمستوى واحد[6] . كما برع في علم النجوم وأحكامها ، وله في ذلك

---

(2) ترجمة الكندي الواردة في جهاز مقالة للعروضي السمرقندي غير صحيحة جملة وتفصيلاً . وقد دحضها محقق الكتاب عبد الوهاب عزام .

(3) ابن جلجل - طبقات الاطباء ص 73 .

(4) هكذا دعاه ابن جلجل وابن نباتة . أما الكتاب المعاصرون فيسمونه فيلسوف العرب ويسمون الفارابي فيلسوف الاسلام .

(5) ابن ابي أصيبعة ص 288 ، وابن نباتة ص 232-233 .

(6) في العيون لابن ابي اصيبعة ص 286 ، ان ابا معشر البلخي قال : حذاق التراجمة في الاسلام أربعة ، حنين بن اسحاق ، ويعقوب بن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن فرخان الطبري . على أننا لا نرى في مؤلفات الكندي الكثيرة كتاباً واحداً يوحي بأنه مترجم إلى العربية . ثم إننا نتساءل فيما إذا كان الكندي يعرف اللغة اليونانية ؟ واين تعلمها ؟ والارجح انه فسر ما وصل إليه من الافكار اليونانية .

ولعبد الرحمن بدوي رسالة تحقيق بعنوان هل كان الكندي يعرف اليونانية ؟ (تكوين الفكر اليوناني ص 171-185) نجح فيها في بحث هذا الامر . وقراءتها جد مفيدة وممتعة .

ستة وعشرون كتاباً . وصار بمعلوماته بهذا الاختصاص احد منجمي الخليفة المستعين واشتهر به . أما في الطب فلا نحسب انه مارس هذه الصنعة كمحترف لها ، بل كان هاوياً لمعرفة فنونها والتأليف فيها ، كما فعل غيره كثيرون من غير الاطباء . وكان أيضاً كشأن بعض اطباء عصره ، يؤمن بفوائد الرقي والصلوات في علاج المرضى .

وبسبب الحظوة التي نالها من لدن الخليفة المتوكل حسده أترابه ومن يعمل في دائرته واختصاصه ، وأوغروا عليه صدر الخليفة ، فطرده من حاشيته وصادر مكتبته التي كانت من كثرة مجلداتها ان خصصت لها خزانة في بيت الحكمة عرفت بالخزانة الكندية . ويذكر أن الخليفة احتاجه ذات يوم وعفى عنه وارجعه الى سابق منزلته في بلاطه ومما يجب ذكره ان الكندي لم يكن طبيباً مشهوراً بهذه الصناعة مع أنه شارك فيها بوضع ما يزيد على العشرين كتاباً .

توفي الكندي سنة 257 هـ / 870م ومن اشهر تلاميذه احمد بن الطيب السرخسي المتوفي في سنة 283 هـ / 896م وأهم مترجمات الكندي كتاب المجسطي لبطليموس ، وكتاب الادوية المفردة لجالينوس .

أما مؤلفاته في الطب فهي[7] :

(1) كتاب الباه (أيا صوفيا) .

(2) رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة (ميونخ) .

(3) رسالة في الاطعمة (حكيم بحلب ، ومالك بطهران) .

(4) رسالة في علة الجذام واشفيته (حكيم بحلب) .

(5) رسالة في عضة الكلب الكلب (حكيم بحلب) .

(6) رسالة في الحمام (حكيم بحلب) .

---

(7) قائمة كتب الكندي في العيون لابن ابي أصيبعة ص 214 ، والكندي للازميري ص 30-46 ، وتاريخ الحكماء للقفطي ص 362 و

Sezgin, 3/246-246

(7) رسالة في علة نفث الدم .

(8) رسالة في تدبير الاصحاء .

(9) رسالة في الحياة .

(10) رسالة في اللثغة (أيا صوفيا) .

(11) رسالة في الاعراض الحادثة من البلغم وعلة موت الفجأة . ذكرها سزكين باسم رسالة الى بعض اخوانه في الامراض البلغمية Sezgin, 3/245 ونصها في صوان الحكمة للسجستاني ص 116-118 .

(12) اختيارات ابي يوسف الكندي للادوية المجربة وهي الاقرباذين (أيا صوفيا) - وقد اخذ عنها الرازي في كتاب الحاوي . وترجمت الى اللاتينية من قبل جيرارد الكريموني وطبعت في ستراسبورغ سنة 1531 م . كما ترجمه مارتن ليفي الى الانكليزية سنة 1966 م ونشره بالنص العربي مع مقدمة شيقة عن الادوية المفردة والمركبة عند المسلمين .

(13) رسالة في تبيان الاعضاء الرئيسة في جسم الانسان (أيا صوفيا) .

(14) رسالة في الحيل لدفع الاحزان (أيا صوفيا) .

(15) تقدمة المعرفة (بلدية الاسكندرية ودار الكتب المصرية) .

(16) ماهية النوم والرؤيا (أيا صوفيا) نشرها ابو ريدة من رسائل الكندي 1/311-593 .

(17) رسالة فيها نسب اليه كل بلد من البلدان الى برج من البروج وكوكب من الكواكب .

(18) رسالة في أسرار النجوم - كتبها لتلميذه زرنب .

(19) رسالة في الغذاء والدواء المهلك .

(20) رسالة في الابخرة المصلحة للجو والاوباء .

(21) في كيفية اسهال الادوية وانجذاب الاخلاط .

(22) رسالة في كيفية الدماغ .

(23) رسالة في بحارين الامراض الحادة ، وقد نشرها بـالانكليزيـة كارل كـاربر سنـة 1948 م . وقد تكون هذه الرسالة منحولة على الكندي .

(24) رسالة في كيمياء العطر والتصعيد .

(25) رسالة في وجع المعدة والنقرس .

(26) رسالة في أقسام الحميات .

(27) رسالة في علاج الطحال الجاسي من الاعراض السوداوية .

(28) رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مس الشياطين وبين ما يكون من فساد الاخـلاط وقد نفـد ثابت بن قـرة بكتابـه (السكون بـين حركـة الشريـان) ، ما كتبـه الكندي بكتابه المذكور (الازميري ص 88) .

(29) رسالة في الفلك والنجوم .

(30) رسالة في اشفية السموم .

(31) رسالة في اجساد الحيوان اذا فسدت .

(32) رسالة في الابانة من منفعة الطب اذا كانت صناعة النجوم مقترنة بدلائلها .

(33) رسالة في صنعة الاطعمة من غير عناصرها .

(34) كتاب الطب الروحاني ـ وهو من العلاج في الرقى وقراءة المعـوذتين والنفـخ على الوجه (الازميري ص 87) .

(35) رسالة في الادوية المسهلة ـ اخذ عنها الرازي في كتاب الحاوي .

(36) كتاب تقويم الصحة بالاسباب الستة المذكورة مضامينها في الفصول الآتية :

1 ـ اصلاح الهواء الواصل الى القلب .

2 ـ تقدير المأكل والمشرب .

3 ـ تعديل الحركات والسكون .

4 ـ منع النفس من الاغراق في النوم واليقظة .

5 ـ تقدير استفراغ الفضلات وإحقانها .

6 ـ اخذ النفس بالفصد في حرقة وغضبة وهم وفزع .

ومخطوطة هذا الكتاب بمكتبة كوبريلي وحكيم بحلب .

ولابن بطلان البغدادي (450 هـ / 1058م) كتاب بنفس المآل باسم تقويم الصحة وكذلك لابن جزلة البغدادي (493 هـ / 1096م) باسم تقويم الابدان . كما كتب في هذا الموضوع بعد ذلك كل من ابن رضوان المصري وابن هبل البغدادي ومسعود بن محمد السجزي وحبيش التفليسي .

(37) رسالة في الزجر والفأل .

قسطا بن لوقا البعلبكي[1]

من نصارى بغداد البارزين في الفلسفة والعلوم الرياضية ، وأعمال الترجمة في القرن الثالث الهجري . والارجح ان اصل اسرته من الاروام الذين استوطنوا بعلبك فولد فيها ونشأ صاحب هذه الترجمة ، ثم سافر الى ديار الروم واستزاد من معارفها[2] . ولما رجع الى موطنه كان قد اجاد اللغة اليونانية ، وكثيراً من علومها العقلية والتطبيقية . وقدم الى بغداد في خلافة المقتدر المتوفى سنة 320 هـ / 932م وصار يمارس علومه فيها . وإذ كان فصيحاً في اليونانية والعربية[3] ، أناطوا به نقل الكتب اليونانية إلى العربية ، فأجاد في هذا العمل . ويضعه ابن النديم الى جانب حنين بن اسحاق في العلم والفضل وصحة الترجمة[4] . ويصفه ابن جلجل على انه : (طبيب حاذق ، نبيل ، فيلسوف ومنجم ، وعالم بالهندسة والحساب)[5] كما كان ابن لوقا يهوى

(1) اقرأ عن قسطا بن لوقا في الفهرست لابن النديم ص 295 ، وطبقات ابن جلجل ص 76 ، وتاريخ الحكماء للقفطي ص 262-263 ، وعيون الانباء لابن ابي أصيبعة ص 329-230 ، والاعلام للزركلي 40/6-41 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 131/8-132 ، والتراث العلمي العربي لطوقان ص 179 ، وهدية العارفين للبغدادي 835/1-836 ، والمخطوطات لشيخو ص 170-171 .

Leclerc, 1/157-159, Brock. 1/204

(2) القفطي ص 263 .

(3) المصدر السابق .

(4) ابن النديم ـ الفهرست ص 295 .

(5) ابن جلجل ص 76 .

الموسيقى ويحسن اللعب بآلاتها .

عمل قسطا بن لوقا في بيت الحكمة وترجم فيها إلى العربية كثيراً من كتب الفلسفة اليونانية وكتب الطبيعيات والطب بالتعاون مع زملائه حنين بن اسحاق وثابت بن قرة ، واسحاق بن حنين . ثم سافر الى ارمينيا[6] بدعوة من أميرها سنحاريب وهناك لاقى احتراماً وتقديراً من حكام البلاد والعامة . وفيها توفي سنة 300هـ /912م .

ولقسطا بن لوقا سوى ما ترجمه وفسره من الكتب اليونانية مؤلفات كثيرة في العلوم الطبيعية والنجوم والحساب والهندسة والاجتماع والتاريخ . فهو موسوعي المعلومات وكثير الانتاج . وكتبه الطبية محصورة في الاختصاصات الدقيقة ، وهي على الاكثر بحجم الرسائل ولا تدل بأي حال على سعة تمرسه بعلومها . من تلك المؤلفات[7] :

(1) رسالة في التحرز من الزكام والنزلات اللاتي ترد في الشتاء (أيا صوفيا ، ومالك بطهران) .

(2) رسالة في الادوية المسهلة والعلاج بالاسهال (أيا صوفيا) .

(3) كتاب في الوزن والكيل (أيا صوفيا ، وحكيم بحلب) .

(4) كتاب في الاخلاط الاربعة وما تشترك فيه (حكيم بحلب) .

(5) كتاب في النوم والرؤيا (حكيم بحلب) .

(6) كتاب في الحميات (حكيم بحلب) .

(7) كتاب في اوجاع النقرس .

(8) كتاب في الباه ـ وضعه على طريقة المسألة والجواب لابن مخلد ابي الحسن احمد (حكيم بحلب) .

---

(6) القفطي ص 263 .

(7) قائمة مؤلفات قسطا بن لوقا في طبقات ابن ابي أصيبعة ص 33 و
Sezgin, 3/273-274. Leclerc, 1/153-154.

(9) كتاب في الاذى (أيا صوفيا) .

(10) رسالة في الضَرَسْ (أيا صوفيا) .

(11) رسالة في ذكر اصلاح الادوية المسهلة ونفي ضررها ، ومقدار الشربة منها ، وضروب استعمالها (أيا صوفيا) .

(12) مقالة في الوباء (شهيد علي بنكيبور) .

(13) رسالة في حفظ الصحة وإزالة المرض (بنكيبور) .

(14) رسالة في تدبير الابدان في السفر للسلامة من المرض والخطر (المتحف البريطاني) .

(15) رسالة في السهر وأسباب الأرق (برلين) .

(16) رسالة في علل الشعر (حكيم بحلب ، والمتحف البريطاني) وقد كتبها للحسن بن مخلد .

(17) مقالة في الاسطقسات (طهران) .

(18) كلام في العطش (حكيم بحلب) .

(19) كتاب في البلغم وعلله ومداواته (حكيم بحلب ، وميونخ) .

(20) مقالة في الدم (حكيم بحلب ، وميونخ) .

(21) مقالة في المرة الصفراء (حكيم بحلب ، وميونخ) .

(22) مقالة في المرة السوداء (حكيم بحلب ، وميونخ) .

(23) مقالة في استراق الاطباء (ميونخ) .

(24) كتاب في الفصد (حكيم بحلب) .

(25) كتاب في علات الموت فجأة (حكيم بحلب) .

(26) رسالة في تركيب العين وإظهار حكمة الله فيها (حكيم بحلب) .

(27) رسالة في تركيب العين وعللها (حكيم بحلب) .

(28) رسالة في الاغذية (حكيم بحلب) .

(29) كتاب النبيذ وشربه في الولائم (حكيم بحلب) .

(30) كتاب الحمام (حكيم بحلب) .

(31) كتاب في القوة والضعف (حكيم بحلب) .

(32) كتاب في ضعف العصب (حكيم بحلب) .

(33) مقالة في النبض (حكيم بحلب) .

(34) كتاب في الاستدلال بالنظر الى اصناف البول (جراح بحلب) .

(35) مختصر في الكبد وخلقتها وما يرد لها من الامراض (حكيم بحلب) .

(36) كتاب في دفع ضرر السموم (حكيم بحلب) .

(37) كتاب في أوجاع المعدة (حكيم بحلب) .

(38) كتاب في أوجاع النقرس (الجراح بحلب) .

(39) كتاب في مرض الاستسقاء (الجراح) .

(40) كتاب في الصداع (م . سكيم) .

(41) رسالة في ترتيب قراءة الكتب لجالينوس Sezgin, 3/273

(42) مسائل في أيام البحران في الامراض الحادة (مالك بطهران) .

(43) المدخل الى علم الطب .

(44) كتاب في الخضاب .

(45) كتاب في الفصل بين الروح والنفس (غولته ، برلين) .

(46) رسالة في قوانين الاغذية .

(47) في ذكر اصلاح الادوية المسهلة ونفى ضررها ومقدار الشربة منها (أيا صوفيا) .

(48) الجامع في الدخول الى علم الطب ـ رفعه لابراهيم بن المدبر وزير المقتدر بالله .

(49) كتاب في علة طول العمر وقصره (أيا صوفيا) .

(50) كتاب في تدبير الابدان في سفر الحج .

(51) كتاب في العياء (أيا صوفيا) .

(52) صفة الجدري وأنواعه وأسبابه وعلاجه على رأي جالينوس وابقراط (أيا صوفيا) .

(53) رسالة في اختلاف الناس في سيرهم واخلاقهم وشهواتهم واختباراتهم (مكتبة برلين) .

(54) الفرق بين النفس والروح . وله ترجمة لاتينية (جراف 31/2) .

(55) ك . زاد المسافر بأربعة عشر باباً .

الاطباء الحرانيون

ذكرنا فيما تقدم ان حرّان مدينة قديمة تقع في ما بين النهرين وداخل حدود تركيا اليوم . وكان سكانها يعبدون الاوثان والنجوم ، ومنهم من ادعى انه من صابئة[1] القرآنْ ، ولغتهم الآرامية ، فلما دخلتها جيوش الاسكندر المقدوني (ت 334 ق . م) تعلموا منهم اللغة اليونانية ، وقدراً من صناعة الطب . ثم انتشرت على لسانهم اللغة العربية بعد الفتح الاسلامي سنة 18 هـ / 639م . كما دخلها الطب اليوناني ايضاً عن طريق انطاكيا التي كان يعمل فيها المتطبب عبد الملك بن ابجر الكناني بأمر من الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ومن حرّان إنتقلت هذه الصناعة بصحبة الفلاسفة الى بغداد في أيام الخليفة المعتضد بالله (279-289 هـ / 892-902م) .

كانت المعارف الحرانية التي وصلت بغداد من نوع خاص جمع بين الفكر اليوناني والآرامي والوثني والصابئي . وكان كثير ممن دخل بغداد من الحرانيين ذوي المام بجميع هذه المعارف وبلغاتها أيضاً . كما أسلم بعضهم عندما التحقوا بخدمة الخلفاء .

برع الحرانيون بعلوم الحساب ، وبصناعة التنجيم ورصد الكواكب . وظهر

---

(1) الصابئة فرقتان ، احداهما وثنية وهي التي سكنت حران . وكان من هؤلاء اسرة بني قرة الحراني التي اشتهر افرادها بعلم العدد ورصد النجوم . أما الفرقة الاخرى من الصابئة فهي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ولها كتاب سماوي ويتبعون يوحنا المعمدان ، وكثير منهم يعيشون اليوم في جنوب العراق ومصطلح الصابئة آرامي بمعنى التطهير ولذا سموا أيضاً (المغتسلة) .

فيهم أدباء في العربية والسريانية ، ومؤرخون كان منهم هلال الصابي الحراني[2] وابراهيم الصابئي[3] . وتعلم بعضهم الطب ، وألفوا في علومه، وترجموا كتبه اليونانية إلى العربية وخدموا العباسيين ما يزيد على القرن ونصف ، كان اشهرهم ثابت بن قرة الحراني ، وهو أول من دخل بغداد منهم ، وابنه سنان ، وحفيداه ثابت بن سنان ، وابراهيم بن سنان ، كما عرف من اطباء حران أبو اسحاق ابراهيم بن زهرون الحراني وابنه ثابت بن ابراهيم بن زهرون ، والكحال بن وصيف الصابي .

1 ـ ثابت بن قرة الحراني[4]

هو أبو الحسن ثابت بن قرة بن زسرون بن كرايا بن مارينوس بن سالاينوس . ومن المحتمل أن يكون قريب النسب من اليونانيين الذين دخلوا حران بصحبة الاسكندر المقدوني .

كان ثابت بن قرة في أول أمره يعمل في الصيرفة بحران ، ثم مال الى دراسة العلوم الطبيعية والهيئة والرياضيات حتى اتقنها جميعاً . وقيل أنه صار اعلم معاصريه بالفلسفة والطب[5] الا انه عرف فيلسوفاً وفلكياً أكثر مما عرف في العلوم الاخرى . وأكثر الاحتمال أنه أكمل تحصيله العلمي واللغوي في بغداد ، وكان محمد بن موسى

---

(2) هلال الصابي (355-448 هـ / 969-1015م)، مؤرخ معروف ، وصل الينا . جزء من كتابه القيم (تحفة الامراء في تاريخ الزوراء) وقد طبع في لايدن سنة 1904 .

(3) ابراهيم الصابئي (313-384 هـ / 925-994م) . اديب ورياضي . خدم في ديوان البويهيين وله رسائل ادبية معروفة .

(4) اقرأ عن ثابت بن قرة في الفهرست لابن النديم ص 272 ، والطبقات لابن جلجل ص 75 ، وصوان الحكمة (المنتخب) ص 132-135 ، وتأريخ الحكماء للقفطي ص 115-121 ، وحكماء الاسلام للبيهقي ص 20-21 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 295-300 والوفيات لابن خلكان 315-313/1 ومختصر الدول لابن العبري ص 295-296 ، وشذرات الذهب لابن العماد 6 (196-189 ، والبداية والنهاية لابن كثير 85/1 ، ومرآة الجنان لليافي 215/2-217 ، ايضاح المكنون للبغدادي 96/1 ، وعقود الجوهر للعظم ص 112-118 ، والتراث العربي لطوقان ص 115-125 ، والخالدون العرب لطوقان ص 57-62 ودائرة المعارف الاسلامية لروسكا Brockelmann, 1/217, S. 1/384 . 191-182/6

(5) القفطى ص 115 ، ابن ابي أصيبعة ص 295 .

بن شاكر قد اكتشف مواهب ابن قرة عندما رآه لاول مرة في حران ، فاستصحبه الى بغداد ورعاه في التعليم والحقه بحاشية الخليفة المعتضد ، وصار منجمه وأقرب الندماء اليه ، واستحدث له رئاسة الصابئة في بغداد ، ومراصد لمراقبة حركات النجوم ، فكان له من ذلك خبرة واسعة ضمنها مؤلفاته في هذا الموضوع . ويروى عن علاقته الشديدة بالخليفة ، وما له من الاحترام والتقدير منه ، أنه كان ذات يوم يمشي بصحبة المعتضد في بستان دار الخلافة (وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ، فنتر يده من يد ثابت بشدة . ففزع ثابت ، فأن المعتضد كان مهيباً جداً ، وقال يا ابا الحسن سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها . وليس هكذا يجب أن يكون . فان العلماء يَعْلُون ولا يُعْلَوْن[6] . وكان ثابت يجيد اللغة السريانية وكذلك العربية واليونانية ويحسن النقل فيما بين هاتين اللغتين . ويعتقد ابو معشر البلخي ان حذاق التراجمة في الاسلام اربعة : حنين بن اسحاق ، ويعقوب بن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرّخان الطبري[7] . من حكمه في الصحة قوله : ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباخ حاذق ، وجارية حسناء ، لانه يكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجماع فيهرم . كما قال : راحة الجسم في قلة الطعام وراحة النفس في قلة الآثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام ، وراحة اللسان في قلة الكلام . توفي ثابت بن قرة سنة 288 هـ / 1000م بعمر السابعة والسبعين . ومن تلاميذه عيسى بن أسيد ، وله من المؤلفات في الطب[8] .

(1) كتاب في النبض .

(2) ك . في وجع المفاصل والنقرس .

(3) ك . في اجناس الامراض .

(4) كتاب في الحصى المتولدة في الكلى والمثانة .

---

(6) ابن ابي أصيبعة ص 296 .

(7) المصدر السابق ص 295 . واقرأ فقرة رقم (6) من الهوامش على صفحة 486 من هذا الكتاب . كما لا نعتقد ان ثابتاً بن قرة قد مارس الطب أو أنه وضع كتبه في هذه الصفحة على التجربة الشخصية بل استقاها من المؤلفات الكثيرة الموضوعة والمترجمة عن اليونانية .

(8) قائمة مفردات كتب ابن قرة في العيون ص 298-300 ، وتاريخ الحكماء ص 119-123 .

(5) ك . في سوء المزاج المختلف .

(6) ك . في تدبير الامراض الحادة .

(7) كتاب في تدبير الصحة .

(8) كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداراتها .

(9) رسالة في الجدري والحصبة .

(10) مسائلة الطبيب للمريض .

(11) جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس .

(12) ك . في تشريح بعض الطيور (مالك الحزين ؟) .

(13) ك . فيما تنقسم اليه الادوية .

(14) ك . في ماتوزن به الادوية .

(15) رسالة في عدد البقارطة .

(16) كناش الذخيرة (منسوب إليه) كما يعتقد ابن القفطي (تأريخ الحكماء ص 120) ومخطوطته في بروسة واحمد الثالث وقد طبعته جامعة القاهرة سنة 1928 م .

(17) جوامع كتاب الكثرة لجالينوس .

(18) كتاب تشريح الرحم .

(19) جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر .

(20) جوامع ما قاله جالينوس في كتابه تشريف صناعة الطب .

(21) اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس .

(22) جوامع كتب جالينوس في الادوية المنقية .

(23) جوامع الاعضاء الآلمة لجالينوس .

(24) اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس .

(25) اختصار كتاب الاسطقسات لجالينوس .

(26) جوامع كتاب الاهوية والمياه لجالينوس .

(27) كتاب في مسألة الطبيب العليل .

(28) ك . في صفة كون الجنين .

(29) كتاب الانواء وفيه نقد على جالينوس في هذا الموضوع (ابن القفطي ص 119 وابن ابي أصيبعة ص 151) .

2 ـ سنان بن ثابت بن قرة[9]

يكنى سنان بأبي سعيد . وقد تعلم الطب على أبيه ثابت وخدم به ثلاثة خلفاء من بني العباس على التعاقب هم : المقتدر بالله (295-320 هـ / 908-932م) والقاهر والراضي بالله المتوفى سنة 329 هـ / 934م . وكان نديماً مريحاً معهم ومتزناً في أحكام مهنته ويحبها . وقد حصل على حظوة من المقتدر بالله فنصبه رئيساً لاطباء بغدا والمسؤول عن سلوكهم المهني . وكان حريصاً على رعاية المرضى وتفقد شؤونهم في البيمارستانات وتوفير الطعام والدواء لهم[10] ، ومما يذكر عن مفاخره في هذا الباب أنه رفع طلباً الى الوزير علي بن عيسى الجراح ان يلتفت المسؤولون الى توزيع ايرادات وقف أم المتوكل شجاع على ما يستحقه بيمارستان بدر المعتضدي من تلك الوقفية ، وأن لا يستأثر بالحصة الكبرى منها بنو هاشم . فأصدر الوزير أمره ان ينصف مرضى البيمارستان ويصرف له كل ما يحتاجه ، وأن يقدم على المرتزقة الآخرين ويعاقب من يخالف ذلك[11] . ونذكر لسنان مفخرة أخرى ، فقد اقترح على ام الخليفة شغب أن تؤسس بيمارستاناً في بغداد ، فأصدرت أمرها سنة 306 هـ / 918م ان يؤسس بيمارستان السيدة[12] نسبة الى لقبها بين حاشية بلاط الخليفة كما أشار سنان على المقتدر

---

(9) اقرأ عن سنان بن ثابت بن قرة في تأريخ الحكماء ص 190-195 وفي عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ص 300-304 .

(10) القفطي ص 190-191 .

(11) ابن ابي أصيبعة ص 301-302 .

(12) المصدر السابق .

أن يؤسس بيمارستاناً باسمه ففعل وأقامه في باب الشام ببغداد[13] في ذات السنة التي أسس فيها بيمارستان السيدة . وهكذا صار في بغداد وحدها حتى حكم المقتدر ست بيمارستانات .

وتذكر لسنان مثوبة أخرى في الحقل الطبي ، فقد رفع مقترحاً إلى الخليفة المقتدر لمحاسبة الاطباء الذين يقصرون في واجباتهم تجاه المرضى أو يخطئون في معالجتهم . ويُروى انه سمع عن طبيب غلط في تداوي مريضه فسبب هلاكه فرفع قضيته إلى الخليفة المقتدر مما دعى الامر أن يصدر الخليفة أمره الى المحتسب محمد بن بطحا (بطيحة ؟) أن يمنع الاطباء من ممارسة صنعتهم إلا بعد ان يمتحنهم سنان بن ثابت[14] فكان عدد الذين تقدموا لهذا الامتحان نيفاً وثمانين طبيباً سوى من استغنى عن امتحانه لتقدمه وشهرته في الصنعة وسوى من كان في خدمة السلطان [15] .

واستلم سنان أمراً من الوزير علي بن عيسى الجراح يطلب فيه أن يوجه الى السواد والارياف اطباء ومعهم خزانات الادوية والاشربة ، ويقيمون في كل موقع منه مدة ما تدعو إليه الحاجة الى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينتقلون الى غيره[16] . وهذه الخدمة الطبية تماثل تماماً ما يعرف في هذا اليوم بالمستوصفات السيارة .

لقد تحققت في خلافة المقتدر عنايات خاصة بالشؤون الصحية للمواطنين والفضل في ذلك للخليفة نفسه وأمه شغب وطبيبها سنان بن ثابت ، فتوفرت الخدمات الطبية لعموم طبقات الشعب حتى الذين اغلقت عليهم أبواب السجون ، إذ كان لهؤلاء اطباء يطوفون عليهم ليتفقدوا راحتهم ويستمعوا الى شكوى المرضى منهم .

كان من فرط مودة الخليفة لسنان أن طلب منه ان يدخل دين الاسلام فخشي ان يعرف الخليفة أنه متردد في تلبية رغبته ، فتشاغل بالسفر الى خراسان إلا أنه لم يلبث هناك طويلاً حتى عاد الى بغداد وهو مسلم .

---

(13) المصدر السابق .

(14) المصدر السابق ص 302 .

(15) يبدو ان هذا الرقم في عدد أطباء بغداد يومئذ مبالغ فيه . ويحتمل أن يكون صحيحاً اذا ادرجنا فيه منتحلي صناعة الطب وهم كثيرون في ذلك الزمن .

(16) المصدر السابق .

وصارت لسنان بعد وفاة مخدومه الخليفة الراضي علاقات واسعة مع الامراء وطبقات الناس العالية ، فأستقدمه الامير بجكم[17] الى واسط ليدبر له شكواه الصحية ويضع له برنامجاً في المأكل والمشرب[18] فقام سنان بالواجب خير قيام .

توفي سنان في بغداد سنة 331 هـ / 942م ، وأعقب له ولدين هما ثابت بن سنان وابراهيم بن سنان ، وكلاهما عمل في الطب بخدمة الخلفاء . ولم يعرف لسنان كتاب في الطب بالرغم من ممارسته الواسعة في فنونه الكثيرة . أما مؤلفاته في التاريخ والهندسة والفلك والحكمة فكثيرة منها رسالة الى الوزير ابن الجراح وأخرى الى الامير ابن بجكم .

3 ـ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة[19]

كنيته ابو الحسن ، وهو حفيد بن قرة الحراني ، وخال الكاتب المعروف هلال الصابي . اختص بخدمة الخليفة الراضي (322-329 هـ / 934-940م) كما خدم في بلاط المتقي والمستكفي والمطيع لله المتوفى سنة 363 هـ / 974م . وكان يزامله في خدمة الخليفة المطيع الطبيب اسحاق بن شليطا[20] . كذلك خدم الامير الاقطع احمد بن بويه . وفي سنة 313 هـ / 925م التحق بأمر الوزير الخاقاني بإدارة بيمارستان ابن الفرات بدرب الفضل ببغداد .

وثابت بن سنان أحد الذين شهدوا مأساة الوزير والخطاط البغدادي الشهير محمد بن مقلة الذي عذّب وقطعت يداه ولسانه بأمر من الخليفة الراضي جزاء سرقاته من خزانة الدولة . وفي كتاب العيون لابن أبي أصيبعة تسجيل مفصل لحالة ابن مقلة في محبسه والاختلاطات المرضية التي لحقت بيمناه المقطوعة[21] .

---

(17) ابو الحسن بجكم ويسمى أيضاً أمير الامراء الماكاني وهو من قواعد الخليفة الراضي بالله العباسي .

(18) انظر هامش رقم 9 .

(19) اقرأ عن ثابت بن سنان بن ثابت في القفطي ص 115 ، وفي ابن ابي أصيبعة ص 204-207 .

(20) اسحق بن شليطا ـ من اطباء بغداد في أيام الخليفة المطيع وكان هو وسنان بن ثابت بخدمة هذا الخليفة ، وبعد وفاته خلفه في بلاط الخليفة الطبيب ابو الحسن عمر بن عبد الله الدحلي (ابن ابي أصيبعة ص 221) .

(21) ابن ابي أصيبعة ص 306 .

توفى ثابت بن سنان سنة 363 هـ / 972م ومن تلاميذه احمد وعمر ابنا يونس بن أكمد الحراني[22] ، ولم يعرف له من المؤلفات الا كتاب واحد هو في تأريخ ما حدث في زمانه (أيام الخليفة المقتدر الى أيام الخليفة الطائع) .

4 ـ أبو الحسن الحرّاني[23]

هو ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني . ولد في بغداد وتعلم الطب على ابيه ابراهيم بن زهرون المتوفى سنة 365 هـ / 975م وكان عالماً بصناعته وصادقاً في ممارستها فتوفر له من ذلك المال الكثير والمنزلة المحترمة بين الناس والاطباء . فلما شاخ انسحب من خدمة سيده عضد الدولة معترفاً بنفس الوقت بكفاءة الاطباء الذين في حاشيته ليأخذوا مكانه في الخدمة .

توفى ابو الحسن الحراني في بغداد سنة 365 هـ / 975م بعمر الثانية والثمانين ، وله كتاب اصلاح مقالات عن كناش يوحنا بن سرابيون ، وكتاب آخر في جوابات طبية سئل عنها . .

5 ـ ابن وصيف الصابي[24]

هو من ابرز اطباء العيون حتى منتصف القرن الرابع الهجري . اسمه الاول

---

(22) احمد وعمر ابنا يونس بن احمد الحراني ـ من أطباء قرطبة في أيام الخليفة الناصر عبد الرحمن . وفي سنة 330 هـ / 941م رحلا الى بغداد ومكثا فيها عشرة أعوام يدرسان الطب ، على ثابت بن سنان وعلى طبيب العيون الشهير ابن وصيف الصابي وعادا الى الاندلس في خلافة المستنصر (350-366 هـ /961-977 م) وسكنا مدينة الزهراء . وعاش احمد بن يونس بعد وفاة أخيه عمر وأدرك حكم هشام المؤيد المتوفى سنة (399 هـ / 1009م) فولاه ادارة الشرطة وخطة السوق . وكان يجيد طبابة العيون وبصيراً بالادوية المفردة (ابن جلجل ص 84) واحمد الحراني طبيب اصله من حران ، دخل الاندلس في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن (238-273 هـ / 857-886م) حفيد عبد الرحمن الداخل . وقد عاصره الطبيب جواد النصراني واحمد بن ابان واستفاد من معلوماتهما في الادوية (ابن جلجل ص 27) .

(23) اقرأ عن ابي الحسن الحراني في القفطي ص 110-115 وابن ابي أصيبعة ص 311-317 .

(24) اقرأ عن ابن وصيف الصابي في طبقات ابن جلجل ص 81-82 ، والقفطي ص 436-437 وابن ابي أصيبعة ص 311 .

احمد إلا أنه لا يعرف إلا بابن وصيف . من تلاميذه احمد وعمر ابنا يونس الاندلسيين ، اللذان رجعا الى بلدهما وهما يحملان لقب الحراني على اسم معلمهما ابن وصيف الحراني .



ابو بكر الرازي[1]

ابو بكر بن زكريا الرازي ، اخصب عقلية طبية ظهرت في القرون الوسطى ، وأعظم طبيب سريري في تلك الحقبة . ومع ذلك فلا نعرف عن ترجمته إلا ما يخص

(1) اقرأ عن الرازي في الفهرست لابن النديم ص 299-302 و358 ، والطبقات لابن جلجل ص 77-80 ، ومختصر الدول لابن العبري 174-175 ، ونكت الهميان للصفدي 3/75-77 ، وطبقات الامم لابن صاعد الاندلسي 23-26 وحكماء الاسلام للبيهقي ص 21-22والعيون لابن ابي أصيبعة 414-424 ، ونزهة الارواح للشهرزوري 2/7-8 ودائرة المعارف الاسلامية 9/451-458وآداب اللغة لزيدان 219/2 ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة 219/1 والنجوم الزاهرة لابن تغردي يردي 209/3 ، والبداية والنهاية لابن كثير 149/11 ومرآة الجنان اليافعي 364,263/2 ، والكشف لحاجي خليفة ص 577, 638, 1015, 1215, 1403, 1862 وروضات الجنات للخوانساري ص 165, 166 ، والمجددون في الاسلام لعبد المتعال ص 41-144 ، وعقود الجوهر لجميل العظم ص 118-127 ، والعلماء المسلمون لفهمي متى اسحاق ص 41-48 ، وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور ص 89-93 ، وهدية العارفين للبغدادي 2/27-29 .

واقرأ ايضاً رسالة البيروني في كتب الرازي تحقيق بول كراوس 1936 ، ومقال بروكلمان بمجلة ايزيس عدد 5 ص 16-50ومقال شرح حال محمد بن زكريا الرازي لمحمود النجم آبادي 1318هـ . ومقال سامي حداد في العروة عدد تموز 1936 ص 42-48 ، ومجلة معهد المخطوطات لصلاح المنجد 298/5 ، والقبس لمعروف الرصافي 3/605-609 ، والهلال لكمال موسى ، عدد كانون الاول 1958 ص 38-41 . ومجموعة ابحاث مؤتمر الطب الاسلامي بالكويت 1981 لالبير اسكندر ص 142-163 .

Sezgin, 3/274-294

Leclerc, 1/337-354, Brockelmann 1/233-235.

Sarton, 1/609-610. Campbell, 1/65-72

مركزه العلمي كطبيب وفيلسوف . أما عن حياته العامة ، واصله ونسبه ، وشيوخه ، وتلاميذه وتسلسل تنقلاته بين بغداد من جهة ، وحواضر بلاد العجم من جهة أخرى ، فلم نكتشف من أخبارها إلا القليل والارجح أنه ولد في الري سنة 250 هـ /865 م ومنها انحدر اليه لقب الرازي على غير القياس في الانتساب . واشتغل في أول عمره بالصيرفة ، وقيل بالصياغة[2] . وهوى الغناء والضرب على أوتار العود فلما نبت الشعر على وجهه قال (كل غناء يخرج من بين شارب ولحية ما يطرب)[3] فأعرض عنه وأقبل على دراسة العلوم اللغوية والطبيعية والفلسفة ، وربما كان ابو زيد البلخي[4] احد أساتذته . ولما بلغ الثلاثين من عمره وقيل الاربعين ، استهواه الطب فمال الى تعلمه[5] . ويذكر أنه ادرك ابن سهل ربن الطبري في أواخر عمره وتعلم عليه الطب بعض الوقت في الري[6] . كما شغف الرازي بصناعة الكيمياء وصار يقرأها من كتب الاقدمين والمعاصرين حتى استوعب مضامينها ، وتمكن من مناقشتها ، والتعليق عليها ، والتأليف في مواضيعها . وكان يولي هذه الصناعة اعتبارات خاصة ، ويؤمن بعلومها ، وضرورة تعلمها من قبل الفلاسفة ، وقال في ذلك : (انا لا اسمى فيلسوفاً

---

(2) ابن ابي أصيبعة ص 420 والبيهقي ص 21 .

(3) الصفدي ص 249 .

(4) ابو زيد البلخي ـ فيلسوف عربي اسمه احمد بن سهل ، ولد في بلخ فنسب إليها . عاصر السامانيين ، وله تأليف في الفلسفة والسياسة والطب والجغرافية من بينها مصالح الابدان والانفس (أيا صوفيا) وقد طبعه مصدراً على هذه المخطوطة فؤاد سزكين سنة 1405 هـ . توفي سنة 222 هـ /934 م . البيهقي ص 42-43 .

(5) يروي ابن ابي أصيبعة (العيون 415) ان الرازي تعلم الطب بعد الثلاثين من عمره ، وكان ذلك حين دخل بيمارستان بغداد وشاهد بعض الحالات الطبية الغريبة ، فأثارت انتباهه وحولت تفكيره إلى تعلم هذه الصناعة ويقول ايضاً (العيون ص 416) أن الرازي كان قد درس الطب ومارسه في الري قبل أن يدخل بغداد لاول مرة ، وهذا ما يقوله أيضاً ابن جلجل (طبقات الاطباء ص 77) وقد ناقش البير اسكندر هذا الامر بمجلة المشرق (54/سنة 1960 ص 168-177) ليثبت ان الرازي قد تعلم الطب في بغداد ثم مارسه في الري .

(6) اغلب الكتاب يذكرون ان الرازي تعلم الطب على ابن ربن الطبري . إلا ان عدم توافق تواريخ حياتهما تفند هذا الخبر . وإذا كان الرازي المتوفى سنة 314 هـ / 926م بعمر يزيد على الستين قد عاصر في اوائل عمره ابن ربن الطبري المتوفي بعد سنة 236 هـ / 850م ، فقد كان الرازي آنئذ صغير العمر ولا يحتمل أن يكون قادراً على إدراك المفاهيم الطبية .

إلا من كان قد عَلِم صناعة الكيمياء)[7]. ومن الظلم ان نصف الرازي بالسيميائي لانه في الحقيقة ابعد ما يكون عن هذا الفن الفاشل ، بل هو كيميائي على الطريقة العلمية في تقسيم عناصر الكيمياء واستعمال أدواتها ، وقد انصبت تهمة الكندي عليه من هذه النافذة ، ولم يكن له إهتمام بالسيمياء اطلاقاً . ورد عليه الكندي بكتاب : في التنبيه على خدع الكيمياوين ، فقابله الرازي بكتاب : في أن صناعة الكيمياء الى الوجوب أقرب منها الى الامتناع . وقد نسب البيروني أكثر من عشرين كتاباً في الكيمياء للرازي . والرازي بأي حال أول من ادخل المستحضرات الكيمياوية كمواد عقاقيرية في مداواة المرضى .

وكانت للرازي آراء فلسفية إلا أنها لم ترفعه الى ما يوازي مرتبته في الطب . فكان طبيباً أكثر منه فيلسوفاً . وهو وابن سينا في المشرق يناظران أبن زهر وابن رشد في المغرب . وهو في الطب أشهر اطباء زمانه . قال القفطي (انه طبيب المسلمين غير مدافع) وهذا حكم لا يفضله اي تعظيم آخر . أما ابن أبي أصيبعة فقال : (إنه جالينوس العرب) . ومن سعة شهرته بين العالمين صار يطلبه الناس من كل الطبقات ومن كل الامصار فكان لهذا يكثر من التنقل بين الحواضر استجابة لحاجة المرضى إليه .

ومما يذكر عن الرازي انه شذ بفلسفته عن العرف العقائدي السائد يومئذ ، وأتصل بمنتحلي المذاهب الغريبة ، وأخذ بأفكارهم[8] ، مثل الحلاج[9] وقادة القرامطة ، وانتقد أهل السنة والمعتزلة وهادن المانويين[10] ، وعاب الاولياء والانبياء . فصار لهذا موضع نقد جارح من معاصريه واخلافه ، كالبيروني وسنان بن ثابت بن قرة وابن ميمون القرطبي ، والفارابي ، وابن الهيثم ، واحمد الكرماني ، وابن رضوان

---

(7) ابن ابي اصيبعة ص 419 .

(8) القفطي ص 271 .

(9) الحلاج ـ اسمه الحسين بن منصور . صوفي متطرف اصله من فارس ونشأ بواسط ، ثم إنتقل الى البصرة ثم استوطن بغداد . حج بيت الله ، وطاف الامصار ، ودخل الهند وكتب عنها ، قتل بأمر الخليفة المقتدر لمغالاته في الآراء الصوفية سنة 309 هـ / 922م .

(10) المانيون ـ هم اصحاب مذهب ماني بن فاتك الذي ظهر في أيام سابور ابن اردشير . وكان يقولون بنبوة المسيح (ع) دون نبوة موسى (ع) . ومبدأ هذا المذهب الديني مبني على النور والظلام . . ولهم آراء غريبة في الروح لا تقرها الشرائع السماوية . وماني من مواليد ميسان في العراق .

المصـري . وقد نسب هـذا الاخير الى الـرازي كتـاباً بـاسم مخـاريق الانبيـاء وادعيـاء الاولياء . وتصدى له بكتابه : في الرد على الرازي في العلم الالهي وإثبـات الرسـل . ويقـول ابن أبي أصيبعة حـين يذكـر ما قيـل في هذا الصـدد ان (الرازي اجـل من أن يحـاول هـذا الامـر ، وأن يصنف في هـذا المعنى) ويعتقـد أن كتـاب مخـاريق الانبيـاء مدسوس عليه . ويعتقد اخرون أنه من عمل الرازي ، ويربطون بينه وبين إنتقـال ابيه من ديـانته الاولى (المسيحيـة)[11] الى الاسلام ، ويعتبـرونها ذبـذبـة لم يستقـر بعـدهـ الـرازي على عقيـدة . كما حسب البعض أن مـوقفه الفكـري من تلك المعتقـدات قـد حرره من قيود النظرة الى الامور التي لا يجوز فيها النقاش والنقد ، وجعلته أكثر انطلاقاً في تحليل المعارف الطبية والحالات المرضية ، وبذلك بلغ القمة في فهم هذه الصناعة ، ورأيهم على اي حال مردود .

وكـان الرازي كمن يـرقب نفسه في مضـامير الانتـاج الفكـري ، ويحصي عليهـا أعمالها . فقدر لنفسه مـرتبة أعـلى من مرتبـة ارسطو في الفكـر الفلسفي ، وإلى جانب مرتبة ابقـراط في الطب[12] . وقـال بنفس الوقت ، وكـأنه يفسر ادعـاءه باعتـذار ، أن الفكر في تقدم وتـطور ، وطبيعي أن تكون أفكـاره قد بـزت أعمال السلف ، وطبيعي أيضاً ان يسبقه الخلف الى اكتشاف الجديد من المعارف والافكار[13] .

ولا يعرف كم مرة دخل الرازي الى بغـداد ، وكم استقر بهـا ؟ والخلاف الاهم من ذلـك في أنه تعلم الـطب في بغداد ام في الـري قبـل دخـولـه الى بغـداد ؟ وإذ أن المؤرخـين يربـطون تعلمه للطب بـابن ربن الطبـري (ولـو كـانـوا عـلى وهم) فـأكـثر الاحتمال أنه تعلم هذه المهنة في الري على احد شيوخها ، وتدرب في بيمارستانها[14] . فلما دخل بغداد لم يطب له العمل إلا في البيمارستان الذي فيها[15] . وربما كان دخوله

---

(11) الصفدي نكت الهميان ص 249 .

(12) دائرة المعارف الاسلامية 455/9 .

(13) المصدر السابق .

(14) قال ابن جلجل ص 77 : دبر بيمارستان الري ثم بيمارستان بغداد . وكذلك قال ابن ابي أصيبعة ص 416 .

(15) المصدر السابق .

لاول مرة في بغداد بدعوة من الخليفة المكتفي بالله وكـان ذلك في سنـة 292 هـ / 905م والرازي يومئذ بعمر الثلاثين وقيل في الاربعين . من جهة اخرى نقرأ في كتاب تجارب البيمارستان للرازي قوله ما يفيد أنه تعلم الطب في بغداد ثم رجع الى مسقط رأسـه في الري وهو كامل المعرفة بها .

وفي بيمارستان بغداد ظهرت مواهب أبي بكر الرازي الفكرية ، وكفاءته العلمية في استجلاء اسرار المهنة وأساليب تطبيقها . فتوصل الى اكتشافات لم يسبقه إليها احـد من ذوي الصناعة الطبية في ذلك الزمان .

وكان الرازي طبيباً مثالياً خبراً ومخبراً : كبير الـرأس ، مهيب الطلعـة ، وذا فكر نشط ومقدرة في الابتكار ، ويحب عمله ويحترم صناعته واطرافها من الزملاء والمرضاء ، ويمارسها لنفع الناس ، لا طمعـاً في عطائهم ، ولا خـوفاً من سلطانهم[16] . قـال بهذا الصدد :

(على الطبيب أن يطمع في شفاء مريضه أكثر من رغبتـه في نيل اجـوره . وعليه أن يفضل معالجة الفقراء على معالجة الاغنياء . ويجب أن يكون دقيقاً في تعليماته جاداً في نفع السواد الاعظم من الناس)[17] .

كما كان الرازي عارساً ناجحاً ، يفهم الطبـائع البشـرية ، والاسـاليب التي يجب أن يسلكها مع المرضى قال في ذلك :

(يجب على الطبيب ان يوهم المريض أبـداً الصحة ، ويـرجيه بهـا وإن كان غـير واثق بذلك . فمزاج الجسم تابع لاخلاق النفس)[18] .

وكانت نصيحته للمرضى أن يقتصروا على استشارة طبيب واحد ممن يثقون بـه ، وقال في ذلك :

(فخطأه في جانب صوابه يسير . ومن تطبب عند كثيرين من الاطباء يوشك أن

---

(16) ابن ابي أصيبعة 426 .

(17) الرازي ـ الفصول من 124 .

(18) ابن ابي أصيبعة ص 420 .

يقع في خطأ كل واحد منهم)[19] .

ونلاحظ في أقوال الرازي أفكاراً جديدة في ممارسة الصنعة ، ونغمة رنانة في التعبير عنها لم نألفها في كتاب فردوس الحكمة لابن ربن الطبري ، وسوف نرى أننا لن نلمسها أيضاً في كتب المجوسي أو ابن سينا ، وهم المؤلفون الثلاثة الذين تصح المقارنة فيما بين مؤلفاتهم الطبية . كما نلاحظ في بعض أقوال الرازي نكهات فلسفية . وكما قيل عن ابن سينا أنه فيلسوف الاطباء ، قيل أيضاً عن الرازي أنه الطبيب الفيلسوف .

وقال الرازي في فلسفة الطب :

(الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بما تنصه الكتب دون أعمال الماهر الحكيم برأيه ، خطر)[20] .

وقال في استعمال الادوية :

(العمر قصير عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض فعليك بالاشهر مما اجمع عليه ، ودع الشاذ ، واقتصر على ما جربت)[21] .

ومن هذه المأثورة نفهم أن الرازي كان يمارس الطب على طريقتي القياس والتجربة . ويؤكد على فائدة الجمع بين الطريقتين فيقول :

(متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس خذل)[22] .

ولم يكن الرازي ممارساً ناجحاً فحسب ، بل كان أيضاً يمارس تعليم المهنة بطريقة ربما تكون حديثة يومذاك ، (كان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ آخرون . وكان يجيء المريض فيصف ما يجد (أي ما يشكو منه) لاول من يلقاه منهم ، فإن أصابوا ، وإلا تكلم الرازي في ذلك) ، (ابن النديم

---

(19) ابن ابي أصيبعة ص 421 .
(20) المصدر السابق ص 420 .
(21) المصدر السابق .
(22) المصدر السابق ص 421 .

299 ، والقفطي 273) . ومن هذا نفهم أن تلاميذه كانوا يتحلقون حوله بصفوف على مراتب ، وإن الصف الاول هو الذي يبدأ بفحص المريض . فإذا عجز عن تشخيص المرض قام الرازي بما يجب من فحص وتشخيص . أما صفوف التلاميذ الاخرى فتكون من المستمعين .

وينصح الرازي تلاميذه قائلاً :

(إن كنت معنياً بالصناعة ، وأحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك شيء ما أمكن ، فأكثر جمع كتب الطب جهدك . ثم أعمل لنفسك كتاباً تذكر فيه كل علة ما قصر الكتاب الآخر وأغفله في كل نوع من العلل . . . فيكون ذلك كنزاً عظيماً وخزانة عامرة ، حافظاً على الذكر ومسهلاً لتناول ما تريد منه أن شاء الله)[23] .

ومن الطبيعي ان يطبق الرازي على نفسه هذه النصيحة ، فأكثر من اقتناء الكتب الطبية ، ودوّن ما قرأ فيها من جديد عليه ، أو مهم في الصناعة ، وما سمعه من معاصريه ، فصار من مدوناته هذه كتاب الحاوي في الطب ، كما سنرى .

وقال أيضاً :

(ليس يكفي في احكام صناعة الطب قراءة كتبها ، بل يحتاج مع ذلك الى مزاولة المرضى . إلا أنه ان قرأ الكتب ثم زاول المرضى يستفيد من التجربة كثيراً . ومن زاول المرضى من غير أن يقرأ الكتب يفوته ويذهب عنه دلائل كثيرة ولا يشعر بها البتة ، ولا يمكن أن يلحق بها في مقدار عمره . ولو كان أكثر الناس مزاولة للمرضى ، ما يلحقه قارىء الكتب مع ادنى مزاولة)[24] .

وقال أيضاً :

(إن استطاع الحكيم أن يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وافق العادة)[25] .

وله أيضاً :

---

(23) الرازي - الفصول ص 124-125 .

(24) المصدر السابق ص 119 .

(25) ابن ابي أصيبعة ص 421 .

(إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً فما أقل لبث العادة)[26] .

ويقول في مداراة المريض ودراسة أحواله المرضية :

(من أبلغ الاشياء فيما يحتاج إليه الطبيب في علاج الامراض بعد المعرفة الكاملة بالصناعة ، حسن معاملة المريض وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب العليل وملاحظة أحواله . وذلك انه ليس كل عليل يحسن أن يعبر عن نفسه . وربما كان بالعلة من الغموض ما لا يتهيأ للعليل ، ولو كان عاقلاً)[27] .

من جهة اخرى كان الرازي حذراً غاية الحذر من أن يأخذ على عاتقه المسؤولية الكاملة في علاج المريض ، وخصوصاً في الحالات المرضية الخطيرة ، أو في الظروف العصيبة . وهو نهج طبي ناجح ، وعلمي خالص . فاستشارة الزملاء (Consulta-tion) لاشراكهم في المسؤولية ، أو للحصول على رأي ثان جديد او معاضد في التشخيص أو التداوي ، لا ينقص من قدر الطبيب المعالج . ولا يرفض هذه الاستشارة غير المغرورين والضحلين في الممارسة الطبية ومعرفة أصولها ، ومزاولة آدابها . امتنع الرازي عن فصد مريض كان بحالة لا ينقذها من الموت إلا هذه العملية ، وذلك لانه لم يجد الى جانبه طبيباً آخر يؤيده على ضرورة الفصد . ويقول الرازي أنه لذلك خدش أنف المريض من الداخل ليهدر قليلاً من دمه ، وشيء خير من لا شيء . ويقول أيضاً أنه لم يجرؤ على خدش أنفه مرة أخرى حين تدهورت صحته في اليوم الثالث ، خوفاً من العامة والرعاع ، وسقاه بدلاً من ذلك ماء الشعير[28] .

ويبدو من كتابات الرازي ان انتحال صناعة الطب ، والدجل في ممارستها كان شائعاً في زمانه . فلم يرق له هذا الامر واعتبره تدنيساً لقدسية المهنة ، واعتداء على مصالح الناس . فحارب الدجالين من الاطباء ، وشهّر بالاعيبهم ، وكشف عن سوآتهم في مداواة المرضى . وقال في مخاريق هؤلاء المدعين الشيء الكثير عن أعمالهم

---

(26) الرازي ـ الفصول ص 122 .

(27) المصدر السابق ص 121 .

(28) اسكندر ـ مجلة المشرق 1960/54 ص 421عن مخطوطة بمكتبة بودليانا باكسفورد ص 240 .

التي يـوهمون بهـا بسطاء النـاس من حيث لا يعرفـون الاضرار الجسيمـة التي يلحقونها بأبدانهم ، فقال فيهم :

(منهم من إذا استخرج حصاة من المثانة ، يقنـع المريض بـوجود حصـاة أخرى فيها ، واحيانـاً فانهم يقـومون بقثـطرة المثانـة ، في حين أنهم جهـلاء لا يستطيعـون أن يعـرفوا هـل الحصاة مـوجودة أم لا ؟ واذا هم لم يجـدوا الحصاة يهيئـون حصـاة اخـرى فيوهمون بها أنها الحصـاة التي استخرجوها . وأحياناً يضعون الشرج لمعالجة البواسير ، ثم يعيدون العملية مراراً إلى أن يتكون ناسور أو قرحة ، في حـين أنه لم يكن شيء من ذلك قبل العملية)[29] .

كما كان الرازي يشكو ، بالمقابل ، من المرضى . لانهم يفترضون في الـطبيب أن يعرف شكواهم ويشخص أمراضهم بمجرد النظر إليهم ، فلا مسائل ولا تسـاؤل ، ولا فحص بـول ، ولا الكشف عن البـطن ومـا إلى ذلـك ممـا يقتضيـه الفحص الـطبي الاصولي .

وقال في ذلك :

(من الامور التي تجعل الناس ينقلبون على الطبيب الحاذق ، وتدفعهم الى وضع ثقتهم بالدجالين ما يتوهمونه من أن الطبيب واقف على كل شيء ، فلا يحتـاج الى القاء الاسئلة . فاذا نظر بول المريض او جس نبضه يتوقع الناس منه أن يعرف ما أكله ذلك المريض ، أو ما كان يقوم به من الاعمال) .

وكـان الـرازي يعتبـر (جهـالـة المـريض بهـذا الاسلوب « أي اسلوب الفحص السريري) سببـه قلة الثقة بـالطبيب ، ووقـوفهم خصماً لـه) والالتجاء الى المشعـوذين الذين يجيدون الكذب على ذقون المرضى .

وفي مجـال الابتكار ، يعتبـر الـرازي أول من وصف الجـدري والحصبـة بشكـل علمي شامل مانع ، وفرق بينهما سريرياً . وكتاباته في هذا الموضوع من المع أعمـاله في الطب . بل هي من مفاخر الطب العربي عموماً .

---

(29) المصدر السابق ص 487-489 .

وكان من سعة ممارسة الرازي في الصناعة ، وتمكنه منها ، وثقته بنفسه فيها ، أن انتقد بعض أفكار جالينوس . ومن له الجرأة ان ينتقد يومئذ هذا الطبيب اليوناني العظيم فقد أرتي علماً كثيراً . كما تكلم عن أوهام الاطباء في فحص البول لمعرفة كون المريض رجلاً أم امرأة ، أو صبياً أو شيخاً ، أو خصياً . وأعتبر هذا العلم هراء لا يليق بأفاضل الاطباء ، ودعا ان لا تدخل هذه الامور في امتحان تلاميذهم[30] . وفي كتابه (محنة الطبيب) يبحث في الاسئلة اللائقة والمهمة التي يجب أن يوجهها الاطباء المتحنون لاختبار الاطباء عن إلمامهم بالصناعة ، وهو الكتاب التراثي الوحيد الذي يبحث في هذا الموضوع .

أما كتاب محنة افضل الاطباء لجالينوس ، وكتاب محنة الطبيب لابن ماسويه فيعدان من المفقودات ، وكانا من مصادر كتاب الرازي الذي ذكرناه .

لقد وصل الرازي الى المرتبة الرفيعة كعالم وممارس بصناعة الطب عن طريقين هما لا يزالان اساس شهرة الاطباء ونجاحهم في المهنة الى الوقت الحاضر ، الطريق الاول هو البحث العلمي بالتجربة على الحيوان والانسان وتسجيل التطورات السريرية على المرضى . وقد ساعدته معرفته في الكيمياء على استعمال موادها ودراسة تأثيراتها على الجسم . قال :

(أما الزئبق العبيط فلا احسب أن له كثير ضرر إذا شرب ، أكثر من وجع شديد في البطن والامعاء ، ويخرج بهيئته . . . وقد سقيت أنا منه قرداً كان عندي فلم أره عرض له إلا ما ذكرت ، وخمنت ذلك من تمليه وقبضه بفمه ويديه على بطنه . . ثم يقول . . أما المقتول ـ من الزئبق ـ والصاعد خاصة فإنه قاتل)[31] .

وكان من مشاهداته السريرية وملاحظاته الدقيقة على ما يطرأ على المريض في دورة المرض ما جعله يفرق بين العرض والمرض ، وما بين أنواع الحميات بالرغم من

---

(30) المصدر السابق ص 499-500 .

(31) الفصول للرازي ـ تحقيق اسكندر ص 145-146 . نقلاً عن مخطوطة للرازي في مكتبة بودليانا ص 138-140 وفي مكتبة الجامعة بكمبرج ص 177وظهر نفس الصفحة ، ومخطوطة اخرى ص 122،123 .

ان هـذه الحالات المرضية كـانت ، وبقيت في زمانـه ، من الامور الـطبية التي يصعب إدراك سببها ، وتصنيف أنواعها . ومحاولة التفريق بين المرض والعرض يومئـذ ثورة في الممارسة الطبية لم يجرأ احد من معـاصري الـرازي أو ممن سلفوه عـلى الكلام فيهـا إلا بحذر . أما الطريق الثاني الـذي قاد الـرازي الى مركـزه العلمي المتميز في الـطب فهو إهتمـامه بـالعلوم الاساسيـة وهي التشريـح ووظائف الاعضـاء . قـال في كتـاب محنة الطبيب :

(فأول ما تسأل عنه : التشريح ، ومنافع الاعضاء . وهل عنده علم بالقياس ، وحسن فهم ، ودراية في معرفة كتب القدماء . فإن لم يكن عنده ذلك فليس به حاجـة الى امتحانه في المرضى)[32] .

من هذا نفهم أهمية العلوم الاساسية في الطب في نظر الرازي ، حتى أنه جعلهـا وحدها تقـرر مصير من يتقـدم الى الامتحان . كـما يفهم من النص المتقدم ، إن عـدم نجاحه في العلوم الاسـاسية ، لا يكفيـه لاجتياز الامتحـان وحصول الاجـازة لممارسـة الصنعة . كذلك كان الـرازي يولي التـراثيات اليـونانيـة إهتمامـاً خاصـاً ويعتبرهـا من مقومات مهارة الطبيب الممارس .

ويروى ان الرازي أصيب في أواخر عمره بالعمى بمرض السـاد ، فنصحه احـد الكحالين بقدح عينيه . فسأل الرازي ذلـك الكحال عن طبقـات العين فلم يعـرفها ، فغادره الرازي وهو يقول : لا يقدح عيني من لا يعلم ذلك ، وأبقى الرازي على الساد في عينيه وهو يردد : قد نظرت من الدنيا حتى مللت[33] . وفي هذه الحكاية توكيد على

(32) اسكندر ـ مجلة المشرق 54/سنة 1960 ص 524منقول عن مخـطوطة كتـاب محنة الـطبيب للرازي (بودليانا ، 561 شرق ، ص 212) .

(33) القفطي ص 277 ، ابن ابي أصيبعة ص 420 ، ابن العبري ص 158 (في المرض الذي اصاب عين الرازي روايات منها أنه أصيب برطوبة العين لانه كان يكثر من قراءة الكتب (كـراوس ـ رسائـل فلسفية) . وقيل من أكل الباقلاء (ابن ابي أصيبعة ص 416 والقفطي ص 273) . كما قيل بـسبب ابخرة العقاقير المستعملة في صناعة الاكسير (البيهقي ـ فلاسفة الاسلام 21) ورواية اخرى هي أن الرازي كتب لابي صالح منصور بن نوح السامـالي المتوفي سنـة 350 هـ / 961م كتابـاً في الكيمياء فطلب منه هذا الملك ان يطبق النظريات الواردة فيه ، فلما اخفق الرازي في ذلك غضب عليه وقال له : ما اعتقدت ان حكيماً يرضى بتخليد الكذب ويشغل بها قلوب النأس ويتعبهم فيـها لا فائـدة

نعرة الرازي العلمية ، وكبير اعتماده على العلوم الاساسية في الطب التي أشرنا اليها قبل قليل . وهي خلة لا نلمسها إلا في أعاظم الاطباء الاوائل . وهي بعينها النظرة الحديثة الى ضرورة العلوم الاساسية لفهم وتطبيق العلوم السريرية على الوجه السليم .

توفي الرازي في حوالي سنة 313 هـ / 925م وقيل قبل هذا التاريخ بخمس سنوات ، وقيل بعده بخمس سنوات ، وقيل غير ذلك أيضاً . كما قيل أنه لاقى حتفه بوتر عوده[34] ، وكان يومذاك قد تجاوز الخامسة والستين من عمره .

يعد الرازي من أعاظم الاطباء فهماً للعلوم الطبية ، وأكثرهم في الابتكار بمواضيعها ، ومن أوسعهم في ممارسة فنونها ، وأغزرهم في الكتابة بها . وهو بين عمالقة الطب عموماً من البارزين الخالدين .

أعمال الرازي في التأليف[35] :

كتب الرازي تزيد على مائتين والثلاثين كتاباً في مختلف المعارف ، جمع أكثرها ابو الريحاني البيروني[36] في رسالة حققها ونشرها المستشرق كراوس [37]سنة 1936م وكتبه

منه . وأمر بضربه على رأسه بالكتاب الذي وضعه في الكيمياء ، فنزل من جراء ذلك ماء في عينيه (الصفدي نكت الهميان 249) وقد تكون جميع هذه الروايات صادقة معاً ، فكانت في عينيه في الاصل رطوبة ، فاختلط معها الكاتارا كت (الساد) بسبب الضرب على رأسه .

(34) رسالة البيروني تحقيق بول كراوس ابن العبري ص 58 ، ابن ابي أصيبعة ص 420 .

(35) قائمة كتب الرازي في تأريخ الحكماء للقفطي ص 272-277 والعيون لابن ابي أصيبعة ص 421-427 . وله ترجمة كتبها الدكتور نجم ابادي ونشرها سنة 1318 هـ وقد بلغ عدد المؤلفات فيها 250 كتاباً ، وتفصيل مؤلفاته أيضاً في

Sezgin, 3/280-294

(36) البيروني ـ مؤرخ وعالم في الطبيعيات . هو ابو الريحان محمد ابن أحمد البيروني ولد بخوارزم سنة 362 هـ / 973م وينسب اسمه إليها . عاصر الغزنويين في خراسان والهند . ودخل الهند وكتب عنها واستقر بغزنة ، وفيها الف كتبه الكثيرة في الفلك والرياضيات والتأريخ والطب وغيرها . توفي سنة 448 هـ / 1048م . وقد ذكر البيروني للرازي ست وخمسين كتاباً في الطب ، وثلاث وثلاثين كتاباً في الطبيعيات ، وثمانية كتب في المنطق ، وعشرة كتب في الرياضيات وستة في الميتافيزيقيا ، وأربعة =

في الطب هي الغالبة فيها . وأكثرها فائدة ، وأشهرها مما بقي منها إلى اليوم . من هذه الكتب الطبية :

(1) كتاب المنصوري ـ وضعه الرازي لصديقه الامير منصور بن اسحاق بن أحمد بن أسد والى السامانيين على الري (290-296 هـ / 902-908م) ونسبه الى اسمه . والكتاب بعشر مقالات :

المقالة الاولى : في التشريح والفسلجة .

المقالة الثانية : في الاخلاط والطبائع البشرية ، وفي هذه المقالة فصل في شراء العبيد .

المقالة الثالثة : في الادوية والاغذية .

المقالة الرابعة : في حفظ الصحة .

المقالة الخامسة : في الامراض الجلدية وتجميل البشرة .

المقالة السادسة : في تدبير المسافرين .

المقالة السابعة : في صناعة الجبر والجراحات والقروح .

المقالة الثامنة : في السموم والهوام .

المقالة التاسعة : في الامراض العارضة وتداويها .

المقالة العاشرة : في الحميات وعلاجها .

وقد اخذ الرازي في هذا الكتاب ، كما يأخذ اي مؤلف من قدامى المؤلفين ، عن ابقراط وجالينوس وبولس الاجيني ومن غير هؤلاء ايضاً . وصار الكتاب لحسن

= عشر كتاباً في علم الكلام ، وثلاثة وعشرين كتاباً في الكيمياء ، وعشرة كتب في شرح كتب أخرى ، وعشرة كتب في علوم متفرقة .

(37) كرواس Kraws واسمه الاول بول درس العلوم الشرقية في برلين وصار احد الاساتذة في جامعتها ثم انتدب لتدريس اللغات السامية بجامعة القاهرة . توفي منتحراً بالقاهرة سنة 1944 وهو بعمر لا يتجاوز الاربعين .

تبويبه ، وقلة الخلط بين مواضيعه ، وصغر حجمه بالنسبة لكتاب فردوس الحكمة لابن ربن الطبري الذي كان يومئذ الكتاب الوحيد بأيدي الدارسين ، من أفضل الكتب للمتعلمين .

وترجم كتاب المنصوري الى اللاتينية من قبل جيرارد الكريموني (1134-1178 م) ، وطبعت الترجمة في ميلانو سنة1481م . ونشر راسكة (Reiske)[38] النص العربي هاله بالمانيا سنة1776م . ومن مخطوطة النص العربي واحدة في المجمع العلمي ببغداد ، ومكتبة باريس وأيا صوفيا ، وبودليانا بأكسفورد . ومخطوطة منه بالعبرية بدر سدن . والمقالة التاسعة منه في كلية الطب ببغداد .

(2) رسالة في العلل المستكملة التي لا يقدر الاعلاء أن يعبروا عنها ، ويحتاج الطبيب الى لزوم العليل وإلى استكمال بعض التجربة لاستخراجها والوقوف عليها .

(3) كتاب تقسيم العلل ـ ويسمى أيضاً كتاب التقسيم والتشجير ، وعنوانه يوحي بمضمونه . ترجمه جيرارد الكريموني الى اللاتينية . ومخطوطته العربية في المتحف البريطاني ومالك والمجلس بطهران . وبالصيغة العبرية في شتاينشنايدر .

(4) الفصول او المرشد ـ وضعه الرازي معارضة لكتاب الفصول لابقراط الذي اعتبره (غامضاً ومختلطاً وعديم النظام ، وأنه مقصر عن ذكر جوامع الصناعة كلها)[39] . مخطوطته في أيا صوفيا ، وطلعت بدار الكتب المصرية ، ومالك بطهران ، وباسل بحلب . ويتضمن كتاب الفصول عرضاً رائعاً للمبادىء الطبية وعلل الامراض ومعالجتها بحسب الأسباب ، وتعليمات في ممارسة الصنعة . فتكلم المؤلف في الاسطقسات ، والامزجة ، والاهوية ، والمياه ، والاغذية ، وفي الرياضة ، والحمام ، والنوم ، وفي الامتلاء ، وفي الادوية المسهلة ، والادوية المقيئة ، وفي الشراب ، والجماع ، وتركيب الادوية . وفي أسباب الامراض وعلاماتها وأعراضها . وفي البول والنبض والتنفس ،

---

(38) رايسكة ـ من اوائل المستشرقين الالمان . درس اليونانية واللاتينيه بجامعة هالة بالمانيا (1728-1732) ، والعربية دون معلم في ليبزج (1732-1738) .
له أعمال كثيرة في تراجم العلماء العرب والمسلمين . توفي سنة 1774 م .

(39) الرازي ـ الفصول ، تحقيق البير اسكندر ص 18 .

والبحـران ، والحميات ، وفضـول المعدة والـطحال والامعـاء والكلى والارحـام . كـما تطرق الى الفصد وطرق العلاج الاخرى .

وفي الكتاب أيضاً نـظرات وأفكار جـد مبتكرة في الـطب ، لم يأت بمثلهـا طبيب سبق الرازي أو عاصره . وفيه حكم طبية ذات نكهة فلسفية تدل عـلى سيطرة الـرازي وتمرسه الواسع بهذه الصناعة ، وإدراكه العميق لاسرارها وفنونها . وفي إنشاء الكتـاب وعباراته اقتضاب غير مخل ولا ممل ، وهي الموضوعية التي تبرز في شخصيـة الرازي اذا تكلم او إذا كتب . وهي أيضاً صفة العلماء العظام .

حقق كتاب الفصول البير اسكندر ونشره سنة 1961 م في مجلة معهد المخطوطات العربية التي تصدرها جامعة الدول العربية .

(5) الحاوي في الطب ـ وهو موسوعة ضخمة في الطب ، جمع الرازي مادتها مما كان يقرأه في كتب الاقدمين والمعاصرين ، وما يسمعه من الممارسين . وكـان يشير ازاء كل ما يذكره في الكتاب الى المصدر الذي اخذ عنه ، فتكرر فيه ذكر ابقراط وجالينوس واورباسيوس وابن ربن الطبري ، وروفس ، وبولس الاجيني ، وابن سرابيون ، وابن مـاسويـه ، وسابـور بن سهل ، ومسيـح الدمشقي ، وأهـرن القس ، ومـاسـرجـويـه البصري . وكان يشير الى هذا الاخير باليهودي . كما أخذ عن آخرين كثيرين ربما نسي اسماءهم أو اين قرأ عنهم ، فأشار اليهم بكلمة (مجهول) كما ادخل في الكتـاب الكثير مما استخلصه من ممارساته الخاصة ، وأشار الى ذلـك بكلمة (لي) وكثيـراً ما يشـير الى كتـاب أو فصل من كتـاب دون نسبتها الى مؤلفـه . وكثرة المصـادر باسـماء المؤلفات أو أسماء مؤلفيها تعكس وفرة المراجع المتوفرة للباحثين في هذه الصناعة . وقد وجد محمـد بن العميـد مدونـات الكتاب لـدى (اخت ؟) الرازي فـاشتراهـا منها ودفعهـا الى من يفهم هذه الصنعة ، فجمـع منها الكتـاب الذي نعـرفه بـاسم الحاوي في الـطب[40] ، المطبوع منه بثلاثة وعشرين جزءاً . وربما كان اسم الكتاب من وضع من جمع مسوداته الاولى لا من وضع الرازي . وعلى كل حال فان التسمية ناجحـة ، وإن الكتاب حـاو لكل الفنون الطبية مـا عدا العلوم الاسـاسية (الكليـات) . والجديـر بالـذكر أن اسم

---

(40) ابن ابي أصيبعة ص 421 ، زيغريد ـ شمس العرب ص 248 .

كتاب الحاوي لم يرد ذكره في أي من مؤلفات الرازي ، وقد يؤيد ان الاسم ليس من وضع الرازي كما اسلفنا ، أو أنه كان آخر مؤلفاته .

وقد حصل اليهودي الصقلي فرج بن سالم Ferragius المتوفى سنة 685هـ / 1286 م على نسخة من كتاب الحاوي ونقلها الى اللاتينية سنة 1279 م وصارت هذه الترجمة احدى تسعة كتب لتدريس الطب بمكتبة باريس حتى سنة 1395 م . وطبعت الترجمة المذكورة في البندقية سنة 1905 م . ووجدت مخطوطات أجزاء الكتاب متفرقة بين مكتبة احمد الثالث ، وميونخ ، ودار الكتب المصرية ، والمتحف البريطاني ، وبودليانا باكسفورد ، والظاهرية بدمشق ، والاسكوريال (وهي النسخة الوحيدة الكاملة) ، وبطرسبورغ ، والموصل ، وجار الله ، وبرنستون ، وسراي والسليمانية باستانبول ، وشهيد علي ، والمشهد الرضوي ، ورامبور ، ومدريد . وقد جمعت دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد هذه الاجزاء وطبعتها في الدكن سنة 1960 م بثلاثة وعشرين جزءاً :

أما اختصاصات هذه الاجزاء فهي :

الجزء الاول ـ في أمراض الرأس العضوية والنفسية .

الجزء الثاني ـ في أمراض العين ومداواتها .

الجزء الثالث ـ في أمراض الانف والاذن والحنجرة .

الجزء الرابع ـ في أمراض الرئة ومداواتها .

الجزء الخامس ـ في أمراض المرىء والمعدة وأعراضها ومداواتها .

الجزء السادس ـ في الاستفراغات والهزال وطرق العلاج فيها .

الجزء السابع ـ في أمراض القلب والكبد والطحال والثدي وتداويها .

الجزء الثامن ـ في قروح الامعاء وأعراضها وتداويها .

الجزء التاسع ـ في الامراض النسائية والولادة .

الجزء العاشر ـ في أمراض الكلى والمثانة وتداويها .

الجزء الحادي عشر ـ في البواسير وديدان البطن وتداويها .

الجزء الثاني عشر ـ في السرطان والاورام والدمابيل والدبيلات .

الجزء الثالث عشر ـ في الرض والفسخ وعلاجها .

الجزء الرابع عشر ـ في الحميات والقيء والبراز والادوية المستعملة لها .

الجزء الخامس عشر ـ في الامراض الحادة والحميات ، وأعراضها وتداويها .

الجزء السادس عشر ـ في الدق والذبول وأسبابها والادوية المستعملة لها .

الجزء السابع عشر ـ في الجدري والحصبة والطواعين .

الجزء الثامن عشر ـ في البحران .

الجزء التاسع عشر ـ في البول والعلامات الدالة منه على الامراض .

الجزء العشرون ـ في الادوية المفردة (قسم 1) .

الجزء الواحد والعشرون ـ في الادوية المفردة (قسم 2) .

الجزء الثاني والعشرون ـ في الصيدلة .

الجزء الثالث والعشرون ـ في قوانين استعمال الادوية والاشربة .

وكتاب الحاوي على العموم مؤلف ليس كالمؤلفات الطبية المألوفة من حيث التبويب والشمول ، فهو اشبه بمؤشرات في الاقسام العملية من الطب . وليس فيها من العلوم الاساسية الا الشيء اليسير وقد يكون الرازي وضعه لنفسه لا لنشره . قال عنه المجوسي المتوفى سنة 384 هـ / 994م ، اي بعد ما يزيد على نصف قرن من وفاة الرازي : (. . أما كتابه المعروف بالحاوي فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاج اليه المتطببون من حفظ الصحة ومداواة الامراض والعلل التي تكون بالتدبير والاغذية وعلاماتها . ولم يغفل عن ذكر شيء مما يحتاجه الطالب لهذه الصناعة من تدبير الامراض والعلل ، غير أنه لم يذكر فيه شيئاً من الامور الطبيعية كعلم الاسطقسات والامزجة والاخلاط وتشريح الاعضاء والعلاج باليد (الجراحي) ، ولا ذكر ما ذكره من ذلك على ترتيب ونظام ، ولا على وجه من وجوه التعليم ، ولا جزأه بالمقالات والفصول

والابواب على ما يشبه علمه ومعرفته بصناعة الطب وتصنيف الكتب . والـذي يقع لي من أمـره أو اتوهمـه على مـا يوجبـه القياس من عمله وفهمـه في هـذا الكتـاب احـدى الحالتين : أما أن يكون وضعه وذكر فيه ما ذكر من جميع لحلم الطب ليكون تـذكرة لـه خاصة يرجع اليه فيما يحتاج اليه من حفظ الصحـة ومداواة الامـراض عند الشيخـوخة ووقت الهرم او النسيان أو خوفاً من آفة تعرض لكتبه فيعتاض منها بهذا الكتاب)[41] .
وقد أصاب المجوسي في تعليل وضع الرازي لكتاب الحاوي بـذلك الاسلوب الغـريب الذي لم يألفه كتاب العرب في ذلك الزمان .

وقد سبق أن ذكرنا وصية الرازي لمحترفي صنـاعة الـطب فيما يخص جمـع الكتب وتدوين ما يقال ويكتب عن الامراض وطـرق علاجهـا لتكون هـذه المدونـات مرجعـاً يسهل الرجـوع إليها عنـد الحاجـة . وواضح ان الـرازي قد اردف القـول بالعمـل ، فكتب لنفسـه المـدونـات التي صـار منها كتـاب الحـاوي . إلا أن الكتـاب لضخـامـة حجمـه، وأسلوب كتابته، في عرض الأمراض وتداويهـا لم يجتذب القـراء لاستنساخـه، فبقي تداوله محصوراً بين الموسرين وهواة جمع الكتب . وقـد تداول الممـارسون صـوراً مختصـرة منه كـانت واحدة منها باسم (منتخب أبي الحسن عـلي بن عبدالله القـرشي) ومخطوطته في لايـدن ، وأخرى لابن رشـد ، ومختصر آخر عمله ابن التلميـذ البغدادي ومخطوطته في مديتشي .

أما كتاب الحاوي بالنسبة لقرائه في الوقت الحاضر ، فأنه بالاضافة الى ما فيه من معلومات غزيرة عن طرق علاج المرضى في ذلك الزمان ، والادوية المفردة والمركبة التي استعملت فيها ، فأنه أيضاً مصدر غزير لمعرفـة ما كتبـه الاطباء الآخـرون الذين أخـذ الرازي عن كتبهم التي تعتبر اليوم من المفقودات . فلولا كتاب الحاوي لمـا عرفنـا شيئاً عن مضامين تلك الكتب التي لم تتطرق لها التراثيات العربية الاخرى ، ولا وجدت لها صيغ لاتينية أو عبـرية ، بـل ان بعض تلك الكتب التي اخذ عنهـا الرازي لم تكن قـد وردت اسماؤها في اي كتاب غير الحاوي . ويعتبر كتاب الحاوي على هذا الاسـاس ما يزال بكراً لم يعمل به البحاثة باهتمام وشمول ودقة . والمحاولات القليلة التي تمت بهذا الخصوص لم تنتبه بجد الى مؤشرات الرازي ، ولا تابعت اتجاهاتها لتصل الى مـا يهدف

(41) المجوسي ـ كامل الصناعة 7/1 .

إليه ذلك المؤلف الكبير ، ولا عملت على تجميع المعلومات المنقولة من الكتب القديمة الى صفحات الحاوي ليكون منها تلك الكتب الاصل المفقودة أو ما يقاربها .

(6) كتاب في الحصبة والجدري ـ يتضمن هذا الكتاب اربعة عشر باباً . ذكر فيه الرازي أن سبب هذا المرض هو خميرة في الدم شبيهة من حيث تكوينها وعملها بخميرة النبيذ . وما أقرب نظرية الرازي هذه الى فعل فيروس الجدري الذي لم يكتشف إلا في منتصف القرن الثامن عشر . ومخطوطة الكتاب بمكتبة لايدن ، وشهيد علي ومجلس طهران والازهر وغير هذه المكتبات . وقد نشرت في لندن سنة 1766 م .

ويعتبر المستشرقون ما كتبه الرازي عن الحصبة والجدري زينة ما كتبه العرب في الطب . ترجم الكتاب الى اللاتينية سنة 1491 م ، والى الانكليزية سنة 1847م ، والى الالمانية سنة 1911 م ، والى الفرنسية سنة 1862م وطبع الاصل ما بين سنة 1498 و1866 م اربعين مرة .

(7) كتاب الفرق بين الامراض (مكتبة ويلكم بلندن ، ومالك ونجم آبادي بطهران) .

(8) كتاب برء ساعة ـ ويبحث في الامراض التي يحتمل شفاؤها بسرعة . كتبه للوزير ابي القاسم عبيد الله ؛ (مكتبة برلين ، وباريس ، ورامبور ، وكمبرج ، ولايدن ، وبطرسبورغ ، وشهيد علي ، والجمعية الاسوية بالبنغال ، والخالدية بالقدس ، والآصفية ، وميونخ ، وبول سباط ، وبيروت) وله مختصر بمكتبة غوته ، والجزائر ولايدن . ترجم الكتاب الى الفارسية والهندية والفرنسية . وطبع النص العربي بالقاهرة سنة 1936 م .

(9) كتاب الفاخر ـ ينسب هذا الكتاب للرازي ، وجله مأخوذ من كتابه التقسيم والتشجير ، وكناش ابن سرابيون (مكتبة برلين ، ولايدن ، وباريس ، وبطرسبورغ ، والاسكندرية . وباسم كناش في نور عثمانية وشهيد علي) .

(10) المدخل الى الطب ـ وقد نشرته جامعة سلمنقة بأسبانيا سنة 1975 م .

(11) كتاب سر الاسرار (كلية طب بغداد واعتقده منحولاً على الرازي) .

(12) كتاب الطب الملوكي - في علاج الامراض بالاغذية ودس الادوية فيها وقد رفعه الى علي بن يهوذان صاحب طبرستان (دار الكتب المصرية ، ولايدن ، والتيمورية ، والاسكوريال ، ودانشكاه بطهران) .

(13) كتاب في هيئة الكبد .

(14) كتاب في هيئة الانثيين (الخصيتين) .

(15) كتاب في هيئة الكلية .

(16) كتاب في هيئة العين .

(17) كتاب في الخيار المر .

(18) كتاب في الحصى المتولدة في المثانة (مكتبة لايدن ، وعقاب بحلب) ، وقد ترجم الى الالمانية .

(19) كتاب من لا يحضره طبيب - ويسمى أيضاً طب الفقراء . ويتضمن معلومات في الاسعافات الاولية (مكتبة منجستر ، ورامبور ، ولايدن ، والمتحف العراقي وباتافيا) وقد طبع الكتاب في لكنو سنة1886 م .

(20) كتاب في الفصد والحجامة - اربع عشرة مقالة (دانشكاه ، والمجلس بطهران) .

(21) كتاب في الفالج (ماشطة بحلب ، وبول سباط) .

(22) منافع السكنجبين ومضاره (المجلس بطهران).

(23) كتاب في الزكام والنزلة (الآصفية) .

(24) كتاب الباه (أيا صوفيا ، ولايدن وطلعت بالقاهرة ، ومشهد ، والمجلس بطهران ، والموصل . وفي مكتبة الجراح بحلب باسم كتاب الباه ومنافعه ومضاره ومداواته) .

(25) اقرباذين (بودليانا باكسفورد ، ومالك بطهران) .

(26) مقالة في صناعة الطب (دار الكتب المصرية ، وأيا صوفيا ، وجـار الله ، وأوبالا . وفي برنستون باسم تذكرة في صناعة الطب . وفي مكتبة طلعت بـدار الكتب باسم رسالة في صناعة الطب) .

(27) الطب الروحاني ـ ويعرف بطب النفوس (مكتبة الفاتيكان والمتحف البريطاني) . وقد نشرته كلية الآداب جامعة فؤاد الاول بتحقيق بـول كراوس (بـدون تأريخ) . وأعيد طبعه عدة مرات .

(28) كتاب في كيفية الاغتذاء ـ وهو جوامع لذكر الادوية المعدنية .

(29) كتاب في انتقاء الادوية المركبة .

(30) كتاب في الجبر وكيف يسكّن الم ، وعلاقة الحر والبرد فيه .

(31) كتاب في الشراب ـ مقالتان (مكتبة المجلس بطهران ، ونجم أبادي) .

(32) مقالة في ما ينبغي ان يقدم من الاغذية والفواكه وما يؤخر منها (أيا صوفيا باسم تقديم الفاكهة قبل الطعام ، وشهيد علي ، والاسكوريال باسم ترتيب أكل الفاكهة ، ومدريد) .

(33) كتاب في هيئة المفاصل .

(34) كتاب في هيئة الصماخ .

(35) رسالة في الماء المبرد على الثلج .

(36) كتاب اطعمة المرضى (مكتبة مشهد ونجم آبادي) .

(37) كتاب الجامع ـ ويسمى أيضاً الجامع الحاصر لصناعة الطب . جمعه الرازي من كتبه ومن كتب من تقدمه ومن عاصره من الاطباء ، وقد كلفه جهود خمس عشرة سنة وعطل في يده وضعف في بصره[42] . قال ابن أبي أصيبعة ان الكتاب يحتوي على اثني عشر قسماً هي :

---

(42) رسائل فلسفية ـ للرازي تحقيق كراوس ص 110 .

الاول ـ في حفظ الصحة ، وعلاج الوثى ، والجبر وعلاج الامراض .

الثاني ـ في قوى الاغذية والادوية المركبة ، وتدبير أحوال المرضى .

الثالث ـ في الادوية المركبة على سبيل الاقرباذين .

الرابع ـ في الصيدلة لسحق الادوية وإحراقها وتصعيدها وغسلها واستخراج قواها .

الخامس ـ في صيدلة الادوية وما يخص صفاتها وألوانها وطعومها وروائحها والتفريق بين جيدها ورديئها ونحو ذلك .

السادس ـ في إبدال الادوية ، وما ينوب عن الادوية والاغذية التي لا يتوفر وجودها .

السابع ـ في تفسير الاسماء والاوزان والمكاييل التي للعقاقير ، وتسمية الاعضاء باليونانية ، والسريانية ، والفارسية ، والهندية ، والعربية ، على سبيل كتب البشقشماهي .

الثامن ـ في التشريح ومنافع الاعضاء .

التاسع ـ في الاسباب الطبيعية من صناعة الطب (أي أسباب العلل الطبيعية) .

العاشر ـ في المدخل الى صناعة الطب .

الحادي عشر ـ في جملة علاجات ووصفات طبية .

الثاني عشر ـ فيما استدركه من كتب جالينوس ولم يذكرها حنين بن اسحاق ، ولا هي في كتاب بنكس لجالينوس .

ويعتقد ابن ابي أصيبعة ان هذا الكتاب في أصله مجموعة من البحوث كان الرازي قد أعدها في حياته ، فوجدت في مخلفاته بعد وفاته ، مثلما أعد مدونات كتاب الحاوي ، فكان منها كتاب الجامع في الطب . وإذ أن الكتاب لم يعثر عليه احد من الكتاب القدماء ، فأنه بمحتوياته وطريقة تجميعها جعلت بعض البحاثة يعتقدون أنه هو

كتاب الحاوي عينه ، إلا أن ابن أبي أصيبعة يؤكد أنه غير ذلك ، ويذكر بنفس الوقت أنه لم ير الكتاب ولا سمع ان أحداً رآه ، فكيف عرف انه غير كتاب الحاوي ؟ ثم كيف عرف مفردات أقسام الكتاب الاثني عشر التي مر ذكرها قبل قليل إذا لم يكن قد رآه هو أو رآه غيره[43] . على ان اسم كتاب الجامع قد ورد في كتابي المرشد والشكوك على جالينوس ، للرازي .

(38) كتاب في معرفة خلق الانسان .

(39) رسالة في محنة الطبيب وكيف ينبغي أن يكون في نفسه وبدنه وسيرته وأدبه (كمبرج ، وبودليانا باكسفورد ، ونجم أبادي بطهران) وقد نشره اسكندر البير في مجلة المشرق 1960/54 م ص 471-522 . ونعتقد أن ما نشر هو جزء من الكتاب أو مسودته .

(40) كتاب في الرياضة .

(41) تلخيص كتاب النبض الكبير لجالينوس (Sezgin, 3/290)

(42) تلخيص كتاب الاعضاء الالمة لجالينوس (مكتبة نجم أبادي بطهران) .

(43) كتاب منافع الاغذية ودفع مضارها . (بباريس ولايبزج) . وقد طبع في القاهرة عام 1305 هـ ، وبهامشه كتاب دفع المضار الكلية عن الابدان الانسانية لابن سينا .

(44) كتاب الخواص . وهو في الطب والكيمياء (أيا صوفيا) .

(45) كتاب في تفسير كتاب جالينوس لفصول ابقراط .

(46) كتاب في العمل بالحديد والجبر .

---

(43) عثر البير اسكندر على جزئين من كتاب الجامع في مخطوطة بمكتبة بودليانا باكسفورد ، فاثبت أن كتاب الجامع هو غير كتاب الحاوي كما اعتقد ابن النديم والبيروني (مجلة المشرق 475/54 ومقدمة كتاب الفصول للرازي بتحقيق اسكندر ص 7 ، ومجموعة ابحاث مؤتمر الطب الاسلامي بالكويت 1981 ص 145) .

(47) كتـاب الكافي في الـطب (مكتبة بـودليانـا بصيغة عبـرية بـالاضـافـة الى مخطوطة بالنص العربي) .

(48) مقالة في البواسير والشقاق في المقعدة (مكتبة عقاد بحلب) .

(49) رسالة في الحمام ومنافعه ومضاره (عقاد بحلب) .

(50) مقالة في علاج العين بالحديد (حكيم بحلب وسباط) .

(51) كتاب في الدواء المسهل والمقيء .

(52) رسالة في التلطف الى ايصال الناس الى شهواتهم (الاسكوريال) .

(53) في النهي عن الحمية المفرطة (الاسكوريال ، وأيا صوفيا) .

(54) في ابدال الادوية (أيا صوفيا ، وتاتيانا) .

(55) لماذا يضر الافراط في ارتياد الحمامات الساخنة ؟ (تاتيانا) .

(56) المدخل الصغـير الى علم الطب ـ وهي رسـالة صغيـرة تجمع بـين الطب والفلسفـة والطبيعيـات . مخطوطتهـا بدار الكتب المصـريـة وقـد حققهـا عبـد اللطيف ونشرها بالقاهرة سنة 1977 م .

(57) اختصار كتاب جالينوس في حيلة البرء (الاسكوريال) .

(58) مقالة في القولنج (لايدن ، وأيا صوفيا) .

(59) اسئلة من الطب (لايدن) .

(60) كتاب الخواص والاشياء المقاومة للامراض (مشهد ودانشكـاه بطهـران ، ودار الكتب المصرية ، التيمورية) .

(61) كتاب معرفة المزاج الآدمي (دار الكتب المصرية وجامعة استانبول) .

(62) نضـال الطبيب المحتـرم ضد التهـريج (مكتبـة شتـاينشنـايـدر بـالصيغـة العبرية ، وأخرى بالالمانية) .

(63) المجموعة في الطب (أيا صوفيا) .

(64) خواص الاعضاء (شتاينشنايدر بالعبرية) .

(65) مقالة في النقرس (مكتبة بلدية الاسكندرية ، كوبريللي) .

(66) كتاب الشكوك والمناقضات في كتب جالينوس ـ نقد فيه ثمانية وعشرين كتاباً منها كتاب البرهان والنبض الكبير ، والبحران . وقاطاجنس وغير هذه (بغداتلي وهبي وملّي ملك) .

(67) كتاب في كيفية الابصار ـ يبين فيه أن الابصار لا يكون بشعاع يخرج من العين . وينقض فيه أشكالاً من كتاب اقليدس من المناظير (حكيم بحلب ، وسباط) .

(68) كتاب في علل المفاصل والنقرس وعرق النسا وقد يكون نفس الكتاب الذي مر برقم (65) .

(69) كتاب في الرد على الجاحظ في نقض الطب .

(70) كتاب في أن العلل اليسيرة بعضها أعسر تعرفاً وعلاجاً .

(71) كتاب العلة التي لها تذم العوام الاطباء الحذاق .

(72) كتاب في أن الطبيب الحاذق ليس هو من قدر ابراء جميع العلل .

(73) رسالة في العطش وزيادة الحرارة .

(74) كتاب صيدلية الطب .

(75) مقاصد الاطباء ـ ولهذا الكتاب ترجمة عبرية وأخرى لاتينية والاصل مفقود .

(76) رسالة الى بعض تلاميذه (تيمور بالقاهرة) .

(77) شرح الكليات .

(78) الشاهانية في الصناعة الطبية (طلعت بالقاهرة) .

(79) رسالة في العلل (طلعت بالقاهرة) .

(80) مقالة وجيزة في الامراض (ييل) .

(81) تلخيص كتاب العلل والاعراض لجالينوس (نجم ابادي بطهران) .

(82) الارجوزة في تدبير النفس (جستر بيتي) .

(83) كتاب في الاسباب المملة لقلوب كثير من الناس عن أفضل الاطباء الى احسائهم .

(84) الارجوزة في الطب (جستربيتي) .

(85) كتاب اللقوة (ماشطة بحلب وبول سباط) .

(86) مقالة في البرص والبهق (عقاد بحلب) .

(87) قوى الاغذية المسهلة .

(88) نزهة الملوك (Sezgin, 3/291)

(89) في ماء الجبن (مالك ، ونجم ابادي بطهران) .

(90) مقالة من كتاب الالبان (سنا ، ومالك بطهران) .

(91) الشامل (نجم أبادي بطهران وبعض منه في مكتبة ولكم بلندن) .

(92) رسالة في المياه (دانشكاه بطهران) .

(93) رسالة في أدوية العين وعلاجها (المجلس بطهران ، وحكيم بحلب ، وسباط ، ونجم أبادي) .

(94) رسالة في فضل العين على سائر الحواس (حكيم بحلب ، وسباط) .

(95) رسالة في تدبير الحبالى (دانشكاه بطهران) .

(96) رسالة في صفات الـ Mumiya ومنافعه (شهيد علي ، ومالك وسنان بطهران ، وآصفية ، ونجم أباد وكايل) .

(97) كتاب التجارب (مالك ، وسنا بطهران) .

(98) جـراب المجربـات وخزانـة الاطباء (بـاروز ويلكم بلندن ، ودار الكتب المصرية ، ودانشكاه) .

(99) تجارب البيمارستان (نجم أبادي ، وبودليانا باكسفورد) ونشره اسكندر البير في مجلة المشرق 1960/171/54 م . وفيـه إشارة إلى أن الـرازي بدأ يتعلم الـطب في بغداد !

(100) مقالة في أنه لماذا يحس النائم ما لا يحسه اليقظان (وهبي ، ودانشكاه ، ونجم أبادي بطهران) .

(101) مقالة في العلة التي من اجلها يعرض الزكام وضعها لابي زيد البلخي .

(102) كتاب صفة البيمارستانات .

(103) مقـالة في اختـلاف الدم (سنـا ، ومـالـك ، ونجم أبـادي ، والمجلس بطهران) .

(104) مقالة في المذاقات .

(105) مقالة في الحرقة الكائنة في الاحليل والمثانة .

(106) رسالة الى الوزير ابي الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح في الاعـلال الحادثة على ظاهر الجسد .

(107) رسالة الى تلميذه يوسف بن يعقوب في أدوية العين ومداواتها .

(108) مقالة في الرد على الكندي في إدخال صناعة الكيمياء في الممتنع .

(109) كتاب الحاوي ـ وهو ليس من أجزاء كتاب الحاوي المطبوع في حيدر آباد الركن ، ويتضمن هذا الكتاب أكثر مواضيع كليات الطب ، وكثيراً من المبادىء الاولى في طرق العلاج بالادوية وبالحديد ، وهي مواضيع ليس لها ذكر في مطبوعات الحـاوي بحيدر أباد . ومخطوطة هذا الكتاب النادر جداً في مكتبة ويلكم بلندن .

(110) اخلاق الطبيب ـ وقد حققه ونشره دكتور عبد اللطيف محمد العبـد سنة 1977 م على نسخة منقولة من أصل خط الرازي . وعنوان الكتاب في الأصـل (رسالـة

الى احـد تلاميـذه) . والارجح إن هـذا الكتاب منحـول على أصـل الرسـالـة لا هي بذاتها .

(111) الرسالة الوبائية (متحف الآثار باستانبول) .

(112) كتاب في القيء والاسهال (المتحف العراقي) .

(113) كتاب الحاوي ـ وهو غير الحاوي المطبوع في الركن . ومخطوطته بمتحف ويلكم بلندن

احمد بن ابي الاشعث[1]

هو ابو جعفر احمد بن محمد بن ابي الاشعث . لا نعرف عن حياته الاولى إلا أنه من علماء فارس المتدينين ، واطبائها الحاذقين . فلما دخل المغول تلك الديار خاف من بطشهم وهرب الى (برقى) في ارمينيا . ويبدو أنه لم يوفق في ممارسة الطب في هذه المدينة فانعزل الى الكتابة التي بدأها في فارس . ثم توجه الى الموصل ودخلها في حوالي سنة 348 هـ / 959م . وفي الموصل عرفه الناس تقياً ومحباً للخير ، وعالي النفس ، وذا نحلة صوفية . ثم بدأ يمارس الطب فعرفوه طبيباً مقتدراً . واتفق أن مرض ابن الامير ناصر الدولة أبي محمد الحسن الحمداني . فلما عجز الاطباء عن شفائه وحسنت حالته وبرء بعلاج ابن الاشعث صارت له مكانة عند هذا الامير وذاع صيته ، وكثر عليه طلاب المعرفة يتعلمون عليه فنون الصنعة .

كان ابن ابي الاشعث يمارس الطب على افكار جالينوس ، ويفضل قراءة كتبه على غيرها من المؤلفات . وفسر كتب جوامع الستة عشر ، وجعلها على ابواب وفصول

(1) اقرأ عن ابن ابي الاشعث في العيون لابن ابي أصيبعة ص 331 ، كشف الظنون لحاجي خليفة ص 51, 401, 1389, 1402, 1408, 1413, 1424, 1432, 1433, 1451, 1455, 1783 ، والاعلام للزركلي 201/1 ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 148/2 و .

Sezgin, 3/301-302. Leclerc, 1/379-380

Brockelmann, 1/237

Ullmann-Medz. Islam, P.128-136.

فصارت أكثر وضوحاً وأيسر فهماً لتلاميذ الطب .

توفى ابن ابي الاشعث في الموصل سنة 360 هـ / 970وأعقب عدة أولاد ، كان اشهرهم في الطب ابنه محمد بن احمد بن ابي الاشعث . واشتهر من تلاميذه ابو عبد الله محمد بن ثواب الموصلي المعروف بابن الثلاج ، وهو من أهالي الموصل ومعلوماتنا عنه قليلة . ومن تلاميذه ايضاً ابو العباس احمد بن محمد البلدي ، وجابر بن منصور السكري . وقد عاش الاول اهم قسم من حياته في مصر الفاطمية . وصار للثاني أولاد تعلموا على ابيهم الصنعة وإنتشروا في مدن سوريا . ويعد ابن ابي الاشعث لهذا من الذين ادخلوا الطب الى الجزيرة ، والى الموصل بصفة خاصة ، وصاحب مدرسة تخرج فيها اطباء صارت لهم مكانات مرموقة في تلك الديار .

ولابن ابي الاشعث من المؤلفات :

1 ـ كتاب الادوية المفردة (مكتبة المتحف البريطاني ، والاوقاف في الرباط ، والزبيدي بحلب) .

2 ـ في النوم واليقظة (مكتبة طلعت بالقاهرة) .

3 ـ كتاب الحيوان (بودليانا باكسفورد ، وغوتا) .

4 ـ كتاب في المالينخوليا .

5 ـ كتاب الجدري والحصبة والحميقا[2] .

6 ـ كتاب في السرسام والبرسام ومداواتها .

7 ـ كتاب في القولنج وأصنافه ومداواته .

8 ـ كتاب البرص والبهق ومداواتها .

9 ـ كتاب في الشعر .

---

(2) الحميقاء ـ تصغير الحمقاء (بفتح الحاء او ضمها) وهي الجدري (المعجم الوسيط مادة حمق) وربما يقصد به جدري الماء أو ما يسمى في العراق (أبو خريان) .

10 ـ كتاب في الاسطقسات .

11 ـ كتاب في زحير الدم .

12 ـ كتاب في تركيب الادوية .

13 ـ كتاب الغاذي والمغتذي ـ مقالتـان كتبهما في قلعـة برقي من ارمينيـا (أيا صـوفيا ، وقطعة منه في المتحف البريطاني) .

14 ـ كتاب أمراض المعدة ومداواتها .

15 ـ تفصيل كتاب جالينوس في الاسطقسات (الاهلية ـ باريس) .

16 ـ كتاب ظهور الدم .

17 ـ شرح كتاب جالينوس في المزاج المختلف (الاهلية ـ باريس) .

18 ـ شرح كتاب الفرق لجالينوس ـ مقالتان .

19 ـ شرح كتاب الحميات لجالينوس .

احمد بن محمد الطبري[1]

كنيته ابو الحسن . من مواليد طبرستان . وعاش متنقلاً فيها بين الري وهمدان وأصفهان ، ومدن الاحواز . وعاصر علي بن العباس المجوسي ، وخدم في أول أمره والي الخليفة الراضي على الاحواز ثم وزيره ابا عبد الله بن محمد البريدي[2] المتوفى سنة 332 هـ / 934م . وبعد وفاة البريدي صار ابن الطبري احد اطباء ركن الدولة البويهي (321-366 هـ / 933-976م) .

ذكر ابن ابي أصيبعة كتاباً واحداً لابن الطبري بعنوان : المعالجات البقراطية ، ووصف هذا الكتاب بأنه (من اجل الكتب وانفعها . وقد استقصى فيه الامراض

---

(1) اقرأ عن أحمد بن محمد الطبري في العيون لابن ابي أصيبعة ص 427 ، وفي جهار مقالة للسمرقندي ص 174 فقرة 28 ، ومقالة اقدم مخطوطة بالعربية في طب الاطفال لمحمود الحاج قاسم بمجلة المورد البغدادية م 6 عدد 4 ، ص 486 .

Sezgin, 3/307-308. Sarton, 1/677

Brockelmann, 1/237

Ullmann-Medc. Islam, P.104.

Leclerc-Arab Medc. 1/358

(2) ابو عبد الله البريدي ـ يذكره المسعودي (مروج الذهب 323/4) باسم ابي عبد الرحمن بن محمد البريدي . كما يذكر باسم اليزيدي تصحيفاً ويذكره السمرقندي في جهار مقالة ص 174 كما اثبتنا ، ويقول عنه أنه كان يلي الحجاج بن يوسف الثقفي في الشدة والجور ، وأنه وزر للخليفة الراضي كما وظر للمتقي ، وتوفي سنة 332 هـ / 934م .

ومـداواتها عـلى أتم ما يكـون) . ويفهم من عنـوان الكتـاب ومضـامينـه أن أحمـد بن محمد الطبري كان كثير الاجلال لابقراط والاعتماد على افكاره الطبية ، وربما كان أتقن تطبيقها . ولذلك نسب كتابه الى ذلك الطبيب العظيم . وفي الكتاب عـدا ما فيـه من المواضيع الطبية والمرضية العامة ، قسم خاص بأمراض الطفل ما يجعله ذا قيمة خاصة في تأريخ الطب العربي ، إذ يعتبر هذا الكتاب من أوائل المؤلفـات العربيـة التي بحثت بتفصيل في طب الطفل ، إن لم يكن اقدمها جميعاً[3] .

وبالرغم من أن المؤلف يذكر في مقدمة الكتاب انه (لم يتكلم احد قبله في علاج الاطفال كلامـاً شافيـاً بل اعتمـدوا في ذلك عـلى الطب عـامةً) فـأن كلا من ابن ربن الطبري والرازي قد كتبا بسعة في هذا الموضوع . ولان احمد بن محمد الطبـري لم يشر في كتابه الى ما كتبه اي من هذين المؤلفين ، فمن المحتمل انه لم يكن قد اطلع على مـا كتبا بهذا الاختصاص . وعلى اي حال ربما كان احمد بن محمـد الطبـري أول من إهتم بصحة الطفل وجعل بعض أمراضه حصراً عليه دون البالغين . وأوصى بمعالجة الـطفل المريض نفسه لا معالجة مرضعته وحدها كما كان الاطباء يفعلون قبله . وربما كـان ابن الطبري أيضاً أول من وصف طبيعة مرض (الجرب) وشخص سببه .

ويضم قسم الاطفال في كتاب المعالجات البقـراطية ستـين بابـاً ، نذكـر منها مـا يلي[4] :

البـاب الاول ـ في الجرب (المـرقة) وأنـواعه ، وأنـواع الامـراض الجلديـة التي تصيب رأس الطفل وأنفه واذنه وعلاجاتها .

الباب السابع ـ في الصرع عند الاطفال .

الباب الثامن ـ في العلة التي تعرف بالاصطكاك ، أي مرض الكزاز الذي يحدث في الاطفال . فيقول : (مما يحدث في افمام الصبيان علة تعرف بالاصطكاك . وهو ان

(3) للطبيب القرطبي سعيد بن عريب (النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين يعتبر منافساً في القدم لكتاب المعالجات البقراطية لاحمد بن محمد الطبري إن لم يكن اقدم منه طبع كتاب سعيد بن عريب في الجزائر سنة 1956 .

(4) مجلة المورد (البغدادية) ، ص 486 .

تصطك اسنانه وتبرز عيناه ويحدث في سائر بدنه شبه باختلاج . . ثم يقول : ولم ار طفلاً حدثت به هذه العلة نجا منها ، هذا هو الكزاز . ولا يكاد يحدث هذا بالطفل الا اذا كانت به جراحة خفية أو ظاهرة) . وفي هذه الملاحظة الاخيرة ما يدل على ضرورة وجود انسجة مفتوحة لتهيء ما يساعد على نشوء المرض المذكور . ونعرف ان مقطع الحبل السري يبقى جرحاً مكشوفاً لبضعة أيام . فهل ادخل ابن محمد الطبري في ظنه تلوث هذا الجرح في أسباب الكزاز ؟

الباب العاشر ـ في الكزاز أيضاً ، وفيه يقول : (الكزاز علة تحدث في الاطفال كثيراً وبالكبار من الناس عندما تصيب الجراحة أطراف العضلات والاوتار) ويستطرد في الكلام عن الطفل : (وإذا ما استحكم وأصطكت اسنانه سمى ذلك الوقت الكزاز الضاغط . وقلما يتخلص منه الطفل) .

الباب الثالث عشر والباب الرابع عشر ـ في أمراض الانف عند الاطفال . والجراحة في معالجة الزوائد اللحمية فيه .

الباب الخامس عشر ـ الى الواحد والعشرين ـ في أمراض العين ومعالجتها .

الباب الثاني والعشرون ـ في بكاء الطفل قال : (إذا بكى الطفل دائماً فهو لاحد اربعة أسباب : أما في بعض أعضائه ، او لاحتباس اللبن في معدته ، أو لشيء يؤذيه في مضجعه ، أو لقلة الغذاء وجوعه). وفي معالجة البكاء يوصي المؤلف بعدم اعطاء المخدرات للطفل بل بالكشف عن السبب ومعالجته .

الباب الثالث والعشرون والى الباب الخامس والعشرين ـ في أمراض الفم واللسان .

الباب السادس والعشرون وإلى الباب الواحد والثلاثين ـ في الخرخرة في حلوق الاطفال وانطباق المريء ، وتعوج رقبة الطفل ، والعطاس وامثالها . كما يذكر فيها قوى الادوية : (أما الادوية التي تستعمل للكبار فلا يصح للاطفال البتة ولا تحتمله معدتهم ولا امزجتهم) .

الباب الثاني والثلاثون وإلى الباب الاربعين ـ في أمراض المعدة والسرطان

والاستمـراء ، واضطرابـات الهضم ، والقراقـر والـريـاح وأنـواع القيـام (الاسهـال) والمغص .

الباب الواحد والاربعون ـ في السعال وأسبابه وعلاجه .

الباب الثاني والاربعون ـ في النفث الدموي والرعاف .

الباب الثالث والاربعون ـ في الجدري والحصبة .

الباب الرابـع والاربعون ـ الى البـاب السابـع والاربعين ـ في الامـراض الجلدية التي تصيب ذكر الطفل وفخذه وجسمه .

البـاب الثامن والاربعـون ـ في الديـدان الصغار والكبـار التي تصيب الاطفال . (وقد يظهـر في الاطفال في المقعـدة ديدان صغـار كأنها رؤوس الابـر ، بيض ، فيؤذي الطفل ويمنعه من النوم . وربما خرج مع براز الطفل ديدان طوال) .

في الباب التاسـع والاربعين الى الخـامس والخمسين ـ يتكلم المؤلف عن خـروج المقعدة ، وتورم الخصيـة وأنواعـه . ويفرق بـين ورم الخصية والفتق . كـما يتكلم عن أمراض الجهاز البولي والحصا .

في الباب السادس والخمسين والباب السابع والخمسين ـ يتكلم في تورم الاربتين ووجع المفاصل وفي أنواع الحميات .

الباب التاسع والخمسـون ـ في آداب المرضعة وتـدبيرهـا . ويقول المؤلف في هـذا البـاب احسن اللبن للمولـود لبن امه ، لانـه اشبه بجـوهرهـا ، يقـدم من غـذائـه في الرحم .

الباب الستون ـ في كيفية العناية بالطفل وتدبيره من الـولادة ، وتغذيتـه وتربيتـه حتى تنبت اضراسه .

ومخـطوطة كتـاب المعالجـات الابقراطيـة في مكتبة رامبـور ، وبودليـانا ، وفـاتـح والاصفية ، وميونيخ ، ونور عثمانية .

كذلك ينسب الى احمد بن محمد الطبري الكتب الآتية :

(1) علاج الاطفال (م . دانشكاه بطهران ، وطلعت بالقاهرة ، وسنا بطهران)

(2) رسالة في ذكر القارورة ، أو كتاب التفسرة (دانشكاه بطهران) .

(3) مقالة في طب العين (باسل بحلب) .

علي بن العباس المجوسي[1]

ويعرف على الأكثر بالمجوسي اختصاراً، كما يذكر احياناً (المجوس) ولد بالأهواز ودرس الطب فيها على أبي ماهر موسى بن يوسف بن سيار[٢] ومارس الطب هناك واشتهر بمهارته في تطبيق الصنعة. أما شهرته في الطب العربي فترجع الى كتابه القيِّم : كامل الصناعة الطبية أو الكتاب المملكي. ويعتبره ابن ابي أصيبعة من اطباء العراق والجزيرة.

يعتمد المجوسي في قراءاته على كتب أبقراط ، وجالينوس ، وأورباسيوس ، وبولس الأجيني ، وابن سرابيون ، وأهرن القس ومسيح الدمشقي . فلما لاقى صعوبة في فهم بعض مضامين هذه الكتب وخلطاً في مضامينها (على ما زعم) ونقصاً في العلمية ، فكر في وضع كتاب خلو من هذه المثالب . فألف كتاب كامل الصناعة الطبية أو كتاب الملكية ورفعه إلى مخدومه عضد الدولة فناخسرو البويهي[3] . وقد يكون

---

(1) اقرأ عن المجوسي في تاريخ الحكماء للقفطي ص 222 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 319-320 والوافي للصفدي ص 85/12-86 وكشف الظنون لخليفة 1380 ، والاعلام للزركلي 111/5 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 116/7 ومقال سامي حداد في العروة عدد تموز 1936ص 52,51وحنا مرهج في العروة عدد تموز 1936 ص 111 .

(2) موسى بن يوسف بن سيار ـ من أطباء اقطار الخلافة العباسية المشهورين في زمن الخليفة القادر بالله (381-422 هـ / 991-1031م) ، وهو من شيوخ ذلك الجيل توفي سنة 273هـ / 983م ، وله مقالة في الفصد ، وزيادة على كناش الخف لاسحاق بن حنين ، وتعاليق على كناش يوحنا (ابن سربيون) .

(3) عضد الدولة البويهي ـ هوفنا خسرو ابن ركن الدولة بن علي حسن بن بويه واقوى ملوك

عنونه بالاسم الأول ثم سماه الملكي بعد ان صار عضد الدولة ملكاً .

وقد دون المجوسي دوافعه إلى تأليف هذا الكتاب فقال في مقدمته عن كتاب الفصول لأبقراط (انه في عباراته ما لا يفهمه القارىء)[4] وقال عن جالينوس ان المعارف في كتبه موزعة على عدة كتب كان الأحرى أن تجمع في كتاب شامل[5] وقال عن أورباسيوس (أنه لم يذكر في كتابه شيئاً عن الامزجة والاخلاط والاعضاء ، والقوى ، والافعال والارواح إلا النذر القليل)[6] . كما انتقد الرازي في كتابه الحاوي في الطب لأنه (لم يذكر شيئاً عن الأمور الطبيعية ، والأمزجة والأخلاط ، وتشريح الأعضاء ولا العلاج باليد ، ولأن الرازي أيضاً لم يضع الكتاب على ترتيب ونظام ، وبأبواب وفصول ، ولا على وجه من وجوه التعليم)[7] إلا أن المجوسي يستدرك فيقول : (والذي يقع لي من أمره أو اتوهم على ما يوجهه القياس من عمله وفهمه في هذا الكتاب احد حالين : أما أن يكون وضعه (اي الرازي) ليكون تذكرة له خاصة ، يرجع اليه . . . أو خوفاً من آفة تعرض لكتبه فيعتاض منها بهذا الكتاب . أو أنه علق جميع ما ذكره فيه تعليقاً ليعود فيه فينظمه ويرتبه لهذه الصناعة ، فيكون الكتاب بذلك كلاماً تاماً ، فعاقه عن ذلك عوائق . وجاء الموت قبل إتمامه[8]) . وهو تعليل يوافق الحقيقة التي ذكرناها عن هذا الكتاب . (ص 504) .

ويعتمد المجوسي في ممارسته الطبية على تقويم الصحة ، ويعتبر الوقاية خيراً من العلاج ، وان الطبيعة لا تقل مقدرة في اصلاح البدن عن الطبيب ، وان القوة الجسدية ضرورة للمريض . ويضرب لذلك مثلاً فيقول (ان القوة للعليل مثل رأس المال ، والبرء من الامراض مثل الربح . فينبغي للطبيب أن يكون كالتاجر الكيس

= البويهيين . من مواليد اصفهان سنة 225 هـ / 936م وكان يهوى القراءة ويعضد العلماء ومحسناً للفقراء . وهو الذي انشأ البيمارستان العضدي ببغداد . توفي في بغداد سنة 373 هـ /983 .

(4) المجوسي الملكي 5-3/1

(5) المصدر السابق .

(6) المصدر السابق .

(7) المصدر السابق .

(8) المصدر السابق .

الذي اذا وجد ربحاً ، وإلا حفظ رأس المال[9] كما مثّل المجوسي القوة في الامراض كالزاد ، والمرض كالسفر ، والدواء بالمسافر ، ومنتهى المرض بالموضوع المقصود اليه (فكما أن المسافر يعد من الزاد ما يحتاج اليه الى وقت وصوله الى الموضع المقصود ، فإنه اذا عدم الزاد قبل الوصول الى الموضع هلك)[10] ويؤمن المجوسي بنفع العلاج بالتغذية فيقول (. . . ان امكنك أن تعالج العليل بالغذاء فلا تعطه شيئاً من الادوية . وإن امكنك أن تعالج بدواء خفيف مفرد فلا تعالج بدواء قوى ولا دواء مركب . ولا تستعمل الادوية الغريبة المجهولة)[11] . وواضح كل الوضوح ان هذه السياسة في العلاج مأخوذة عن افكار الرازي في كتابه الفصول وهي من سمات المعالجة في الطب العربي على العموم .

وقال المجوسي (قالوا ان الطبيب والمريض والمرض ثلاثة ، فمتى كان المريض يقبل من الطبيب ما يصف له ويتوقى ما ينهاه عنه ، كان الطبيب والمريض محاربين للمرض واثنان على واحد يغلبانه ويهزمانه . وإن كان المريض لا يقبل من الطبيب ما يصفه له وتتبع شهواته كان المرض والمريض محاربين للطبيب ، وواحد لا يقوى على محاربة اثنين)[12] واذا عرفنا ان هذه الحكمة مأخوذة عن ابقراط والرازي فإن قول المجوسي بها يدل على الارجح على ايمانه بصحتها ، وأنه يدخلها في تطبيقاته .

ويعتبر المجوسي أول من أشار الى صعوبة شفاء المريض بالسل الرئوي بسبب حركة الرئة ، على أساس ان العضو المريض يحتاج الى راحة ، وهذه لا تتوفر في الرئة الدائمة الحركة بفعل التنفس (الملكي 322/2) .

وعرف عن المجوسي تمسكه بتقاليد الصنعة وآدابها . وكان ينصح الاطباء على العمل بميثاق ابقراط ، واحترام الذين علموهم المهنة ، ورعاية اولادهم ، والاخلاص في الممارسة ، والصدق مع المرضى . قال في ذلك : (كما أن الابوين كانا سبب كونه

---

(9) المصدر السابق .

(10) المصدر السابق 2/451-454 .

(11) المصدر السابق .

(12) المصدر السابق .

كذلك المعلمو ، كانـوا سبب شرفـه ونباهتـه)[13] . وينصح الاطبـاء : (ان لا يكون هـدفهم طلب المال بـل الاجر والثـواب ، وان لا يعطوا دواء قتـالاً ولا يصفونـه ، ولا يدلون عليه ،و ينطقون به . ولا دواء للنساء لاسقاط الاجنة . وأن يكون الطبيب رقيق الكلام ، طاهراً بعيداً عن كل نجس وفجور ، وبعيداً عن اللهو وشرب النبيذ . صافي النيـة في نظراتـه للنساء وان لا يفشي سـراً ، وأن يكون رحيـماً وعفيفاً وخصـوصـاً مـع الفقراء)[14] .

توفى علي بن العباس المجوسي في حوالي سنة 384 هـ / 994م [15]المطابقة لخـلافة القادر العباسي . وله من المؤلفات :

1 ـ كامل الصناعة الطبية ، أو كتاب الملكي ـ وضعه لمخدومه الملك عضد الدولة البـويهي ، فسماه الكتـاب الملكي ، كما سمى أيضـاً القـانـون العضـدي في الـطب . والكتاب من المؤلفات الشهيـرة والمهمة في الطب العربي التي ظهرت في القـرن الرابـع الهجري . وضعه المجوسي موسعـاً بعشرين مقـالة في علوم الـطب النظريـة والعملية . وبوبه تبويباً حسناً ، فجاء أفضل من كتاب المنصوري للرازي الذي كان يعتبر الكتاب المـدرسي يومـذاك ، وأكثر مـلاءمة وتـوضيحاً للتـطورات والاضافـات التي ادخلت الى الطب بعد ظهور فردوس الحكمة لابن ربن الطبري . ففضله القراء عـلى جميع الكتب المعروفة يـومذاك ، وبقي بـأيديهم حتى ظهـور كتاب القـانون لابن سينـا فتحولـوا إليه وتـركوا كتـاب الملكي بعض التـرك . و(الملكي في العمـل ابلغ ، والقـانـون في العلم أثبت)[16] .

ويلوح لي أن كتـاب الملكي لم يقوّم بمـا يستحقه من الـدراسة والتقـريض . ومن يقرأه باهتمام يظل يكتشف باستمرار ما في ثناياه من الدقة العلمية في التعبـير وما يـدل على سيطرة المؤلف وابداعاته في رسم اللوحات السـريريـة لمختلف الحالات المـرضية ،

---

(13) المصدر السابق ، ويفتخر المجوسي بكونه تلميذاً لابي ماهر فيذكر اسمه بتكرار في كتابه الملكي .

(14) المصدر السابق .

(15) حاجي خليفة ص 1380 وتأريخ وفاته المذكور في هذا الكتاب يحتمل أن يكون صحيحاً إلا أنه غير موثق .

(16) القفطي ـ تأريخ الحكماء ص 232 .

وطرائق علاجها . وبالرغم من أن معظم القسم الجراحي قد انحصر في المقالة التاسعة عشرة ، إلا أن الصبغة الجراحية تطغى على عموم أقسام الكتاب . وفيما يلي مثلان على نزعته العلمية في تأليف هذا الكتاب :

- أن النبض رسول لا يكذب ، ومناد اخرس يخبر عن اشياء خفية بحركاته الظاهرة .

- والقلب والعروق الضوارب تتحرك كلها حركة واحدة ، على مثال واحد في زمان واحد ، يعني أن كل واحدة منها مساوية لحركة الآخر ، لا يخالف بعضها بعضاً في جميع حالاتها ، حتى أنه يمكن أن يقاس بواحد منها على جميعها ولذلك صرنا نتعرف حال حركة القلب من حركة الشريان[17] .

إن التعبيرين المذكورين بالاضافة الى ما فيهما من الحركة الفنية وحلاوة الصياغة فهما أيضاً صادقان علمياً إلى ابعد حدود الصدق .

ترجم قسطنطين الافريقي المتوفى سنة 1087 م كتاب الملكي الى اللاتينية ونسبه الى نفسه ، ونشره بأسمه . ولم يشر في الترجمة الى مؤلفه المجوسي بشيء . وبقي يدرس الكتاب بمدرسة سالرنو ومدارس اوربا اللاتينية بأسم قسطنطين الى أن ظهرت سنة 1127 م ترجمة لنفس الكتاب (الملكي) من صنع الياس اصطيفان الانطاكي ذكر فيها اسم مؤلف الكتاب الحقيقي علي بن العباس المجوسي .

بقي كتاب الملكي من مفردات الدراسة في كليات الطب بأوربا الى جانب كتاب الحاوي للرازي والقانون لابن سينا والتصريف للزهراوي ، والتيسير لابن زهر حتى القرن السادس عشر . وربما كان كتاب الملكي أفضل هذه الكتب جميعاً عند طلاب الطب ، لوضوح تعابيره واختصارها بالنسبة للكتب الاخرى التي يكثر فيها الشرح الطويل أو التكرار .

مخطوطات كتاب الملكي في مكتبة سراي احمد ، ومراد ملا ، وفاتح ، وبرلين ، ولايدن ، وباريس ، وميونخ ، وفلورنس ومدريد ، وخالدية بالقدس وويلكم بلندن ، وهارفرد والرباط والمتحف العراقي وغير هذه من المكتبات .

---

(17) المجوسي ـ الملكي 439/1 .

وقد طبع كتاب الملكي بجزءين بمصر سنة 1877 م .

2 ـ رسالة في الفصد (كتاني ـ الرباط) وربما كانت هذه أحد فصول كتاب الملكي لا كتاباً قائماً بذاته .

الحسن بن سوار[1]

هو ابن بابا بن بهنام . سرياني من أصل فارسي ، وبهنام بالفارسية بمعنى : خير ـ اسم . ولذا كنى بأبي الخير . ولد ببغداد سنة 331 هـ / 943م . وقد يكون ابوه نصرانياً يصنع الخمرة أو يتاجر بها فلقب بالخمار فعرف ابنه الحسن بابن الخمار . ويقول البيهقي في كتابه حكماء الاسلام ان الامير سبكتكين اهدى قرية الى ابن سوار تعرف باسم (خُمار) فنسب الى هذه القرية (البيهقي ص 26-28) .

وكان الحسن بن سوار ذكياً المعيا . درس على يحيى بن عدي المتوفى سنة 364 هـ /975 م وبرز فيلسوفاً وطبيباً ناجحاً ، وأجاد في تصرفاته مع الناس فقراءهم وأمراءهم . قال البيهقي[2] انه دعي سنة 390هـ / 1001م من بغداد الى خوارزم ضيفاً على قصر أميرها ابي العباس مأمون بن مأمون بن محمد . كما دعاه الامير محمد بن سبكتكين سنة 407 هـ / 1017م الى قصره في غزنة ، وفيها اسلم وهو في سن متقدمة .

---

(1) اقرأ عن ابن سوار في الفهرست لابن النديم ص 265 وصوان الحكمة للسجستاني 144-145وفيه يذكره باسم ابن سوار بتشديد (الواو) ، والشهرزوري 2/9-12 والبيهقي ص 26-38 ، وتاريخ الحكماء للقفطي ص 164 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 328-339 والتراث العربي ـ مايرهوف ص 87-88 ومعجم المؤلفين لكحالة 229/3 ، ونوابغ السريان لغرام ص 15،4الحكمة بالقدس 22/5-23و
Leclerc, 1/354. Sezgin, 3/322-323

(2) مايرهوف ـ تراث الاسلام ص 87 (عن مخطوطة لظهير الدين البيهقي في برلين ، الورقة 7ب الى 19 ولايدن الورقة 273) .

وقد نجح الحسن هناك في الطب نجاحاً كبيراً حتى سمي : ابقراط الثاني[3] . واجزل في مدحه تلميذه ابو الفرج بن هندو في كتابه مفتاح الطب ، كما تكلم عنه باعجاب ابن رضوان المصري في كتابه حل شكوك الرازي على جالينوس .

لقد كان ابن سوار احد الرواد الاوائل في الطب العربي، وشيخاً من أكابر من اشتغل في ممارسته وتعليمه ، كما عمل في الترجمة من السريانية الى العربية ، وفي تصنيف الكتب الفلسفية . أما مؤلفاته في الطب فهي :

1 ـ مقالة في امتحان الاطباء ـ كتبها للامير خوارزم مشاه مأمون بن مأمون .

2 ـ كتاب في خلق الانسان ـ وتركيب أعضائه بأربع مقالات .

3 ـ كتاب تدبير المشايخ ـ وضعه على طريق المسألة والجواب ، بستة وعشرين باباً .

4 ـ مقالة في المرض المعروف بالكاهني أي الصرع .

---

(3) المصدر السابق ص 88 .

ابن سينا[1]

هـو ابو عـلي ، الحسـين بن عبـد الله بن عـلي بن سينـا ، المعـروف بـالشيـخ ، والرئيس ، وفيلسوف الاسـلام ، وأمير اطبـاء العرب . ويعـرف بلغة العبـرانيين بـأفن

(1) اقرأ عن ابن سينا في سير النبلاء للذهبي 118/11 وتاريخ الحكماء للقفطي ص 413-524والعيون لابن أبي اصيبعة ص 437-459 والوافي للصفدي 79/11-87وحكماء الاسلام للبيهقي ص 52-72 ، والبداية والنهاية لابن كثير 43,42/12 ، ونزهة الارواح للشهرزوري 103/2-119 والنجوم الزاهرة لابن تغري بردى 26,25/5 ، ولسان الميزان لابن حجر 291/2-293 ، ومختصر الدول لابن العبري ص 187-189 ومرآة الجنان لليافعي 47/3-51 . والمختصر في أخبار البشر لابي الفداء 169/2 ، وشذرات الذهب لابن العماد 233/3-237 ، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ص 19 . وكشف الظنون لحاجي خليفة في مواضع عديدة من الجزء الثاني عشر ، وروضات الجنات للخوانساري 241-246 ، وايضاح المكنون للبغـدادي 555/2 ,672 ، والمجددون في الاسـلام للصعيدي ص 185-189 ، وعقـود الجوهـر ص 133-141 ، وتأريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور ص 188 ، ومؤلفات ابن سينا لجورج شحاتـة ، ومجلة المجمـع العلمي العـربي 199/25-210 ,321/27-336 و 469-474و 626لـداود الجلبي ، و 373-260/2 لشوكة القنواتي ، والمقتطف 363/92-360 ,542-548و 346/93-347ودائـرة المعارف الاسـلامية 209/1 وقعة الحضارة لديورانت م 13 ، ص 150-193وخزانة الادب للبغدادي 466/4-467والطب الاسلامي (الكويت 1984)

Brockelmann, 1/452-458, Ullmann,P.

Capbell-Arab Medicine, 1/77-82.

Gruner and Canon-Avicenna, P. 1-9. Iskandar-Acatalogue Arabic Manuscripts on Medicine and Sience, London, 1967, P.26,343,51.

سينا (الفاء المثلثة) ، ومنها سماه الأوربيون أفيسينا Avicenna بالفاء المثلثة أيضاً .

اصل اسرة ابن سينا من بلخ[2] . وكان لابيه مركز اجتماعي وديني بين دعاة الاسماعيلية[3] فيها ، ثم هجر بلخ الى بخارى وكانت هذه يومئذ تحت حكم الامراء الخراسانيين ، واشتغل بقرية خرمثين ، وتزوج بامرأة من (افشنة) اسمها ستارة[4] اي نجمة بالعربية ، فولدت له سنة 370 هـ / 980م الحسين بن سينا صاحب هذه الترجمة .

وظهرت على ابنه بوادر النباهة والذكاء منذ نعومة اظافره ، فحفظ القرآن وهو دون العاشرة ، وأكمل دراسة اللغة والفقه والمنطق وهو دون العشرين من عمره[5] . ثم تعلم بعد ذلك الفلك والحساب والطب وعلم طبقات الارض والف في كل واحد من هذه العلوم ، واتقن فنونها . فكما لقب برئيس الاطباء لقب أيضاً بأبي

---

(2) بَلْخ ـ مدينة في شمال خراسان (افغانستان اليوم) . كانت مركزاً للبوذية واشتهرت بمعبد النوبهار الذي كان جد البرامكة برمك احد سدنته . غزاها الاحنف بن قيس سنة 32 هـ / 653م (خلافة عثمان) وتم فتحها بقوات قيس بن الهيثم سنة 43 هـ ـ 662م . حكمها السامانيون سنة 287هـ ـ 900م ثم الغزنويون ، وفي زمن هؤلاء وصلت درجة عالية من العمران حتى سميت (ام البلاد) ثم حكمها السلاجقة ، ثم الازابكة ، ثم الصوفويون قبل أن يدخلها المغول .

(3) الاسماعيلية ـ فرقة تنتسب الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقد جعلت هذه الفرقة الامامة من بعد الصادق في ابنه الاكبر اسماعيل لا في موسى الكاظم كما هو في ترتيب الائمة عند الاثني عشرية . توفي اسماعيل سنة 143 هـ / 760م . وتفرق ابناؤه بين الاقطار الاسلامية . فاستوطن بعضهم فارس وخراسان ، وبعضهم الهند ومنهم من ارتحل الى الشام وبلاد المغرب ومن زعماء الاسماعيلية القداح وولده عبد الله زعيم القرامطة ، وعبيد الله بن المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في تونس ، والحسن بن الصباح زعيم طائفة الحشاشين التي عرفت بالاغتيالات السياسية . ويعتقد الاسماعيلية ان الله تعالى فوق متناول (العقل) ، وإن العقل الكلي يتجسد في الانبياء ، كما أن النفس الكلية تتجسد في الائمة ويعتقدون ايضاً ان الامام معصوم ، ولا عبرة بما يأتيه من أعمال ظاهرة (عطية الله ـ القاموس الاسلامي 1/108) .

(4) البيهقي ـ حكماء الاسلام ص 52 .

(5) القفطي ـ تأريخ الحكماء ص 413 .

الجيولوجيين[6] . كما درس علوم ما بعد الطبيعة وتعب في استيعابها ، قال انه قرأ كتاب ارسطو في هذا الموضوع اربعين مرة فلم يفهمها ، وأدركها أخيراً من قراءة كتاب لابي نصر الفارابي[7] الذي اشتراه ببضع دراهم من دلال كتب ينادي على بيعه بسوق الوراقين .

وفي سيرة ابن سينا التي املاها بالعربية على تلميذه ابي عبيد عبد الواحد الجوزجاني معلومات أخرى مفيدة وممتعة معاً ، قال فيها :

(إن أبي كان رجلاً من أهل بلخ ، وانتقل منها سنة 375 هـ / 985م الى بخارى في أيام نوح بن نصر الساماني المتوفى سنة 387 هـ / 997م . واكملت العشر من العمر وقد اتيت على القرآن وعلى كثير من الادب . وكان ابي ممن أجاب داعي المصريين (يقصد الفاطميين) ، ويعد من الاسماعيلية . وكنت أنصت الى احاديثهم عن النفس والعقل ، ولكنني لم اقبلها منهم . . ثم جاء الى بخارى ابو عبد الله الناقلي وأنزله ابي دارنا رجاء تعلمي منه[8] . . . ثم ابتدأت بكتاب ايساغوجي على الناتلي ، وكان كل مسألة قالها اني اتصورها خيراً منه . . . وقرأت ظواهر المنطق عليه ، أما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم اخذت اقرأ الكتب على نفسي ، واطالع الشروح حتى اكملت علم المنطق ، وكذلك كتاب اقليدس . ثم انتقلت الى المجسطي . ثم رغبت في علم الطب وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه . وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلا جرم اني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأونه عليّ . وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف . وأنا مع ذلك اختلف الى الفقه وأناظر فيه ، وأنا في هذا الوقت من ابناء ست عشرة سنة)[9] .

---

(6) Carrison-Introd. Hist. Medc. P. 130.

(7) ابو نصر الفارابي من تركستان . وهو أعظم فلاسفة الاسلام . درس في بغداد وأقام بحلب برعاية سيف الدولة الحمداني 333 هـ /944-967) . وقد حاول التوفيق بين الفلسفة والدين ، ولقب بالمعلم الثاني (بعد ارسطو) ومهر بالرياضيات والموسيقى وله في هذا الفن اضخم كتاب اسمه (الموسيقي الكبير) كما له شروح كثيرة على كتب ارسطو وكتب لاهوتية وهندسية وطبيعية .

(8) ابن ابي أصيبعة ص 438 . والناتلي نسبة إلى مدينة ناتل بطبرستان .

(9) القفطي ص 415-416 .

ونفهم مما تقدم ان ابن سينا لم يتعلم على احد من الاطباء ، أي أن دراسته لهذه الصناعة كانت ذاتية حققها بقراءة الكتب والتجربة على المرضى ، بينما قيل من جهة أخرى انه درس هذا العلم على ابي منصور الحسن بن نوح القمري[10] ، وعلى ابي سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني[11] اللذين كانا من اشهر اطباء خراسان في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي . كما يروى أنه تعلم الطب ومارسه لا وراء الكسب منه بل من اجل الثواب وعمل الثواب[12] .

وأشار ابن سينا في ترجمته الى الجهد الذي كان يبذله لدراسة العلوم وقال :

(وكنت ارجع بالليل الى داري واضع السراج بين يدي ، واشتغل بالقراءة والكتابة ، فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من النبيذ ريثما تعود اليّ قوتي ، ثم ارجع الى القراءة . ومهما اخذني ادنى نوم ، احلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام)[13] .

ثم قال :

(وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها . . . وكنت كلما اتحير في مسألة ولم كن أحصل بالحد الاوسط في قياس ، ترددت الى الجامع وصليت ، وابتهلت الى مبدع لكل حتى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر)[14] .

هكذا نشأ ابن سينا ، وهذا ما فعله ليدرك ما يمكن إدراكه من العلوم والفنون ، فذاع صيته حكيماً وطبيباً بارعاً . واستدعاه سلطان بخارى الامير نوح بن منصور[15] (331-343 هـ / 943-953م) ليعالجه من مرض أصابه ، فلما برأ على يده واسترجع

---

(10) ابن ابي أصيبعة ص 436 .

(11) المصدر السابق .

(12) البغدادي ـ خزانة الادب 466/4 .

(13) ابن ابي أصيبعة ص 438 .

(14) المصدر السابق .

(15) نوح بن منصور بن نوح بن نصر الساماني ، وكنيته ابو القاسم ويلقب بالرضى ولد وتوفي في بخارى عاصمة إمارته . تولى الحكم سنة 366 هـ / 976م وهو صبي ، وحصل بواسطة عضد الدولة على الامارة من الخليفة الطائع العباسي (النجوم الزاهرة 191/4 ، ومختصر الدول ص 208-210) .

عافيته ، أكرمه وسمح له أن يطلع على ما في مكتبته من كنوز المخطوطات والأثريات النادرة . فنهل ابن سينا من تلك الخزانة المزيد من المعارف ، وما فيها من الفنون الجديدة عليه [16] وروى أن المكتبة المذكورة قد احترقت أثناء ذلك . وشاع ان ابن سينا هو الذي أحرقها لينفرد بمعرفة ما حصل عليه منها من المعارف القيمة ، أو ليدعي بأصالتها اليه [17] .

ومع شغف ابن سينا بقراءة الكتب والتعلم منها ، فأنه بنفس الوقت لم يقطع صلته بملذات الدنيا ومطاردة الغواني ، والانغماس بالاعمال الجنسية[18] ، ومعاقرة الخمرة والتغني بها .

قال :

خمر تظل لها النصارى سجداً ولها بنو عمران اخلصت الوفا
لو أنها يوماً وقد لعبت بهم قالت الست بربكم ؟ قالوا بلى

ومن جهة اخرى كان ابن سينا متديناً يخاف الله ويتبعد له ، ويلجأ الى المساجد للانقطاع الى التأمل وترويض النفس بالتوسل الى الخالق تعالى لحل مشاكله الفكرية .

ويبدو ان ابن سينا قد بدأ بتسجيل أفكاره العلمية ، الطبية وغير الطبية ، بعد العشرين من عمره ، أو بعد الثانية والعشرين على الاكثر . وهذا هو تأريخ وفاة ابيه . فركن بعد رجة نفسية عابرة الى التأليف . وإذ أنه كان كثير الاسفار بين المدن والتنقل بين دواوين الامراء والملوك في خوارزم[19] ، وهمدان[20] (406هـ / 1015م)[21] ،

---

(16) البغدادي ـ خزانة الادب 467/4 .

(17) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان 158/2 .

(18) القفطي ص 425 وعنه اخذ ابن ابي أصيبعة في العيون ص 44 . والمشرزوري .

(19) خوارزم ـ الاقليم الذي يشمل الحوض الادنى لنهر جيجون المنحدر الى بحر الخزر . وعاصمة الاقليم مدينة خوارزم . قامت به حضارة تسبق حضارة الاسكندر المقدوني (الثلث الاخير من القرن الرابع ق . م) . فتح قتيبة بن مسلم الباهلي خوارزم سنة 93 هـ / 712م . وفي الحكم الاسلامي دخل سكانها الاسلام وكانت ديانتهم قبلاً الزرادشتية والنصرانية .

(20) همدان ـ مدينة على سفح جبل الفند بغرب ايران . سماها الآشوريون (هجماتانا) وقد قاتلتها قوات نبوخذ نصر في القرن السادس ق . م . ثم فتحها الاسكندر المقدوني آخر القرن الرابع ق . =

واصفهـان[22] ، وجرجـان[23] فلم تكن كتابـاته متـواصلة وصار يـرجع الى التـأليف في فترات متقطعة ، كما حصـل له الاتصـال بهذه المـدن بمشاهـير العلماء والفلاسفـة كأبن مسكويه ، وابي الريحان البيروني ، وابي القاسم الكرماني ، وأبي الفرج بـن الطيب عبد الله ؟! وابي الخير بـن الخمار ؟ ، وابي القاسم عبد الرحمن النيسابـوري ، والسيد عبـد الله بن يوسف الايلاقي[24] . ولم يرد في اخبار ابن سينا انه دخل بغداد[25] . وربما كان في تلك الحـال غير المستقـرة وارتباطـاتـه بـالحكـام هي التي ابعـدتـه عن هـذه الحـاضـرة العظيمة[26] ، أو أنه كان يتطلع الى الحكم في شكل من أشكاله ، وكان أمله أن يحصل عليـه في خارج العـاصمة العبـاسية أكـثر مما في داخلهـا ، وأخيـراً وزر لشمس الـدين

= م) وسماها الاغريق (اكباتا) وصارت قاعدة ميديا القديمة . فتحها المغيرة بن شعبة عامل عمر بن الخطاب على الكوفة سنة 23 هـ /وفيها تربة ابن سينا (الحموي ـ معجم البلدان ، الموسوعة العربية الميسرة) .

(21) الري ـ مدينة على بعد ثمانية كيلومترات في جنوب شرقي طهران بايران . قيل أنها مسقط رأس زرادشت . دخلها الاسكندر المقدوني ، ثم صارت بعده للسلوقيين . وفتحهـا العرب في خـلافة عمر بن الخطاب (13-23 هـ /634-644) عـلى يد نعيم بن مقـرن ، وفيها ولـد هارون الـرشيد . وينسب اليها محمد بن زكريا الرازي الطبيب والكيمائي الشهير (الموسوعة العربية الميسرة) .

(22) اصفهان ـ موقعها بين طهـران وشيراز بـإيران . فتحهـا المسلمون في حـوالي سنة 19 هـ / 640م (خلافة عمر بن الخطاب) . توالى على حكمها السامانيون والبويهيون والغزنيون والمغـول . وثار أهلها على تيمـورلنك فنكـل بهم تنكيلاً رهيبـاً (حوالي سـنة 790 هـ / 1388م) وفتحها السلطان سليمان العثماني سنة 955 هـ / 1548م . واسترجعها الصفويون وصارت قـاعدة ملكهم في حكم الشاه عباس الاول الصفوي المتوفى سنة 1038 هـ / 1628م وتلفظ اصفهان ايضاً اصبهان (الموسوعة العربية الميسرة) .

(23) جرجان ـ اقليم في الجنوب الشرقي من بحر قزوين وعاصمته مدينة جـرجان التي بـدأت تدفـع الجزية للمسـلمين منذ سنة 22 هـ / 642م . (خلافة عمر بن الخطاب) واستقر المسلمـون فيها في خلافة سليمان بن عبد الملك بإمارة يزيد بن المهلب على المشرق في سنة 98 هـ / 716م .

(24) دائرة المعارف الاسلامية 205/1 .

(25) ابن ابي أصيبعة ص 44 .

(26) ذكر كاريسون

Carrison-Introd. Hist. Medc.P.130

ان ابن سينا دخل بغداد ووزر لخلفائها . وهو وهم واضح ، ولا تؤيده التراثيات الاسلامية .

البويهي[27] . الا ان صلابة مواقفه في تصريف شؤون الجيش ، وهو العالم لا السياسي ، أثار عليه تمرد الجنود فنهبوا ممتلكاته وطلبوا قتله ، إلا أن شمس الدولة اكتفى بحبسه . وكان شمس الدولة مصاباً بالقولنج فأفرج عن ابن سينا ليعالجه ، واعتذر اليه وارجعه الى الوزارة[28] . ولما توفى مخدومه سنة 387-412 هـ خاف انتقام الجيش منه ، وهرب الى اصفهان مستجيراً بأميرها علاء الدولة بن كاكويه خال شمس الدولة البويهي ، وعمل طبيباً في بلاطه كما مارس تعليم الصنعة في بيته . ويحتمل أنه أكمل كتابة كتاب (القانون في الطب) بأصفهان لا بهمدان كما قيل . .

ذكرنا ان ابن سينا لم يدخل بغداد ولا اية حاضرة عربية ، مع ذلك تكلم بالعربية الفصحى كأحد ابنائها واعرفهم بقواعدها ، ووضع كل مؤلفاته بحرفها ، سوى كتاب واحد من كتبه وهو في النبض بالفارسية . كما له كتاب في اللغة العربية بعنوان (اللسان العربي) بعشر مجلدات لم يكملها . كذلك تنسب إليه القصيدة العينية الشهيرة في وصف الروح :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع[29]

وتوصف هذه القصيدة بأنها من اجل قصائده وأشرفها ، وهي في الحقيقة من حيث الصياغة والوزن ارفع من نظم ارجوزته في الطب وأروع .

وفي سنة 428 هـ / 1037م مرض ابن سينا بالقولنج وعالج نفسه بحقن الكرفس . واشتد عليه الداء وهو في طريقه الى همدان بصحبة الامير علاء الدولة ، وامسكت بطنه وانتفخت[30] فلما ادرك خطورة علته ودنو اجله ، تبرع بما يملك لاقاربه وللفقراء ، واعتق مماليكه ، وانقطع الى الزهد وقراءة القرآن [31]، وتوفي بنفس السنة كهلاً بعمر الثالثة والخمسين في همدان ودفن بها . وتربته الى هذا اليوم مزار يحج إليها .

(27) ابن ابي أصيبعة ص 441 .

(28) المصدر السابق ص 446 .

(29) المصدر السابق والصفحة .

(30) القفطي ص 425 . واخذ عنه ابن ابي أصيبعة ص 444 .

(31) ابن خلكان ـ الوفيات 160/2 .

بعض من بني قومه للتبرك وطلب الشفاء من عللهم المستعصية .

من تلاميذه ابو عبيد الجوزجاني (كاتب سيرته) ، وأبو القاسم النيسابوري ، والسيد عبد الله بن يوسف الايلاقي وغيرهم .

ان ابن سينا من العباقرة في الطب العربي . وموسوعي في عديد من العلوم والفنون بكل ما يدخل في معنى هذه الكلمة . إذ أنه الف في الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والفقه واللغة والموسيقى ، وعلم طبقات الارض والكيمياء ، وفي معارف اخرى كثيرة ، وكأنه يختص بكل واحدة منها دون سواها . وفي الطب ربما كان ابن سينا أول من وصف ذات السحايا وصفا علمياً دقيقاً ، وفرق بين ذات الجنب والم ما بين الاضلاع ، وأول من استعمل وضع الثلج على الرأس ، وعرف مذاق البول الحلو في مرض الديابيطس ؟ . كما تعزى اليه طريقة استحضار حامض الكبريتيك والكحول ، وهذه ابرز اعماله في الكيمياء .

قيل ان الرازي كان طبيباً فيلسوفاً ، أما ابن سينا فكان فيلسوفاً طبيباً . كما قيل ان الطب كان معدوماً فأوجده ابقراط ، وميتاً فأحياه جالينوس ، ومشتتاً فجمعه الرازي ، وناقصاً فأكمله ابن سينا . واقل ما تدل عليه هذه المقولة هو تقارب هؤلاء العلماء الثلاثة في المراتب العلمية ، وعلو كعوبهم فيها . وستبقى هذه العبارات المرتبة باعتناء وتناغم تتردد بأقلام الكتّاب لما فيها ما يعجب القراء بقدر ما فيها من الحقائق .

يعتبر ابن سينا ، من حيث شهرته بين العرب وغير العرب ، في الازمنة القديمة والحديثة ، ابرز اطباء القرون الوسطى ، وكأنه رمز لهم ، أو أنه يمثل الطب والاطباء معاً في تلك الحقبة . ومما ساعد على شهرته ، سيرته الواضحة في التاريخ ، وما فيها من احداث ومغامرات ، وأفكاره العميقة في الفلسفة والعلوم الطبيعية عامة ، وما الف فيها من الكتب الضخام ، وما تحتويه من أفكار جديدة شغلت افكار الناس ، فأثار العلماء ليكونوا معه او ليكونوا عليه . وليس باستطاعة احد أن يحكم على ان ابن سينا اعظم في الفلسفة منه في الطب أو العكس ، إلا من له إلمام واسع في هذين العلمين معاً . وتتفق هذه الطبقة من العلماء الاولين على ان ابن سينا كان فيلسوفاً قبل كل شيء ، وأكثر من كل شيء .

وكان لكتابه (القانون في الطب) اثر كبير في تعظيم مكانته في الجانب الطبي ، فصار اسم الكتاب واسم مؤلفه على السنة الاطباء منذ أن نشر الكتاب الى هذا اليوم . وابن سينا كبير فلاسفة الاسلام لا خلاف على ذلك ، فهل هو أكبر الاطباء العرب كممارس لهذه الصنعة ؟

لقد غطى كتاب القانون على الكتب الطبية السالفة له لحسن تبويبه وشموله الواسع للمادة العلمية ، وما فيها من الادوية والمفردات الطبية التي تدخل في التداوي . وميل ابن سينا الى الجانب النظري في هذا الكتاب واضح جداً ، وهذا ما جعل الكتاب سهل الفهم من القراء الاطباء وغير الاطباء . وكان كثير من عامة الناس طوال القرون الاسلامية يقرأون كتب الطب للمتعة والاستفادة الشخصية من معارف هذه الصنعة ، فكان كتاب القانون بما فيه من اوصاف مبسطة عن الامراض وأعراضها ، واستعمال الادوية من الاعشاب المعروفة ، كتاباً مثالياً لمثل هذه الطبقة من القراء . أما كتاب الحاوي للرازي فكان تطبيقياً ، أو سريرياً بمعنى ادق ، كما أن ضخامة حجمه جعلت استنساخه وحمله أمراً صعباً . فلم يكن على هذا دعائياً للرازي بين القراء كما كان القانون لابن سينا . ورغم أن الحكم من كتابي القانون والحاوي على مرتبة مؤلفيها في ممارسة الصنعة لا يصح التحاجج به ، إلا أنه ليس في سيرة ابن سينا ولا في كتبه ما يدل على الممارسة الواسعة في الطب . كما ان ابن سينا لم يلتحق بأي بيمارستان لتطبيق أفكاره النظرية . وكان في اوج شهرته الطبية وانغماسه في التأليف بها ، دؤوباً على تدارس الافكار الفلسفية والدعاية لها ، أو مشغولاً بالشؤون السياسية وما تورط به لخدمة الحكام والامراء . فالارجح على هذا ، ان ابن سينا صاحب الاسم الضخم والمكانة العالية في الفكر الفلسفي ، ليس ذلك الطبيب من الوجهة التطبيقية الذي يبز الرازي أو المجوسي . وهو أن برع في الطب الباطني ، فإنه لم يصب منزلة مذكورة في الطب الجراحي ، بل كان يرى ان هذا الاختصاص ادنى مرتبة من صنوه الطب الباطني ، فأهمل جانبه بعض الاهمال[32] .

إن هذا التقريض لاعمال ابن سينا يبدو غير مألوف ، إلا أنه بأي حال لا يحط

Carrison, P. 130 (32)

من مرتبته كأحد عباقرة الطب العربي وكبار المؤلفين فيه ، كما لا يشين بأي قدر ، كتابه القانون في الطب .

تـزيد مؤلفـات ابن سينا عـلى المائـة كتاب ، في الفلسفـة والريـاضيـات ، وعلم طبقات الارض ، والفلك ، والفقه ، والموسيقى ، والطب وغير ذلك . واشهر كتبه هو القانون في الطب ، وهو اضخمها ايضاً وأجود ما كتب في الـطب عامـة ولذلـك نوليـه إهتمامنا بشكل خاص .

(1) القانون في الطب ـ يبرز في هـذا الكتاب الشمـول وجودة التبـويب . ويحتوي على خمس كتب ضمنية ، هي :

الكتاب الاول ـ ويبحث في كليات الطب بأربعـة فنون (أبـواب) ، الاول منها الاسطقسات والاخلاط وتشريـح الاعضاء ، والقـوى الثلاث النفسيـة ، والطبيعيـة ، والحيوانية .

والفن الثاني ـ في الامراض وأسبابها وأعراضها .

والفن الثالث ـ في الصحة والمـرض وحتمية المـوت . وفي الاسباب (العـوامل) الستـة الطارئـة على الجسـم وصحتـه ، وهي المحيط الخارجي ، والحـركة والسكـون ، والنوم واليقظة ، والتفاعلات النفسية ، والمأكل والمشرب ، والاسهال والامساك .

والفن الـرابـع ـ في طـرق العـلاج بـالحميـة ، والتغـذيـة والقيء ، والاسهـال والاستفراغات الاخرى ، وبالحقنة ، والضمادات الحارة ، والحجامة والفصد والكي .

الكتاب الثاني ـ في الادوية المفردة وصفاتها ، وإختبار فعلها في البدن .

الكتاب الثالث ـ في الامراض الجزئية من الرأس الى القدم .

الكتاب الرابع ـ في الامراض التي لا تختص بعضو معين كالحميات ، وأعراضها وعلاماتها ، والبحرانات ، والاورام ، وكسر العظام ، والسموم والدويـات المؤذية .

وقـد اخذ ابن سينـا في كتاب القـانـون (كـما يـأخـذ اي مؤلف عمن سبقـه من المؤلفـين) عن ابقـراط في كليـات الـطب ، وعن جـالينـوس في التشـريـح ، وعن

ديوسقريدس في الادوية كما اخذ عن ابن مـاسويـه ، والرازي ، وحنـين بن اسحاق ، وابن ربن الطبري وغير هؤلاء . إلا أنه مع الاسف لم يشر في كتابه الى مـا اخذه عن اولئك الاطباء ، وبذلك لا يعـرف بسهولـة ما في القـانون من الاصـالة لابن سينـا وما لغيره من الاطباء . وهذا على غير عادة كبـار المؤلفين العـرب في الطب الـذين اشتهروا بالامانـة العلمية وتسجيـل الفضل لاصحـاب الافكار الاولى في الصنعـة . ولما وصـل كتاب القانون الى أوربا حسب قرّاؤه ان كل مضامينه من صنع ابن سينا ، ومـا صعب عليهم فهمه منه لا بد أن يكون أعلى من مداركهم في فهم اسرار الصنعة التي لم يبلغها إلا ابن سينا .

وكان ابن سينا يبقى عـلى بعض التعابـير الاعجمية حـين تستعصي عليه تـرجمتها بـالعـربيـة ، أو حـين يستحسن جـرسهـا الفني . فـاستعمـل في الكتــاب مصـطلح الكيموس ، والمانيا ، والديابيطس ، والقولنج ، والشهنادج ، والماليـنخوليا . وغير هذه كثير من التعابير اليونانية والفارسية دون أن يترجمها الى العربية ، أو يحور ملفوظها .

وكانت عند ظهور كتاب القانون ثـلاثة كتب جـامعة في الـطب ، أقدمهـا كتاب فـردوس الحكمة لابن ربن الـطبري ، وهـو كتاب يجمـع بين الـطب اليونـاني والهندي والفارسي . كما يحتوي أيضاً على كثير من الافكار السقيمة والخرافية . فلما ظهر الكتاب الثـاني وهو المنصـوري لابي بكر الـرازي ذي النزعـة العلمية الخـالصـة ، احتـل هـذا الكتـاب بالـرغم من الاختصار في مـواد مواضيعـه ، والتحديـد في شموليتـه وتنويعهـا العلمي مكـان كتاب فـردوس الحكمة في ايـدي كثير من المتعلمـين والممارسـين . أمـا الكتاب الثالث فهـو الكتاب الملكي لعـلي بن العباس المجـوسي ، وهو بحق كتـاب ند لكتاب ابن سينا . وعلى الرغم من كونه أكثر حيوية واصلح للتطبيق من كتاب القانون إلا أن هذا الكتاب الاخير قد طغى عـلى كل الكتب المتـداولة آنـذاك . وصار المـرجع الاول للممارسين في أكثر الربوع التي وصلها الكتاب .

بدأ ابن سينا بتحـرير كتـاب القانـون في جرجـان ، وكتب قسماً منـه في الري ، واستمـر يكتب فيه وهـو يتنقل بـين المدن وأخيـراً أتمه في همـدان . إلا أن انتشاره بـين الاقطار للغرابة كان بطيئاً . فلم يصل الى بغداد إلا بعد مرور نصف قـرن ، ولم يصل إلى قرطبة إلا بعـد مرور نصف قـرن آخر أو أكـثر قليلاً . ووصـل من هناك الى أوربـا

وصار أشهر كتب الطب العربية في مدارسها الطبية .

وقد تناول الأطباء العرب كتاب القانون بالمدح ، وبعض منهم بالقدح أو علق عليه كثير منهم . وكان أشد اهتمامهم بقسم الكليات الذي رأوه أصعب على الفهم مما في الكتاب من علوم وفنون . كما اختصره آخرون ليكون أسهل قراءة وأخف حملا .

وابن سينا نفسه أول من فكر بشرح كتاب القانون (ابن ابي اصيبعة ص 457) ولا بد انه قصد إلى ذلك بعد ان رأى ما آل إليه الكتاب من سعة في المعلومات التفصيلية ، والشروح والتبويب . إلا ان ابن سينا لم ينفذ هذه الفكرة ، فحققها من بعده تلميذه محمد بن يوسف الأيلاقي . فاختصر قسم الكليات من القانون باسم الفصول الأيلاقية او كتاب الأسباب والعلامات (ويلكم ، جامعة كاليفورنيا) .

ولم يكن ذكر الكتاب القانون على ألسنة أطباء بغداد ولا في مؤلفاتهم حتى أيام ابن التلميذ هبة الله بن صاعد المتوفى سنة 560 هـ / 1164م فصار هذا الشيخ يعلم تلاميذه على هذا الكتاب ، كما وضع حواشي عليه .

وفي دمشق ظهر في الحقبة المذكورة كتاب باسم حواشي على كتاب القانون من تأليف ابي جعفر عمر بن علي بن البذوخ المغربي المتوفى سنة 575 هـ / 1164م .

ووضع ابو نصر سعيد بن ابي الخير المسيحي ت سنة 589 هـ / 1193 م) مختصراً لكتاب القانون باسم الاقتضاب على طريق المسألة والجواب (بطرسبورغ ، ودار الكتب المصرية ، والظاهرية ، والقديس يوسف ببيروت) ثم اختار أبو نصر أقساماً من هذا الكتاب وجعل منه كتاباً أصغر منه باسم انتخاب الأقتضاب .

وجاء بعد ابي نصر المسيحي ، الطبيب المصري هبة الله بن جميع الاسرائيلي (توفي سنة 594 هـ / 1198 م) وعلق على كتاب القانون بكتاب سماه التصريح بالمكنون في تنقيح القانون (بودليان ، والظاهرية ، ولايدن) ، نقد فيه بعض مضامين القانون ، كما ذكر فيه تعزيزاً لرأيه بهذا الكتاب (ان بعض التجار قد ادخلوا كتاب القانون الى الاندلس ، فلما اطلع عليه ابو العلاء بن ذهرذمه واطرحه ولم يدخله في خزانة كتبه ، وجعل يقطع من طروره ما يكتب فيه نسخ الادوية لمن يستفتيه من المرضى) . ونعلم ان ابا العلاء المذكور قد وضع لابنه ابي مروان بن زهر كتاباً في الرد على ابن سينا فيما قاله بكتاب الادوية المفردة (ابن أبي أصيبعة ص 519،517) .

وشرع ابن خطيب الري فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606 هـ /1209 م في شرح كليات القانون لابن سينا ، إلا أنه لم يتم تحريره . وقد نقد عبد اللطيف البغدادي (ت 606 هـ / 1209م) ما كتبه ابن خطيب الري في كتاب شرح كليات القانون .

ولكمال الدين المظفر بن علي بن ناصر الحمصي المتوفى سنة 615 هـ / 1218م تعاليق على كليات القانون . كذلك للقطب المصري ابراهيم بن محمد السلمي (ت سنة 618 هـ / 1231م) كتاب في شرح الكليات من كتاب القانون . أما ابن رقيقة سديد الدين محمد بن عمر بن ابراهيم الشيباني المتوفى سنة 635 هـ / 1237م فقد نظم كليات القانون رجزاً[33] .

ولرفيع الدين ابي حامد عبدالعزيز الجيلي (ت641 هـ/1244 م) كتاب اختصار الكليات من كتاب القانون . كما صنف ابن المنفاخ نجم الدين احمد بن حلوان المعروف بابن العالمة (ت 652 هـ / 1254م) كتاب المهملات في كتاب الكليات . وهو نقد على ما اغفله ابن سينا في مواضيع كليات الطب بكتاب القانون[34] .

وكان فخر الدين رضوان بن محمد الساعاتي (حوالي 592 هـ / 1195م) يعتمد على كتاب القانون ووضع عليه حواشي في تأييده ومدحه .

وللصاحب نجم الدين يحيى بن محمد اللبودي (ت 661 هـ / 1262م) كتاب مختصر الكليات من كتاب القانون . كما لشرف الدين الرحبي علي بن يوسف بن حيدرة (ت 667 هـ / 1263م) كتاب بنفس اسم هذا الكتاب ومآله .

ولموفق الدين بن يعقوب السامري المتوفى سنة 681 هـ / 1282م كتاب شرح الكليات من كتاب القانون[35] .

أما اضخم عمل في شرح كليات ابن سينا فهو الذي وضعه ابو الفرج بن القف الكركي (ت 685 هـ / 1268م) وهو كتاب بست مجلدات واحد منها في المكتبة

---

(33) Campbell, 1/79.

(34) قائمة كتب ابن سينا في العيون لابن ابي أصيبعة ص 457-459 .

(35) ابن ابي أصيبعة ص 568-569 .

الظاهرية بدمشق . كما للمؤلف نفسه حواشي على الكتاب الثالث من القانون .

واختصر الكليات من كتاب القانون محمد بن يوسف الخجندي (القرن السابع - الثامن هـ) بكتاب التلويح الى اسرار التنقيح (رضا كمبور) .

وظهرت بعد ذلك مؤلفات ابي العلاء بن النفيس القرشي المتوفى سنة 687 هـ /1288 م وهي بالتسلسل الزمني لصدورها كما يلي :

(1) كتاب شرح القانون (ويلكم) وهو اوسع وأكمل من كل الشروح والتعقيبات التي وضعت على كتاب القانون .

(2) كتاب موجز القانون ، أو كتاب الموجز في الطب ، وقد اعتنى بطبعه المولوي محمد سليمان الهراتي مع روح الامين في كلكتا سنة 1828 م . والكتاب موجز لكتاب شرح القانون لا لكتاب القانون الاصل .

(3) شرح تشريح القانون (برلين ، الظاهرية ، بودليانا ، أيا صوفيا ، ويلكم) والمخطوطة الاخيرة موضوعة ضمن مخطوطة شرح القانون للمؤلف نفسه والموجودة في مكتبة ويلكم .

وشرح القانون قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (ت 710 هـ / 1311م) بكتاب التحفة السعيدية (Brockelmann 1/597) ثم شرحه سديد الدين الكازورني المتوفى سنة 745 هـ / 1344م (حاجي خليفة ص 1313) . أما آخر من شرح القانون فهو زين العرب المصري المتوفى سنة 751 هـ / 1250م ، ومخطوطة هذا الكتاب بمكتبة ويلكم بلندن .

ولما وقع كتاب القانون بأيدي الاسبان القشتاليين حين دخلوا طليطلة ترجمه جيرارد الكريموني المتوفى سنة 1187 م الى اللاتينية . كما يذكر ان جيرارد السابيونيتي هو الذي اتم الترجمة[36] . وانتشرت مخطوطات هذه الترجمة بين اطباء أوروبا أكثر من اي كتاب طبيعي آخر[37] .

---

(36) Ibid, P. 131.

(37) دائرة المعارف الاسلامية 207/1 .

وربما كان كتاب القانون أول كتاب طبع بماكنة بعد طبع كتاب الانجيل ، وأعيد طبعه ست عشرة مرة في الثلاثين سنة الاخيرة من القرن الخامس عشر ، وبقي يدرس في جامعة مونبليه حتى العام الثلاثين من القرن السابع عشر .

قال وليم اوسلر[38] : لقد ظل كتاب القانون الانجيل الطبي لاطول فترة من الزمن . ولولا المركز العالي لهذا المؤرخ الطبيب ، لما اعتززنا بشهادته عن ابن سينا .

ولكتاب القانون مخطوطات كثيرة منها : في أيا صوفيا ، والاسكوريال ، وويلكم . وفي المخطوطة الاخيرة بعض التصاوير الرمزية تمثل تشريح جسم الانسان وفي أخرى رسم لطبيب يفحص مريضاً ومن حولها الاتباع والمساعدون في المهنة .

طبع كتاب القانون بلغته العربية لاول مرة في روما سنة 1593 م ، ثم طبع في بولاق سنة 1877 م ، وأخيراً في لكنو سنة 1323هـ / 1905م . كما ترجم الى الاوردية وطبع بها في لكنو ايضاً سنة 1890 م . وترجم O.C.Gruner الجزء الأول منه وطبعه بلندن سنة 1930 م باسم Teates on The Canon of Medicine of Avecenna وترجم هرشبورغ وليبرت قسم طب العين من القانون الى الانكليزية وطبعاه في برلين سنة 1905 م . كما ترجم سونتماير قسم الاقرباذين وطبعه في برلين سنة 1845م . وفي اكاديمية يزبك بمؤسسة الدراسات الشرقية بطاشقند طبعة من القانون بخمس مجلدات .

(2) ارجوزة في تدبير الصحة في الفصول (ويلكم) .

(3) ارجوزة في التشريح (ويلكم) .

(4) ارجوزة في التشريح عموماً (ويلكم) .

(5) ارجوزة في الطب ، وهي اشهر ارجوزاته ، ومطلعها

---

(38) اوسلر ـ سروليم اوسلر ، من مشاهير اطباء القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين . كندي الاصل . اشتغل بدراسة تأريخ الطب بالاضافة الى ممارسة الطب وتدريسه في جامعتي جونز هوبكنس وبانسلفانيا بأمريكا وجامعة اكسفرد بانكلترا . وقد منحت له الجنسية الانكليزية والامريكية ، توفي سنة 1919 . اشهر مؤلفاته

Principle and Practice of Med' ine

الحمد لله المليك الواحد رب السموات العلي الماجد

وآخرها :

وقد فرغت من جميع العمل والآن فاقطعه بقول مكمل

وتضم هذه الارجوزة أكثر من ألف بيت من الشعر في الطب بعمومياته وتفصيلاته . وقد حرك أسلوبها كثيراً من الاطباء الادباء على معارضتها وشرحها شعراً ، كان منهم ابن رشد المتوفي سنة 595 هـ / 1198 م ، وأبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس الحكيم المتوفى سنة 620 هـ /1223م ، وأبو زيد عبد الرحمن بن أبي جمعة وغير هؤلاء . ومخطوطة ارجوزة ابن سينا في كثير من المكتبات منها دار الكتب المصرية ، والاسكوريال . والمتحف العراقي وفي مكتبة الامام الحكيم بالنجف . وقد ترجم ازمنجود الباغوس الارجوزة الى اللاتينية ، وطبعت في باريس الى جانب ترجمتها بالفرنسية ، من قبل جامعة الجزائر سنة 1956 م .

(6) ارجوزة في المجربات (قسم الدراسات العليا ـ جامعة بغداد ، ومكتبة الامام الحكيم بالنجف) ومطلعها :

بدأت باسم الله في نظم حسن اذكر ما جربته طول الزمن

وآخرها :

هذا الذي جربته في عمري نظمته للمقتفين اثري

(7) ارجوزة في نظم القضايا الخمسة والعشرين لابقراط على دلالة الموت (قسم الدراسات الاسلامية ـ جامعة بغداد) ، ومطلعها :

يا رب سر لم يزل مخزوناً مكتتماً بين الورى مكنوناً

وآخرها :

وأيسر الابطين أن عينتا بها خراباً هكذا احكمتا

(8) الارجوزة الوجيزة المسماة بالتحفة العزيزة (مكتبة الزاوية الحمزاوية بالمغرب) .

ومطلعها :

الحمد لله المعافى الشافي سواه لا يشفى ولا يعافى

وآخرها :

والبارد الحلو الصحيح البالغ في قوة الصيف دواء سايغ

(9) ارجوزة في اسباب الحميات (ويلكم بلندن) .

(10) مقالة في السكنجبين[39] ترجمها الباغوس الى اللاتينية ، ومخطوطتها بدار الكتب المصرية ومكتبة أحمد الثالث باستنبول .

(11) تعاليق على مسائل حنين بن اسحاق .

(12) مقالة في الهندباء[40] .

(13) مجموعة مسائل ـ اسئلة واجوبة في الطب .

(14) دفع المضار الكلية عن الابدان الانسانية (دار الكتب المصرية ومجلس شورى ملي) وقد طبع بهامش كتاب دفع المضار الكلية من الابدان الانسانية للرازي ، بمصر سنة 1305 هـ .

(15) فوائد الزنجبيل (لا له لي السليمانية) .

(16) القانون الصغير في الطب (الاسكوريال) .

(17) كفاية المرتاض في علمي الابوال والانباض (حاجي خليفة ص 151 ـ المكتبة القادرية العامة ببغداد) ، وهي ارجوزة مطلعها :

---

(39) السكنجبين ـ الكلمة هي سكنجبين مجردة من الالف واللام . وهو شراب مركب من (سك) اي خل وانكبين اي حلو بالفارسية . ويراد به كل حامض وحلو (ادي شير ـ الالفاظ الفارسية المعربة ص 92) .

(40) الهندباء Batavian Endive منها أنواع : البرية ، والمرة والجعدة ، والخسية وغير هذه كثير . يقول ديوسقريدس ان البري اجود للمعدة من البستاني وذكره بهذا الوصف أيضاً الغافقي وابن سمجون . وهي تستعمل لالتهابات المعدة وتقويتها كما تستعمل لتنشيط القلب . واستطبها الرازي لالتهاب الكبد أيضاً ، كما استطبها ابن ربن الطبري وماسرجويه البصري ومسيح الدمشقي واسحاق بن عمران لنفس الحالات المرضية (ابن البيطار الجامع 4/198-199) .

الحمد لله الحكيم الباري ثم صلاته على المختار

(18) كتاب الادوية القلبية (سوهاج) وقد نشره محمد زهير البابا ضمن منشورات معهد المخطوطات العربية ، ومعهد التراث العلمي العربي بحلب ، سنة 1984 م .

(19) كتاب الاقرباذين (حربية باستانبول) .

(20) كتاب حي بن يقظان وقد طبعه ميكائيل بن يحيى المهرتي ـ سنة 1935م .

(21) قوانين ومعالجات طبية .

(22) تعاليق على مسائل حنين في الطب .

(23) رسالة في الباه .

(24) رسالة في الفصد .

(25) رسالة في معرفة النفس .

(26) موجز في الطب .

(27) تدارك الخطأ الواقع في التدبير (المكتبة العامة/بغداد) .

(28) رسالة في السوداء (نور عثمانية) .

أما كتب ابن سينا في غير الطب فأكثرها في الفلسفة ، والفلك ، وعلم طبقات الارض ، وعلم العدد ، والموسيقى . وكتاب الشفاء اشهرها جميعاً ، وهو لا يخلو من تلميحات طبية بروح لاهوتية . وقد ترجم حنا الاشبيلي هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية .

ابو الفرج بن الطيب[1]

اسمه عبد الله . سرياني من نصارى بغداد في القرن الخامس الهجري . وقيل انه من نسل فولس[2] ابن اخت جالينوس ، وأنه يعرف اللغة الرومية واليونانية . درس اللاهوت وصارت له منزلة كنائسيةبين ملته النصارى ، وشغل مكتب الجاثليق في بغداد ، وتعلم الطب على ابن سوار (حوالي 330 هـ / 941م) وعمل في البيمارستان العضدي ببغداد في أيام الخلفاء المتلقي والمستكفي والمطيع والطائع ، وأدرك خلافة القائم (422-467 هـ/ 1031-1075 م) فيكون على هذا قد بلغ من العمر عتيا .

وكان ابن الطيب يعتمد في آرائه وكتاباته على خبرته الطويلة في الصناعة إضافة الى ما يقرأه في كتب ابقراط وجالينوس . وله على هذه الكتب شروح وتعاليق حققت لكثرتها وجودتها مكانة رفيعة لابن الطيب بين العلماء والمتعلمين وطلاب المعرفة ، وسمي بسبب ذلك (ابو الفرج المفسر)[3] ، كما له مؤلفات من صنعه يعترف ابن سينا

---

(1) اقرأ عن ابن الطيب في مختصر الدول لابن العبري ص 274-330 . وتأريخ الحكماء للقفطي ص 223 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 323-325 ، ونزهة الارواح للشهرزوري 25/2-28 ، وهدية العارفين للبغدادي 450/1-451 ، وفلاسفة الاسلام للبيهقي 43-47 ، ونصارى بغداد لبابو اسحاق ص 215-217 ، والاعلام للزركلي 227/4 ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 66/6 ، والحكمة ـ القدس ـ 27/5 .

(2) الشهرزوري 27/2 Ullmann-Mediz. Islam, P. 156-157

(3) الشهرستاني ـ الملل والنحل 3/3 .

بجودتها ، بينما لا يعترف بآراء ابن الطيب في الفلسفة . وإعتماداً على كثرة التفاسير التي صنعها ابن الطيب للكتب اليونانية في الطب ، فاننا نقدر انه كان معلماً جيداً ويحب التعليم ويعمل فيه أكثر مما يعمل في ممارسة الطب بالبيمارستان . فكان من متخرجي مدرسته كبار أطباء عصره أمثال ابن بطلان البغدادي ، وابن بدرج ، وهبة الله بن أثردي ، وابن مصوصا ، ورجاء الطبيب الخراساني ، وزهرون الصابي ، وظافر بن جابر السكري[4] . وعلي بن عيسى الكحال[5] . وكان من معاصري ابن الطيب صاعد بن عبدوس ، وابن الهيثم ، والناتلي استاذ ابن سينا . كما ادركه ابن سينا أيضاً . والارجح ان اتصالاته بهؤلاء العلماء كانت بالمراسلة لا بالمقابلة . فابن الطيب استاذ الجيل الذي حمل مشعل الفكر الطبي الفلسفي في تلك الحقبة . قال عنه القفطي انه (فيلسوف فاضل ، مطلع على كتب الاوائل وأقاويلهم ، مجتهداً في البحث والتفتيش وبسط القول ، واعتنى بشروح الكتب القديمة في المنطق وأنواع الحكمة من تواليف ارسطو طاليس ، وفي الطب من كتب جالينوس ، وبسط القول في الكتب التي تولى شرحها بسطاً شافياً قصد بها التعليم والتفهيم . حتى رأيت من ينتحل هذه الصناعة يذمه بالتطويل . وكان هذا العائب يهودياً ضيق الفطنة)[6] .

توفى ابن الطيب في بغداد في حوالي سنة 435 هـ / 1043م الواقعة في خلافة القائم العباسي . واكثر أعماله في تفسير كتب جالينوس وهي :

(1) تفسير كتاب الفرق .

(2) تفسير كتاب المزاج (المكتبة الاهلية بباريس) .

(3) تفسير كتاب الاسطقسات (مكتبة باريس) .

(4) تفسير كتاب التشريح الصغير .

(5) تفسير كتاب العلل والاعراض .

---

(4) ابن ابي أصيبعة ص 614 .

(5) المصدر السابق ص 324 .

(6) القفطي ص 223 .

(6) تفسير كتاب تعرف العلل الباطنة .

(7) تفسير كتاب النبض الكبير .

(8) تفسير كتاب الحميات .

(9) تفسير كتاب البحران .

(10) تفسير كتاب حيلة البرء .

(11) تفسير كتاب تدبير الاصحاء .

(12) تفسير كتاب منافع الاعضاء .

(13) تفسير ثمار الستة عشر كتاباً (لجالينوس) .

(14) تفسير كتاب الصناعة الصغيرة .

(15) تفسير كتاب النبض الصغير .

(16) تفسير كتاب أيام البحران .

أما كتب ابقراط التي فسرها ابن الطيب فهي :

(17) كتاب الابديميا .

(18) كتاب الفصول .

(19) كتاب الاخلاط .

(20) كتاب طبيعة الانسان .

وله أيضاً :

(21) تفسير كتاب الحيوان لارسطو .

(22) شرح ثمار مسائل حنين بن اسحاق .

(23) شرح كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية لحنين .ومن مؤلفات ابن الطيب أيضاً :

(24) مقالة في القوى الطبيعية (مخطوطها بأيا صوفيا) .

(25) مقـالـة في العلة لم جعـل لكـل خلط دواء يستفـرغـه ، ولم لم يجعــل للدم دواء يستفرغه مثل سائر الاخلاط ؟

(26) تعاليق في العين .

(27) النكت والتعليقات في الطب .

ابن بطلان البغدادي[1]

اسمه ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان . ويعرف اختصاراً بكنيته الاخيرة ، وهي التي غطت على اسمه واشتهر بها . ولد ببغداد ونشأ فيها في خلافة القائم بالله (422-467 هـ / 1031-1075م) وتعلم الطب في البيمارستان العضدي على اثنين من كبار اطباء ذلك الزمان هما : ابو الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني المتوفى سنة 369 هـ / 970م والحكيم الطبيب ابو الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة 435 هـ / 1042م[2] . كما هوى ابن بطلان فنون اللغة العربية وقراءة الشعر ونظمه ، فجمع بين الصناعتين الادب والطب . وقد غلبت عليه الاخيرة واشتهر بها . وصار مجلسه منتدى العلماء والحكماء والشعراء والاطباء ورجال الدين ، يتسامرون فيه ويتقابسون بالعلوم والفنون . ويبدو من عنوان كتابه (طب الاديرة) ، ولتوليه أمور النصارى الدينية في حلب كما سنرى ، ولترهبه في أواخر حياته ، ما يدل

---

(1) اقرأ عن ابن بطلان في تأريخ الحكماء للقفطي ص 294-314 ، وعيون الانباء لابن ابي أصيبعة ص 314-325 ، ومختصر تأريخ الدول لابن العبري ص 231 ، والوافي للصفدي 111/24-112 وآداب اللغة لزيدان 105/3 ، ودائرة المعارف الاسلامية 98/1 ، ونوادر المخطوطات لهارون 342/1-347 ، والكشف لحاجي خليفة ص 756،469 ، والمخطوطات العربية لشيخو ، والاعلام للزركلي 69/8 ، ومعجم المؤلفين لكحالة 211/12 وجريدة النهار لنقولا شاهين سنة 1977عدد 13405 ، ومن حوار الحكماء لاسامة عانوتي في مجلة الباحث سنة 1979 عدد/ 3ص 115-126

Leclerc, 1/489-492,

(2) ابن ابي أصيبعة ص 325 .

على أنه كان متفقهاً في ديانته النصرانية ، وذا فطرة كهنوتية بها[3] . والـذي قرأه ابن أبي أصيبعـة بخط ابن بطلان عن الـطوالع في قـراءة مسارات النجـوم ، يجعلنـا نعتقـد أن صـاحب هذه التـرجمة كـان كخصمه ابن رضـوان المصري ، يـراقب مـواقـع النجـوم ويدرس ما ينعكس من جراء حركاتها ، على الكائنات والانسان . قال :

(ومن مشاهير الاوبـاء في زماننـا الذي عـرض عند طلوع الكـوكب الاثاري في الجـوزاء من سنة ست واربعمـائة ، فـإن في تلك السنـة دفن في كنيسـة لـوقـا بعـد ان امتـلأت جميع المـدافن في القسطـنطينية ، أربعـة عشر الف نسمة في الخـريف . . فلما توسط الصيف في سنة سبع واربعمائة مات في الفسطاط والشام أكثر أهلها . . . وأنتقل الوباء الى العراق فأتى على أكثر اهله . . وعرض للناس في أكثر البلاد قـروح سوداويـة وأورام الـطحال ، وتغـير ترتيب نـوائب الحميات ، واضـطرب نظام البحـارين (جمـع بحران)[4] . ثم قال :

(ولان هذا الكوكب الاثاري (المذنب هالي) طلع في برج الجوزاء ، وهو طالع مصر ، وقع الوباء في الفسطاط . . وصح انذار بطليموس القائل : الويل لاهـل مصر اذا طلع احد ذوات الذوائب . ولما نزل زحل برج السـرطان ، تكـامل خـراب العراق والموصل والجزيرة . . وفارس وكرمان ، وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام[5] . . الـخ) . والإطالـة في هذا الحـديث لا يزيـد من كـون ابن بـطلان احكـامي ويمـارس التنجيم إلى جانب ممارسة الطب .

وأبرز ما في سيرة ابن بطلان هي خصومته لابن رضوان المصري ، حتى لا يكـاد يجيء اسمه على البال الا وتكون تلك الخصومة في صدر اخباره .

خصومته لابن رضوان

كان في مصر يومئذ الطبيب ابن رضوان المصري الذي وصلت شهرتـه الى بغداد كأحسن ما يكون من الاطباء والمنجمـين ، وذوي المروءة واصحـاب التآليف القيمـة ،

(3) المصدر السابق ص 326 .

(4) المصدر السابق والصفحة .

(5) المصدر السابق ص 327 .

والعيشة المرفهة ، والمقام الرفيع عند الحكام ، والرأي المسموع بين المتعلمين . وكانت هذه النعم تزيد كثيراً عما لدى ابن بطلان منها . ولا يستغرب لو أنها أثارت حسده على ابن رضوان والغيرة منه . فصار بينهما ما صار من التناحر والتنافر كما سنرى .

وكان من أفكار ابن رضوان التي ينادي بها ويكتب فيها ، ان طالب الطب العلم يستطيع ان يصل الى مركز مرموق من المعرفة بدراسة الكتب فقط ، دون اللجوء الى دراستها على المعلمين فيها[6] . والمعروف ان ابن رضوان لم يكن له استاذ تخرج عليه ، بل انه ادرك العلوم الطبية بذاته من دراسة كتب علماء اليونان والعرب ، واتقن فهمها حتى صار ينقد مبتكرات الرازي وكفاءة حنين بن اسحاق وآراء ابي الفرج بن الطيب[7] . ولا يستبعد ان يكون ابن بطلان قد اعتبر رأي ابن رضوان في التعلم الذاتي ونقده لاستاذه ابي الفرج بن الطيب ، انتقاداً غير مباشر له بالذات لا لاستاذه ، فنشر مقالة مطولة سفه فيها آراء ابن رضوان بهذا الموضوع . وبقي ابن بطلان يرد على ابن رضوان في كل ما يقوله في الطب وعن الاطباء ، حتى وصل الخصام فيما بينهما الى الشتم والسباب . فلا يقول احدهما شيئاً حتى ينبري الآخر ويرد عليه بالنقد القاسي الاليم .

وكانت تبدو ظواهر محاججاتهما واهنة لا علمية فيها في بعض المواقف . إلا أنها في الحقيقة لا تخلو من فائدة في ممارسة طب تلك الايام . قال اليبرودي ، وهو طبيب دمشقي معاصر لابن بطلان ، ان لحم الفرخ (صغار الحمام) أحر من لحم الفرّوج (صغار الدجاج) ، ووافقه ابن رضوان على هذا الرأي ، فأنبرى ابن بطلان واعترض عليه بمقالة عزرها بظواهر بيولوجية في الحيوان كانت منذ العصور اليونانية مدار بحث في موضوع طبيعة الاطعمة الحيوانية . قال ابن بطلان أن الطيور التي تفقس عن البيض وتستطيع الحركة لتبحث في تراب الارض عن طعامها يكون لحمها ، بسبب حركتها الدائبة ، أحر من الطيور التي لا تستطيع ان تفعل ذلك[8] . وكان هذا المنطق

---

(6) ابن ابي أصيبعة ص 563 .

(7) المصدر السابق والصفحة ، المقالة الثانية من الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب لابن رضوان المصري (مخطوطة جستر بيتي) .

(8) اقرأ مقالة المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون في أن الفروج احر من الفرخ في كتاب خمس =

يومذاك مقبولاً ، فأكسب ابن بطلان فوزاً على خصمه ابن رضوان .. وعلى العموم ، كانت قوة ابن بطلان في بلاغة كلامه وأسلوب كتابته ، أما قوة ابن رضوان فكانت في أقواله الحكمية وعلومه الطبية[9] .

غادر ابن بطلان بغداد في رمضان سنة 400 هـ / 1048م قاصداً خصمه ابن رضوان في مصر ليصفي حسابه معه . ويعتقد القفطي ، كما يبدو من ثنايا كلامه عن ابن بطلان ، أنه هجر بغداد طلباً للمزيد من الرزق[10] ، وفي فاتحة كتاب دعوة الاطباء لصاحب هذه الترجمة ، ما يوثق هذا الرأي . ولو كان ابن بطلان صاحب ممارسة واسعة في الطب وعيشة رغيدة منها لما تجشم مشاق تلك السفرة الطويلة والمحفوفة بالمخاطر بقصد المناظرة فقط مع طبيب يخالفه الرأي في أمور لا تدخل بعمق في صميميات الطب ولا تضر بمصالحه الخاصة لا من قريب أو بعيد .

دخل ابن بطلان حلب وهو في طريقه الى مصر . وكانت حلب عهدئذ بامرة معز الدولة ثمال بن صالح المرداسي ، فلقي منه ترحيباً وتكريماً ، وولاه الاشراف على أمور النصارى الدينية في المدينة[11] ، إلا ان ابن بطلان على ما يبدو كان متزمتاً في سنن شريعته ، وفي إقامة طقوسها ، والالتزام بآداب كنائسها . فضاق الاهالي به ذرعاً وثاروا على ولايته عليهم[12] . كما شاغب عليه كاتب طبيب من نصارى المدينة هو الحكيم ابو الخير المبارك بن شرارة ، فاضطر ابن بطلان الى مغادرة حلب واستئناف رحلته الى انطاكيا في طريقه الى مصر .

وصل ابن بطلان الى الفسطاط سنة 441 هـ / 1049م وكانت مصر يومئذ تحت حكم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (427-487 هـ / 1036-1094م وتقابل مع بغيته ابن رضوان . وكان هذا اسود اللون وليس بالجميل الصورة ، ويدافع عمن في وجهه

= مقالات لابن بطلان البغدادي ولابن رضوان المصري للدكتور شاخت ومايرهوف ص 34-40 .

(9) ابن ابي أصيبعة ص 326 .

(10) القفطي ص 294 وما بعدها .

(11) ابن ابي أصيبعة ص 326 .

(12) عانوتي ـ مجلة الباحث عدد/3 ص 122 ، وابن ابي أصيبعة ص 326 .

دمامة من الاطباء ، ونشر مقالة قال فيها : (ان الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلاً)[13] . ولم تنجح الضيافة في فرض آدابها على اي منهما على المجاملة والتهادن ، فشتمه ابن بطلان بعد أول مقابلة معه قائلاً :

فلما تبدى للقوابل وجهه نكصن على اعقابهن من الندم
وقلن واخفين الكلام تستراً الا ليتنا كنا تركناه في الرحم

كما سماه تمساح الجن[14] .

ويبدو ان ابن بطلان لم ينجح في دحر خصمه ابن رضوان ، أو لم يوفق الى مركز طبي او اجتماعي يرتضيه ، فغادر القاهرة غاضباً بعد ثلاث سنوات . ورجع الى انطاكيا واستوطنها وترهب فيها منقطعاً الى الكتابة والعبادة . ثم خرج منها الى القسطنطينية حيث وافته المنية في حوالي سنة 450 هـ / 1058م[15] .

كان ابن بطلان يجيد قول الشعر ، وفي نظمه رنة مستحبة . كما كان يهوى اقتناء الكتب ويكثر من قراءتها والرجوع اليها في مجلسه العامر بعلية القوم من أهل بغداد وغير بغداد . ولم يعقب ولداً لانه ظل أعزب حتى وفاته ، كما يظهر أنه كان منقطع الرحم من الاهل والاقارب . ولما أدرك في أواخر أيامه مأساته الختامية قال بحسرة :

ولا احد ان مت يبكي لميتتي سوى مجلسي في الطب والكتب باكياً

---

(13) القفطي ص 294 .

(14) المصدر السابق .

(15) هناك اختلاف فيما قيل عن تاريخ وفاة ابن بطلان . وقد كتب نفسه في خاتمة دعوة الاطباء : (فرغت من نسخها أنا مصنفها يوانيس (الاسم الكنسي لابن بطلان) الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون بدير الملك المنتج قسطنطين في آخر ايلول سنة خمس وستين وثلاثمائة والف 1365)) ويكون ذلك بالتأريخ الاسلامي في سنة 450 هـ / . (كتاب دعوة الاطباء تحقيق بشارة زلزل ص 8) .

أما القفطي (اخبار الحكماء ص 294) فيذكر أن وفاته بانطاكيا في سنة 444 هـ / 1052م . ويذكر ابن ابي أصيبعة (العيون ص 326) أنه سافر من مصر الى القسطنطينية وأقام بها سنة واحدة . وربما

مؤلفات ابن بطلان

لابن بطلان رسائل الى ابن رضوان المصري[16] فيها فوائد طبية وملح ونكات . وهي بأي حال نموذج للمناظرات والمحاورات التي كانت تحدث عهدئذٍ بكثرة بين العلماء والاطباء . نذكر من تلك الرسائل فقرات . كتب ابن بطلان الى ابن رضوان يقول :

(الانتساب الى الصنائع والاشتراك في البضائع مروءات وذمم ، وحرمات وعصم ، ادنى حقوقها بذل الانصاف ، واحد فروضها اجتناب الحيف والاسراف . ويتصل بي عن مولاي الشيخ الفاضل أدام الله توفيقه ، واوضح الى الحق طريقه . . . ولا يرتاب بي على صغر شأني بقياس هذه الطائفة المعدودة ، إذا أنا وصفت بمصر التدبير المبرد فينسبني الى قلة خبرة بالهواء ، وجري على غير قانون الصناعة . ولو تأمل الامر حسناً لعلم اني ما سقيت ماء الشعير . . . فليتصور وفقه الله ان الضرورة قادتني الى هذه الطريقة ، لان الصناعة البقراطية اوجبت على الاطباء اذا رأوا ناراً مضرمة في الحشاء أن يعالجوها بالادوية الباردة . . . قال فريق من الاطباء لقد جئتنا بشيء إدّ ، اظننت أن مصر وبغداد سواء ؟ وبينهما في الهواء بعد تفاوت . أو ما علمت ان بغداد وان وافقها الادوية الباردة فمصر فلا يلازمها غير الادوية الحارة . . . يحكمون بهذا ولم يروا من البلدين إلا احدهما ، وأنا رأيتهما جميعاً . فحكمهم (اي حكم الناس) لاحد الخصمين من دون رؤية الآخر ظلم وتعد . وسبب هذا ما وبخ به جالينوس من أصحاب الحيل بقوله : إنكم لم تبعدوا قط عن منازلكم ولا سافرتم ولا جربتم اختلاف البلدان ، ولو فعلتم ذلك لعرفتم الفرق بين البلدان التي تحت الدب الاصغر وبين البلدان التي تحت خط الاستواء[17]) . . وانفجر ابن رضوان غضباً على ابن بطلان . وقال :

(فإن كان ولا بد ان يفخر علينا بجمال الخلقة وما خصه الله من قبول الصورة ،

= كانت هذه السفرة هي التي قام بها بين انطاكيا والقسطنطينية لا بين مصر وانطاكيا . وهذا الاحتمال لا يعارض رواية القفطي .

(16) جمع هذه الرسائل شاخت ومايرهوف ونشرتها كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة 1937 .

(17) اقرأ مقال عانوتي (حوار الحكماء) بمجلة الباحث 1979 عدد 3/ص 121-123 .

فليأخذ المرآة مستعيذاً بالله مما يرى . ويذكر قول افلاطون القائل : ابصر وجهك في المرآة فأن كان حسناً فأفعل حسناً ، وإن كان قبيحاً فلا تجمع بين قبيحين . . . على انني قد عرفت ان له ، حرسه الله ، مقالة يرد فيها على من عيره بقبح الخلقة ، وبين فيها ان الطبيب الفاضل لا يجوز ان يكون وجهه جميلاً . وقد صدق ، ولكن لا الى حد يفزع الصبيان ويزعج المرضى . . الخ) .

وابن بطلان لم يكن مكثراً من التآليف كابن رضوان ، إلا أن كتبه القليلة مبتكرة العناوين والمضامين ، منها[18] :

(1) كتاب تقويم الصحة ـ وعنوانه يدل على مضمونه . وضعه ابن بطلان مجدولاً على ما قرأه في كتب الطب الرئيسة . وقلد اسلوب هذا الكتاب ابن جزلة البغدادي في كتابه (تقويم الابدان في تدبير الانسان) . وقد ترجم كتاب تقويم الصحة الى اللاتينية في القرن الثاني عشر وطبعت الترجمة في سنة 1531 م .

(2) كناش الاديرة أو كتاب الاديرة والرهبان ـ ضمنه المؤلف فصلاً في تدبير الامراض بالاغذية المألوفة والادوية المتوفرة وجودها لمن يبعد مكانه عن المدينة كالرهبان في اديرتهم ، وفصلاً عما ينبغي أن يعرفه الطبيب الممارس . فالكتاب على هذا بمثابة مرشد في الاسعافات الاولية . ولذا سمي أيضاً كتاب تدبير الامراض العارضة ومخطوطته بالفاتيكان وغوته وباريس .

(3) مقالة في شرب الدواء المسهل .

(4) مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته ، وسقي الادوية المسهلة وتركيبها .

(5) مقالة في علة نقل الاطباء المهرة أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنانيش والاقرباذنيات ، صنفها بأنطاكيا .

---

(18) قائمة كتب ابن بطلان في العيون لابن ابي أصيبعة ص 328 ، ونوادر المخطوطات لعبد السلام هارون 4/345-347 .

(6) كتاب المدخل الى الطب .

(7) في الاعتراض على من قال ان الفرخ احر من الفروج .

(8) مقالة في مداواة صبي عرضت له حصاة .

(9) عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب .

(10) رسالة دعوة الاطباء ـ وضعها سنة 450 هـ / 1058م ، وربما كان ذلك في القسطنطينية . وكتبها كما يقول هو ، على اسلوب كليلة ودمنة وهي في الحقيقة ليست كذلك ، وقدمها هدية للامير احمد بن مروان بن دوستك[19] صاحب ديار بكر وسيافارقين .

وتحتوي الرسالة على نحو من عشرة آلاف كلمة . يمتدح المؤلف في مقدمتها بغداد ويذم ميافارقين . ويأتي في باقي فصولها على ذكر مجالس الطعام والشراب ، وما يدور فيها من احاديث طبية وغير طبية وما يجب أن يعرفه الكحال عن التشريح ، والفاصد عن عروق الجسم ، والصيدلاني عن العقاقير ، والطبيب من الحرص على المرضى . وفي ختام الرسالة يرد على العامة الذين يستخفون بصناعة الطب ، ومركز الطبيب في المجتمع .

والكلام في رسالة دعوة الاطباء مسجوع باتقان وحلاوة ، وخفيف على القراءة والسمع . وقد قلد اسلوب ابن بطلان في دعوة الاطباء كل من الطبيب الدمشقي اسعد بن المطران المتوفي سنة 1191/587 م ، والطبيب البغدادي ابي الحسن بن هبة الله بن اثردي (القرن الخامس الهجري) . ومخطوطة الرسالة في دار الكتب المصرية ، وبرلين ، وغوته ، وايا صوفيا ، والجامع الازهر ، وجامعة القديس يوسف ببيروت والموصل . وقد طبعت المخطوطة بالاسكندرية سنة 1901 م بتحقيق بشارة زلزل .

---

(19) احمد بن مروان الكردي ـ هو ابو نصر احمد بن دوستك الكردي الحميدي الملقب بصاحب الدولة نصر الدين صاحب ميافارقين وديار بكر . ملك تلك الديار بعد أن قتل اخوه ابو سعيد منصور بن مروان سنة 401هـ/1010م وكان احمد بن مروان عالي الهمة وحسن السياسة ويرعى الاطباء . حكم خمساً وخمسين سنة وتوفي سنة 456 هـ 1065م . (ابن خ [illegible] ان) .

ابن جزلة البغدادي[1]

اسمه يحيى بن عيسى بن علي ، وكنيته ابو علي او ابو حسن . من نصارى بغداد في أيام الخليفة المقتدي بالله (468-487 هـ / 1074-1049م) واسلم على يد استاذه علي بن الوليد المعتزلي في حوالي سنة 466 هـ / 1073م ، وكتب رسالة مدح بها دينه الجديد ، وهاجم اليهود والنصارى لانهم اخفوا ما في التوراة والانجيل عن ظهور محمد[2] (ﷺ) .

اخذ ابن جزلة الحكمة عن ابي جعفر الطوسي المتوفى سنة 460 هـ / 1067م ، والطب عن ابي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين المتوفى سنة 495 هـ / 1101م . واشتهر في بغداد بالحكمة والطب . وكان ملماً بمعرفة الادوية المفردة والحشائش الطبية . وله فيها كتاب باسم منهاج البيان . ولسعة تداول هذا الكتاب بأيدي الاطباء

---

(1) اقرأ عن ابن جزلة في الكامل لابن الاثير 302/1 ، المنتظم لابن الجوزي 19/9 ، مختصر الدول لابن العبري ص 339 ، الوفيات لابن خلكان 267/6، 268 ، تأريخ الحكماء للقفطي ص 365 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 343 ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص 267، 1870 ، والاعلام للزركلي 203، 202/9 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 161/7 ، والعلوم عند العرب لالدوميلي ص 450،241 ، ومعجم المطبوعات لاليان سركيس 66/1

Campbell-Arab Medicine 1/82

Leclerc. 1/493-496, Brockelmann. S, 1/887

Sarton-Introduction, 1/772.

(2) ابن ابي أصيبعة ص 343 .

وغير الاطباء عرف ابن جزلة بصاحب المنهاج[3] .

كما عرف ابن جزلة بعطفه على المرضاء ومساعداته للفقـراء . لا يأخذ اجراً من أهل حارته[4] ، ويزودهم بالادوية مجاناً . وكان يحسن الخط وسبك العبارة فاستخـدمه ابو الحسن القاضي ببغداد في كتب السجلات[5] . ولما دنت منيته أوقف كتبه ومؤلفاتـه على تربـة الامام ابي حنيفـة وتوفي في بغـداد سنة 473 هـ / 1080م ولـه من المؤلفات في الطب :

(1) كتاب منهاج البيـان فيما يستعمله الانسـان ـ وضعه للخليفـة المقتدي بـالله مبوباً على تسلسل الحروف الهجائية . ويبحث الكتاب في الادوية والاغذيـة وغير ذلـك مما يحتاجـه الانسان في حـالتي الصحة والمـرض . ويلفت النظر كثـرة اسماء الاعشـاب والادوية والتعابير الفارسية في هذا الكتاب ، ولا يشير ابن جـزلة الى المصـادر التي اخذ عنها معلوماته ، مع أنه يذكر احياناً بعضاً من الادويـة التي تلحق باسـماء بعض العلماء اليونانيين ، كما ليس فيه اي مصدر عـربي . وفي مقدمـة الكتاب تفسـير لقوى الادويـة ودرجاتها الثلاث التي يتكرر ذكرها في أكـثر التراثيـات التي تبحث في الادوية المفـردة ، يحسن قراءتها بامعان . وبأي حال فكتـاب منهاج البيـان أول كتاب من نوعه في اللغة العـربية . وقـد ترجم الى اللغـة اللاتينيـة سنة 1532 م . ومخـطوطة منـه في دار الكتب المصرية ، والفاتيكان والمتحف البريطاني ومكتبـة ويلكم بلندن ، وفي كليـة طب بغداد نسخة منه يرجع تأريخها الى السنة 1037 هـ ومكتوبة بخط تعليق في غاية الدقـة . وفي دير المشرقة نسخة مكتوبة بالكرشوني اي بالعـربية مـرسومـة بالحـرف السريـاني (اليان سـركيس 66/1)[6] وننقل الى مـا يأتي نمـاذج من اسلوب ابن جـزلـة في كتـاب منهـاج البيان[7] .

هليلج ـ وهـو أربعة أنـواع ، أصفر وهـو الفج ، واسـود وهو البـالغ النضـج ،

---

(3) ابن خلكان 267/6 .

(4) المصدر السابق .

(5) المصدر السابق وابن الجوزي 119/9 .

(6) ابن خلكان 298/6 .

والاسمن . وكابلي وهو اكبر الجميع . وصيني وهو دقيق خفيف ، وأجوده الاصفر الرزين الممتلىء الشديد الصفرة الضارب الى الخضرة . وهو بارد في الدرجة الاولى يابس في الثانية . وهو اسخن من الاسود على ما ذكر بعض الاطباء . وهو ينفع العين المسترخية والدَمِعة كحلا ، وينفع الخفقان شرباً . ويسهل الصفراء ويسيراً من البلغم . ومقدار شربته من سبعة دراهم الى عشرة دراهم منقوعاً ، وغير المنقوع من درهمين الى خمسة دراهم . ويصلحه ماء العناب . قال بديغورس الاهليلج الاصفر يسهل الصفراء ، والاسود يقوي المعدة ، والكابلي ينفع اصحاب السوداء ، وخفقان القلب ، ويصفى اللون .

البنج ـ قوته تشبه قوة الافيون ، وأجوده الابيض ، واردؤه الاسود ، وهو قاتل . وأما الادكن فمتوسط بين الرداءة والجودة . وهو بارد يابس . والابيض أقلها ينفع نفث الدم المفرط ، ويخدر ، ويسكن الاوجاع ، لكنه يسبت ويفسد العقل ، وقد يحدث الخناق . ويداوي بالقيء وباللبن والحليب .

الشيلم ـ وهو الزوان . واجوده الادكن الرزين ، وهو حار في الثالثة وقيل في الاولى . وهو يابس في الثانية . وهو لطيف جلاء محلل يطلى على البهق مع الكبريت ، ويحلل الاورام والخنازير مع بزر الكتان ويفجرها . والبخور به يعين على الحبل . وإذا دق وعجن ووضع على عضو دخل فيه شوك او سلى جذبه وأخرجه . وهو يسكن ويشد .

ماء الشعير ـ أفضل صنعته ان يؤخذ الشعير الحديث السمين الرزين فينقع ويقشر ويهرس ويلقى على كل كيل من الشعير أربعة عشر كيلاً من الماء العذب الصافي ، وقيل على الكيل عشرة أكيال . ويطبخ بنار معتدلة ، ويحرك وتكشط رغوته . فاذا نضج رفع وصفى . وهو مرطب ويكسر حدة الاخلاط ، ويدر البول ، وينفع من الحسيات الحادة ، وللبلغمية مع الكرفس والرازيانج . وهو ينفع الكبد الحارة ، ويولد دماً معتدلاً . ويسكن العطش ، ويجلو ويسرع نفوذه الى الاعضاء ويخرج عن المعدة والمعا بسرعة ويستفرغ معه الاخلاط المحترقة . وهو يضر الاحشاء الباردة وينفخ . وهو رديء للمعدة الباردة . ويدفع ضرره الجلنجبين السكري .

(2) كتاب الاشارة في تلخيص العبارة فيما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير

الصحة وحفظ البدن (اليان سركيس 64/1) .

(3) رسالة في فضائل الطب وموافقته للشرع والرد على من طعن عليه (أيا صوفيا ، ورامبور ، وطلعت بالقاهرة والموصل) .

(4) كتاب تقويم الابدان في تدبير الانسان ـ وضعه المؤلف بشروح ضمن جداول عرض فيها أكثر الامراض وآفات الطوارىء بعلاماتها وأعراضها ووسائل معالجتها بالطرق المباشرة أو الطرق الملكية (التحاليل) ، وبحسب الامزجة والاعمار والبلدان والازمنة . ولهذا الكتاب مخطوطات كثيرة في المكتبات العالمية منها في المكتبة الملكية بمصر ، وأخرى بمكتبة الاباء اليسوعيين ببيروت . وربما تكون المخطوطة التي عثر عليها احمد زكي باشا باستنبول اقدم مخطوطات هذا الكتاب ، إذ يرجع تأريخ استنساخها الى سنة 596 هـ اي بعد وفاة ابن جزلة بمائة سنة . وقد طبع كتاب تقويم الابدان على نفقة رشيد باشا سنة 1333 هـ بدمشق . وفيما يلي نموذج من جداول الكتاب .

سطر الأسماء	عضة الكلب الكلب	عضة الانسان والحيوان وغيره	عضة ابن عرس والعضاية	نهش (الأفعى)	لدغ (العقرب)
الأمزجية	اليابسة	كلها	الباردة	(الحارة)	(الباردة)
الأسنان	(الشباب)	(الشباب)	(جميعها)	(الشباب)	(الشيوخ)
البلدان	اليابسة	اليابسة	كلها	اليابسة	الجنوبية
الأزمنة	بأسرها	بأسرها	الصيف	الصيف	الصيف
السلامة والخوف	مخوف	مخوف	مخوف	مخوف	مخوف
العلامات	الجوز المدقوق يوضع عليه ويطعم بدجاجة فإن ماتت فهو كلب	مسابلة العليل عما عضه	الوجع الشديد الذي يسقط صاحبه وتبقى أسنان العضاية باقة	رطوبة تسيل من الموضع حارة ونفاخات كحرق النار	ورم موضع اللدغة وحمرة ويبقى أثره وربما حدث غشي وقيام الذكر
التدبير الملكي		بالفصد	بالمص	بالفصد	
الاستفراغ		تضميد	تضميد	بالزباق	
التدبير السهل	يوسع فم الجرح ويوضع خرقة بخردل معجون بسمن وعسل	يضمد ببصل النرجس مدقوق ناعماً بخل	يضمد ببصل وثوم	ويأكل البصل والثوم والكراث	تقلع العقرب ويضمد بها الموضع أو جندبادستر بزيد

علي بن عيسى الكحال[1]

Jesu Haly

لقبه شرف الدين . من اطباء بغداد في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وأشهر اطباء العيون العرب . وكتابه تذكرة الكحالين افضل وأوسع ما كتبه العرب بهذا الاختصاص . ومع ذلك فلا نعرف عن نسب علي بن عيسى شيئاً . ويعرفه الغرب اللاتيني باسم يسوع هالي Jesu Haly ويعتقدون أنه من المسيحيين ، اذ خلطوا بينه وبين عيسى بن علي تلميذ حنين بن اسحاق[2] . وعيسى بن علي هذا نصراني عاش قبل ما يقارب من القرن من حياة علي بن عيسى الكحال المتوفى في حوالي سنة 400 هـ /1010 م ، او بعد ذلك .

درس علي بن عيسى على ابي الفرج عبد الله بن الطيب[3] المتوفى سنة 435 هـ /1043 م ، ومارس الطب زمناً ثم تخصص في طب أمراض العين وتبحر في علومها وجراحاتها وصارت له تجربة واسعة فيها ومقدرة على التعليق والرد على ما كتبه

---

(1) اقرأ عن علي بن عيسى الكحال في تاريخ الحكماء للقفطي ص 247 وقد ذكره باسم عيسى بن علي ، وهو خاطيء . وذكره ابن ابي أصيبعة (العيون 333) بهذا الاسم ايضاً وعاد ذكره على الصفحة 324 باسمه الصحيح وهو علي بن عيسى الكحال . وفي مقدمة كتاب تذكرة الكحالين لصاحب هذه الترجمة طبعة (الكنو) يؤكد محقق هذا الكتاب ان اسمه علي بن عيسى لا العكس كما يخطىء كثير من الكتاب القدماء والمعاصرين ،

Leclerc, 2/498-504, Graf, 1/199

(2) مقدمة كتاب تذكرة الكحالين ص (ب) .

(3) ابن ابي أصيبعة ص 334 .

اليونانيون ومن عاصره من الاطباء بهذا الموضوع .

ولعلي بن عيسى من المؤلفات :

1 ـ كتاب المنافع التي تستفتاد من اعضاء الحيوان[4] . (مكتبة غوته ، فينا ، الاسكوريال ، وبودليانا بأكسفورد والاهلية بباريس) .

2 ـ كتاب تذكرة الكحالين (دار الكتب المصرية ، توبنكن ، والمتحف البريطاني ، الاهلية بباريس ، الفاتيكان ، أيا صوفيا ، المشهد الرضوي ، ورامبور) .

3 ـ كتاب الكافي (مكتبة توبنكن) .

كتاب تذكرة الكحالين

يعتبر هذا الكتاب أول مؤلف بالعربية جمع كل ما كتب في طب العيون[5] ، قبل علي بن عيسى ، فلما اختفت الكتب اليونانية كان هذا الكتاب تعويضاً صادقاً وكفواً لتلك الكتب المفقودة . وفي كتاب التذكرة ، عدا ما اخذه المؤلف من المصادر القديمة والحديثة ، معلومات مبتكرة من خبرته وبحوثه في الصنعة . قال الاولون عن الكتاب : (انه لازم لكل طبيب عيون) . ويرى الكتاب العصريون انه (كتاب مانع جامع وخال من عيوب الكتاب القدماء ، ويحتوي على تجارب لم تكن معروفة عند الاطباء اليونانيين الذين كتبوا في طب العيون أمثال هيروفلس وسورانس وجالينوس)[6] . ومؤلفه أول كحال اقترح التنويم المغناطيسي ؟ والتخدير في العمل الجراحي . فلم يسبقه الى ذلك احد من الاطباء العرب أو الاطباء اليونانيين .

وكتاب تذكرة الكحالين بثلاث مقالات :

المقالة الاولى ـ في تشريح طبقات العين وهي الشبكية ، والمشيمية ، والصلبة ، والعنكبوتية والقرنية . وفي الاعصاب والعضلات والاربطة والرطوبات التي فيها وكيفية حدوث البصر بها[7] .

---

(4) المصدر المتقدم ص 333 .

(5) مقدمة كتاب تذكرة الكحالين ص (ج ـ د) .

(6) المصدر السابق .

(7) حاول حنين بن اسحاق في كتابه (العشر مقالات في العين ، أن يفسر حدوث الرؤية بالعين : فذكر =

المقـالة الثـانيـة ـ وفيهـا يبحث المؤلف في أمـراض الجفن كـالجـرب والتحجـر ، والالتصـاق ، والشترة والشعيـرة ، والشعر الـزائـد ، والحكـة . وفي استـرخـاء الجفن وانقلابها . جـافيهـا ، واغلظها ، والدمل الذي يتكون عليها[1]، والشرناق ، والتـوتة ، والنملة والشـري ، والسعفة ، التـآليل ، والانتفـاخ الـذي يحصـل لهـا ، والتـآكـل ، والقـروح والدمعـة ، والدبيلة في الملتحمـة ، واللحم الزائـد عليهـا ، وبثـور القـرنيـة ودبيلاتها ، وسرطاناتها ، وتغيير لونها . وأمراض الحدقة وضيقها وانخراقها .

المقـالة الثـالثة ـ وتبحث في الامـراض الخفية عن الحس وأسبـابهـا وعـلاجهـا . وأمراض الروح الباصر ، ومن يرى من بعيد ولا يرى من قريب . ومن يرى من قريب ولا يـرى من بعيد . ويبحث كـذلـك في العشـا والشبكـور (من يبصر نهاراً ولا يبصر ليـلاً) . وأمراض الـطبقة الشبكيـة وعلاج الكـاتاراكت بـالقدح ، وأمـراض العصب النوري . ونتوء جملة العين ، وهزال العين وأمراض الـطبقة المشيميـة والعضل المحـرك للعين . كما تبحث في حفظ صحة العين وقوى الادوية المفردة المستعملة فيها .

وفي الباب الخامس والعشـرين من هذه المقـالة شـرح مفصل لالتهـاب الشريـان الصدغي والطريقة الجراحية لعلاجه . واكتشاف هذا المرض من الاعمال الاصيلة عند العرب ، فلم تعرف هذه الحالة المرضية عند اليونانيين ولا عرفت فيها بعد إلا في القرن التاسع عشر (اقرأ عن هذا المرض بتفصيل في باب الامراض الباطنية والجـراحية بهـذا الكتاب) . وقد طبع كتاب تذكرة الكحالين بحيدر آباد الدكن سنة 1964 م .

= يتعثر ثلاثة احتمالات ليس منها إحتمال واحد مقبول وقال ان الرؤية تحدث بواسطة العصب الباصر فتخرج من العين لتفيض على المنظورات فيبصر بها الدماغ . وجاء علي بن عيسى بعد ما يزيد على القرن وثلث القرن فتقدم خطوة نحو معرفة حدوث الرؤية بالعين . قال ان الروح الباصر يخرج من العين ليفيض على المنظورات ثم يعود الى العين ويدخلها ليطبع صورها على الدماغ . ودخول صور المرئيات الى العين فكرة مبتكرة لم يعرفهـا اليونـانيون ولا من عـاصر علي بن عيسى من الاطبـاء . وأخيراً اكتشف الحسن بن الهيثم المتوفي سنة 431 هـ / 1039م حقيقة فسلجة الرؤية بقولـه أنها تتم بوقوع صور المرئيت على الجهاز البصري في العين ، أي ليس هناك روح باصر يشارك في عمليـة الابصار .



ابن التلميذ البغدادي[1]

هو ابو الحسن هبة الله بن ابي العلاء صاعد بن ابراهيم بن التلميذ . ويلقب بأمين الدولة ويعرف بابن التلميذ . وابن التلميذ اسم جده من أمه فنسب اليه[2] . والعائلة من نصارى بغداد . وصاحب الترجمة من افاضلهم ، وأكابر شيوخهم ورئيس قساوستهم .

نشأ ابن التلميذ في بيت علم ، فتعلم اللغة السريانية والفارسية ودرس اليونانية ، وتبحر في العربية ، وصار يجيد الكتابة بها خطاً وانشاء ، ويحسن انشاد الشعر ونظمه ، وله أبيات رقيقة في التغني والنسيب .

درس ابن التلميذ الطب على ابيه ابي العلاء ، وعلى أبي الحسن هبة الله بن سعيد صاحب التصانيف المشهورة في الطب[3] . وسافر الى بلاد العجم طلباً للمزيد

---

(1) اقرأ عن ابن التلميذ في معجم الادباء للحموي 243/7 ، والوفيات لابن خلكان 77-79/6 ، وحكماء الاسلام للبيهقي ص 144 . ونزهة الارواح للشهرزوري ص 59-60 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 349-371 ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ص 240-242 ، والاعلام للزركلي 59/9 ، ومجلة المجمع العلمي العربي 321/5 ومختصر الدول لابن العبري ص 363و
Brockelmann, 1/642, S. 891.

(2) القفطي ص 340 .

(3) ابن خلكان 75/6 .

من المعرفة . ثم استقر ببغداد والتحق بخدمة الخليفة المقتفي لامر الله (530-555 هـ /1136-1160 م) ، وصار ساعور البيمارستان العضدي . وكان أثيراً عند الخليفة ، والمتقدم من الاطباء لديه وأكثرهم معاشاً منه . فقد كان مرسومه السنوي من دار القوارير ببغداد يزيد على العشرين الف دينار[4] . كما عينه الخليفة رئيساً لاطباء بغداد .

كان ابن التلميذ عطوفاً على الفقراء والمرضاء ، وذا عفة وترفع عن المال والحرام ، والافعال الدنيئة . وقد حاول محمد بن محمود خوارزمشاه السلجوقي[5] (548-554 هـ / 1153-1159م) حين حاصر بغداد في خلافة المقتفي ان يرشي ابن التلميذ ، ويستغله لمصلحته في اقتحام بغداد ، فرفض ابن التلميذ قائلاً : انا طبيب لا اتجاوز وظائف الاطباء وما يلزمهم ، ولا اعرف الا ماء الشعير والبنفسج والنيلوفر[6] . وإكراماً لهذا الموقف النبيل نال ابن التلميذ مرتبة أعلى في بلاط الخليفة ، وعطايا جزيلة مما حسده عليها زملاؤه وأقرابه من العلماء والاطباء، كان من هؤلاء أبو البركات بن ملكا اليهودي الذي كان دون ابن التلميذ في الطب ، فصارت بينهما مهاترات وتشاتم بالنثر والشعر سردتها كتب التراجم في شيء من التفنن[7] .

وكان ابن التلميذ يهوى جمع الكتب حتى صار له منها حمل اثني عشر بعيراً[8] . كما كان يهوى التدريس ويعتبره واجباً أدبياً وانسانياً عليه تأديته والعمل فيه . وهو الذي قال : العالم الذي هو غير معلم بخيل[9] . كذلك يروى ان اكثر إيرادته من دار الخلافة كان ينفقها على المحتاجين ، وبصورة خاصة طلاب العلم ومن يعمل في التعليم .

---

(4) البيهقي ص 145 ، الشهرزوري 60/2 .

(5) خوارزمشاه ـ هذا لقب سلاطين خوارزم ، ومحمد بن محمود هو السلطان السلجوقي ابو شجاع غياث الدين والدولة الذي حاصر بغداد وفتك بجيش الخليفة المقتفي بالله .

(6) ابن ابي أصيبعة ص 348 .

(7) المصدر السابق ص 349 .

(8) المصدر السابق ص 355 .

(9) البيهقي ص 145 .

وعرف عن ابن التلميذ وقاره في مجالس الحكام ، وتزمته الادبي ، إلا أنه مع ذلك كان يجيد النكتة ويهوى الموسيقى والغناء ويعقد المجالس لاصحابها[10] ، ويعاقر الخمرة معهم . قال في ذلك :

بزجاجتين قطعت عمري وعليهما عولت دهري
بزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر
فبذي اثبت حكمتي وبذي ازيل هموم صدري

توفى ابن التلميذ في بغداد سنة 561 هـ / 1165م . وكان عمره قد ناهز المائة ، وأعقب ولداً تعلم على أبيه الطب وأجاده ودخل الاسلام ، وقد توفي خنقاً في ظلمة الليل بدهليز داره ، وكان عمره إذ ذاك قد تجاوز الثمانين سنة[11] . فأخذت أملاكه ومكتبته الثمينة التي ورثها عن ابيه هبة الله وصارت بحوزة دوائر الخلافة وأخيراً الت الى ابي الخير المسيحي[12] طبيب الخليفة الناصر لدين الله المتوفى سنة 622هـ / 1225 م . ومن تلاميذ ابن التلميذ ايضاً مذهب الدين بن النقاش[13] . ومن مؤلفاته في الطب :

(1) شرح ابدال الادوية لجالينوس .

(2) شرح مسائل حنين بن اسحاق .

(3) كتاب تتمة جوامع الاسكندرانيين لكتاب حيلة البرء .

(4) كتاب اختصار شرح جالينوس لكتاب تقدمة المعرفة لابقراط .

(5) كتاب شرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط .

---

(10) ابن ابي اصيبعة ص 353 .

(11) ابن خلكان 77/6 ، وابن ابي أصيبعة ص 255 .

(12) ابن ابي أصيبعة ص 405 .

(13) مهذب الدين ابن النقاش ـ ابو الحسين علي بن ابي عبد الله بن هبة الله النقاش البغدادي . درس الطب في بغداد على أمين الدولة ، وخدم الملك الناصر ثم انتقل الى دمشق . من تلاميذه ابو زكريا البياسي الاندلسي توفي في حوالي سنة 574/ 1078 م وستأتي ترجمته .

(6) كتاب اقرباذين بعشرين باباً (المتحف البريطاني ، غوته ، دار الكتب المصرية) . وهو تطوير وتوسيع لاقرباذين سهل بن سابور .

(7) اقرباذين الموجز البيمارستاني .

(8) المقالة الامينية في الادوية البيمارستانية (ويلكم بلندن) .

(9) مختارات من كتاب الحاوي للرازي .

(10) اختيار كتاب مسكويه في الاشربة .

(11) اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط (هل هو الوارد ذكره في الفقرة (5) ؟)

(12) شرح احاديث نبوية تشتمل على طب تطبيقي .

(13) كناش طبي .

(14) مختصر الحواشي على كتاب القانون لابن سينا .

(15) مقالة في الفصد .

(16) مختارات من كتاب ابدال الادوية لجالينوس (هل هو الوارد ذكره في فقرة (1) المتقدمة ؟)

(17) خلق الانسان (جامعة استانبول) .

(18) رسالة في الفصد (بغداد لي) .

(19) زبدة في علم الطب (شهيد علي) .

ابو البركات بن ملكا البلدي[1]

لقبه اوحد الزمان ، واسمه هبة الله بن علي ملكا . ولـد[2] ونشأ ببغـداد . وكان يهـودياً وأسلم بعـد ان دخـل في خـدمـة الخليفـة المستنجـد بـالله (555-566 هـ / 1160-1170م) لكي يحـظى بموقـع أعلى في مجلسـه[3] . تعلم الطب عـلى ابي الحسن سعيد بن هبة الله الحسين المتوفى سنة 489 هـ /1095 م ، إلا أنه صار فيلسوفـاً أكثر مما صار طبيباً . وقد فشل مرة في مداواة الشاه محمد بن ملكشاه اثناء مرضه فـاتهمه بسـوء

---

(1) اقرأ عن ابي البركـات في تاريـخ الحكماء للقفـطي ص 343-346 ، والعيون لابن ابي اصيبعة ص 367-374 ، والوفيات لابن خلكان 74/6 ، وحكماء الاسلام للبيهقي ص 152-154 ، ونكت الهميان للصفدي ص 304 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 42/3 وفيه يذكره باسم ملكان ، وكذلـك ذكره ابن خلكان .

Leclerc, 2/29-31, Brock. S. 1/832.

(2) بلد ـ بلدة صغيرة قريبة من الموصل . وتعرف اطلالها اليوم باسم اسكي موصل كما تعرف بـاسم بلط .

(3) يروي الصفدي في نكت الهميان ص 304 (ان ابا البركات دخل يوماً على الخليفة فقام الحاضرون سوى قاضي القضاة فانه لم يقم له . فقال ابو البركات يا أمير المؤمنـين ان كان القـاضي لم يوافق الجماعة لكوني على غير ملته ، فـأنا اسلم ولا ينتقصني ، فـأسلم . أما القفـطي فيذكـر في أخبار الحكماء ص 346 ، ان سبب اسلامه هو أنه يطبب زوجة السلطان محمود السلجوقي فتوفيت عـلى يديه ، وكان السلطان يحبها حباً جماً ، وهي بنت عمه ، فجزع عليها اي جزع فخاف ابن ملكا أن يبطش به وهو في فورة حزنه عليها ، فأسلم .

التدبير والعلاج رحبسه مدة[4] . ولما مرض الشاه مسعود بن محمد ملكشاه بداء القولنج في همدان حُمِل ابو البركات اليه ليداويه وكان يومذاك شيخاً كبيراً بلغ التسعين من العمر ، فلم يتحمل مشاق هذه السفرة المتعبة ، وما كاد يصل همدان حتى لفظ انفاسه الاخيرة[5] . وقيل أنه توفى بالخوف من بطش الشاه فيما لو اخفق في شفائه . وكانت صحة الشاه سيئة فتوفي هو الآخر بعد يوم واحد من وفاة ابي البركات .

كان ابو البركات ذكياً متوقد الفكر ، وواسع الحيلة في علاج المرضى . ومن نوادر أعماله في هذه الصناعة حادثة لا يمل الكتاب من تكرار ذكرها الى هذا اليوم ، وهي (ان مريضاً ببغداد عرض له علة المالينخوليا ، وكان يعتقد ان على رأسه دنا لا يفارقه أبداً . فكان اذا مشى يتحايد المواضع التي سقوفها دانية ويمشي برفق ، ولا يترك أحداً يدنو منه حتى لا يميل الدن او يقع عن رأسه ، وبقي بهذا المرض مدة . وعالجه كثير من الاطباء بلا جدوى . وانتهى أمره الى اوحد الزمان ورأى ان يداويه بالامور الوهمية . وأمر أحد غلمانه اذا دخل اليه ذلك المريض وشرع في الكلام معه ، اشار الى الغلام بعلامة بينهما أن يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه ، كأنه يريد كسر الدن الذي يزعم أنه على رأسه . وأوصى غلاماً آخر وكان قد أعد معه دنا في أعلى السطح ، أنه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب المالينخوليا أن يرمي الدن الذي عنده بسرعة الى الارض . فلما حضر المريض أمامه قال له ابو البركات : والله لا بد لي أن اكسر هذا الدن واريحك منه ، وفعل ما اتفق عليه مع الغلامين . فلما عاين المريض ما فعل به ورأى الدن المنكسر . لم يشك انه الذي كان على رأسه بزعمه . واثر فيه الوهم أثراً برىء من علته تلك)[6] وليس من الصواب ان نرفض تصديق هذه النادرة فمريض العقل تفوت عليه أمور ليس له الوعي على تقديرها . وقد مارس هذا النوع من العلاج كثير من أطباء العرب كما مارسه جالينوس من قبلهم أيضاً . ولا يزال الى الوقت الحاضر من الوسائل الناجحة في كثير من الامراض النفسية .

---

(4) البيهقي ص 152 .

(5) المصدر السابق ص 153 .

(6) الصفدي ص 304 .

وكـان بين اوحـد الزمـان وابن التلميـذ تنـافس عـلى ارضـاء الخليفـة ، فصـارا يتراشقان بالنقد وأحياناً بـالشتم . وكان اوحـد الزمـان بعد أن اسلم يتنصـل كثيراً من اليهود ويلعنهم ويسبهم . وحدث في بعض المجالس ذكر لليهود بحضور اوحد الزمـان وابن التلميـذ ، فما كـان من أوحد الـزمان إلا أن قـال لعن الله اليهـود . فقـال أمـين الدولة : نعم وابناء اليهود . فوجم اوحد الزمان ولم ينبس ببنت شفة[7] .

عاش ابو البركات نحـواً من تسعين سنـة ، وعمى في أواخر عمـره ، وطرش ، وبـرص ، وتجذم[8] . ومـع ذلك لم ينقـطع عن العمل في التـدريس والتأليف . وكـان يومئذ يوسف ابو عبد اللطيف البغدادي ، والمذهب بن النقاش من تلاميذه النـابهين ، ويكتبـون لـه مـا يملي عليهم في الـطب والحكمـة . ومن تـلاميـذه ايضـاً ابن هبـل البغدادي[9] .

توفى أبو البركات بن ملكا بحدود سنة560 هـ /1164 م ومن مؤلفاته[10] :

(1) اختصار التشريح ـ جمعه من كتب جالينوس .

(2) مقالة في الدواء الذي سماه بالسـريانيـة (بر شعثـا) اي سم ساعـة ، وهو من باب الاضداد ، اي الدواء الذي يشفي في خلال ساعة من الزمن .

(3) كناش في الطب .

(4) مقالة في معجون سماه أمين الارواح .

(5) حواشي على قانون ابن سينا .

(6) اقرباذين .

---

(7) ابن ابي أصيبعة ص 376 .

(8) الصفدي ص 304 وابن ابي أصيبعة ص 375ويروي ابن خلكان (74/6)انه أصيب بالجذام فعالج نفسه بتسليط الافاعي على جسده بعـد أن جوعهـا فبالغت في نهشـه ، فبرىء من الجـذام الا أنه عمي .

(9) ابن ابي أصيبعة ص 375 .

(10) مؤلفات ابن ملكا في العيون لابن ابي أصيبعة ص 376 ، ونكت الهيمان للصفدي ص 304 .

(7) رسالة في العقل وماهيته .

(8) كتـاب المعتبر في الحكمـة ـ أملى كثيـراً منه عـلى تلميذه يـوسف ابي عبـد اللطيف البغدادي ، وأتمه بعد أن عمى . والكتاب بثلاثة اجزاء ، وفي الجزء الثاني منها فصـول لها علاقة بالطب وهي :

(1) فصل فيما يراه ابو البركات فيما كتبه ارسطو في الحيوان والنبات .

(2) فصل فيما يشترك فيه النبات والحيوان من الخواص والافعال .

(3) فصل في تولد النبات باختلاف البقاع .

(4) فصل في مميزات الحيوان عن النبات .

(5) فصل في ابدان الحيوانات وأجزائها ومنافع أعضائها .

(6) فصل في اصناف الاعضاء ومنافعها .

(7) فصل في الاعضاء الآلية .

(8) فصل في آلات التناسل .

ابو نصر بن المسيحي[1]

اسمه سعيد بن أبي الخير بن عيسى بن المسيحي . ربما كان أصله من الحظيرة[2] . استوطن بغداد ودرس فيها الادب والحكمة والطب ، واتقن فن الجراحة . والتحق بحاشية الخليفة الناصر (575-622 هـ / 1180-1225م) التي كانت تضم من الاطباء الاركدياقيون[3] أبا الخير بن المسيحي[4] ، وهو اخو ابي نصر ، والمسيحي بن ابي البقاء المعروف بابن العطار[5] وابنه أبا علي بن أبي البقاء[6] . وكل

---

(1) اقرأ عن ابي نصر بن المسيحي في مختصر الدول لابن العبري ص 416 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 403-405 ، ومعجم الاطباء لاحمد عيسى 90 ، ونصارى بغداد لبابو اسحاق ص 209 والكاتب الاخير يعتبر ابا نصر بن المسيحي هو نفسه الطبيب ابا الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل المتوفي سنة 591 هـ / 1194م ، كما يعتبر ابا نصر وأبا الخير طبيب الناصر أخوين بينما ابن ابي أصيبعة (العيون 403-406) لا يربط بين هؤلاء الاطباء الثلاثة بنسب ويتكلم عنهم كما لو لم يكن بينهم قربى .

(2) الحظيرة ـ بلدة بين بغداد وتكريت . اشتهرت بأعمال النسيج الذي كانت تصدره الى كثير من البلدان (الحموي ـ معجم البلدان ـ مادة حظيرة) .

(3) الاركيدياقون ـ من الالفاظ العربية النصرانية المنقولة عن اليونانية ، وتعني رئيس الشمامسة ومنها الارشدياقن والشدياق . (الكرملي ـ المساعد 192/1) .

(4) ابو الخير بن المسيحي ـ أخو ابي نصر بن المسيحي . خدم الخليفة الناصر مدة طويلة ، وأجزل الخليفة نعمته عليه . وأعطاه مكتبة أمين الدولة بن التلميذ . كما كان ابو الخير رجل دين ورئيساً للشمامسة .

(5) المسيحي بن ابي البقاء ـ هو ابو الخير بن العطار المتوفي سنة 608 هـ / 1210م كان يعتمد عليه الخليفة =

هؤلاء من الاطباء الجراحين .

وأبو نصر بن المسيحي أول جراح عـربي نقف عليه في عـاصمة العبـاسيين وهـو يشارك في معالجة حالة جراحية معينة ، ويبرز فيها كاختصاصي بهذا الفرع من الطب . أما المجوسي الـذي ذكرنـاه كأشهـر جراحي تلك الحقبـة ، فلم يدخـل بغداد ، كـما لم تصلنا أخباره في الممارسة الجراحية بالتفصيل الذي عرفنـاه عن ابي نصر بن المسيحي . وفيـما يلي ننقـل بالنص التـراثي ما حصـل لابي نصر مع الخليفـة الناصر ، لمـا في ذلك الحادث من معلومات مفيدة عن أسلوب ممارسة الصنعة وتبادل الآراء فيما بين الاطباء ، وموقف الاطباء في حضرة الخليفة ، وما يحصّلون عليه من حقوق اتعابهم في الخـدمات الطبية .

مرض الخليفة الناصر لدين الله في سنة ثمان وتسعين وخمسماية مرضاً شديداً . . كان المرض بالرمل ، وعرض له في المثانة حصاة كبيرة مفرطة في الكبر ، واشتد به الالم وطال المرض . وكان طبيبه ابـو الخير المسيحي شيخـاً مسناً وقـد خدمـه مدة طـويلة ، وكان خبيراً متقناً للصناعة ، فلما امتد به المرض ضجـر من المعالجـات وأشار بـأن تشق المثانة لاخراج الحصاة . فسأل عن حذاق الجراحين ، فأخبر برجل يقال له ابن عكاشة من ساكني الكرخ بجانب بغداد الغربي . فأحضر وشاهد العضـو العليل وأمـره ببطه . فقال احتاج أن أشاور مشايخ الاطباء في هذا . فقال له تعرف ببغداد من صالحي هـذه الصنـاعة ؟ فقـال يا مـولانا استـاذي وشيخي ابـا نصر بن المسيحي ، ليس في البـلاد بأسرها من يماثله . فقال له الخليفة اذهب اليه ومره بالحضور . فلما حضر ، خدم وقبل الارض ، فأمره بالجلوس فجلس ساعة ، ولم يكلمه ولم يـأمره بشيء حتى سكن روعـة فلما أنس منه ذلك ، قال له يـا ابا نصر ، مثّـل نفسك انـك قد دخلت الى بيمـارستان وانت تباشر به مريضاً قد ورد من بعض الضياع ، واريد أن تباشر مداواتي وتعالجني في

= الناصر ويثق بأمانته ، فكان يطبب محظياته ونساء حاشيته (القفطي ص 218) .

(6) ابو علي بن ابي الخير المسيحي بن ابي البقاء ـ درس الطب على أبيه وأجاد الممارسة فيه وصار ساعورا في البيمـارستان العضـدي . وكان الخليفـة يبعث به الى الامصـار لمعالجـة اصحابـه من الاعيـان والامراء . إلا انه فعل هذه المنزلة بعد وفاة أبيـه ، وآل أخيرا الى النسيـان من قبل النـاس (ابن العبري 419 والقفطي 218) .

هـذا المرض كـما تفعل بمن هـذه صفته . فقـال : السمع والـطاعة . لكني احتـاج ان اعرف من هذا الطبيب المتقدم مبادىء المرض وأحواله وتغيراته ، وما عالج به منذ أول المرض والى الآن ؟ فاحضر لـه الشيخ أبـا الخير ، واخـذ يذكـر له ابتـداءات المرض ، وتغيرات احواله ، وما عالج به في أول الامر والى آخـر وقت . فقال التـدبير صـالح ، والعلاج مستقيم . فقال الخليفـة : هذا الشيـخ اخطأ ولا بـد لي من صلبه . فقـام ابو نصر بن المسيحي وقبل الارض ، وقال : يا مولانا بحق نعمة الله عليـك ، وبمن مضى من اسلافك الطاهرين ، لا تسن على الاطباء هذه السنة . وأما الرجـل فلم يخطىء في التدبير ، ولكن لسوء حظه لم ينتبه الى المرض . فقال الخليفة قـد عفوت عنـه ولكن لا يعود يدخل عليّ ، فانصرف . ثم اخـذ ابو نصر في مـداواته . فسقـاه ، ودهن العضو بالادهان الملينات ، وقال لـه : إن أمكن فلاطف الامـر بحيث تخرج هـذه الحصاة من غير بط فهو المراد ، وإن لم تخرج فذاك لا يفوتنـا . فلم يزل كـذلك يـومين ، وفي ليلة اليوم الثالث رمى الحصاة . فقيل انه كان وزنها سبعة مثاقيل[7] ، وقيل أنها كـانت على مقدار أكبر نواة تكون من نوى الزيتون . وبرأ وتتابع الشفـاء . . الخ)[8] وقـد حصل ابو نصر من هذه الخدمة على عشرة آلاف دينار ، وحصل ابن عكـاشة عـلى ألف دينار تصدق بمايتين وخمسين ديناراً في بيعة سوق الثلاثاء لانه نـذر ان انتهى الامر بمـا يرضي الخليفة ليفعل ذلك[9] .

وفي القصة التي ذكرنـاها عن مـرض الخليفة النـاصر مدلـولات علمية وسلوكيـة كثيرة ، منها أن الـطبيب ابا الخـير المسيحي لم يكن جراحـاً ، لذا رأى ان يستشـير من يختص بالجراحة ، فاستشار ابن عكاشة . وهذا الطبيب بالـرغم من كونـه جراحيـاً إلا أنـه قـدر المـوقف من شخص الخليفـة المـريض ، فـطلب استـاذه الجـرائحي ابـا نصر المسيحي ليشاركه في هذه المسؤولية الكبيـرة . ثم ان كلا من ابن عكـاشة وابي الخـير لم

---

(7) المثقال ـ وحدة وزن اسلامية تساوي 2.2 من الدرهم تقريباً . أما من الوجهة الشرعية فنسبة المثقال الى الـدرهم فهي 7:10 (هنتس ـ المكاييـل والاوزان الاسلاميـة ص 9) ويعادل المثقـال بـالـوزن العشري 3.43646 غراماً (العيون لابن ابي أصيبعة ـ الحاشية ص 404) .

(8) ابن ابي أصيبعة ص 403-404 ، وحاشيـة كتاب الجـامع المختصر لابن السـاعي ـ تحقيق مصطفى جواد ص 353 منقولة عن ابن ابي أصيبعة .

(9) ابن ابي أصيبعة ص 404 .

يخطىء في معالجة الخليفة باعتراف ابن المسيحي إمام الخليفة ، إلا أن الخليفة لخاطرة في باله اعتبرهما مخطئين في معالجته ، وأراد ان يعاقبهما (هكذا بسهولة) بالقتل . والمدلول الاخير من القصة هو ان عملية استخراج الحصى من المثانة بواسطة الشق كانت على ما يبدو من العمليات الجراحية المألوفة في تلك الحقبة .

ولابي نصر : كتاب لخص فيه كليات قانون ابن سينا بطريق المسألة والجواب سماه : كتاب الاقتضاب في الطب . (مكتبة بطرسبورغ ، ودار الكتب المصرية ، والظاهرية بدمشق وجامعة القديس يوسف ببيروت ، والموصل) . ثم اختصر الاقتضاب بكتاب سماه انتخاب الاقتضاب (ميونيخ وبودليانا بأكسفورد والاهلية بباريس) .

ابن هبل البغدادي[1]

هو ابو الحسن علي بن أحمد بن هبـل . ولد بمحلة الازج ببغـداد واليها ينسب ، ويعرف أيضاً بالخلاطي نسبة الى مدينة خلاط[2] أذربيجان حيث استضافـه أميرهـا شاه ارمن .

حفظ ابن هبـل القرآن ودرس الفقـه في المـدرسـة النـظامية ببغـداد[3] . ودرس الادب عـلى ابي القاسم اسمـاعيل السمـرقندي[4] ، والشـريف الشجـري[5] . وتعلم

---

(1) اقرأ عن ابن هبل في تأريخ الحكماء للقفطي ص 238-239 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 407-410 ونكت الهميان للصفدي ، ص 205 ومختصر القول لابن العبري ص 420والتكملة لابن الابار ص 675 ، والدارس في أخبار المدارس للنعيمي 130/2 ، ولابن عبد القوي المنذري في التكملة لوفيات النقلة 266/2-267 وفيه يضبط اسمه بفتح الهاء والباء ومجلة لغة العـرب م 26/2 ، ودائرة المعـارف الاسـلامية 292/1 . والاعـلام للزركلي 62/5 ، ومعجم المؤلفـين لرضـا كحالـة 21/7 . مجلة لغـة العرب ، الجزء الاول ص 29-30 .

(2) خلاط ـ مدينة تاريخية ارمينيا الوسطى . فتحها عياض بن غنم سنة 17 هـ / 638م . وقامت بها في القرن السادس الهجـري/الثالث عشر الميـلادي دولة ارمينيـة باسم : شـاه ارمن دامت قرنـاً من الزمن ، ثم ضمت الى الدولة الايوبية سنة 604 هـ / 1207م .

(3) المدرسة النظامية ـ أسسها نظام الملك السلجوقي (456-465 هـ / 1063-1072م) في بغداد سنة 489 هـ /1065 م . وقد قتل نظام الملك على يد الحشاشين .

(4) ابو القاسم السمرقندي ـ فقيه حنفي من مواطني بخارى . له كتاب الارشاد ومرآة الحياة على المعاني في ادراك العالم الانساني توفي سنة 615 هـ .

(5) الشريف الشجري ـ او ابن الشجري . اديب ولغوي اسمه هبة الله بـن علي ، وكان نقيب الطالبين=

الطب على ابي البركات علي ملكاً . فعرف في بغداد فقيهاً وأديباً وشاعراً ، وطبيباً ماهراً . كما تكلم في الحكمة وعلمها لكثير ممن يترددون الى مجلسه من طلاب المعرفة . ثم أقام في الموصل ومنها سافر الى اذربيجان ، ونزل بخلاط بخدمة أميرها شاه ارمن وحصل منه على أموال كثيرة بعث بها الى الموصل . ثم انتقل الى ماردين بضيافة بدر الدين لؤلؤ عتيق السلجوقيين . وكان في هذا الوقت قد طعن في السن وضعف نظره ، فرجع الى الموصل ، وعمل له مجلساً يعلم فيه الحكمة والطب وهو فاقد البصر[6] .

ويروي القفطي قصة يفسر بها سبب مغادرة ابن هبل لخلاط بالرغم مما كان له فيها من المكانة العالية ، طبيباً ونديماً لدى أميرها ، فيقول (ان بعض الطشت دارية (الحاشية) قال يوماً لابن هبل وقد نظر الى قارورة الامير في بعض أمراضه ، يا حكيم لم لا تذوقها ؟ فسكت عنه . فلما انفض عن المجلس قال له في خلوة . قولك هذا اليوم عن أصل من قول غيرك ؟ او هو شيء خطر لك ؟ فقال انما خطر لي ، لانني سمعت ان ذوق القارورة (البول) من شروط اختبارها . فقال له ابن هبل الامر كذلك . ولكن لا في كل الامراض . وقد اسأت الي بهذا القول لان الملك اذا سمع عن هذا ظن انني قد اخللت بشرط واجب من شروط خدمته وقوانين الصناعة فيها . ثم أنه عمل على الخروج لاجل هذه الحركة والخوف من عاقبتها)[7] .

ويهمنا من هذه الرواية القسم المتعلق بفحص البول بالتذوق ، وهو وحده ما يجعل واقعية القصة محتملاً ، لانها ذات علاقة مباشرة بالغاية من فحص البول ، وأركان هذا الفحص . فلا يحتمل على هذا ان يختلقها خيال الاخباريين . ويتبين من احداث القصة ان فحص البول بالتذوق كان خطوة تحليلية لا يعيرها ابن هبل كثيراً من إهتمامه ، وهو لا بد قد اطلع على قانون ابن سينا حيث قال مؤلفه فيه ، وهو يتكلم عن فحص البول : (ومن الناس من يدخل في هذه الاجناس ـ يقصد مواصفات البول والتغييرات التي تظهر فيه ـ جنس اللمس ، وجنس الطعم . ونحن اسقطناهما

= في كرخ بغداد . وله كتاب الامالي المعروف باسمه . توفي في بغداد سنة 543 هـ / 1148م .

(6) ابن ابي أصيبعة ـ العيون ص 408 .

(7) القفطي ـ تأريخ الحكماء ص 236 .

نقززاً أو تنفراً من ذلك)[8] ، وقال ابن هبل في هذا الموضوع (ان البول الرقيق الـذي هو كالمـاء يكون من العلة المسمـاة ديابيـطس ، وهو سلس البـول . فان صـاحب هذه العلة لا يزال يشرب الماء من شدة العطش حتى يخرج الماء بحاله)[9] .

ولا نخـطىء اذا استنتجنا من قـولي ابن سينـا وابن هبـل ان الفحص عن طعم البول يشير على الاكثر الى حلاوته المـوجودة في بـول المصابـين بداء الـديابيـطس . وقد يكون شاه ارمن مريض ابن هبل ، مصاباً بهذا الداء ، فأهمل الخـلاطي كامـل فحص بوله ، ولم يعمل بما هو مألوف عن فحص أبوال امثاله من المرضى ، فهرب الى الموصل خوفاً من أن يكتشف مخدومه هذا الاهمال ، فيبطش به جزاء تهاونه في الخدمة .

توفي ابن هبل في المـوصل سنـة 610 هـ / 1213م . وهو بعمـر يناهـز المائـة سنة واعقب ولـداً شمس الدين بن هبـل الذي عـاش اكثر عمـره طبيباً لـلامير عـز الـدين كيكاوس كيخسرو السلجوقي بآسيا الصغرى ، وتوفي هناك ودفن في الموصل .

ولابن هبل من المؤلفات في الطب :

(1) كتاب المختارات في الطب .

(2) كتاب الطب الجمالي كتبه الى جمال الدين محمد الوزير المعروف بالجوّاب .

(3) النار المجوسية ، أسبابها وعلاماتها وعلاجها ـ ومخطوطة منه في توبنكن .

(4) الاقرباذين على ترتيب العلل (أيا صوفيا ، المتحف البريطاني .

كتاب المختار في الطب

كتب ابن هبل هذا الكتاب في الموصـل سنة 560 هـ / 1164م ، قبـل ان يسافـر الى ارمينيا ، والكتاب بأربعة أجـزاء خصص الاول منها لفسلجـة الجسم وتشريحـه من الـرأس الى القدم ، وادخـل في ذلك الاعـراض والعـلامـات المـرضيـة التي تصيبـه ، ومعلومـات عن النبض والبـول والبـراز ، وعن المـولـودين حـديثـاً وتـدبـير الاطفـال والمشايخ ، وعن الـرياضـة والحمام ، والفصـد والحجامـة ، وقواعـد في حفظ الصحة

(8) ابن سينا ـ القانون 136/1 .

(9) ابن هبل ـ المختار 171/1 .

والادوية المستعملة في الضماد والحقنة . كما فيه فصل لتسكين الاوجاع وعلاج الاورام ، وفي عمليات البط (الشق) وقطع العضو والكي .

وخصص الجزء الثاني لآلات التناسل في الذكور والاناث ، والجماع والادوية المستعملة لها .

وخصص الجزء الثالث لانواع الامراض وأعراضها وعلاماتها وكيفية تشخيصها ، وطرق مداواتها والادوية المستعملة فيها . وشرح بتفصيل موضوع الصداع والسرسام والامراض العصبية والعقلية ، وأمراض العين وأمراض الحلق والاذن ، والانف ، والفم ، والاسنان ، وأوتار الصوت وأمراض المرىء والمعدة والامعاء والنكاف والفواق (الشهقة) وأمراض الكبد ، والقلب والرئة والاستسقاء بأنواعه ، وأمراض الكلية والمثانة . وكذلك آلات التناسل في الذكور والاناث ، والجماع والشهوة الجنسية ، وأمراض الرحم واختلاطات الحيض ، وأمراض القلب ، والرجا (سن اليأس) وأورام الرحم وأوضاعه غير الطبيعية ، والحبل والاسقاط والنواسير . وأمراض الاعصاب والدم والعظام والكسور والخلوع والحميات وغير هذه أمور صحية ومرضية أخرى كثيرة .

وضمن الجزء الرابع أمراض آلات التناسل في المرأة والرجل ، والادوية المفردة المستعملة لها . كما ضمنه فصولاً في الادوية المفردة والسموم ، وفي الجذام والسرطان ، والطوارىء الجراحية ، والحميات والبحرانات وما الى ذلك من أنواع الامراض .

وكتاب المختار في الطب بأي حال تجميع من الكتب العربية ككتاب الملكي للمجوسي والقانون لابن سينا ، وكتاب التصريف للزهراوي وغيرها . وهو يتميز بحسن التبويب وسهولة العثور على المراجع ، والشمولية والاختصار دون خلل . ولهذا صار احد المراجع المهمة في القرن السابع الهجري . وللكتاب مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وأيا صوفيا ، وبنكيبور ، ولايدن ، والمتحف العراقي ، ومعهد الدراسات الاسلامية ببغداد ، ومكتبة باريس . وقد طبعت بمجلدين بحيدر أباد الدكن سنة 1362 هـ /1943 م .

بيمارستانات أقطار الخلافة العباسية[1]

انشئت المستشفيات في مختلف اقطار الخلافة العباسية على نمط بيمارستان جنديسابور ومستشفى الاسكندرية . ولا بد أنها كانت على مستوى ارقى من قدوتيها المذكورتين . فبالاضافة الى عامل الزمن والتطويرات والتغييرات التي اكتشفت ضرورتها بالتجربة ، فإن كثرة الاطباء في بغداد واتصالاتهم المباشرة بالاطباء الاعاجم ، والمشاهدات العيانية لبيمارستاناتهم قد ساعدت على تحسين تلك المستشفيات ومن وجهتها العمرانية والعملية وكل ما يتفق ونوع التطبيب وراحة المرضى وعلاجهم .

1 ـ بيمارستان الرشيد

يعتبر هذا المستشفى أول ما أنشيء من المستشفيات في بغداد . اسسه هارون الرشيد سنة (170-193 هـ / 786-809م) ، وأمر ان يشرف على بنائه وتنظيمه طبيبه الخاص جبرائيل بن بختيشوع[2] ، واسند رئاسته الى ماسويه الخوزي وهو من أطباء جنديسابور .

---

(1) جل هذا الفصل مأخوذ عن احمد عيسى بك ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام .

(2) ابن القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 383 ، ابن ابي أصيبعة .

2 ـ بيمارستان البرامكة

ينسب تأسيسه الى الامراء البرامكـة وقد عمـل فيه الـطبيب الهندي ابن دهني[3] (احمد عيسى ص 178) .

3 ـ بيمارستان المعافر

اسمه الفتح بن خاقان[4] بفسطاط مصر في عهد الخليفة المتوكـل العباسي (-232 247 هـ / 861/847م) .

4 ـ بيمارستان بدر

وذكر هذا المستشفى ايضاً باسم الصاعدي والمعتضدي . اسمه ابو النجم بدر[5] غلام الخليفة المعتضد في محلة المخرم ببغداد وعمل في هذه المستشفى سنان بن ثابت بن قرة . واكثر الاحتمال أن الرازي درس الطب في هذا المستشفى .

5 ـ بيمارستان السيدة

أسستـه ام الخليفـة المقتـدر شغب[6] سنـة 306هـ / 918م في محلة ســوق يحيى بالجانب الشرقي من بغداد . وعمل في هذه البيمارستان سنان بن ثابت بن قرة .

---

(3) لم نجد ذكراً لطبيب بهذا الاسم . وهناك طبيبان همـا كنكة ومنكـة كانـا يعملان في بـلاط هارون الرشيد . ويروي الجاحظ (الحيوان 113/7) ان منكة قد اسلم في زمن هارون الرشيد عن عقيدة ورغبة ، ربما كان منكة هو ابن دهنة المذكور .

(4) الفتح بن خاقان ـ اسمه عبد الله . وزير الخليفة المتوكل العباسي وصديقه الحميم . وقد قتلا معاً بسيف القائد بغا (بضم الباء) التركي سنة 247 هـ / 861م . وكان أديباً وعالماً بالحساب .

(5) ابو النجم بدر الحمامي (نسبة الى طير الحمام) ـ كان عبداً صالحاً يحب عمل الخير . خدم الخليفة المعتمد وابن طولون في مصر . وولى على خراسان وفيها توفي سنة 311 هـ / 923م .

(6) شغب ـ زوجة الخليفة المعتضد . ويقال لها ناغم . انجبت جعفراً الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه المعتضد باسم المقتدر . وكان في الثالثة عشرة من العمر ، فسيطرت امه شغب على أمور الخـلافة وصارت تصدر الاوامر بخطها . فحدثت في زمانها ثلاث ثورات كانت الاخيرة منها في سنـة 320 هـ /932 م انتهت بمقتل ابنها المقتدر . ولما ولى القاهر الخلافة (وهو أخو المقتـدر من ابيه) اسـاء معاملة شغب وضربها وحبسها وتوفيت بعد الافراج عنها سنة 312 هـ /932م .

6 ـ بيمارستان المقتدري

اسسه الخليفة المقتدر سنة 306 هـ / 918م باب الشام في الجانب الغربي من بغداد . واشتغل فيه يوسف الواسطي ، وجبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع . وربما كان معهم سنان بن ثابت بن قرة .

7 ـ بيمارستان ابن الفرات

اسسه الوزير العباسي الشهير بأبن الفرات[7] في خلافة المقتدر بالله (295-320 هـ /908-932 م) وعمل فيه من الاطباء ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة .

8 ـ بيمارستان علي بن عيسى

ويسمى ايضاً بيمارستان الحربية لوجوده في محلة الحربية ببغداد . اسسه وزير المقتدر العباسي ابو الحسن علي بن عيسى[8] ابن الجراح سنة 302هـ / 914م . واسند رئاسته لابي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطببه الخاص .

9 ـ بيمارستان باب المحول

كان مكانه بمحلة باب المحول في جانب الكرخ ببغداد . وكان موجوداً في أيام الخليفة القائم بأمر الله (422-461 هـ / 1031-1075م) ، ثم طمست أخباره بعد ذلك .

10 ـ بيمارستان انطاكيا

يذكر ان ابن بطلان البغدادي شارك في تأسيس هذه البيمارستان في سنة 455 هـ /1063 م كما يذكر انه حين دخل انطاكيا كان فيها بيمارستانا يعمل فيه رجل دين

---

(7) ابن الفرات ـ وهو ابو الحسن علي بن محمد . وزر للمعتضد وابنه المقتدر عدة مرات وقتل مع ابنه في سنة 310 هـ / 924م .

(8) علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الحسني ـ وزير المقتدر العباسي والقاهر ، فارسي الاصل . ولي الوزارة .

وبعد اربع سنوات عزله المقتدر ونفاه الى مكة ثم ارجعه الى الوزارة ثم عزله . توفي في بغداد سنة 334 هـ / 946م . وله كتاب الكتاب وسيرة الخلفاء وغيره .

لمعالجة المرضى والأرجح ان الرواية الاخيرة هي الاصح .

11 ـ بيمارستا ، الامير بجكم[9]

انشأه امير الامراء ابو الحسن بجكم التركي ببغداد في خلافة الراضي بالله (322-329 هـ / 934-940م) واشتغل فيه سنان بن ثابت بن قرة .

12 ـ بيمارستان معز الدولة البويهي[10]

انشأه معز الدولة بن بويه سنة 355 هـ / 965م على مكان السجن المعروف بالسجن الجديد ببغداد .

13 ـ البيمارستان العضدي[11]

هو اشهر البيمارستانات العباسية وأوسعها . انشأه عضد الدولة البويهي في الجانب الغربي ببغداد سنة 372 هـ / 982م ، وزوده بما يحتاج اليه من الاطباء والممرضين والخدم والطباخين والادوات الادوية . والحق به بيمارستاناً للمجانين . وقد عمل فيه ما يزيد على الستين طبيباً (بابو اسحاق ـ نصارى بغداد ص 159) في مختلف الاختصاصات . كان منهم :

(1) جبرائيل بن عبيد الله بختيشوع .

(2) ابو علي ابراهيم بن بكس .

(3) علي بن ابراهيم بن بكس .

---

(9) الامير بجكم ـ تركي الاصل ، تولى أمرة الامراء من قبل بني بويه . وكان يفهم العربية ولا يتكلمها ويقول في ذلك ان الخطأ من الرئيس شيء لا يليق .

(10) معز الدولة البويهي ـ ويلقب بالاقطع لانه كان مقطوع اليد اليسرى . وبعض اصابع اليد اليمنى . وهو عم عضد الدولة البويهي ، دخل بغداد المستكفي (333-334 هـ / 944-946 م) وتوفي بها سنة 356 هـ / 975م .

(11) عضد الدولة البويهي ـ هو ابو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه . اقوى من دخل على الخلافة العباسية . وكان محباً لعمل الخير ونشر العلم وتعمير البلاد توفي بالصرع في بغداد سنة 373 هـ / 983م ونقل جثمانه الى مشهد بايران .

(4) ابو الحسن علي بن كشكرايا .

(5) ابو يعقوب الاهوازي[12] .

(6) ابو عيسى بقية[13] .

(7) نظيف الرومي[14] .

(8) ابو الخير الجرائحي[15] .

(9) ابو الحسن بن تفاح .

(10) الكحال ابو نصر الرحبي .

(11) عبد الرحيم بن علي المرزبان الاصفهاني[16] .

(12) ابو الفرج بن الطيب .

(13) ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة .

(14) ابو علي بن أبي الخير المسيحي البغدادي المعروف بابن العطار[17] .

---

(12) ابو يعقوب الاهوازي ـ اصله من الاحواز والتحق بالبيمارستان العضدي ببغداد وله مقالة في السكنجبين البزوري .

(13) ابو عيسى بقية ـ طبيب سرياني استقدمه عضد الدولة من بلاد العجم ليعمل في البيمارستان العضدي .

(14) نظيف الرومي ويسمى أيضاً نظيف القس . خبير باللغات ويترجم من اليونانية الى العربية بالاضافة الى عمله في الطب وكان من جملة من استقدمهم عضد الدولة ليعمل في بيمارستانه ببغداد وصار يتطير به (العيون ابن ابي أصيبعة/ص 322) .

(15) ابو الخير الجرائحي ـ هو بن ابي الفرج ، من الجرائحيين الماهرين خدم الناصر لدين الله وشاركه في علاجه من حصى المثانة كل من ابن عكاشة وابو نصر المسيحي . توفي سنة 443 هـ / 1051م واعقب ابناً تعلم عنه صناعة الطب وهو ابو علي بن ابي الخير وكلاهما عملا في البيمارستان العضدي العبري ـ مختصر الدول ص : 334 والقفطي ـ تاريخ الحكماء ص 265وابن ابي أصيبعة العيون ص : 403 وبابو اسحاق ـ نصارى بغداد : ص 20-21) .

(16) عبد الرحيم المرزبان ـ عالم بالطب والشريعة : تولى القضاء في تستر بالاحواز في الدولة البويهية . ثم عمل في البيمارستان العضدي وبعدها رجع الى تستر وتوفي بها سنة 396 هـ / 1005م .

(17) مرت ترجمته في الفقرة (15) .

(15) المجبر المعروف بالصلت .

(16) هارون بن صاعد بن هارون الصابي[18] .

(17) ابو الحسن بن هبة الله بن الحسن .

(18) امين الدولة بن التلميذ .

(19) جمال الدين بن اثردي .

(20) ابن المارستانية[19] .

(21) بنو حسنون .

وأصاب البيمارستان العضدي بعد خمسين عاماً من إنشائه كثير من التدمير والتخريب بسبب الاهمال والظروف السياسية والطبيعية ، فجدده الخليفة القائم بأمر الله (422-467 هـ / 1031-1075م) والسلطان السلجوقي طغرلبك . وفي عام 569 هـ/1173 م دخلت مياه دجلة الفائضة حجرات البيمارستان وقاعاته فاضطر المرضى إلى مغادرته هرباً من الغرق ثم اعيد بناء ما تهدم منه بفعل الفيضان ، وعاد الاطباء يعملون فيه . وكان كذلك في عهد الخليفة الناصر لدين الله (575-622 هـ /-1180 1225 م) . وقد ذكره ابن جبير في رحلته وزاره سنة 580هـ / 1184م (رحلة ابن جبير ص 179) .

14 ـ بيمارستان محمد بن علي بن خلف[20]

اسمه محمد بن علي وزير القادر بالله في بغداد فيما بين سنة 401 هـ / 1010م وسنة 407 هـ / 1016م .

---

(18) هارون بن صاعد الصابي ـ عمل طبيباً في البيمارستان العضدي ثم ساعوراً فيه .

(19) ابن المارستانية ـ ابوبكر عبيد الله بن ابي الفرج علي بن نصر . ويعرف بأبن المارستانية لانه سجن في البيمارستان الذي يعمل فيه لسبب غير معروف ، وأثناء ذلك وبعده كتب تاريخ بغداد ثم ارسل سفيراً الى تفليس وتوفي في طريق رجوعه الى بغداد في سنة 599 هـ / 1203م (ابن ابي أصيبعة ـ العيون . ص 407) .

(20) محمد بن علي بن خلف ـ وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي . ويكنى بابي غالب ويلقب=

15 ـ بيمارستان واسط .

انشأه مؤيد الملك الحسن بن الحسن الرخجي[21] الوزير في خلافة القادر بـالله في سنة 413 هـ / 1022م .

16 ـ بيمارستان الري[22]

انشأ المسلمون هذا البيمارستان في الري[23] . وعمل به ابو بكر الرازي قبل أن ينتقل الى بغداد ليعمل في بيمارستانها[24] .

17 ـ بيمارستان ميافارقين

انشـأه نصير الـدولة بن مـروان الدوستكي (خـلافـة القـائم العبـاسي 422-467 هـ / 1031-1075 م) وذلك حين مرضت ابنته فنذر ان شفت يبني بيمارستاناً للفقراء ، فـداواها زاهـد العلماء حتى شفيت وصار زاهـد العلماء يدرس الـطب ويمارسـه في هذا البيمارستان .

18 ـ بيمارستان اصفهان[25]

ذكر ابن ابي اصيبعة[26] هذا البيمتارستان عند كلامه عن ابن مندوبه الاصفهـاني الذي اشتغل فيه .

= بفخر الدين الصيـرفي . اصله من واسط وكان ابـوه صيرفيـاً ، وزر للخليفة القـادر بالله . وقتله مخدومه حفيد عضد الدولة البويهي بنواحي الاهواز في سنة 407 هـ / 1016م .

(21) مؤيد الدين الرخجي ـ وزير شرف الدولة بن بهاء الدولة البـويهي سنة 413 هـ / 1023م . تـوفي بعمر الثمانين سنة 430 هـ / 1038م .

(22) الري ـ واسمها القديم (راغا) وآثارها اليوم جنوب شـرق طهران بثمـان كيلومترات ، وينسـب اليها زرادشت . خضعت للفرس اولاً ثم لدولة الاسكندر ثم لمملكة السلوقيين . فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب بقوات نصر بن مقرن ، وفيها ولد هارون الرشيد . وينسـب اليها ابو بكر الرازي .

(23) احمد عيسى ـ البيمارستان في الاسلام (عن ياقوت الحوي ص 266) .

(24) ابن جلجل ـ طبقات الاطباء . ص 77 .

(25) اصفهان ـ مدينة بفارس بين طهران وشيراز . فتحها المسلمون سنة 19 هـ / 640م ثم تـولى على=

19 ـ بيمارستان شيراز

في شيراز[27] . اشتغل فيها الطبيب الشيرازي قطب الدين ابو الثناء الشيرازي المتوفى سنة 710 هـ / 1310م .

20 ـ دار المرضى بنيسابور

انشأ السلاجقة هذا البيمارستان بنيسابور[28] في حوالي سنة 458هـ / 1065م . وصرف الوزير السلجوقي نظام الملك المتوفى سنة 485 هـ / 1092م اموالاً طائلة عليه .

21 ـ بيمارستان حران

ذكره ابن جبير في رحلته الى المشرق سنة 580 هـ / 1184م .

22 ـ بيمارستان زرنج[29]

وزرنج (بفتح الزاء والراء وسكون النون) عاصمة سجستان[30] وقد ذكر الاصطخري هذا البيمارستان في كتابه المسالك والممالك ص 541 .

= حكمها السامانيون والبويهيون والمغول . وثار أهلها على تيمورلنك سنة 790 هـ / 1388م فنكل بهم بقسوة شديدة . ينسب لها عدد من العلماء والاطباء ساهموا في الحضارة الانسانية .

(26) ابن ابي أصيبعة ص 460 .

(27) شيراز ـ مدينة قديمة في جنوب غربي فارس ـ فتحها ابو موسى الاشعري في أواخر خلافة عثمان بن عفان (23-35 هـ / 644-656م) .

(28) نيسابور ـ من المدن الاسلامية العظيمة في القرون الوسطى . وهي عاصمة خراسان مسقط رأس عمر بن الخيام والطبيب ابن ابي صادق النيسابوري . افتتحها العرب في خلافة عمر بن الخطاب .

(29) زرنج ـ بفتح الزاء والراء وسكون النون مدينة فارسية في جنوب هراة بافغانستان اليوم . كانت عاصمة سجستان ابان العصر الساساني . دخلها المسلمون سنة 20 هـ / 651م في خلافة عثمان بن عفان . ودمرها واحرقها تيمورلنك سنة 785 هـ / 1382م .

(30) سجستان ـ ولاية ساسانية في جنوب شرقي افغانستان اليوم فتحها المسلمون سنة 30 هـ / 651م وكانت مورداً تموينياً زاخراً لخلافة هارون الرشيد . استولى عليها الطاهريون ثم الصفاريون ثم السامانيون ثم الغزنويون ثم السلاجقة ثم المغول .

23 ـ بيمارستان مرو[31]

عمل في هذا البيمارستان عيسى بن ماسه . وقد ورد ذكره على لسان ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الادوية والاغذية .

24 ـ بيمارستان خوارزم[32]

كان يعمل في هذا البيمارستان طبيب شامي يعرف بالصهيوني نسبة الى بليدة صهيون من بلاد الشام . وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته المشهورة (رحلة ابن بطوطة ص 359) .

25 ـ بيمارستان مكة

ويعرف ايضاً بالبيمارستان المستنصري نسبة إلى المستنصر العباسي (623-640 هـ /1226-1242 م) الذي أمر بتأسيسه بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وتأريخ وقفه سنة 638 هـ / 1240م .

26 ـ بيمارستان المدينة

ليس لدينا معلومات عمن اسس هذا البيمارستان . والارجح أنه عباسي التبعية وقد جدد عمارته الملك بيبرس الصالحي . المتوفى سنة 676 هـ / 1277م .

---

(31) مرو ـ من مدن فارس القديمة . تقع آثارها اليوم بجمهورية تركمانستان السوفياتية . وكانت مركزاً اسلامياً ثقافياً مهماً في القرن الوسطى .

(32) خوارزم ـ اقليم الحوض الادنى لنهر جيحون . عاصمة هذا الاقليم هي خوارزم . فتحها قتيبة بن مسلم سنة 93 هـ / 712م وفسر العرب اسمها فقالوا : خوار بمعنى لحم ورزم بمعنى حطب . وكلاهما يشير الى أكل اللحم المشوي على نار الحطب . (عطية الله ـ القاموس الاسلامي 293/20) .

الطب والاطباء في ديار تونس

نبذة جغرافية وتأريخية . بيت الحكمة في الرقادة ونشوء الطــب في تونس

اطباء تونس

اسحاق بن عمران البغداذي
اسحاق بن سليمان الاسرائيلي
زياد بن خلفون
ابن ظفر
دنش بن تميم

موسى بن العازار
اعين بن أعين
ابن الجزار القيرواني
قسطنطين الافريقي
ابو الصلت بن أبي الصلت

المستشفيات في تونس



الطب في ديار تونس

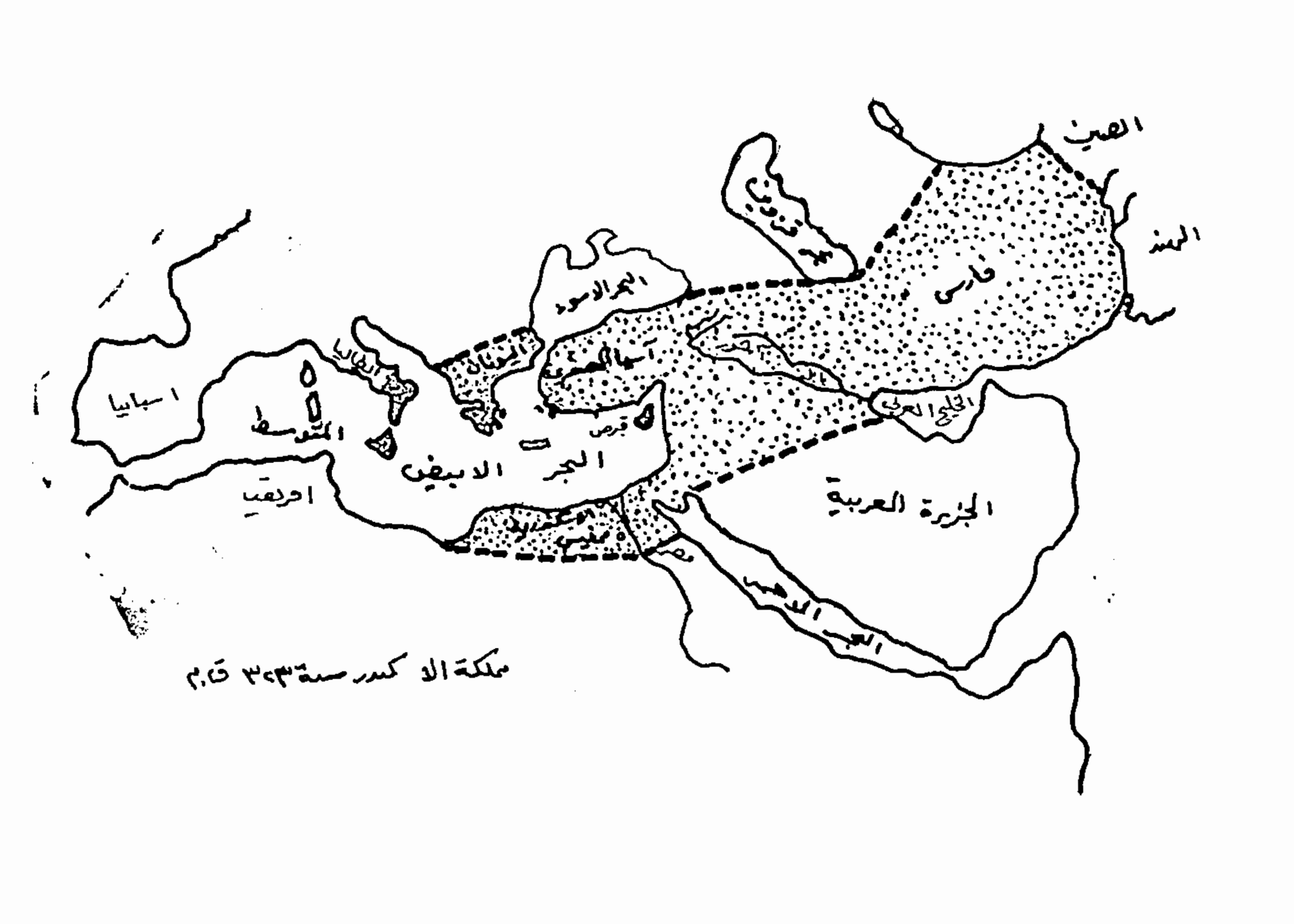
نقصد بتونس في هذا البحث ، الديار التي خضعت للامراء الاغالبة (148-296 هـ /800-909 م) ثم من بعدهم للفاطميين (297-367هـ / 910-972م) وأخيراً للزيريين الصنهاجيين (362-543 هـ / 973-1148م) والتي كانت تمتد من برقة شرقاً حتى الاطراف الشرقية لدولة الادارسة في المغرب . وقد افردنا للطب في تلك الديار هذا الفصل لما انجزه امراؤها من الفتوحات في البحر والبر الاوربي ، ونشر العلوم الاسلامية . ولعلاقة الطب فيها بمدارس ايطاليا وجزيرة صقلية ووصوله الى أوربا بواسطة الاطباء العرب أو بترجمات كتبهم .

نبذة جغرافية وتاريخية

ديار تونس أقرب مكان من شمال أفريقيا ، باستثناء المغرب ، الى شواطيء أوروبا الجنوبية . فيها تتوقف القوافل التي تسافر بين المشرق والمغرب ، ومنها يعبر من ينشد الوصول الى جزيرة صقلية أو إيطاليا ، او من يأتي منهما الى افريقيا . وهكذا كانت تونس محطة للتجارة ، ومركزاً يتلاقى فيه العلماء المتنقلون بين أطراف تلك البلاد (انظر الخريطة) .

ويطلق على تونس في التاريخ الاسلامي اسم أفريقيا ، وأقدم الاقوام التي سكنتها هم البربر المحليون ، ثم دخلها الفينيقيون[1] في السنة الالف قبل الميلاد . وقد

(1) الفينقيون ـ أقوام سامية نزحت من شواطىء البحر الاحمر في حوالي سنة 2000 ق . م . واستوطنت=



مملكة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق.م

يكون هؤلاء هم الذين اسسوا فيها مدينة قرطاجة[2] . ثم تعاقب على حكمها الرومان (146 ق . م ـ 430م) والوندال (439-524م) ثم الروم البيزنطيون (534-642م) . وفي حكم الخليفة عثمان بن عفان سنة 27 هـ / 648م دخل اخو هذا الخليفة بالرضاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح بلاد تونس ، وتم فتحها في خلافة معاوية بن أبي سفيان بقيادة عقبة بن نافع الفهري[3] (سنة 50هـ / 670م) ، وأسس فيها مدينة القيروان[4] ، والجامع المعروف باسمها ، ولما آلت البلاد الى العباسيين من بعد الامويين ، منح هارون الرشيد سنة 184 هـ / 800م عامله عليها ابراهيم بن الاغلس التميمي[5] ، استقلالاً ذاتياً له ولخلفائه ، ليقفوا في طريق اعتداءات الادارسة على

= الشاطىء الشرقي من البحر الابيض المتوسط وكانت لغتهم وحضارتهم تماثل لغة وثقافة الكنعانيين في شمال فلسطين . وقد تميزوا بأعمال الملاحة والتجارة . ولم يكن ينافسهم في البحر إلا اليونانيون وكانت أكبر (دولهم) مدينة صور وصيدا . ومن مدنهم خارج البلاد قرطاجة بتونس . كما وصل الفينيقيون الى اسبانيا وربما الى بريطانيا ، واشتهروا بالعمارة ، وإختراع حروف الكتابة التي اخذها عنهم الاغريق وقد خضعوا في القرن السادس ق . م لليونانيين ثم الفرس .

(2) قرطاجة ـ مدينة قديمة على خليج تونس . ينسب تأسيسها الى اخت بغماليون حاكم صور (القرن 9 ق . م) وقد صارت عاصمة دولة جبارة قاومت الرومان مدة طويلة . وانقاضها اليوم قريبة من مدينة تونس الحديثة .

(3) عقبة بن نافع ـ ابن عبد القدوس الاموي القرشي ، من كبار القادة في صدر الاسلام ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص ، مؤسس مدينة القيروان بتونس . ولي إدارة افريقيا (تونس) في خلافة معاوية بن ابي سفيان ثم في خلافة يزيد بن معاوية . واغتيل قرب الزاب بالمغرب سنة 63 هـ / 983 م .

(4) القيروان ـ ومعناها الجماعة من الناس (ابن دريد ـ جمهرة اللغة حيدر اباد 412/2) . وتستعمل هذه الكلمة في العربية الدراجة ايضاً (كروان) وبالانكليزية Caravan والالمانية Karavane . ويقال ان عقبة بن نافع حين وصل إلى مكان قيروان ورآه ملائماً للاستيطان فيه ، غرس رمحه في ارضه وقال وهو يخاطب جنوده : هذا قيروانكم ، اي محطة قافلتكم ومكان راحتها .

(5) ابراهيم بن الاغلب ـ وهو ابن سالم بن عقال التميمي . مؤسس دولة الاغالبة في تونس . كان أبوه حاكماً على افريقيا (تونس) حين كان هو (اي ابراهيم) حاكماً على الزاب . وكان حازماً جريئاً فولاه هارون الرشيد بعد مقتل ابيه ديار تونس ، وترك له حكمها كيف يشاء . فبدأ عمله ببناء مدينة سماها (العباسية) لتكون مقر عمله بدلاً من القيروان . وقيل ان شارلمان صار يتقرب اليه ليكون له نصيراً على الامويين في الاندلس . توفي بن الاغلب سنة 196 هـ / 812م (اقرأ كتاب

اطراف الاقطار العباسية هناك . وبذلك نشأت دولة الاغالبة في تونس ، ودامت مائة واثنتي عشرة سنة ، سجلت فيها مفاخر كثيرة في شتى وجوه الحضارة . وكان امراؤها شغوفين بالعلم ، واحتضان المتعلمين ، ورعاية علماء الدين ، ومتحزبين لاهل السنة . وهم الذين ادخلوا الحنفية والمالكية الى تلك الديار ، ومنها انتشر المذهب الاخير الى اطراف افريقيا في المغرب . كما كان الاغالبة بحارة جريئين ، ويهوون المغامرة ، وينشدون الغنيمة . وكان المسلمون منذ حكم الخليفة عثمان بن عفان (ت 35 هـ / 656 م) يطمحون في غزو ايطاليا وجزيرة صقلية . فلما تم لهم فتح تونس، واقتربوا من الجزيرة تضاعفت رغبتهم في الاستيلاء على تلك البلاد التي كانت يومئذ تحت حكم البيزنطيين . فجهز ثالث امراء الاغالبة زيادة الله الاول سنة 212 هـ /827 م اسطولاً بقيادة وزيره القاضي ابي عبد الله اسد بن الفرات بن سنان ، فاقتحم هذا شواطىء جزيرة صقلية وثبت اقدامه على اراضيها . وابن الفرات رجل دين ، درس الفقه في الكوفة والمدينة ، وتقلد مناصب سياسية ودينية كبيرة في دولة الاغالبة قبل أن يتولى قيادة الاسطول .

وفيما بين سنة 216 هـ / 831م وسنة 256هـ / 969تم للاغالبة فتح جزيرة صقلية ، بما فيها العاصمة بالرمو ، كما سيطروا على نابولي ، وباري ، وجزيرة مالطية (مالطة) . وفي سنة 261 هـ / 874م قاد تاسع امرائهم ابراهيم الثاني (261-289 هـ /875-902 م) بنفسه اسطوله الحربي وفتح مدينة سرقوسة المحصنة (انظر الخريطة) . وفي سنة 289 هـ / 902م توفي هذا الامير الجرىء وهو في غمار معاركه مع الروم ودفن في بالرمو عاصمة الجزيرة[6] . وهكذا صارت جميع جزيرة صقلية تقريباً في قبضة العرب . ولم تستأثر هذه الاعمال الحربية الجبارة بكل جهود الاغالبة ، فقد التفتوا بنفس الوقت الى تعميم المعرفة بين المواطنين ، وتمدين البلاد . وانشأ ابراهيم الثاني مدنية الرقادة قريبة من القيروان وجعلها مركزاً للعلماء وطلاب العلم ، وانشأ فيها (بيت الحكمة) كمعهد لتدريس العلوم ، وترجمة الكتب الاجنبية . واستقدم لها

= الاغالبة لمحمود اسماعيل عبد الرازق . والجزءين الاول والثاني من كتاب ورقات لحسن حسني عبد الوهاب) .

(6) عبد الوهاب ـ ورقات 222/1 .

علماء الطبيعيات والفقهاء والادب والطب من مختلف الاقطار الاسلامية . وزودها بنفائس الكتب من بغداد ودمشق ومصر والاندلس ، ومن صقلية أيضاً . كما استقدم لها الرهبان من هذه الجزيرة ليترجموا الى العربية المؤلفات المكتوبة باليونانية واللاتينية[7] . كذلك استقدم هذا الامير ، الطبيب اسحاق بن عمران من بغداد الى تونس ، وبذلك كانت منه المبادرة الاولى في ادخال الفكر الفلسفي والطب العلمي الى تلك الديار .

ويجدر أن نذكر أيضاً ، ان بالرمو عاصمة صقلية صارت تعتبر في أيام الاغالبة من المدن الاسلامية ، وحظيت من لدن حكومة تونس بالاهتمام بعمرانها وإدارتها وتعليم ابنائها . قال ابن حوقل المتوفى سنة 367 هـ / 977م انه (لم يكن في اي مدينة اسلامية من الجوامع ما كان موجوداً في بالرمو)[8] . وكانت في أكثر تلك الجوامع مدارس نقل اليها امراء الاغالبة ثلاثماية معلم لتعليم الصبيان[9] ، ومحو الامية وتعميم الثقافة . وكان المعلمون يعفون من خدمة الجهاد ، وهذا ما جمع حركة التعليم في الجزيرة ، وانتشرت اللغة العربية وعلومها . وصار للمتعلم مكانة عند الامراء ، ومركز مرموق بين الناس . وكان الاغالبة متحزبين لاهل السنة ، وقبليين متعصبين للقومية العربية ، فاستصغروا شأن البربر سكان تونس الاصليين المتأثرين بدعوة الادارسة الوافدة من المغرب . فمال البربر الى دعاة عبيد الله المهدي[10] ولما استفحلت هذه الدعوة هرب الاغالبة من تونس سنة 296 هـ / 903م تاركين وراءهم الحكم فيها الى عبيد الله المهدي الفاطمي رئيس العاملين بهذه الدعوة ليؤسس الدولة الفاطمية في

---

(7) المصدر السابق ، 27/1 .

(8) المصدر السابق .

(9) المصدر السابق ، 90/1 .

(10) عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية في تونس ، ولد بالكوفة أو بسوريا . وسبق أن كان ابوه يبث الدعوة الفاطمية في شمال أفريقيا ، فسافر عبيد الله الى تونس والتف حوله شيعة ابيه ، وتزايد عددهم . فهرب آخر امراء الاغالبة زيادة الله الثالث (290-296 هـ / 903-909م) من البلاد تاركاً الفرصة للمهدي ليأخذ البيعة بالخلافة لنفسه ، واختط مدينة المهدية قاعدة لحكمه بدل القيروان . مات عبيد الله سنة 323 هـ / 934م بعد أن حكم في تونس اربعاً وعشرين سنة (الموسوعة العربية الميسرة ص 1186) .

تـونس ويعلن نفسه خليفـة على المسلمـين ، كما ابتنى لـدولته عـاصمة سمـاها المهـدية (نسبـة الى اسمه المهـدي) بدلاً من القيـروان عاصمـة دولة الاغـالبـة . كـما ألت الى المهدي الفاطمي جزيرة صقلية . وقد شغلته هذه الجزيرة عن تحقيق طموحه في توسيع رقعة مملكته وذلك بسبب الثورات الداخلية فيها . إلا أن الخليفة الثالث المعز لدين الله الفـاطمي استـطاع في سنـة 358 هـ / 968م ان يستـولي بقيـادة ربيب بـلاطـه جـوهـر الصقلي ، على مصر ويؤسس فيها مدينة القاهرة لتكون عاصمة مصر بـدلاً من المهديـة في تـونس . إلا أن ذلك صـار سبباً لضعف نفـوذه على الاقسـام الغربيـة من ممتلكاتـه البعيدة في شمال افـريقيا فـاستولى النـورمانـديون عـلى جزيـرة صقلية ، واستغـل هذه الفرصة عامل الفاطميين على المغرب يوسف بلكين رئيس قبيلة صنهاجة البربريـة وأقام الـدولة الـزيريـة في المهديـة (362-543 هـ / 972-1148م) ثم انقرضت هـذه الـدويلة بقوات المرابطين ، وهؤلاء لم يلبثوا طويلاً في الحكم على البلاد حتى استـولى الموحـدون على شمال أفـريقيا عمـوماً عـدا مصر ، (543-668 هـ / 1148-1269م) وسوف نتكلم فيـما يلي عن احـداث الطب والاطبـاء في ديار تـونس بحسب تسلسـل التـواريـخ التي ذكرناها .

الطب والاطباء في تونس

لا بـد ان الطب اليـوناني قـد وصل ديـار تونس منـذ خضوعهـا لحكم الرومـان (حوالي 40 ق . م) الذين كانت ثقافتهم الطبية يونانية . ويحتمل أنه وصلها قبل ذلك التاريخ اي في عز العصر الابقراطي . وقد وجد بين الكتب الطبية المتداولـة عند أهـل البلاد كتاب الفصول لابقراط ، وبقي هذا الكتاب مرجعاً في هـذه الصناعـة حتى سنة 991 م ، اى بعد دخول الاغالبة الى البلاد (184هـ / 800م) بما يقارب المائتي سنـة . ونقدر أن الطب ابان حكم البيزنطيـين على البـلاد (القرن السـادس والسابـع ب . م) كان في مرحلة انحطاطه ومن ادنى المستويات العلمية . ويبدو أنه بقي كذلـك حتى أيام الامـير الاغلبي زيادة الله الاول ، مؤسس اول دمنـة (مستشفى) في تلك الديـار[1] . وكان مكان ذلك المستشفى في القيروان . ومـع أننا لا نعـرف طبيباً واحـداً بالاسم ممن عمل يومئذ بهذا المستشفى إلا أننا نحسب أن المستشفى لم يؤسس الا باشارة من طبيب ما ، وبأشراف منه . على أنه من المؤكـد ان في ذلك المستشفى كـانت تعمل فئـة تعرف شيئاً من الممارسة الطبية يسمونها (فقهـاء البدن)[2] ، وهم متعلمـون ولهم إلمام بعلوم الدين والطب معاً . والتسمية ظريفة فيها نكهة طهورية تجمـع ما في الحـديث الشريف عن علمي البـدن والدين . ومعلومـات فقهاء البـدن في الـطب تقليـديـة ومـوروثـة ، ويمارسونها لوجه الله لا وراء كسب المـال . كما كـانوا يـرافقون المحـاربين ليقـدموا لهم

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب ـ الورقات 285/1 .

(2) حسني عبد الوهاب ـ 272/2 .

الاسعافات الاولية وما يمكن أن يفعلوه من العلاج[3] . اما الطب العلمي فلم يبرز في ديار تونس الا بعد ان دخلها اسحاق بن عمران البغدادي في أيام أميرها ابراهيم الثاني . ويعتبر هذا الطبيب بحق مؤسس اول مدرسة طبية في تونس ، وأبا اطبائها ، وباعث نهضتها الفكرية في العلوم النظرية والتطبيقية . والراجح أن الفكر العلمي في الطب الذي جهد له اسحاق بن عمران وتلامذته لم يثمر ولم ينتشر إلا بعد تأسيس بيت الحكمة في الرقادة . واكثر الاحتمال أيضاً ان ابن عمران قد صنع كتبه الطبية في تونس لا في بغداد . على أنه لا بد قد حمل معه الى تونس كتب اطباء بغداد الموضوعة والمترجمة . كما يحتمل أن بعض هذه الكتب سبق ان جاء بها التجار الى تونس إلا أنها لم تلق رواجاً كما حصل بعد دخول اسحاق بن عمران هذه البلاد . وبأي حال كانت أولى افكار كتب هذه الديار بغدادية الاصل ، الا ان القراء فضلوا مؤلفات اسحاق بن عمران على سواها من الكتب باعتبارها وضعت على مشاهدات لحالات مرضى من أهل البلاد[4] . والرازي والمجوسي وابن سينا لم يعرفوا تونس وأجوائها واطعمتها لتكون كتبهم أفضل من كتب ابن عمران .

ومما ساعد على انتشار المعارف الطبية في تونس ميل أمرائها الى مساعدة العلماء على البحث والترجمة . وكان للامراء أنفسهم هواية في الادب والشعر وتعلم اللغات والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، فاجتذبت البلاد بواسطتهم كثيراً من علماء مصر والاندلس وبغداد ، ونهضت فيها حركة في المناظرة واستقصاء الحقائق العلمية والتأليف ، كانت حصيلتها جملة من الكتب القديمة في فنون المعرفة وبخاصة في الطب .

وقد استوطن بعض الوافدين الى تونس هذه الديار حتى آخر حياتهم . وبعضهم رافق الفاطميين الذين انتقلوا الى مصر وقضوا ما بقي من حياتهم في تلك الديار ، أمثال موسى بن العازار وابنه عون الله بن موسى ، والطبيب أعين بن أعين . ومنهم من كان يتنقل بين تونس ومصر امثال أبي الصلت بن أبي الصلت الداني ، أو بين اسبانيا وتونس أمثال عمر ابن حفص بن بريق ، ولذا ينسب كثير من الاطباء الى مصر أو

---

(3) المصدر السابق .

(4) المصدر السابق 310/1 .

الشام أو اسبانيا بالاضافة الى نسبتهم الى تونس أو القيروان .

وقد ترجم الكثير من كتب اطباء الاغالبة وتلاميذهم الى اللاتينية ، ونقلت الى أوربا عن طريق مدارس صقلية وبالرمو ، وصارت من أهم كتب الدراسة فيها . كما ترجمت بعض تلك الكتب الى العبرية أيضاً . وقد يكون إهتمام المترجمين في أوربا بالكتب التي ذكرناها ، بسبب موضوعيتها العملية ، بالاضافة الى موقع موطنها الجغرافي الذي جعلها أقرب الى ايدي الاوربيين واليهود الذين كانوا يعرفون العبرية ، من كتب القاهرة ودمشق وبغداد .

بيت الحكمة في الرقادة

كان ابراهيم الثاني الاغلبي (261-289 هـ / 875-902م) يهوى دراسة العلوم والاتصال بالعلماء ، فأسس مدينة الرقادة لتكون العاصمة العلمية لدولته الى جانب القيروان العاصمة السياسية القريبة منها . كما أسس في الرقادة مركزاً مثيلاً لبيت الحكمة في بغداد ، أطلق عليه اسم بيت الحكمة ايضاً تيمناً بسميتها العباسية[5] . وعين لها ناظراً سماه صاحب بيت الحكمة ، ليدير شؤونها الادارية . وجمع لها نفائس الكتب ، وآلات الرصد ، والتحفيات النادرة . وضم إليها أكابر العلماء والاطباء والمترجمين . وكان من عادة الامراء الاغالبة أن يجددوا الولاء لخلافة بغداد مرة أو مرتين في كل عام ، فكان ابراهيم الثاني يكلف وفود الولاء الى بغداد ان يجمعوا له الكتب الاصيلة والمترجمة التي يجدونها في العراق وسوريا ومصر ، ويغرون العلماء بالمال لينزحوا الى تونس ويخدموا فيها بعلومهم وصنائعهم . والمعروف ان كلا من الامير ابراهيم الثاني وابنه عبد الله الثاني وحفيده زيادة الله الثالث قد سكن بعض الزمن في صقلية ، وعايش أهلها ، وتعلم لغتهم اللاتينية[6] . وهذا ما يفسر رغبة هؤلاء الامراء وأتباعهم في نقل الكتب اليونانية واللاتينية الى بيت الحكمة ، وترجمتها الى العربية . وكان من جملة تلك الكتب التي ترجمت كتاب بلينسPlinus في النبات[7] الذي صار مرجعاً مهماً

---

(5) المصدر السابق 193/1 .

(6) المصدر السابق 200/1 نقلاً عن كتاب علماء افريقيا للخشني ، طبعة الجزائر ، ص 162 .

(7) المصدر السابق 202/1 .

للعشابين التونسيين قبل أن يصل اليهم كتاب ديوسقريدس بترجمة اطباء قرطبة ، أو بترجمة اطباء بغداد .

إن موقع تونس الجغرافي الذي تقدم وصفه يجعل بيت الحكمة فيها حلقة وصل بين علوم المشرق والمغرب من جهة ، وبين هذين الطرفين وأوربا من جهة ثانية . وبذلك أتاح هذا الوضع لبيت الحكمة أن تلعب دوراً خطيراً في تنشيط الفعاليات العلمية ، وتبادل المعارف ونشرها فيما بين تلك الامصار . فكانت تدخل كتب الرازي ، والمجوسي ، وابن سينا ، ومترجمات حنين بن اسحاق الى تونس قبل أن تصل الى الاندلس ، وهكذا فيما يخص كتب الاندلس والمغرب التي تنقل الى مصر . كما كانت تونس الموقع الذي خرجت منه العلوم العربية في الطب لتصل الى صقلية وايطاليا ، وتدخل كأحد مقررات الدراسة في مدارسها الناشئة وجامعاتها التي استحدثت فيما بعد .

ودون شك أن بيت الحكمة هي التي اوحت للاوربيين ترجمة المؤلفات التونسية ، وكتب بغداد التي كان يتداولها اطباء هذا المعهد ، الى اللغة اللاتينية والعبرية . وكتب معاهد التدريس والجامعات العلمية هي دوماً أفضل المؤلفات في التعليم والتطبيق . ومن هذا يمكن أن نعزي ترجمة كتب اسحاق بن عمران وتلميذه اسحاق بن اسرائيل إلى العبرية واللاتينية الى كونها كانت من كتب التدريس في بيت الحكمة بالاضافة الى الاسباب الاخرى التي سقناها فيما تقدم .

بقي بيت الحكمة في الرقادة يؤدي دوره الكبير في صنوف المعرفة حتى استيلاء عبيد الله المهدي سنة 296 هـ / 909م على البلاد التونسية ، فحوله الى مركز لبث الدعوة الفاطمية ـ الاسماعيلية لصالح العبيديين . فلم يرَ علماء المعهد بعد ان انتفت الغاية العلمية من وجودهم فيه الا الهجرة الى خارج البلاد . فتفرقوا الى الاندلس ومصر ومدن الشام . وهكذا انتهى امر بيت الحكمة في تونس بعد خدمة دامت أكثر من اربعين عاماً في ترجمة الكتب اللاتينية والبربرية الى العربية ، وتدريس العلوم التطبيقية للمتعلمين ، والعمل في البحث العلمي والتأليف في الطب والعلوم الاخرى .

وفيما يلي نستعرض ترجمة مشاهير الاطباء الذين عرفوا في الديار التونسية :

1 ـ اسحاق بن عمران[8]

ويكنى بابي علي وهو أول طبيب على مستوى علمي ظهر في ديار تونس الاغلبية . وهو دون منازع مؤسس الطب في تلك الديار ، وشيخ أطبائها جميعاً . وكان يعرف لسرعة ابرائه المرضى باسم : سم ساعة . وهو مسلم لا كما يوهم ظاهر اسمه .

لا نعرف عن أوليات اسحاق بن عمران اكثر من أنه كان من اطباء بغداد وسامراء في أيام الخليفة المعتمد على الله (256-279 هـ / 870-892م) ، بينما نعرف عن حياته المتأخرة في تونس الشيء الكثير . وهو من المسلمين على عكس ما يشير اليه اسمه . وكانت كل من بغداد حين كان فيها اسحاق بن عمران تعج بالاطباء النابهين امثال بختيشوع بن جبرائيل وحنين بن اسحاق واضرابهما . ولا بد ان اسحاق بن عمران قد حصلت له اتصالات بأكثرهم . ونستدل من معرفته العالية في الطب والحكمة على أن تعليمه كان على واحد من تلك الفئة الممتازة . فاستدعاه الامير ابراهيم الثاني الاغلبي[9] ليكون طبيبه الخاص في القيروان . ولو لم يكن من اطباء بغداد أو سامراء البارزين وذا سمعة طبية في التعامل مع المرضى لما وقع اختيار الامير عليه دون غيره من الاطباء . وكان الامير ابراهيم الثاني يتمتع يومئذ بالجاه العريض ، والترف الباذخ ، وكانت طلبات اسحاق بن عمران منه لكي يلتحق بحاشيته في القيروان متواضعة : راحلة تقله عبر الصحاري ، والف دينار ، وكتاب أمان بموجبه

---

(8) اقرأ عن اسحاق بن عمران في الطبقات لابن جلجل ص 84-85 ، العيون لابن ابي أصيبعة ص 478-479 ، البيان المغرب لابن عذارى 163/1 ، طبقات الامم لابن صاعد ص 68 ، وورقات لحسن حسني عبد الوهاب 232/1-236 . واقرأ أيضاً اطروحة في مقالة المالينخوليا لاسحاق بن عمران للباحث شمس الدين حمردة 1979 :

Leclerc-Arab. Medicine 1/408-409.

Brockelmann 1/232

Sezgin, 3/266-267

(9) حسني عبد الوهاب 234/1 ، أما ابن ابي أصيبعة ص 478 فيقول ان الذي استدعاه الى تونس هو الامير زيادة الله بن الاغلب ، اي زيادة الله الثالث آخر الامراء الاغالبة . وربما يكون المصدر الاول اكثر انطباقاً مع أخبار واحداث اسحاق بن عمران .

يستطيع أن يعود الى بغداد متى شآء[10] . وفي كنف الامير وجد ابن عمران في بادىء أمره بتونس ما يحقق رغباته ويوفر له متطلبات الدراسة والاتصال بالعلماء وطلبة العلم في بيت الحكمة بالرقادة ، مثلما كان ـ على أكثر الاحتمال ـ يفعل في بيت الحكمة ببغداد . كما وجد في كل من القيروان ورقادة مستشفى يمارس فيه الطب ويدرسه . فصار إلى جانب خدمته لامير البلاد يعمل بنفس الوقت في بيت الحكمة ، وفي معالجة المرضى بالمستشفى ، وفي عيادته الخاصة أيضاً .

وخدم اسحاق بن عمران بعد الامير ابراهيم الثاني ابنه عبد الله الثاني ثم ابا مضر زيادة الله الثالث (290-296 هـ / 903-909م) آخر امراء الاغالبة . وكان هذا الامير مضطرب الفكر ، وقيل كان مصاباً بمرض نفسي[11] . وربما كان اسحاق بن عمران ، بالمقابل ، متعالياً في تصرفاته ، أو كان عنوداً مع الامير مما سبب غضبه وسخطه عليه ، وإهانته له . فأراد ابن عمران الرجوع الى بغداد ، إلا أن الامير منعه وضيق عليه حريته . وحدث ان اغتابه احد اطباء الامير ، وهو يهودي من اصل اسباني ، وانتقده أمام الامير على أسلوب معالجته في الطب ، وقلة تأدبه في حضرة أمير البلاد ، فزاد غضب الامير على ابن عمران . وذات يوم استدعاه الى ديوانه وأشار الى خدمه ان يشدوا وثاقه ، ثم أمر بفصده . وبقي ابن عمران بهذا الوضع والدماء تنزف منه حتى لفظ أنفاسه الاخيرة[12] . وكان ذلك في حدود سنة 294 هـ / 906م . ويروى في تكملة هذا الخبر ان الامير الحقود صلب جثمان ابن عمران في ساحة القيروان وتركه معلقاً حتى عشعش الطير في جونه[13] .

عاش اسحق بن عمران نحواً من عشرين سنة في القيروان ، وهناك احتمال كبير ، بل من البداهة أن تكون أفكاره العلمية قد نضجت في تلك الفترة المتأخرة من حياته ، وفيها أيضاً وضع كل كتبه . وكانت ممارسته في الطب على طريقة الاطباء

---

(10) ابن جلجل ص 84 .

(11) ابن جلجل ص 86 وابن أبي أصيبعة ص 479 .

(12) المصدران السابقان .

(13) ابن جلجل ، عشش في جونه صقر (ص 86) وابن ابي أصيبعة ، عشش في جونه طائر (ص 479) .

الاوائل ، فتبنى نظرية الاخلاط كسبب مهم من أسباب الامراض ، ونصح بمداراتها وحفظ التوازن فيما بينها . قال ان الخلط الفاسد (الخام) يزيد مقداره في البدن بعد عمر الاربعين ، كما يزيد في خلط الدم كثرة ما يشتهي الانسان في ذلك العمر من الاطعمة والاشربة ، فيكثر من تناولها دون تقيد . ونصح ابن عمران لتوازن الاخلاط في الحال المذكورة أن يهدر قدر من دم الجسم في كل عام ، لان خلط الدم هو بأي حال أكثر من الاخلاط الاخرى[14] .

كما كان اسحاق بن عمران يوصي ، من باب الوقاية الصحية ، بعمل الحجامة واستعمال النورة في فصل الربيع، وتجنب القطاني ، والمربى بالورد ، وشراب الشعير (سكركة) والكزبرة الخضرة والخيار والبطيخ ، وأكل لحم البقر والماعز ، وعدم المضاجعة في الخريف الذي يعتبره فصل السوداء[15] .

كان ابن عمران يولي النبض والبول إهتماماً خاصاً في الفحوص السريرية . كما يعتمد كثيراً على تلمس الاعضاء واختبار قوتها في تشخيص موقع العلة في الجسم ، ويستعمل الادوية المفردة والحجامة والفصد في العلاج . وتعتبر آراؤه في مرض المالينخوليا من ذات تجاريبه . ومن المحتمل إن الكتاب الذي وضعه في هذا المرض كان من مشاهداته ودراساته على مريضه أمير البلاد الذي قيل أنه كان مصاباً بهذا المرض ، او بمثله . وفي كتابه المذكور معلومات واسعة عن اسباب المالينخوليا . وأنواعها ، وأعراضها ، وطرق مداواتها ، ونقد ما كتبه الاولون فيها . قال فيه (انه لم يقرأ لاي طبيب من القدماء الذين كتبوا عن مرض المالينخوليا كما قرأ لروفس الافسي في هذا الموضوع . فقد اشبعه درساً وشمولاً) . ثم قال : إلا أن هذا المؤلف قد ذكر نوعاً واحداً لهذا المرض وهو الناتج من زيادة خلط المرة السوداء في المعدة بسبب سوء الهضم فتتصاعد ابخرته الى الدماغ . ولم يذكر سببين آخرين مهمين لهذا المرض وهما (1) عمومية المرة السوداء في البدن (2) انحساره في الدماغ . أي أن روفس كما يقول ابن عمران لم يذكر العوامل النفسية التي اشار اليها في السبب الثاني كسبب من أسباب

---

(14) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد 334-332/6 . اقرأ رسالة اسحاق بن عمران ـ الى احد إخوانه ففيها نظرات طبية مفيدة .

(15) المصدر السابق .

المالينخوليا[16] . وسوف نتكلم بسعة عن هذا المرض في قسم العلوم السريرية في فصل يأتي .

من تلاميذ اسحاق بن عمران ابنه علي بن اسحاق ، وزياد بن خَلَفون[17] ، واسحاق بن سليمان الاسرائيلي الذي وفد من مصر ليكمل عليه تحصيله في الطب والحكمة ، وأبو بكر محمد بن الجزار عم احمد بن إبراهيم بن الجزار[18] وغير هؤلاء . قال ابن جلجل في اسحاق بن عمران (به ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة)[19] . وقال عنه ابن صاعد الاندلسي (هو الذي الف بين الطب والفلسفة بديار المغرب) . فابن عمران فيلسوف كما هو طبيب . وقد عرفنا من مؤلفاته ما يزيد على الخمسة عشر كتاباً لم يصل الينا منها كاملاً إلا كتاب المالينخوليا الموجودة مخطوطته بمكتبة ميونخ . وأية مصادفة غريبة أن يقتل ابن عمران بعملية الفصد ، وكان قد الف كتاباً عن هذه العملية . أما قائمة كتبه التي عرفت عناوينها فهي[20] :

(1) كتاب في المالينخوليا ـ مخطوطته بمكتبة نحاس بحلب وميونخ . وقد نقلها قسطنطين الافريقي الى اللاتينية ونسبها الى نفسه . أولمان، (ص 53) . وقد حقق الكتاب الدكتور شمس الدين حمودة باطروحة نشرها في تونس سنة 1979 م .

(2) كتاب العنصر والتمام ـ وهو من المفقودات ، وكان أخذ منه ابن البيطار في كتابه الجامع . والكتاب في الادوية المفردة .

(3) كتاب في الفصد (مكتبة نحاس بحلب) .

(4) كتاب في النبض (مكتبة نحاس بحلب) .

(5) كتاب في طبقات العين .

(6) رسالة الى بعض أخوانه في حفظ الصحة وتدبيرها ـ ورد ذكرها في العقد

---

(16) Ullmann-Islamic Medicine, P. 37.

(17) حسني عبد الوهاب 234/1 .

(18) حسني عبد الوهاب 239/1 .

(19) ابن جلجل ص 85 .

(20) قائمة كتبه في العيون لابن ابي أصيبعة ص 479 Sezgin 3/296-297

الفريد 232/6 لابن عبد ربه ، ومخطوطتها بمكتبة ميونخ .

بمكتبة ميونخ .

(7) قطعة من كتاب الاقرباذين .

(8) مقالة في الاستسقاء .

(9) مقالة وجيزة كتب بها الى سعيد بن توفيل طبيب احمد بن طولون في مصر (254-270 هـ / 868-884م) يبين فيها الاشياء التي يقال انها تشفي الاسقام وفيها يكون البرء .

(10) كتاب الثمار ـ وهو مقتطفات من مصنفات لجالينوس .

(11) مقالة في علل القولنج وأنواعه وشرح أدويته .

(12) كتاب في البول ـ مجمع من كلام ابقراط وجالينوس وغيرهما .

(13) كتاب من أقاويل جالينوس في الشراب (النبيذ) .

(14) مسائل في الشراب ـ جمعها على معنى ما ذهب اليه ابقراط وجالينوس وما ورد في تدبير الامراض الحادة .

(15) كتاب في بياض المعدة وبياض المني ورسوب البول .

2 ـ اسحاق بن سليمان الاسرائيلي[21]

ويعرف عند الاوربيين باسم اسحاق اليهودي Isaac Judaes . وكنيته ابو

---

(21) اقرأ عن اسحاق بن سليمان الاسرائيلي في الطبقات لابن جلجل ص 87-88 ، والعيون لابن ابي أصيبعة ص 457-481 وكشف الظنون لحاجي خليفة ص 243, 1390, 1394, 1404, 1411, 1413, 1466 وايضاح المكنون للبغدادي ج 2/ص 275, 289, 454 . ومعجم المؤلفين لكحالة 234/2

Leclerc 1/409-412

Brockelmann 1/235

Sezgin 3/296-297

يعقـوب . ولد ونشـأ بمصر ومارس صنـاعة الكحـل فيها[22] في أيـام احمد بن طـولـون (254-270 هـ / 868-884م) . ثم سـافر الى القيـروان قاصـداً اسحـاق بن عمـران ، ودرس عليه الطب والحكمـة . ثم رجع الى مـوطنه في مصر . وكـان ذا فطنـة يقظة ، وعقلية مبتكرة ، وطموح في تحصيل العلم ، حتى انه لم يتزوج طوال حياتـه التي دامت ما يقرب من المائة سنـة[23] ، ليتفرغ الى الـدراسة ومتـابعة الافكـار الجديـدة في الطب وممارساته وتأليف الكتب فيه . كما كانت له منزلة دينية بين ابناء ملته من يهـود افريقيـا والمغرب[24] . ولما وصلت سمعته الطبيـة الى تونس استـدعاه زيـادة الله الثالث ليكـون طبيبه الخاص خلفـاً لطبيبـه اسحاق بن عمـران الذي قتله كـما مر ذكـر ذلك . إلا أن الاسرائيلي لم يمكث في خدمة الامير إلا اشهراً معدودات ، اذ هرب سيده وحاشيتـه من الاغالبة ، ليأخذ دعاة الفاطميـة مكانهم في حكم البـلاد برئـاسة عبيـد الله المهدي كـما سبق ذكره . فانتقل الاسرائيلي الى خدمـة الحاكم الفـاطمي عبيد الله ، ومن بعـده إلى ابنـه القايم وثم المنصـور وأخيراً المعـز لـدين الله (341-365 هـ / 953-975م) قبـل أن ينقل عاصمته من المهدية الى القاهرة بمصر .

توفي اسحاق بـن سليمان الاسرائيـلي بعد سنـة 330 هـ / 941م[25] . ومن اشهر تلاميذه ابن الجزار القيرواني . وترك مؤلفات ذات قيمة تطبيقيـة عاليـة ، ترجم الكثـير منها الى اللغة اللاتينية من قبل قسطنطين الافريقي ، كـما ترجم بعضهـا الى العبريـة ، كان منها[26] :

(1) كتـاب الحميات ـ ويتكـون من خمس مقالات . قـال عنه أحد المؤرخين : (لم يوجد في هذا المعنى كتاب اجـود منه) . وقـال عنه ابن رضـوان المصري : (ان هـذا الكتـاب نافـع ، وجمع رجـل فاضـل ، وقد عملت بكثـير مما فيـه فـوجـدتـه لا مـزيـد

---

(22) ابن ابي أصيبعة ص 479 .

(23) ابن جلجل ص 87 .

(24) حسني عبد الوهاب ، ص 237 .

(25) اختلف المؤرخون في تأريخ وفاة ابن سليمان الاسرائيلي ، قيل سنة 308 هـ / 920م (Carrison, P. 131) وقيل في سنة 344 هـ / 931م (بروكلمان ـ الادب العربي 286/4) .

(26) قائمة كتب اسحاق بن سليمان في العيون لابن ابي أصيبعة ص 480-481، و Leclerc, 1/416-417

عليه)[27] . وقد ترجم قسطنطين الافريقي هذا الكتاب الى اللاتينية في حوالي سنة 473 هـ / 1080م ، كما ترجم الكتاب بعد ذلك الى العبرية ، واختصره عبد اللطيف البغدادي بكتاب سماه (اختصار كتاب الحميات) . ومخطوطة الكتاب بمكتبة لايدن ، وكبريلي واحمد الثالث باستانبول .

(2) كتاب الادوية المفردة ـ ترجمه قسطنطين الافريقي الى اللاتينية ، وترجم بعد ذلك الى العبرية ، ومخطوطته بمكتبة مدريد .

(3) كتاب البول ـ وجد هذا الكتاب باللاتينية . وينسبه البعض الى عبد اللطيف البغدادي كما وجدت نسخة منه باللغة العبرية وأخرى باللاتينية . ولم يعثر على صيغته العربية .

(4) كتاب الاسطقسات ـ ترجمه جيرارد الكريموني الى اللاتينية ، والحاخام ابراهام السبتي الى العبرية .

(5) كتاب المدخل الى صناعة الطب .

(6) كتاب في النبض ـ وله مختصر من صنع عبد اللطيف البغدادي .

(7) كتاب في الترياق .

(8) مقالة في الكحل (مكتبة زبيدي بحلب) .

(9) بستان الحكمة ـ وفيه مسائل من العلم الآلهي .

(10) كتاب التعاريف ـ ترجمه قسطنطين الافريقي الى اللاتينية .

(11) كتاب مرشد الاطباء ـ لم تذكر التراثيات العربية هذا الكتاب . والذي وجد منه كان بالصيغة العبرية[28] . وربما كان الاسرائيلي قد وضعه بتلك اللغة او ترجم اليها عن صيغة بالعربية ، كما كانت بعض من مضامينه مأخوذة عن الرازي . وفيما يلي بعض من نصوصه الممتعة :

---

(27) ابن ابي أصيبعة ص 480 مايرهوف ـ تراث الأسلام ص 467 .

(28) مايرهوف ص 467 .

(ان نـزلت مصيبة بـطبيب فلا تفتحن فمـك بلومه ، فلكـل امرىء سـاعتـه . فليسم بـك عقلك وجدك . ولا تبحث عن الشهـرة بـطريق انتقـاص الآخـرين . ولا تتردد في عيادة فقير ومعالجته ، إذ ليس من عمل اشرف من هذا . . ادخـل الطمـأنينة الى قلب المـريض المتألم ومنيـه للشفاء وإن لم تكن صنـاعتك واثقـة من شفائـه ، لانك بذلك تساعد قواه الروحية على المقاومة[29] اقرأ عن هذا الكتـاب في : Bullet of Hist. of Medicine. Vol. 15 (1944, P. 180-188) .

(12) كتاب الاغذية ومنافعها وقواها (فاتح) .

ولابن سليمان الاسرائيلي نصيحة غـريبة لـلاطباء وردت في هـذا الكتاب ايضـاً يقول فيها :

(اطلب اجرك لما يكون المرض في اخـطر مراحله ، لان المـريض ينسى ما فعلت لاجله متى ابل)[30] .

3 ـ زياد بن خلفون[31]

لا يعرف اصل ابن خلفون ، وقد يكون ابوه من الموالي الصقالبة أو الصقليين ، أو احد الوافـدين الى القيروان التي كـانت يومئـذ تجتذب اليهـا تجار الـرقيق واصحاب الحرف . درس الطب على اسحاق بن عمران . وزامل اسحاق بن سليمان الاسرائيلي في خدمة زيادة الله الثالث وعبيد الله المهدي . وقد كان أثيراً عند مخدومه الاخـير عشر سنوات متوالية حتى اغتاله بعض حساده في القيروان في سنة 308 هـ / 920م .

4 ـ ابن ظفـر[32]

هو الفضل بن علي بن ظفر . من الاطباء الادباء في القيروان في أيام الاغـالبة . ولم يعرف احد من شيوخه الا أنه كان يتردد على دار الحكمة في رقادة ، فلا بد أنه اخذ

---

(29) المصدر السـابق والصفحة .

(30) المصدر السـابق والصفحة .

(31) اقرأ عن زيادة بن خلفون في الورقات لحسني عبد الوهاب 241/1 .

(32) اقرأ عن ابن ظفر في المصدر السـابق 243/1-244 .

عن اساتذتها وغيرهم . وقد نجح في ممارسة الصنعة ، وصار له جاه عند الامراء والحكام . ولانه كان يناهض الحركة الفاطمية فلا نعتقد أنه دخل في حاشية عبيد الله المهدي أو اخلافه . توفي ابن ظفر في خلال سنة 323 هـ / 935م بعد مرض حجبه عن العمل أعواماً .

5 ـ دنش بن تميم[33]

يكنى بابي سهل ، ويسميه اصحابه (أدنيم) ، كما يلقب بالتفلجي الاسرائيلي . وهو اسم لا نعرف له معنى . أصل أهله من العراق ، قدموا في أيام الاغالبة الى القيروان بقصد المتاجرة . وفي القيروان ولد دنش وفيها نشأ على العلم ، فدرس الطب على اسحاق بن سليمان الاسرائيلي وكان يومئذ يصغر معلمه بعشرين سنة . كما درس عليه الفلسفة والحساب وعلم الفلك واللغة العبرية ، وتفقه في الشريعة الموسوية حتى صار معتمد يهود العراق ومصر واسبانيا في الفتوى بالامور الدينية . والتحق دنش ، بعد انقراض دولة الاغالبة ، بالبلاط الفاطمي في المهدية وخدم فيه المنصور والمعز لدين الله وألف لهم الكتب في الطب والنجوم ، وكان يحصل منهما على اجزل العطاء والتقدير . ويشاع أنه دخل الاسلام[34] ، إلا أنه لم يلتحق بركب المعز حين انتقل هذا من المهدية الى القاهرة[35] ، وفضل البقاء في موطنه بالمهدية .

ومما هو جدير بالذكر ان لغة دنش كانت جيدة وبليغة في العربية مثلما كانت في العبرية . وله كتاب في المقارنة بين اللغتين المذكورتين كتبه بالعربية سوى بعض الكلمات العبرية القليلة فيما بين فقراته .

توفي دنش التميمي في حوالي سنة 360 هـ / 971م ، وله مؤلفات في العلوم الطبية هي[36] :

---

(33) اقرأ عن دنش بن تميم في المصدر السابق 1/297-301 و

Leclerc, 1/413-416

(34) المصدر السابق 1/298 .

(35) المصدر السابق والصفحة .

(36) قائمة مؤلفات دنش بن تميم في الورقات لحسني عبد الوهاب 1/299 .

(1) كتاب التلخيص في الادوية المفردة ـ لا بد أن تكون في هذا الكتاب اصالة ، فقد نقل عنه ابن البيطار الى كتابه الجامع في الادوية . كما أن في آخره بيان للاوزان والمكايل المستعملة في الطب يومذاك . وهو موضوع ما أحوجنا الى معرفة المزيد منه .

(2) كتاب في الفلك وحركة الكواكب ـ كتبه الى صاحبه ابي يوسف حسداي طبيب الخليفة الحكم الثاني بقرطبة وفيه تعديل السنين الشمسية بحساب الشهور القمرية .

(3) كتاب في الحساب الهندي المعروف بحساب الغبار ، وهو من اقدم المصنفات في هذا الموضوع . ولدنش أيضاً رسائل أخرى ، كتبها بالعربية ، موجودة في مكتبة بودليانا باكسفورد .

6 ـ موسى بن العازار[37]

طبيب يهودي يحتمل أن يكون اصله من مدينة اوريا Oria التي سماها العرب (واري) ، بجنوب ايطاليا . غنمه الفاطميون في احدى غزواتهم لتلك البلاد سنة 313 هـ / 925م[38] . وقد يكون قد تعلم شيئاً من الطب قبل ان يدخل المهدية ، أو أنه درسه فيها على الكبر . وقدم الخدمة فيها للخليفة المنصور الفاطمي ثم المعز لدين الله . وهو الطبيب المفضل عند المعز ، فيرافقه في حله وترحاله . ويعمل له الاشربة والمعاجين والترياقات . وكان عارفاً بالادوية المفردة ويجيد تراكيبها . وله في هذا الموضوع ادوية خاصة تحلل الرياح الشراسيفية ، والامغاص العارضة عند النساء اثناء الحيض ، وتدر الطمث ، وتمنع اسقاط الاجنة ، وتنفع الكلية والمثانة . من مستحضراته في الادوية شراب الاصول ، وشراب التمر هندي[39] . كما له دراسة بطب العيون ومعالجات ناجحة فيها مارسها بالقيروان[40] .

توفي موسى بن العازار بعد سنة 363 هـ / 976والراجح انه عمر حتى المائة سنة

(37) اقرأ عن موسى بن العازار في العيون لابن ابي أصيبعة ص 545 ، وأخبار الحكماء للقفطي ص 320 والورقات لحسني عبد الوهاب 1/301-304 .

(38) حسني عبد الوهاب 1/301-302 .

(39) المصدر السابق 1/302 .

(40) المصدر السابق 1/303 نقلاً عن معالم الايمان 3/83 .

أو أكثر . وأعقب ابناء واحفاداً[41] امتهنوا صناعة الطب أيضاً ، وكانوا كلهم في خدمة الفاطميين . ولموسى من التآليف في الطب[42] :

(1) كتاب المعزى في فن الطبخ ـ وضعه لمخدومه الخليفة المعز لدين الله .

(2) مقالة في السعال .

(3) كتاب الاقرباذين (الخوري نقولا بحلب) .

7 ـ اعين بن اعين[43]

هذا كل ما عرف من اسمه ، كما لم يعرف عن نحلته وعقيدته شيئاً . عاش أكثر عمره في المهدية ، واشتهر فيها في ممارسة الطب ، والكحالة بصفة خاصة . ويظهر أنه كان من جملة اطباء الفاطميين ، ورافقهم الى مصر ، وهناك توفي في سنة 385 هـ / 995 م في أيام الخليفة العزيز بن المعز . وله من المؤلفات :

(1) ـ أمراض العين ومداواتها .

(2) كناش .

---

(41) اشتهر من آل موسى بن العازار اربعة اطباء هم :

(1) عون الله بن موسى وهو على الارجح اكبر أولاد موسى ، وقد اسلم ورافق والده حينما انتقل مع الخليفة المعز الى القاهرة توفي عون الله سنة 363 هـ / 973م (ابن ابي أصيبعة 545وحسني عبد الوهاب 304/1) .

(2) اسحاق بن موسى ـ وكان اثيراً عند الخليفة المعز ، توفي بعد انتقاله الى القاهرة في أقل من سنة وبعد وفاة أخيه عون بيوم واحد (المقريزي ـ اتعاظ الحنفاء ص 97 ، وابن ابي أصيبعة ص 545 وحسني عبد الوهاب 304/1) .

(3) اسماعيل بن موسى ـ اصغر اخويه المتقدم ذكرهما . الحقه المعز بحاشيته بعد وفاة أخيه اسحاق .

(4) يعقوب بن اسحاق بن موسى ـ خدم المعز مع عمه اسماعيل باشراف جده موسى العازار (ابن ابي أصيبعة 545 وحسني عبد الوهاب 304/1) .

(42) قائمة كتب موسى بن العازار في العيون لابن اصيبعة ص 545 .

(43) اقرأ عن اعين بن أعين في ابن ابي أصيبعة ص 546 والورقات لعبد الوهاب 305/1 .

8 ـ ابن الجزار[44]

هو احمد بن ابراهيم بن ابي خالد بن الجزار ، وكنيته ابو جعفر ، وهو ثالث الاطباء الذين اشتهروا في تونس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي . عرفت اسرته المسلمة باشتغالها بالطب إذ كان ابوه ابراهيم بن ابي خالد ، وكذلك عمه ابو بكر محمد بن ابي خالد من الاطباء الممارسين . إلا أن شهرة احمد بن الجزار الواسعة وأعماله الضخمة في التأليف قد غطت على مكانة أبيه وعمه وصار أكثرهم شهرة باسم ابن الجزار .

وكانت القيروان ورقادة ، ابان ولادة احمد بن الجزار ما زالتا تتمتعان بالنهضة الادبية والعلمية التي بدأت في حكم الاغالبة بالرغم من انتقال حكام البلاد الفاطميين الى عاصمتهم الجديدة المهدية . فنشأ ابن الجزار متفتحاً على ما يدور بين الادباء والمؤرخين والاطباء من ابحاث وفنون . وكان ابرز الممارسين في صناعة الطب آنذاك ابوه وعمه واسحاق بن سليمان الاسرائيلي وزياد بن خلفون ، فتعلم عليهم الصناعة[45] . وكان من طلابهم النابهين ، وكثير القراءة والمتابعة وقوي الملاحظة على الحالات المرضية ، فلما تخرج عليهم شيد سقيفة الى جانب داره يستقبل بها مراجعيه من المرضى ، وزودها بأنواع الادوية المفردة والمركبة . وعين غلامه برشيقاً صيدلانياً

---

(44) اقرأ عن ابن الجزار في الطبقات لابن جلجل ص 88-90 والعيون لابن ابي اصيبعة ص 481-482 ، عيون التواريخ لابن شاكر (مخطوط) ج 12/ص 125-126 ، الوافي بالوفيات للصفدي 110/4-111 ، معجم البلدان لياقوت 126/2, 137 ، كشف الظنون لحاجي خليفة ص 420, 841, 27, 120, 251, 253 وأماكن اخرى كثيرة . والبيان المغرب لابن عذارى 338/1 . والتراث الاسلامي لمايرهوف ص 476 مجلة الفجر بتونس 117/1-120ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 137/1والورقات لعبد الوهاب 306/1-322 ، والاعلام للزركلي 82/1 ومقدمة كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار بتحقيق محمد الحبيب الهيلة سنة 1968 ، ومجلة الفيصل عدد 1979/24 للكاتب محمد الشويمر وعادل محمد علي الشيخ حسين ـ ابن الجزار القيرواني منشورات مركز احياء التراث العلمي العربي/بغداد 1984 .

Brockelmann 1/274-275

(45) حسن حسني عبد الوهاب 306/1 .

فيها[46] وكان له معروف على المرضى الفقراء ، فيفحصهم ويزودهم بالدواء مجاناً[47] . فاشتهرت أعماله بالمديح ، وذاع اسمه بين الناس طبيباً حاذقاً وكريماً ، وصار يقصده المرضى من كل الطبقات ، وكذلك طلاب العلم ليستمعوا الى دروسه ويشاهدوا طريقة ممارسته في الصنعة .

ويروى أيضاً أن ابن الجزار كان رفيع الاخلاق ، وبعيداً عن الدناءات ، ومتعالياً على الطبقات الرخيصة من الناس ، وعن أعمالهم ، ولا يقبل العطايا منهم . كما لا يخضع للحكام ولا ينادمهم ، ما خلا انسال عبيد الله الفاطميين[48] . وكان يعتني بصحته ويهتم بهواياته ، فينقطع عن العمل اذا ما اشتد حر الصيف ويمضي أيامه على ساحل البحر ليعايش القراصنة المغامرين وصيادي السمك ، التماساً للراحة والمتعة .

توفي ابن الجزار في القيروان بحدود سنة 396 هـ / 1005م[49] وترك ثروة ضخمة تقدر بأربعة وعشرين الف دينار ، وخزانة كتب فيها خمسة وعشرون قنطاراً ، المخطوطات[50] ، وذكرا طبياً على السنة كثير من الكتاب الذين ترجموا له أمثال الصفدي ، وياقوت الحموي ، وابن صاعد الاندلسي ، وابن القفطي ، وابن أبي أصيبعة . كما بقي اطباء تونس يدعون لقراءة مؤلفاته والعمل بآرائه اكثر من ستة قرون بعد وفاته . نذكر من اولئك ، الطبيب التونسي احمد الحميري (القرن العاشر الهجري) بصفة خاصة الذي قال في كتابه تحفة القادم (ان غالبية المصنفات الكبيرة التي تنظر في علم الطب ، مصنفوها من غير هذا الاقليم الافريقي ، كابن سينا ، والرازي ، والمجوسي وغيرهم . والمناسب النظر في هذا الاقليم في تصانيف ابن الجزار

---

(46) ابن ابي أصيبعة ص 481 .

(47) عبد الوهاب 307/1 .

(48) ابن ابي أصيبعة ص 481 .

(49) اختلف الاخباريون في تثبيت سنة وفاة ابن الجزار . قال الحموي ان ذلك كان سنة 338 هـ . وقال ابن عذارى ان وفاته كانت سنة 369 هـ . واخذ عنه حسني عبد الوهاب وسزكين . وقال حاجي خليفة أنه توفي قتيلاً في الاندلس بتلك السنة واخذ عنه كل من لوكلير وسارتون : أما بروكلمان فقال ان وفاته كانت سنة 395 هـ / 1004م .

(50) حسن حسني عبد الوهاب 310/1 .

لانه افريقي ، أما سائر كتب الطب فلا ينبغي لغير الطبيب الماهر المداواة بنصها على ما هي عليه ، إلا بعد مراعاة قدر اختلاف الطبائع ، واعتبار الاقطار ، وتأثير الادوية ، في قطر دون قطر بحسب اختلاف عرض الاقاليم والعادات . . الخ) . وفي قولة الحميري هذه كثير من الحقائق العلمية في خضوع الطب وممارسته لاختلاف الاجواء الطبيعية والطبائع البشرية ، واعتبار الطب حرفة محلية تجود باحسن العطاء اذا ما استطاع الممارس أن يوفق في المعالجة بين المرض وأسبابه المحلية التي تختلف في مكان عن آخر ، وفي موسم عن موسم . كما في المقولة المذكورة دليل على تفهم الحميري لمبادىء الممارسة الصحيحة في الطب . وهو دون شك لا ينتقص من كتب ابن سينا او الرازي او المجوسي ، التي على ما يبدو كانت منتشرة بأيدي اطباء تونس ، بل يقصد بما قاله ان بعض مضامين تلك الكتب قد وضعت لامراض ومرضى الاقاليم التي عاش فيها أولئك المؤلفون ، لا لما في الديار التونسية من أمراض ومرضى .

ومن تلاميذ ابن الجزار ابو حفص بن بريق الاندلسي ، ومؤلفاته كثيرة الا ان اغلبيتها تعد من المفقودات[51] .

(1) كتاب الخواص ـ وله ترجمة بالعبرية واخرى لاتينية Brockelmann, 1/238 .

(2) كتاب الاعتماد في الادوية المفردة ـ وقد اعترض عليه عبد الرحمن بن اسحاق بن هيثم القرطبي بكتاب سماه الاقتصار والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد . وقد ترجم كتاب الاعتماد الى اللاتينية بقلم الراهب اسطيفن السرقسطي سنة 734 هـ /1333 م ، والى العبرية بقلم موسى بن طبون . كما ترجمه الى اللاتينية قسطنطين الافريقي وانتحله لنفسه . وأوراق من النص العربي موجودة في الاسكوريال والمتحف البريطاني ومكتبة الجزائر .

(3) رسالة في ابدال الادوية ـ نسخة منها بمكتبة احمد خيري في البحيرة بمصر ،

---

(51) قائمة مؤلفات ابن الجزار في العيون لابن ابي أصيبعة ص 482 والورقات لعبد الوهاب 1/313-322 .

وقد ذكر له محمد الهيلة (الفيصل ص 70) اربعة وأربعين كتاباً ، أكثرها في الطب .

وأخـرى بمكتبة بـرلين بـاسـم كتاب الابـدال ، وأخرى في الاسكـوريـال بـاسـم اعـداد العقاقير .

(4) كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر ـ هذا أهم كتب ابن الجزار التي وصلتنا . وهو بمجلدين في صنوف الامراض الباطنة والظاهرة . وقد وصل الى المشـرق قبل أن يتـوفى ابن الجزار فكان موضع تقدير الاطباء . ونقله الى الاندلس تلميـذ ابن الجزار عمـر بن بـريق الاندلسي . وقـد ترجم الكتـاب الى اللاتينيـة بقلم قسطنـطين الافـريقي ، والى العبـرية من قبـل موسى بن طبـون باسم (تـزدادها داريـاخيم) ونسـخ بهـذه الصيغـة موجودة في بودليانا باكسفورد ، وتورينو بايطاليا . وقد طبعت نسخته اللاتينية في بـازل سنة 1516 م . أما المخـطوطات بـالصيغة العـربية فمـوجودة في مكتبـة باريس الاهليـة والفاتيكان وفلورنس والاسكوريال ، ورامبور ، وبودليانا باكسفورد .

(5) طب الفقراء والمساكين ـ ويبحث في الادوية الـرخيصة الثمن ومخـطوطته بمكتبـة غوته والاسكوريال والمتحف العراقي وقد ترجم الى العبرية .

(6) طب المشايخ وحفظ صحتهم (دار الكتب المصرية ومكتبة أحمد خيري بالبحيرة في مصر وخراحجي اوغلي) .

(7) سياسة الصبيـان وتدبيـرهم ـ وهو كتـاب باثنـين وعشرين بـاباً يبحث في تـدبير المولودين في حالتي الصحة والمرض . من مخطوطـاته واحـدة في الاسكوريـال ، وأخرى في تاتيانا ، وقد حققه محمد الحبيب الهيلة ونشره في تونس سنة 1979 م ، ويضم الكتاب معلومات في صفات المـرضعة وطعـامها ولبنهـا ، وفيها يصيب الـطفل بحسب سنـه من الامراض كالاسهال ورطوبة الاذنين والتهاب السرة ونتـوئها ونحـو ذلك . كـذلك فيـه باب في معالجـة الـسعفة في رأس الـطفل ، وورم اليـافوخ ، وانتفـاخ البطن ، وأبـواب اخرى في داء الصرع عنـد الصبيان ، والـوجع عنـد خروج الاسنـان وقروح الاسنـان وقروح الفم ، وفي أسباب القيء ، وفي الحيات والدود المتولد في الامعاء ، وفي الحصى المتولدة في المثانة وغير ذلك .

(8) كتاب في الكلى والمثـانة ـ ورد ذكـره في كتاب سيـاسة الصبيـان لنفس المؤلف ، ويعد من المفقودات .

(9) كتاب مداواة النسيان وطرق تقوية الذاكرة ـ ولهذا الكتاب ترجمة لاتينية . أما صيغته العربية فتعد من المفقودات .

(10) كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها ـ ورد ذكره في كتاب طب المشايخ للمؤلف . ويتكون من أربعة فصول . ونسخة منه في مكتبة الاسكوريال ، وأخرى بالمتحف العراقي باسم طب المعدة . وقد نشره سلمان قطاية ببغداد سنة 1981 م .

(11) كتاب المالينخوليات ـ ومنه مخطوطة بمجموعة مع كتاب الكلى والمثانة للمؤلف بمكتبة بودليانا .

(12) مجريات في الطب . وهو في الطب الشعبي .

(13) اصول الطب ـ وقد ورد ذكره في كتاب طب المشايخ للمؤلف نفسه ويعد من المفقودات .

(14) كتاب البغية ـ ويبحث في الادوية المركبة ، ومخطوطته بمكتبة جراح بحلب .

(15) البلغة في حفظ الصحة ـ وهو من كتبه المفقودة .

(16) رسالة في التحذير من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى اخراجه ويعد من المفقودات .

(17) رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه ، ويعد من المفقودات .

(18) رسالة في المقعدة وأوجاعها .

(19) رسالة في النوم واليقظة .

(20) كتاب العطر ـ ذكره المؤلف في كتابه طب المشايخ . ولم يعثر على مخطوطته .

(21) العدة لطول المدة ـ ويعد من المفقودات أيضاً .

(22) قوت المقيم في الطب ـ ويقال ان هذا الكتاب بعشرين مجلدة لم يصل منها الينا شيء ، وقد يكون هذا الكتاب هو نفسه كتاب العدة لطول المدة .

(23) التفريق بين العلل التي تشتبه اسبابها وتختلف أعراضها . وقد نشرته الدكتورة

رمزية ضمن مطبوعات مركز احياء التراث العلمي العربي ببغداد 1984 م .

(24) كتاب السموم ـ ورد ذكره في كتاب الجامع لابن البيطار .

(25) مقالة في الجذام واسبابه وعلاجه . وقد ترجمها قسطنطين الافريقي الى اللاتينية وانتحلها لنفسه .

(26) كتاب نصائح الابرار ـ ورد ذكره في كتاب طب المشايخ ، وهو من كتبه المفقودة .

(27) كتاب النصح ـ في ادوية الخواص والملوك وقد يكون هذا نفس الكتاب المتقدم ذكره .

(28) كتاب في الزكام وأسبابه وعلاجه .

(29) رسالة في اسباب الوفاة .

ولاحمد بن الجزار كتب كثيرة اخرى في غير الطب نذكر منها الخمسة الآتية لاهميتها في موضوع هذا الكتاب ، ولما فيها من إشارات الى الطب والاطباء بتونس .

(30) اخبار الدولة الفاطمية .

(31) كتاب مغازي افريقيا في فتوحات العرب لتونس .

(32) عجائب البلدان ـ وهو كتاب في الجغرافية .

(33) كتاب في فنون الطيب والعطر ـ مخطوطته بمكتبة صايب بأنقرة .

(34) كتاب الاحجار الكريمة (Sezgin, 3/306)

9 ـ قسطنطين الافريقي[52]

ليس في التراثيات العربية ذكر لطبيب بهذا الاسم ، لا في تونس ولا في اي بلد اسلامي آخر . كما ليس فيها طبيب له ترجمة تقارب ترجمته . بينما تذكره المصادر اللاتينية والاوربية بتكرار وتركيز ووضوح على أنه طبيب عربي مسلم من مواطني تونس

---

(52) اقرأ عن قسطنطين الافريقي في تراث الاسلام لمايرهوف ص 466، 467، 494، 500، 502، 544، 545 .

ومن مواليد قرطاجة بالتحديد . وتذكره مصادر اخرى على أنه من القيروان . فإذا كان قد تنصر ، كما تروى بعض تلك المصادر ، بعد نزوحه الى ايطاليا ، فلا بد إن كان لـه اسم اسلامي أو عربي عـلى الاقل ، وإنـه اتخذ اسم قسـطنطين بعـد ان تنصر هناك . فهـل يحتمل أن يكـون هو صـاحب الاسم عابـديلا (عبـد الله ؟) الـذي تتكلم عنـه المصادر الأوروبية كواحد من العلماء الثـلاثة الـذين شاركـوا في إدخال اللغـات الثلاث المعروفة يومذاك الى مدرسة بالرمو ؟ واللغات الثلاثة هي اللاتينية واليونانية والعربية . إن بعض المصادر تنفي صحة قصة العلماء الثلاثة من أساسها ، وتعتبرها محض إشـاعة واختلاق كما سنرى حين نتكلم عن مدرسة بالرمو في فصل قادم .

قد يكون اصـل قسطنـطين من أهل البـلاد ، أو رقيقاً من القـوط ، أو سبياً من أهل ايطاليا أو صقلية . ولان مولده كان معروفـاً في سنة معينـة (1020 م) فلا بـد انه نشأ في كنف احدى الاسر المسلمة الغنية في تونس في أيام المعز بن باديس الزيري ، أو أيام من حكم ابنه تميم المتوفى سنة 501 هـ / 1107م ويذكر ان سيد قسطنطين كان يكثر من الاسفار الى المشرق الاسـلامي وان قسطنـطين كان يصحبـه في تلك الاسفار فتعلم عدداً من اللغات وعلوم البلاد التي يحل بها . فلما أعتقه مالكه مارس التجارة عـلى سنة سيده ، كما توسع في دراسة العلوم ، ولا بد أنه كان ذكياً وصاحب عقيدة ، ومحاججـاً عنوداً ، فاختلف مع مواطنيـه واضطر ان يهجـر تونس الى ايـطاليا ، وقيـل انه دخلهـا مرتين وحمل معه في المرة الاخيرة عدداً من كتب الطب العربية . فلما رأى سوقاً رائجـة للعلم في جنوب ايطاليا ، وفي بالرمو بخاصـة ، تنصر هناك بـاسم قسطنـطين وانقطع الى دراسة كتب الطب وترجمتها الى اللاتينية التي كان يعرفها بمقدار .

والـراجح ان قسـطنطين الافـريقي لم يمارس الـطب في تـونس ، أو كـان طبيبـاً مغموراً لا صيت له في البلاد ، فاهمله التاريخ العربي الذي سجل احداث تلك الديار مثلما أهمـل ذكر اسـماء بعض الاطباء الـذين نزلـوا تونس ومـارسـوا المهنـة في مـدنها ، كـاليهودي الاسبـاني الذي أثـار غضب الامير الاغلبي عـلى طبيبه اسحـاق بن عمـران البغدادي فقتله كما اسلفنا ذكر ذلك .

إن القسم الاخير من حياة قسطنطين الافريقي التي انتهت في سنة 1087 م ، اي حيـاته في ايـطاليا اكـثر وضوحـاً من حياتـه الاولى التي قضاهـا في تونس . ولـولا ذلك

القسم لما دخل قسطنطين في تاريخ الطب العربي باوروبا كما سنرى حين نتكلم عن وصول الطب العربي الى تلك القارة في فصل قادم .

10 ـ ابو الصلت بن ابي الصلت[53]

هو ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن أبي الصلت . من مواليد دانية على الساحل الشرقي من اسبانيا الجنوبية ، وإليها ينسب اسمه . ولسبب ما غادر ابو الصلت وهو بسن الثلاثين الى تونس ونزل المهدية ، وانضم الى حاشية أميرها ابي طاهر يحيى بن تميم بن باديس الزيري المتوفى سنة 509 هـ / 1115م .

دخل ابو الصلت الى المهدية مزوداً بالعلم والتجربة الطبية . كما كان منجماً قديراً ، وأديباً وينظم الشعر ، ويهوى الفلسفة ، ويتقن الحساب ، وله نظر في الموسيقى وآلات الطرب . فأكرمه أمير البلاد ووصله وأحسن مثواه ، ثم اعتمده سفيراً له الى الفاطميين بمصر . فسار إليها في أيام المستنصر بالله (427-487 هـ /1036-1094 م) وربما كان قد دخل مصر مرتين ، كانت الأولى في أيام الحاكم بأمر الله المتوفى سنة 411 هـ /1021 م[54] وقد ادعى عنده أنه يستطيع أن ينتشل سفينة كانت قد غرقت في مياه الاسكندرية . وقد كلفت هذه العملية أموالاً طائلة على الدولة دون جدوى مما أثار غضب الحاكم عليه ، فحبسه سنتين أو أكثر كان في خلالها يتابع التأليف وقراءة الكتب[55] . فلما افرج عنه غادر مصر الى بلاط الزيريين في المهدية . وفي هذه المدينة توفي في سنة 520 هـ / 1126م وقيل بعد ذلك بثمان

---

(53) اقرأ عن ابي الصلت بن ابي الصلت في سير النبلاء للذهبي (مخطوط) 11/77-121) الوفيات لابن خلكان 1/99-101 . وأخبار الحكماء للقفطي ص 80 . العيون لابن ابي أصيبعة ص 50-514 . معجم الادباء لياقوت 7/52-70 . نفح الطيب للمقري 6/280-293 . المغرب في حلى المغرب للمغربي ص 256-257 . وشذرات الذهب لابن العماد 4/83, 144 . ومرآة الجنان لليافعي 253-254 . وكشف الظنون لحاجي خليفة 51, 173, 305 ، وايضاح المكنون للبغدادي 1/111 . وتراث العرب العلمي لطوقان 300-301 ، والرسالة المصرية ومقدمتها لعبد السلام هارون (مجموعة نوادر المخطوطات رقم 1) .

(54) مقدمة الرسالة المصرية (نوادر المخطوطات) .

(55) ابن ابي أصيبعة ص 502 .

سنوات . وبالرغم من أن أبا الصلت قد عاش في كل من اسبانيا وتونس ومصر إلا أن القسم المرتبط من حياته بتونس كان أكثر فعالية من غيره ، وفيه وضع اكثر مؤلفاته على ما يبدو ، وهي :

(1) كتاب الانتصار لحنين بن اسحاق علي بن رضوان لنفيه ما ورد في كتاب المسائل لحنين . (الرباط ، بودليانا) .

(2) رسالة في الموسيقى .

(3) الادوية المفردة (مغنيسيا) بودليانا ، الظاهرية ، الجامع الكبير في صنعاء .

(4) الرسالة المصرية[56] ـ وهي أهم مؤلفات ابن ابي الصلت . وتعتبر تقريراً سياسياً وعلمياً ، ووثيقة تاريخية عن مصر وحياة المصريين في تلك الحقبة . تناول فيها وصف جغرافية مصر وتاريخها منذ العهود الفرعونية الى دخول الاسلام اليها ، وما فيها من الآثار العجيبة ، وأخلاق الناس الغريبة ، والاطباء الجهلة ، والبارعين منهم . كما تحدث فيها عن تولع المصريين بأحكام النجوم وكثرة استعمالهم لها ، واعتمادهم عليها . وقد رفع ابن ابي الصلت هذه الرسالة الى ابي طاهر بن باديس . ولاهميتها من الوجهة الجغرافية والتاريخية ، وما ورد فيها عن الطب والاطباء في مصر ، وعن رأي صاحب الرسالة في الطب عموماً ، نثبت فيما يلي ما يهمنا من فقراتها :

(كان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب الحكمة ، من العلوم والرياضة والطبيعة والالهية ، ومتحققون فضلاء ، ومن النظر في العلوم الرياضية ولا سيما النجومية منها والموسيقارية . وأولى الناس بأن يكون على هذه الصفة اطباء الملك . ومشى على هذه القاعدة اكثر الاطباء العرب فتعلموا التنجيم ومارسوه في التكهنات واستطباء الدواء . كما مارس كثير منهم الموسيقى) .

(وقد ذم جالينوس من فرق الطب الثلاث الفرقة الجبليّة لحذفها جميع لوازم الصناعة واقتصارها في المداواة على النظر في المرض ، هل من جنس الاستفراغ فيقابل بالامساك ؟ او من جنس الامساك فيقابل بالاستفراغ ؟ دون الفحص عن أمر المزاج ،

---

(56) حقق الرسالة عبد السلام هارون على مخطوطة بمكتبة تيمور برقم 601 ونشرها بالقاهرة سنة 1951

والسن ، والسجية ، والبلد ، والعادة والماهية) ويعني أمية بهذا أن الطبيب الحاذق يجب ان يداوي المريض لا المرض . وإن لكل مريض لبوساً خاصاً من المداراة والعلاج بحسب نفسيته وطبيعته .

ويتكلم أمية[57] في الرسالة عن بعض الاطباء الذين عرفهم في مصر ، فينقد البعض بالذم ، ويمدح بعضاً آخر منهم . ويتكلم عن سكان تلك الديار ويقول :

(والمصريون أكثر الناس استعمالاً لاحكام النجوم ، وتصديقاً لها ، وتعويلاً عليها ، وشغفاً بها ، حتى أنه قد بلغ من زيادة أمرهم في ذلك الى اصولها وتفصيلها وأحكام أمر تركيبها الى أن لا يتحرك واحد منهم حركة من الحركات الجزئية التي لا تحصر فنونها ولا تحصل اجزاؤها . . الا في طوالع يختارونها) . ثم يقول :

(وسكانها اخلاط من الناس مختلفة من قبط ، وعرب ، وبربر ، وأكراد ، وديلم ، وحبشان ، وأرمن ، ويونانيين وروم . . . وأما اخلاقهم فالغالب فيهم اتباع الشهوات ، والانهماك في اللذات . . . والتصديق بالمحالات . . . وغير ذلك مما حكاه ابو الحسين علي بن رضوان وأورده من الامور الطبيعية ، وكفى به حكماً منصفاً وشاهداً عدلاً) .

ويتكلم أمية بن أبي الصلت في الرسالة عن مستويات الاطباء في مصر في الحقبة التي وجد فيها فيقول :

(كنت في أول جلوسي شديد العناية بكتب جالينوس وابقراط ، وباحثاً عن مشكلها ، فاحصاً عن مستغلقها ، فحرصت كل الحرص ، وجهدت كل الجهد على أن أجد من أهل الصناعة من استفيد منه ، واستزيد بمذاكرته ، واقدح خاطري بمفاوضته . فلم اجد غير قوم أطبق الله على قلوبهم وأعمى بصائرهم وطمس افهامهم . . . وقد تخلقوا بكثرة الخلاف وقلة الانصاف ولزموا البهت والمعاندة . . ولم يعلموا أن الطبيب محتاج الى اشياء تعينه في صناعته ، وتفتح له مغالقها ، وتوضح مشكلها ، وتشرح مشتبهها . . وهي العلوم الطبيعية . . والقوانين القياسية) .

---

(57) يذكره ابن القفطي باسم مروشم (تاريخ الحكماء ص 50) .

ويتكلم عن علماء مصر القدماء وعن اهراماتها ، فيقول : (من قدماء أهل العلم هرمس الثالث ، وكان فيلسوفاً جوالاً في البلاد ، عالماً بنصبتها وطوالعها وطبائع أهلها . وله تصانيف جليلة ومفيدة في فنون من الحكمة) . . . كما تكلم عن علماء الاسكندرية ودار العلم فيها ، فذكر انقلاووس الذي ذكره القفطي باسم روشم (تأريخ الحكماء ص 50) وهو صاحب تصانيف في الكيمياء ، واليس صاحب المصنف في المواليد وأحكام النجوم . وقال أيضاً : (ان هرمساً الاول هو الذي يسميه العبرانيون خنوع بن يرد ، وهو ادريس عليه السلام الذي استدل على أن الطوفان يعم الارض ، فأكثر من بنيان الاهرامات ليودع فيها الاموال وصحائف العلوم حفظاً لها واحتياطاً عليها) .

كما ذكر امية في رسالته (ان الخليفة المأمون حين وصل الى مصر ، أمر بالتنقيب في احد الهرمين المحاذيين للفسطاط فوجدوا في أعلاها بيتاً وفي وسطه قبر يضم رمة بالية) . ومن ظريف ما في الرسالة ، قول المؤلف فيها (انه كان بمصر منذ عهد قريب رجل ملازم للبيمارستان يستدعى للمرضى كما تستدعى الاطباء ، فيدخل على المريض ، فيحكي له حكايات مضحكة ، وخرافات مسلية ، ويخرج له وجوهاً مضحكة . وكان مع ذلك لطيفاً في إضحاكه وبه خبيراً وعليه قديراً . فإذا انشرح صدر المريض ، وعادت اليه قوته تركه وانصرف ، فإن إحتاج الى معاودة المريض عاده الى ان يبرأ ، او يكون منه ما شاء الله) . ويعلق أمية على هذا فيقول :

(فليت اطباء عصرنا هذا باسرهم قدروا على مثل هذا العلاج الذي لا مضرة منه ، ولا غائلة له ، بل أمره على المريض هين ، ونفعه ظاهر بين . كيف لا وهو ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ، ويقوي القوة الطبيعية . ويقوي البدن على دفع الاخلاط الردية المؤذية والفضول)[58] .

ولاحظ امية أن أكثر اطباء مصر يومئذ من النصارى واليهود فدون ذلك في رسالته . وهو ما عقبنا عليه عندما تكلمنا عن الاطباء البارزين في مصر الاسلامية ، وسيأتي ذكر ذلك فيما يلي .

---

(58) الرسالة المصرية ـ تحقيق

وفي الرسالة فنون اخرى من المعارف البلدانية ، وسير الرجال والطب والاطباء في مصر في أواخر عهد الفاطميين ، ما جعلها طيلة الحقب المتعاقبة ، على صغر حجمها ، جليلة القدر ، عظيمة الفائدة فتداولها القراء بمتعة وإهتمام .

مستشفيات تونس[1]

يسمى المستشفى في تونس القديمة (دمنة) . وأصل هذا الاسم لحارة في طرف من القيروان ، فلما بنى زيادة الله الاول (201-223 هـ / 817-838م) مستشفى في هذه الحارة سمي هذا المستشفى باسمها (دمنة) وصار هذا الاسم بعد ذلك علماً يطلق على كل المستشفيات التي أسست بعدئذ في تونس . كما سميت حارة الدمنة في القيروان بعد تأسيس المستشفى فيها : (حارة المرضى) . ونجهل لماذا لم يسم التونسيون المستشفى بمارستاناً كما كان يسميها العباسيون . والدمنة على العموم انموذج مطابق لبيمارستانات بغداد من حيث الهندسة ، والادارة ، وأداء العمل .

ويرأس الدمنة قيم يدير شؤونها ويهتم براحة المرضى فيها . كما كان فيها ممرضات من أصل سوداني لخدمة المرضى وتمريضهم واستحضار الدواء لهم . أما الاطباء فكان أكثرهم من طبقة فقهاء البدن الذين ذكرناهم . ووجود الدمن يدل بصفة قاطعة على وجود اطباء يعملون فيها ، إلا أننا مع ذلك لا نعرف طبيباً واحداً بالاسم في تونس قبل دخول اسحاق بن عمران البغدادي الى البلاد في أيام ابراهيم الثاني اي بعد ما يزيد على الاربعين سنة من تأسيس أول دمنة في القيروان .

ونذكر فيما يلي الدمن الاخرى التي وجدت في ديار تونس :

---

(1) اقرأ عن مستشفيات ديار تونس في الورقات لحسنى عبد الوهاب 273/1 .

1 ـ دمنة سوسة

وسوسة مرفأ على البحر الابيض ، يتعامل فيه الرجال بصيد السمك وبناء السفن ولبعد المدينة عن القيروان وفر الامراء لمن يعمل فيها دمنة لاستقبال المرضى . وقد أهتم بهذه الدمنة الامير الاغلبي ابو ابراهيم احمد ، فجدد اثاثها في حوالي سنة 244 هـ / 858م ، كما أهتم بأمورها ابنه زيادة الله الثاني .

2 ـ دمنة صفاقس

صفاقس من منشآت الاغالبة . خططها الامير ابو ابراهيم احمد الاغلبي . وربما هو الذي أسس فيها الدمنة .

3 ـ دمنة تونس[2]

أسس هذه الدمنة الامير الاغلبي ابو ابراهيم أحمد في مكان عرف بعد ذلك (بربض المرضى) الواقع في الجهة الغربية من المدينة .

تم الجزء الاول من الكتاب
ويليه الجزء الثاني ويحتوي على فهارس الجزئين

(2) كانت مدينة تونس موجودة منذ العهد القرطاجي . وعاصرت حكم الرومان ثم البيزنطيين . ولما دخلها العرب كانت قرية حقيرة لا شأن لها في تلك البلاد . وقد اتخذها القائد حسان بن النعمان سنة 69 هـ / 688م قاعدة عسكرية لضرب قرطاجة . فلما تم له امتلاك هذه المدينة هجرها واستقر بمدينة تونس ووسعها وبنى فيها الجامع الذي سمي (الزيتونة) نسبة الى شجرة زيتونة كانت فيه . وصار الجامع بعدئذ احد معاهد التعليم المهمة في ديار تونس .

الفهرس

